



الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

نظام الحكم والإدارة في الدولة الآشورية

الحديثة (٩١١-٦١٢ ق.م)

رسالة أعدت لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ القديم

إعداد الطالب

أحمد محمد ديب شبايبي

إشراف الأستاذ الدكتور

جهاد عبود

٢٠١٩/١٤٤٠ م

فهرس المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
أ	فهرس المحتويات.
د	قائمة الخرائط.
ن	قائمة الأشكال والرسوم البيانية.
ع	قائمة الجداول.
ف	قائمة المختصرات.
ق	"ملخص البحث باللغة العربية".
١	مقدمة.
٦	تمهيد.
٧	الفصل الأول الآشوريون: (موطنهم، أصلهم، تسميتهم، أوضاعهم السياسية)
١٠	أولاً: لمحة موجزة عن الطبيعة الجغرافية للدولة الآشورية:
١٠	١ - الموقع والامتداد.
١٠	٢ - البيئة الطبيعية لبلاد آشور.
١١	٣ - المناخ في بلاد آشور.
١٢	٤ - أهمية الموقع الجغرافي لبلاد آشور.
١٤	ثانياً: أصل الآشوريين:
١٤	١ - الأقوام التي استوطنت في منطقة شمال بلاد وادي الرافدين.
١٥	٢ - مجيء الآشوريين إلى منطقة شمال وادي بلاد الرافدين.
١٨	ثالثاً: التسمية:
١٨	١ - تسمية كلمة "الآشوريين".
١٩	رابعاً: اللغة التي تكلم بها الآشوريون:
٢٠	١ - اللهجة الآشورية القديمة (Old Assyrian).

رقم الصفحة	الموضوع
٢٠	٢ - اللهجة الآشورية الوسيطة (Middle Assyrian).
٢١	٣ - اللهجة الآشورية الحديثة (New Assyrian).
٢١	خامساً: التنقيبات الأثرية في العواصم الآشورية ونتائجها:
٢٢	١ - مدينة آشور:
٢٢	أ - موقع المدينة.
٢٢	ب - تسمية المدينة.
٢٣	ت - أهمية المدينة.
٢٣	ث - عمليات التنقيب في المدينة ونتائجها.
٢٦	٢ - مدينة كلخو (نمرود):
٢٦	أ - موقع المدينة.
٢٦	ب - تسمية المدينة.
٢٦	ت - أهمية المدينة.
٢٨	ث - عمليات التنقيب في المدينة ونتائجها.
٣٢	٣ - مدينة نينوى:
٣٢	أ - موقع المدينة.
٣٣	ب - تسمية المدينة.
٣٣	ت - أهمية المدينة.
٣٣	ث - عمليات التنقيب في المدينة ونتائجها.
٤٠	٤ - مدينة دور شروكين (خُرسباد):
٤٠	أ - موقع المدينة.
٤١	ب - تسمية المدينة.
٤١	ت - أهمية المدينة.
٤٢	ث - عمليات التنقيب في المدينة ونتائجها.

رقم الصفحة	الموضوع
٤٤	سادساً: لمحة سياسية موجزة تتضمن الأدوار التاريخية التي مرت بها بلاد آشور:
٤٥	١- دور سيطرة الدولة الأكديّة إلى نهاية سلالة أور الثالثة (٢٥٠٠-٢٠٠٠ ق.م).
٤٥	أ- أحوال بلاد آشور السياسية في هذا العصر.
٤٨	٢- العصر الآشوري القديم (٢٠٠٠-١٥٢١ ق.م):
٤٨	أ- الفترة الزمنية التي شغلها هذا العصر.
٤٨	ب- أحوال بلاد آشور السياسية في هذا العصر.
٥١	ت- ظهور المستوطنات التجارية الآشورية في بلاد الأناضول.
٥٣	٣- العصر الآشوري الوسيط (١٥٢١-٩١١ ق.م):
٥٣	أ- الفترة الزمنية التي شغلها هذا العصر.
٥٥	ب- أحوال بلاد آشور السياسية في هذا العصر.
٥٧	ت- أحوال بلاد آشور السياسية في عهد خلفاء الملك الآشوري آشور أوبالط.
٦٠	٤- العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م):
٦٠	أ- الفترة الزمنية التي شغلها هذا العصر.
٦٠	ب- أحوال بلاد آشور السياسية في هذا العصر.
٦١	- الأوضاع الدولية الجديدة التي طرأت في هذا العصر.
٦٤	- الملامح العامة للسياسة الآشورية المتبعة إزاء التحديات والصعوبات التي واجهتها.
٦٨	الفصل الثاني نظام الحكم
٧٧	أولاً: لمحة عن نشوء مفهوم نظام الحكم في بلاد الرافدين وتطوره:
٧١	١- مفهوم الملكية في بلاد وادي الرافدين.
٧٥	٢- أسس النظام الملكي ومراحل تطوره في بلاد وادي الرافدين.

رقم الصفحة	الموضوع
٧٩	ثانياً: الملك.
٧٩	١ - المبادئ التي استند إليها الملوك الآشوريين لإضفاء شرعية حكمهم.
٨٥	٢ - هل نُظر إلى الملك الآشوري على أنه إله أم لا؟.
٨٦	٣ - طقوس تنويع الملك:
٨٦	أ - أهم شارات الملكية في آشور:
٨٧	- التاج.
٨٨	- رباط الرأس.
٨٨	- الصولجان.
٩٠	- عصا الرعية.
٩١	ب - الإجراءات التي ترافق مراسم تنويع الملك.
٩٣	٤ - مسؤوليات الملك وواجباته:
٩٣	أ - الواجبات الدينية وتتضمن:
٩٣	- مراقبة الإدارة المالية للمعابد.
٩٣	- تمثيل سكان البلاد أمام الإله.
٩٤	- تنفيذ رغبات الآلهة.
٩٦	- المشاركة في الاحتفالات الرسمية.
٩٨	- بناء المعابد.
٩٩	ب - الواجبات الدنيوية وتتضمن:
٩٩	- استقبال سفراء وممثلي الدول والممالك الأجنبية وتوقيع المعاهدات والاتفاقيات.
١٠١	- فرض الأمن والنظام.
١٠٢	- فرض العدالة وتطبيق القانون.
١٠٤	- قيادة الجيش الآشوري والاهتمام بشؤون المقاطعات.
١٠٥	- تأمين مستلزمات المعيشة لسكان المملكة.

رقم الصفحة	الموضوع
١٠٦	- دعم الحياة الإقتصادية وتعزيزها من خلال تقديم الخدمات اللازمة.
١٠٨	٥ - ظاهرة تنصيب الملك البديل في آشور (شَر - بوخي) (šar- pûhi).
١٠٨	أ - الدوافع التي دفعت بالملوك إلى ممارسة هذه الظاهرة المؤقتة.
١١٠	ب - أمثلة على تطبيق هذه الظاهرة في العصر الآشوري الحديث.
١١١	٦ - مراسم وفاة ودفن الملك:
١١١	أ - مراسم الحداد التي يقيمها سكان آشور.
١١٢	ب - المراسم والطقوس التي ترافق دفن الملك.
١١٢	ت - المكان الذي يتم فيه دفن الملوك الآشوريين.
١١٤	ثالثاً: الملكة:
١١٤	١ - لقب الملكة: (مي. إي. جال) (Mì.É.GAL)
١١٥	٢ - مكان إقامة النساء داخل القصور الملكية.
١١٥	٣ - المعايير التي اعتمدها الملوك الآشوريين في اختيار الملكة.
١١٦	٤ - مكانة الملكة ودورها ضمن القصر وخارجه.
١١٩	أ - (زاكوتو/ نفية) (Zākūtu/Naqī `a).
١٢٠	ب - (شمو - رامات) (šammu-rāmat).
١٢٣	ت - (البيالي - شرت) (Libbāli-šarrat).
١٢٤	رابعاً: نساء القصر الملكي الأخريات:
١٢٤	١ - الملكة الأم (أم لوجال) (AMA LUGAL)
١٢٧	٢ - بنات الملك: دومو. مي. لوجال (Dumu.Mì.LUGAL)، وأخواته: مي. نين. لوجال (Mì.NIN.LUGAL).
١٢٩	٣ - محظيات الملك (الزوجات الثانويات) (مي. إريم. إ. جال) (Mì.ERIM.É.GAL).
١٣٠	خامساً: منصب ولاية العهد:
١٣٠	١ - لقب ولي العهد (مار - شري) (mār-šarri).

رقم الصفحة	الموضوع
١٣٠	٢ - طريقة اختيار ولي العهد.
١٣١	٣ - قصر ولي العهد (بيت - ريدوتي) (bit-redûti).
١٣٢	٤ - موظفو ولي العهد.
١٣٦	٥ - التدريب والمهام التي يكلفُ بها ولي العهد ومدى صلاحياته.
١٣٨	سادساً: دور الملوك في نهوض الدولة الآشورية الحديثة:
١٣٨	١ - الأسس والمبادئ التي اعتمد عليها الملوك في نهوض دولتهم
١٣٩	٢ - دور الملوك في عملية الإصلاح والتطوير للنظام الإداري الآشوري.
١٤٤	الفصل الثالث التنظيم الإداري في الدولة الآشورية
١٤٧	أولاً: القصر الملكي:
١٤٧	١ - تسمية القصر الملكي.
١٤٧	٢ - القصور الآشورية في المصادر المسمارية.
١٤٨	٣ - المخطط العام للقصر الملكي.
١٤٩	ثانياً: دور القصر الملكي في الدولة الآشورية كمركز إداري:
١٤٩	١ - أهمية القصر الملكي كمؤسسة إدارية في الحياة اليومية للآشوريين.
١٥٠	٢ - أهمية القصر الملكي كمركز اقتصادي في الدولة الآشورية.
١٥١	٣ - أهمية القصر الملكي كمركز للأرشفة الرسمي للدولة الآشورية.
١٥١	ثالثاً: المسؤولون الكبار في الدولة الآشورية:
١٥٢	١ - تورتانو (tûrtanu).
١٥٢	أ - تعريف لقب "تورتانو".
١٥٣	ب - أهمية منصب "تورتانو".
١٥٧	ت - المهام والواجبات التي أسندت إلى "تورتانو".
١٥٨	٢ - رِب شَقِي (rab-šaḳî).

رقم الصفحة	الموضوع
١٥٨	أ- تعريف لقب "رَب - شَقِي".
١٥٩	ب- أهمية منصب "رَب - شَقِي" والمهام المسندة إليه.
١٦٠	٣- ناجير إَكَلِي (Nāgir-ekalli).
١٦٠	أ- تعريف لقب "ناجير - إَكَلِي".
١٦٠	ب- أهمية منصب "ناجير - إَكَلِي" والمهام المكلف بها.
١٦٢	٤- أبراکو رَبو (abarākkū rabû).
١٦٢	أ- تعريف لقب "أبراکو".
١٦٢	ب- المهام والواجبات التي أسندت إليه.
١٦٣	٥- سوكالو رَبو (Súkallû rabû).
١٦٣	أ- تعريف لقب "سوكالو رَبو".
١٦٣	ب- أهمية منصب "سوكالو رَبو" والواجبات المناطة به.
١٦٤	٦- رَبا - شا - ريشي (rab- šā- rēši).
١٦٤	أ- تعريف لقب "رَبا - شا - ريشي" (rab- šā- rēši).
١٦٤	ب- الأهمية والمكانة المميزة التي تمتع بها هؤلاء الخصيان داخل القصر الملكي.
١٦٥	ت- المهام والواجبات الموكلة إلى هؤلاء الخصيان.
١٦٨	٧- سارتينو (Sārtennû).
١٦٩	أ- تعريف لقب "سارتينو".
١٦٩	ب- المهام والواجبات التي يؤديها "سارتينو".
١٧١	ت- ما هو دور الملك الآشوري في القضاء وما هي واجباته؟.
١٧٦	٨- ظاهرة تحدّي المسؤولين الكبار للسلطة الملكية أثناء الأزمات السياسية.
١٨٠	رابعاً: حُكَّام المقاطعات والأقاليم في الدولة الآشورية الحديثة:
١٨٠	١- تعريف لقب حاكم المقاطعة "بيل - باخيتي" "bēl-pāhēti".
١٨٠	٢- أهمية ومكانة حُكَّام المقاطعات.

رقم الصفحة	الموضوع
١٨١	٣- المهام والواجبات المناطة بحكام المقاطعات الآشورية.
١٨٥	خامساً: إدارة المقاطعات والمدن التابعة للدولة الآشورية الحديثة:
١٨٥	١- اهتمام الملوك الآشوريين بتنظيم المقاطعات والمدن الآشورية.
١٨٧	٢- الأساليب الإدارية المتبعة في إدارة المقاطعات والبلدان التابعة للدولة.
١٨٨	أ- الأساليب الإدارية الغير مباشرة.
١٩١	ب- الأساليب الإدارية المباشرة.
١٩٣	سادساً: إدارة المدن الآشورية:
١٩٣	١- محافظ/ مدير المدينة (خَزَنُو) (hazannu)
١٩٣	أ- تعريف لقب محافظ/ مدير المدينة "hazannu".
١٩٣	ب- المهام والواجبات الملقاة على عاتق خَزَنُو.
١٩٥	٢- المشرف على المدينة (شا - موخي - آلي) (šā- muḫḫi- 'āli).
١٩٥	أ- تعريف لقب المشرف على المدينة.
١٩٥	ب- الأعمال والمهام التي كلف بها مشرف المدينة.
١٩٦	٣- مجلس المدينة (الشِّيَاب) (šibutu).
١٩٦	أ- تعريف مجلس المدينة "الشِّيَاب".
١٩٦	ب- واجبات مجلس المدينة.
١٩٧	الفصل الرابع موظفو القصر الملكي ونظام المواصلات
٢٠١	أولاً: رئيس تشريفات القصر (شا بان - إكَلِّي) (šā pān - ēkalli).
٢٠١	١- تعريف لقب: (شا بان - إكَلِّي) (šā pān- ēkalli).
٢٠١	٢- أهمية منصبه والمهام والواجبات المكلف بها.
٢٠٣	ثانياً: مشرف القصر (رَب - إكَلِّي) (rab- ēkalli).
٢٠٣	١- تعريف لقب: (رَب - إكَلِّي) (rab- ēkalli).

رقم الصفحة	الموضوع
٢٠٣	٢ - أهمية منصبه والمهام والواجبات المكلف بها.
٢٠٤	ثالثاً: كاتب القصر (طُبْشَر - إَكْلِي) (tupšar ēkalli).
٢٠٤	١ - تعريف لقب: (tupšar ēkalli).
٢٠٥	٢ - مكانة الكاتب الاجتماعية والمادية في العصر الآشوري الحديث.
٢٠٦	٣ - المهام والواجبات الإدارية التي كان يشغلها كاتب القصر ومنها:
٢٠٨	أ - إشراف كاتب القصر على استخدام المعادن الثمينة سويةً مع أمين الصندوق.
٢٠٨	ب - ظهور كاتب القصر في النشاطات الاقتصادية.
٢١٠	رابعاً: المُقَرَّبُون (شا قوربوتي/ قَبُو) (šā qurbûti/qēpu).
٢١٠	١ - تعريف لقب: (شا قوربوتي/ قَبُو) (šā qurbûti/qēpu)
٢١٠	٢ - دور المُقَرَّبِينَ (شا قوربوتي/ قَبُو) (šāqurbûti/qēpu) في إدارة القصر.
٢١٠	أ - جمع وتحصيل الضرائب.
٢١١	ب - مندوبين أو مبعوثين عن الملك إلى المقاطعات والمدن الآشورية.
٢١١	ت - صلة الوصل المباشرة بين الملك والرعايا.
٢١٢	ث - مراقبة حُكَّام المقاطعات والمدن الآشورية وأعمال التفتيش والاهتمام بالأسرى الخ....
٢١٣	خامساً: العُمال العاديون (موشاركيصو/ صابو) (mušarkišu/šābù).
٢١٣	١ - تعريف لقب: (موشاركيصو/ صابو) (mušarkišu/šābù) .
٢١٤	٢ - الأعمال والواجبات التي يقوم بها العُمال العاديون.
٢١٤	سادساً: دور عاملات القصر في الإدارة:
٢١٤	١ - مُدِيرَات القصر (شَكِينتو) (šakintu)
٢١٤	أ - تعريف لقب: (شَكِينتو) (šakintu).

رقم الصفحة	الموضوع
٢١٤	ب - الأعمال والنشاطات التي كُنَّ يَقْمَنَ بها على الصعيد الإداري.
٢١٩	ت - سِيدَات (شَكِينَتُو) (šakintu) اللواتي عُرِفْنَ بأسمائهنَّ.
٢٢٠	٢ - مجموعة نساء (سيكريتو) (Sekretu).
٢٢٠	أ - تعريف لقب: (سيكريتو) (Sekretu).
٢٢٠	ب - الأدوار والنشاطات المُلقاة على عاتق نساء القصر (سيكريتو) (Sekretu).
٢٢٢	- نساء (سيكريتو) (Sekretu) (كجزء من السبي الملكي).
٢٢٣	- نساء (سيكريتو) (Sekretus) ومسألة اختلاء نساء القصر.
٢٢٥	٣ - (المسؤولة) (لَخِينوتو) (Lahḫinutu).
٢٢٥	أ - تعريف لقب: (لَخِينوتو) (Lahḫinutu).
٢٢٥	ب - الأعمال والنشاطات المُسندة للمسؤولة (لَخِينوتو) (Lahḫinutu).
٢٢٦	٤ - الْمُغْنِيَّات (نوارتو/ نَرْجالوتو) (nuārtu) و (nargāllutu).
٢٢٦	أ - تعريف لقب: (نوارتو/ نَرْجالوتو) (nuārtu) و (nargāllutu).
٢٢٦	ب - الواجبات والنشاطات التي أُسندت إليهنَّ.
٢٢٧	- المغنية الرئيسية (نَرْجالوتو) (Nargāllutu).
٢٢٨	- المغنية (نوارتو) (Nuārtu).
٢٢٨	- المغنيات في قوائم الحصص والنبذ.
٢٢٨	- المغنيات كجزء من السلب أو السبي الملكي.
٢٢٩	٥ - جارية أو خادمة القصر (أَمَات إِكَلِّي) (Amāt ekalli).
٢٢٩	أ - تعريف لقب: (أَمَات إِكَلِّي) (Amāt ekalli).
٢٢٩	ب - الأعمال والنشاطات المُلقاة على عاتقهنَّ.
٢٣١	٦ - مجموعة نساء القصر الأخريات (الحرفيات):
٢٣١	أ - صانعة الحلويات.
٢٣١	ب - الحائكات.

رقم الصفحة	الموضوع
٢٣٢	سابعاً: موظفو القصر الملكي الآخرون مثل: (الْمُنْجَمُونَ، الْمُنْشَدُونَ، الطَّبَّاحُونَ.... الخ).
٢٣٢	١ - الْمُنْجَمُونَ:
٢٣٢	أ- نصوص التنجيم.
٢٣٣	ب- المكانة الاجتماعية التي تمتع بها هؤلاء الْمُنْجَمُونَ ونشاطاتهم في القصر.
٢٣٤	٢ - الْمُنْشَدُونَ (نُرو/ نورتو) (Nurtu/ Naru).
٢٣٤	٣ - الطَّبَّاحُونَ.
٢٣٤	أ- (مُدرء المطبخ).
٢٣٤	ب- (مُدرء الطعام).
٢٣٤	ت- (مُدرء الحبوب).
٢٣٤	- الطباخ الرئيسي (رَب - نوخاتيمي) (rab nuhatimmi) والواجبات الْمُكَلَّف بها.
٢٣٦	ثامناً: نظام المواصلات والبريد المعمول به في الدولة الآشورية.
٢٣٦	١ - أهمية وجود نظام اتصالات دقيق ضمن الدولة الآشورية
٢٣٧	٢ - الرُّسل.
٢٣٧	٣ - أنواع الرسائل.
٢٣٨	أ- الرسائل المختومة.
٢٣٨	ب- الرسائل السرية.
٢٣٨	٤ - آلية عمل نظام الاتصالات في الحملات العسكرية الآشورية.
٢٤٢	الخاتمة.
٢٤٦	قائمة المصادر والمراجع.
٢٦١	الملاحق
٢٦٣	ملحق الخرائط

نظام الحكم والإدارة في الدولة الآشورية الحديثة (٩١١-٦١٢ ق.م)

رقم الصفحة	الموضوع
٢٧٠	ملحق الأشكال
٢٧٩	ملحق الجداول

قائمة الخرائط

رقم الصفحة	عنوان الخريطة	رقم الخريطة
٢٦٤	الدولة الآشورية الحديثة (٩١١-٦١٢ ق.م)، الشرق الأدنى القديم خلال العصر الآشوري الحديث.	١.
٢٦٥	الشرق الأدنى القديم في العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م).	٢.
٢٦٦	خارطة تمثل مواقع العواصم الآشورية في العصر الآشوري الحديث.	٣.
٢٦٧	خارطة توضح المدن والعواصم في بلاد وادي الرافدين وسوريا.	٤.
٢٦٨	خارطة لأهم المدن السورية والممالك المحيطة بها في العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م).	٥.
٢٦٩	خارطة توضح ممالك ومدن الشرق الأدنى القديم.	٦.

قائمة الأشكال والرسوم البيانية

رقم الصفحة	عنوان الشكل	رقم الشكل
٢٧٠	المسلة السوداء للملك الآشوري شلمانصر الثالث.	١.
٢٧١	خضوع ياهو حاكم إسرائيل للملك الآشوري شلمانصر الثالث.	٢.
٢٧١	هدايا الطاعة والولاء المقدمة للملك الآشوري شلمانصر الثالث.	٣.
٢٧٢	الملك الآشوري وهو جالس على عرشه ومن خلفه رجال بلاطه وهم يستقبلون الوفود.	٤.
٢٧٢	وقوف الملك الآشوري بكل شموخ بين رجال بلاطه وهو مرتدٍ لملابسه الرسمية ومتوشحاً سيفه ويعلو رأسه رمز سيده الإله آشور ومن خلفه يقف رجال البلاط في حين يركع ياهو ملك إسرائيل عند قدميه.	٥.
٢٧٣	منحوتة تخلد الملك الآشوري شروكين الثاني وهو يقود عربته الملكية في بيئة جبلية محفوفة بأشجار البلوط والصنوبر إبان حملته الثامنة على أورارتو.	٦.
٢٧٣	مشاهد حركة وتحولات السكان وترحيلهم من مكانهم الأصلي (سوريا أو بلاد بابل أو الأناضول ومناطق الفرات الأوسط إلى بلاد آشور).	٧.
٢٧٣	مشاهد حركة وتحولات السكان وترحيلهم من مكانهم الأصلي (سوريا أو بلاد بابل أو الأناضول ومناطق الفرات الأوسط إلى بلاد آشور).	٨.
٢٧٤	تمثال الملك الآشوري آشور -ناصر- بال الثاني ٨٨٣-٨٥٩ ق.م، حاملاً بيده اليسرى التي يضمها إلى صدره صولجان السلطة، وبيده اليمنى العصا.	٩.
٢٧٤	صورة توضيحية لصولجان نُفذ على مسلة الملك الآشوري أسرحدون ٦٨٠-٦٦٩ ق.م.	١٠.
٢٧٥	مدخل بوابة قصر شروكين - الثاني في مدينة خرسباد.	١١.
٢٧٥	كرسي عرش الملك الآشوري تجلات بلاصر الثالث.	١٢.
٢٧٦	منظر يوضح ثياب الملك وكبار المسؤولين في العصر الآشوري الحديث.	١٣.
٢٧٦	الإله آشور.	١٤.
٢٧٧	صورة توضيحية تظهر لنا الملك الآشوري توكلي - نتورتا الأول حاملاً صولجاناً أثناء تعبدته أمام مذبح معبد آشور.	١٥.

نظام الحكم والإدارة في الدولة الآشورية الحديثة (٩١١-٦١٢ ق.م)

٢٧٧	صورة توضيحية لصولجان نفذ على مسلة الملك الآشوري - اخي - ادينا (اسرحدون) (٦٨٠-٦٦٨ ق.م)	١٦.
٢٧٧	شكل يمثل أسس قصر الملك آشور - ناصر - ابلي الثاني وجدرائه في مدينة كلخو (النمرود).	١٧.
٢٧٨	منظر تخيلي لمدينة كلخو (النمرود) ويظهر قصر الملك آشور - ناصر - ابلي الثاني.	١٨.
٢٧٨	منظر تخيلي لقاعة عرش الملك آشور - ناصر - ابلي الثاني في مدينة كلخو (النمرود).	١٩.

قائمة الجداول

رقم الصفحة	عنوان الجدول	رقم الجدول
٢٧٩	جدول يبين تعاصر ملوك الدولة الآشورية الحديثة مع ملوك الشرق الأدنى القديم.	١.
٢٨١	قائمة بأسماء بعض موظفي الحوليات وعناوين وظائفهم.	١.
٢٨٦	قائمة معجمية بالمقاطعات الآشورية من مكتبة الملك الآشوري آشور - بان - ابل (آشور بانيبال).	٢.

قائمة المختصرات

Abbreviations

- ABL:** Assyrian and Babylonian Letters (London and Chicago 1892-1914).
- AOAT:** Alter Orient und Altes Testament.
- ARAB:** Luckenbill.D.D ,Ancient Records of Assyria and Babylonia Vol.1-2 (New York 1926-1927.)
- ANET:** Pritchard ,J. B. ed ,Ancient Near Eastern Texts Relating to the old Testament ,3rd , ed ,New Jersey 1969.
- ANST:** Anatolian Studies.
- AS:** Luckenbill.D.D , The Annals of Sennacherib (Oriental Institute Publications 2 ,Chicago 1924).
- Bi.or:** Bibliotheca Orientalis , Leiden.
- BSOAS:** Bulletin of the School of Oriental and African Studies.
- CAD:** The Assyrian Dictionary , Chicago 1960.
- CAH:** The Cambridge Ancient History ,Cambridge ,1954,1958,1970.
- CANE:** Civilizations of the Ancient Near East.
- CT:** Cuneiform Texts from Babylonian Tablets in the British Museum , London 1896.
- IRAQ:** Journal of British School of Archaeology in Iraq , London.
- JCS:** Journal of Cuneiform Studies. New Haven
- JSTOR:** Journal of the American Oriental Society.
- JNES:** Journal of Near Eastern Studies , Chicago.
- ND:** Nimrud Documents.
- NWL:** Kinnier Wilson , J.V , The Nimrud Wine Lists= Cuneiform Texts from Nimrud 1 , British School of Archaeology in Iraq , London ,1972.
- RA:** Revue d ' Assyriologie et d ' Archéologie Orientale. Paris.
- RIA:** Reallexikon der Assyriologie.
- RIMA:** Grayson ,A.K , The Royal Inscriptions of Mesopotamia Assyrian Periods.1996.

- SAA:** State Archives of Assyria.
- SAAB:** State Archives of Assyria Bulletin.
- SAAS:** State Archives of Assyria Studies.
- Sumer:** A Journal of Archaeology in Iraq. Baghdad.
- TCS:** Texts from Cuneiform Sources. New York.1966.

"ملخص البحث باللغة العربية"

"نظام الحكم والإدارة في الدولة الآشورية الحديثة (٩١١-٦١٢ ق.م)"

يعد موضوع نظام الحكم والإدارة في الدولة الآشورية الحديثة (٩١١-٦١٢ ق.م) واحداً من المواضيع المهمة والحساسة في دراسة وتحليل جانب هام من تاريخ الدولة الآشورية الحديثة، إذ إنه يمثل مرآة تعكس لنا مدى الشوط الذي قطعتهُ الدولة الآشورية في مضمار التقدم الإداري والخدمي بهدف تنظيم حياة المجتمع الآشوري، وتحديد تصرفات أفرادها بما يخدم المصلحة العامة للدولة. وإنَّ دراسة تجارب الأمم والشعوب تؤكد لنا أنَّ القوة والتفوق العسكري لم يكون السبيل الوحيد أمام تلك الأمم لبقائها وبلوغ مآربها، بقدر ما كان يتوقف الأمر على حسن تنظيم جهازها الإداري، والسعي وراء إدخال التحسينات عليه وسدَّ الثغرات وتصويبها إن وُجدت. فالنظام الإداري لأي دولة كان ولا يزال يُشكل الركيزة الأساسية لأي مجتمع بشري كي يكون مجتمعاً متماسكاً ومتميزاً له خصائص معينة، تربط أفرادها بعضهم ببعض وتميزهم عن غيرهم من جيرانهم. وبإمكاننا أن نُشَبِّه النُظُم الإدارية لآيَّة دولة كانت بالنبات، الذي لا يمكن أن ينبت ويتزعرع إلا في بيئة صالحة، فكما أنَّ الشجرة لا تستطيع أن تضرب بأغصانها في أجواء السماء إلا بمقدار ما تمتد جذورها في باطن الأرض، كذلك فإنَّ النظم الإدارية لا يمكن أن ترسخ وتستقر وتزدهر إلا بمقدار ما ترتبط بتجارب الماضي وخبراته.

مقدمة:

الآشوريون هم أحد الأقوام التي أثرت تأثيراً كبيراً ومباشراً في تكوين منطقة الشرق الأدنى القديم التي سكنوا فيها من خلال نشاطاتهم العسكرية ومنجزاتهم الحضارية والعمرانية التي عبّرت عن حياتهم بكل تفاصيلها. وكان لتلك المنجزات التي خلفوها الأثر الكبير في التعريف بتاريخهم الطويل والذي يبدأ من عصور ما قبل التاريخ وحتى سقوط عاصمتهم نينوى عام ٦١٢ ق.م على يد التحالف البابلي - الميدي، ومهما يكن من أمر أولئك الأقوام فقد أثبتت الدراسات التي تناولت تاريخهم السياسي وإنجازاتهم الحضارية عمق إسهاماتهم في الحضارة الإنسانية.

ويعد موضوع بحثنا هذا أي "نظام الحكم والإدارة في الدولة الآشورية الحديثة ٩١١-٦١٢ ق.م"، واحداً من المواضيع الحضارية ذات الأهمية في حضارة بلاد وادي الرافدين عامة وبلاد آشور خاصة، لا على أساس أن نظام الحكم والإدارة كان ولا يزال يمثل عبر تاريخه الطويل إحدى الركائز الأساسية الفاعلة في نمو الأمم وتطورها فحسب، بل كان يمثل أيضاً مرآة عكست بكل مصداقية ووضوح واقع الدولة الآشورية ونظمها الإدارية التي عاشها المجتمع الآشوري الحديث في ذلك العصر. إذ يعد هذا العصر من أكثر العصور غزارة في الحملات العسكرية والأحداث والمتغيرات السياسية التي حصلت في منطقة الشرق الأدنى القديم آنذاك، وذلك بسبب تنامي القوى الدولية المحيطة بالدولة الآشورية وتبلورها وظهورها على شكل كيانات واضحة المعالم موحدة القوى، مما أدى بشكل أو بآخر إلى تحريك المواجهات السياسية والعسكرية فيما بين الدولة الآشورية الصاعدة وتلك القوى، الأمر الذي فرض على الدولة الآشورية الحديثة أن تعمل على بناء وتطوير مختلف جوانب حياتها سواء أكانت السياسية والإدارية منها أو الاقتصادية والاجتماعية، وذلك لتبقى ثابتة مستقرة موحدة داخلياً وكذلك للحفاظ أيضاً على ممتلكاتها الواسعة المترامية الأطراف ومصالحها وحدودها الخارجية من أي انتهاك. ومن منطلق هذه الأهمية جاءت هذه الدراسة لتلقي مزيداً من الضوء على هذا الجانب الحضاري الحيوي من حياة الدولة الآشورية في عصرها الحديث، ألا وهو "نظام الحكم والإدارة"، وذلك حسب المعلومات الواردة في نصوص ووثائق الأرشيف الرسمي الآشوري، والتي عكست لنا مدى نضج نظام حكمهم السياسي والإداري وحكمته في تسيير شؤون البلاد. مما يشير إلى براعة الفكر السياسي لدى الآشوريين وكذلك مدى نجاحهم في تنظيم سياستهم الداخلية والخارجية التي دانت لها أغلب الممالك والمدن عسكرياً وسياسياً فتوسعت حدود المملكة الآشورية لتصبح من أقوى الممالك في التاريخ القديم آنذاك.

وأما عن سبب اختيار موضوع بحثنا هذا فهو لإظهار جانب مهم من جوانب تلك الحضارة الآشورية العريقة وذلك تأكيداً على أصالتها وبيان مدى ما وصلت إليه في هذا المجال والدور الكبير والفاعل الذي أسهمت فيه في وضع الأسس والأصول العملية والواقعية لتنظيم العمل الإداري الآشوري. فضلاً عن محاولة تقديم دراسة شاملة قدر الإمكان عن نظام الحكم والإدارة إبان العصر الآشوري

الحديث ٩١١-٦١٢ ق.م. كما يعد هذا البحث محاولةً لسدّ جزءٍ من النقص الحاصل في بعض جوانب هذا الموضوع في اللغة العربية، فمما يؤسف عليه حقاً أنه على الرغم من أهمية هذا الموضوع في رأينا وتنوع مواضيعه وفصوله وكثرة نصوصه، إلا أنه لم يحظَ بالدراسة الدقيقة الكافية في البحوث والمراجع العربية، بل وحتى الكتب المترجمة أيضاً لم تتناول دراسة موضوع نظام الحكم والإدارة في الدولة الآشورية الحديثة بالحجم الذي يستحقه، إذ لم تتطرق كثيراً إلى عناصر الحكم والإدارة ومقوماتها في هذا العصر بشكلٍ دقيقٍ ومهني، وإنما اقتصرت على الإشارة إليها في بعض جوانبها العرضية وتركزت دراستها بشكلٍ كبيرٍ على إظهار الطموحات العسكرية للملوك الآشوريين وغزواتهم وسياستهم التوسعية بالإضافة إلى بعض مفاصل نظامهم السياسي والإداري.

إضافةً إلى ذلك فإنّ الدراسة والبحث في نظام الحكم والإدارة في الدولة الآشورية الحديثة يقودنا إلى الخوض في الجوانب التالية:

١- معرفةً وتحديد العوامل والأسباب التي ساهمت في تطور النظام الإداري الآشوري في العصر الحديث عمّا كان عليه سابقاً أيّ في العصرين القديم والوسيط تلك العوامل التي أفسحت المجال أمام الدولة الآشورية في العصر الحديث لتأخذ دورها على المسرح السياسي. بالإضافة إلى الإصلاحات التي أدخلها الملوك الآشوريون والتي كان لها تأثيراً كبيراً على التنظيم الإداري في الدولة ، والتي أكسبت الدولة الآشورية سلطةً وقوةً كبيرةً منعت من خلالها الاضطرابات والفوضى داخل الدولة.

٢- إنّ طريقة مشاركة العائلات الأرستقراطية للملك في إدارة الدولة تعد من إشكاليات البحث في نظام الحكم والإدارة عند الآشوريين حيث كانت الدولة الآشورية مُقسّمة إلى مقاطعاتٍ صغيرة تتألف المقاطعة في أغلب الأحيان من مدينة وريفها فقط وتدار من قبل حاكم من العائلات الأرستقراطية في آشور والسؤال الذي يطرح نفسه هو: هل كان هؤلاء الحكّام مُستقلين تماماً في مقاطعاتهم عن الإدارة المركزية في آشور أم تابعين مباشرةً للإدارة المركزية؟

٣- وأخيراً وليس آخراً التعرف على الأدوار الأساسية التي لعبها المسؤولون الكبار في إدارة الدولة الآشورية ، والامتيازات الممنوحة لهم من قبل الملك لكسب ولائهم وإخلاصهم له ، والإجراءات التي اتبعوها أحياناً للدفاع عن مصالح الدولة الآشورية خصوصاً في وقت الأزمات.

كما اعتمد البحث في منهجه على التفسير التحليلي لنصوص الأرشيف الرسمي الآشوري، ذات العلاقة، وفي مقدمتها النصوص المتعلقة بواقع النظام السياسي والإداري، وكذلك الرسائل الملكية الموجهة من الملك إلى مسؤوليه أو بالعكس. بالإضافة إلى الاعتماد على الأبحاث والمراجع التخصصية المنشورة ذات الصلة وقراءتها قراءة نقدية-تحليلية وفحص البراهين والأدلة التي توردها بهدف اثبات أو نفي ما ورد فيها من معلومات تخص موضوع الدراسة ، مع التزام الموضوعية العلمية

والابتعاد عن تعميم النتائج دون براهين وأدلة كافية من النصوص . وبناءً على ذلك كله سيعاد رسم صورة لنظام الحكم والإدارة وذلك ضمن الاطار التاريخي للدولة الآشورية الحديثة). وبالنسبة للصعوبات التي واجهتنا أثناء البحث فتمثلت في ترجمة المراجع والمقالات الأجنبية إلى اللغة العربية ومن ثم إعادة صياغتها بالشكل المناسب. وأما عن الدراسات السابقة التي تناولت نظام الحكم والإدارة في الدولة الآشورية الحديثة والتي اضطلعنا عليها فجاءت كالاتي:

١- الحكم والإدارة في العصر الآشوري الحديث للأستاذ عامر سليمان في "موسوعة الموصل الحضارية، ج ١ ، ١٩٩١م".

٢- الإدارة والحكم في بلاد وادي الرافدين للأستاذ سامي سعيد الأحمد في "موسوعة حضارة العراق ج ٢ ، ١٩٨٥م".

٣- كذلك رسالة دكتوراه للأستاذ أحمد مالك الفتیان بعنوان " نظام الحكم والإدارة في العصر الآشوري الحديث " جامعة بغداد ١٩٩١م ، و الذي تناول فيها الجذور التاريخية لنظام الحكم في العصور المبكرة ، ثم الحاشية الملكية وعناصرها ، والسياسة الداخلية والخارجية للدولة الآشورية الحديثة ، بالإضافة إلى العقيدة العسكرية عند الآشوريين.

وقد اشتملت هذه الدراسة على مقدمة وأربعة فصول، حيث تناولنا في **الفصل الأول:**

الطبيعة الجغرافية للدولة الآشورية الحديثة وأهمية موقعها بالنسبة للشرق الأدنى القديم، وكذلك أصل الآشوريين وتسميتهم، ومتى وكيف جاؤوا إلى منطقة شمال بلاد وادي الرافدين، وما هي اللغة التي تكلموا بها، بالإضافة إلى عمليات التنقيب التي جرت في العواصم الآشورية ونتائجها وأخيراً التطرق إلى الأدوار التاريخية التي مرت بها بلاد آشور عبر تاريخها.

وأما **الفصل الثاني:** فقد تناول نشوء مفهوم نظام الحكم في بلاد وادي الرافدين وتطوره، ومن ثمّ انتقلنا إلى الملك والمبادئ التي استند إليها الملوك الآشوريين لإضفاء شرعيتهم، فضلاً عن طقوس تنويعهم، والمسؤوليات والواجبات الملقاة على عاتق الملك الآشوري. وبعد ذلك تأتي الملكة والحديث عن لقبها ومكان إقامتها داخل القصر الملكي، وكذلك التأكيد على دورها ومكانتها في الدولة الآشورية، إضافةً إلى ذلك هناك نساء القصر الملكي الأخريات اللواتي جنّنا على ذكرهن، كما قمنا بدراسة منصب ولاية العهد حيث أشرنا إلى لقب ولي العهد وكيفية طريقة اختياره وقصره والمهام التي كان يُكَلَّفُ بها وصلاحياته. وفي نهاية هذا الفصل عرجنا على دور الملوك في نهوض الدولة الآشورية الحديثة من خلال الأسس والمبادئ التي اعتمدوا عليها في نهوض دولتهم، كذلك دورهم في عملية الإصلاح والتطوير لهذا النظام الإداري.

وجاء **الفصل الثالث:** ليلقي الضوء على التنظيم الإداري للدولة الآشورية حيث عرفنا مصطلح القصر الملكي في الدولة الآشورية، إضافةً إلى دوره كمركز إداري الهام في حياة الآشوريين، ومن ثم

تناولنا المسؤولين الآشوريين الكبار (ألقابهم الوظيفية والمكانة المميزة التي تمتعوا بها، والمهام والواجبات التي أنيطت بهم). كما نوهنا إلى ظاهرة تحدي هؤلاء المسؤولين للسلطة الملكية الآشورية وأسبابها وما نتج عنها، وبعد ذلك أشرنا إلى حُكَّام المقاطعات والأقاليم في الدولة الآشورية والأساليب المتبعة في إدارتها، وأخيراً تحدثنا عن إدارة المدن الآشورية والمسؤولين الذين وقعت على كاهلهم إدارتها.

وأوردنا في **الفصل الرابع**: موظفو القصر الملكي ونظام المواصلات من خلال (ذكر ألقابهم الوظيفية وأهمية مناصبهم والمهام المسندة إليهم)، بالإضافة إلى دور عاملات القصر في الإدارة حيث أشرنا إلى تعريف ألقابهن الوظيفية والأعمال والنشاطات المُلقاة على عاتقهن، كذلك هناك عدد من موظفي القصر الملكي الآخرين الذين أوكلت إليهم عدد من المهام (كالمُنجمين، والمُنشدون، والطبّاخون). وأخيراً تناولنا نظام المواصلات والبريد المعمول به في الدولة الآشورية وذلك بالإشارة إلى أهميته في تسهيل الاتصالات بين مركز اتخاذ القرار في العاصمة ومختلف أرجاء مقاطعاتها وبلدانها، وكذلك بيان أثره الفاعل في سرعة نقل المعلومات بين مختلف أرجاء الدولة الآشورية آنذاك.

وأما **الخاتمة**: فقد تضمنت أهم النتائج التي خلص إليها البحث. كما ألحقَ البحث بعددٍ من **الملاحق** والتي تضمنت مجموعةً من الخرائط والنصوص والجداول والأشكال تم الاعتماد عليها في إيضاح بعض التفاصيل المتعلقة بالبحث.

واعتمدنا في هذه الدراسة على عددٍ من المراجع والبحوث العربية والأجنبية لكتابَ وباحثين في تاريخ بلاد وادي الرافدين، بالإضافة إلى مقالات صدرت حديثاً في دوريات متخصصة تطرقت إلى هذا الموضوع، وذلك لتسليط الضوء على الجوانب الرئيسية من موضوع البحث بغيّة توضيحه بشكلٍ جليٍّ للقارئ والمُهتم بتاريخ الدولة الآشورية في عصرها الحديث. ولعلَّ من أهمها وأكثرها استخداماً في كتابة هذا البحث بالنسبة للمراجع العربية والمُعَرَّبة منها :

١- موسوعة الموصل الحضارية التي ساهم في كتابتها نخبة من الباحثين العراقيين.

٢- موسوعة حضارة العراق بجزأها الأول والثاني.

٣- مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج ١، للباحث العراقي طه باقر.

٤- قوة آشور وعظمة بابل للآثاري الإنكليزي هاري ساكر.

وفيما يتعلق بالمراجع والكتب الأساسية التي قمنا بترجمتها من اللغة الإنكليزية نذكر منها:

الجزء الثاني من سلسلة جامعة هلسنكي (SAAS. Vol. 2) للباحث "Alan Millard" بعنوان:

"The Eponyms of the Assyrian" الصادر في عام ١٩٩٤م، وكذلك الجزء الحادي عشر من السلسلة

نفسها للباحثة: "ريا ماتتيل" "Raija Mattila" بعنوان "The Kings Magnates" الصادر عام ٢٠٠٠م.

وهناك السلسلة المعروفة بالاختصار "ABL" للباحث: "Harper. R. F." والتي تتضمن مجموعة

من النصوص البابلية والآشورية الأصلية والمترجمة إلى الإنكليزية.

كما اعتمدنا على كتاب:

"The Royal Inscription of Mesopotamia Assyrian Periods" بأجزائه الثلاثة (RIMA 1-2-3) للباحث "كريسون" "Grayson" الصادر في الأعوام: (١٩٨٧، ١٩٩١، ١٩٩٦م)، وهي باللغة الإنكليزية أيضاً ومن إصدارات جامعة تورنتو الكندية. كذلك اعتمدنا على الكتاب المعروف بالتسمية المختصرة "ARAB" للباحث "لوكنبل" "Luckenbill": "Ancient Records of Assyria and Babylonia" بجزيئه الأول والثاني على الرغم من قدمه وهو من إصدارات عام (١٩٢٦، ١٩٢٧م).

إضافةً إلى السلسلة المعروفة تحت عنوان: "CANE": "Civilizations of the Ancient Near East, New York, 2000"

وفي الختام لا يسعني إلا أن أقدم بجزيل الشكر وفائق الاحترام وعظيم الامتنان إلى الأستاذ الدكتور جهاد عبود لتفضله بالموافقة على تولي الإشراف عليّ في هذه الرسالة، وتشجيعه لي على اختيار موضوع البحث، ولآرائه السديدة التي أغنت مادة البحث ولجهوده الكبيرة في متابعة مجرياته أيضاً، كما أثنى جهوده المتميزة لإنجاح هذا البحث كي يرى النور فأدامه الله وجزاه عني كل خير في الدنيا والآخرة. كما أتقدم بالشكر الجزيل لأعضاء لجنة الحكم وتفضلها بقبول المناقشة فلهم كل التقدير والاحترام، ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر لرئاسة قسم التاريخ وإلى جميع أعضاء هيئة التدريس بقسم التاريخ جميعاً لدعمهم المعنوي والعملية، وإلى جميع المؤسسات العلمية على المساعدات التي أمدوني بها، والشكر والامتنان لعائلتي الغالية لوقوفها بجانبني ودعمها ولكل من ساعدني من الأصدقاء في سبيل إنجاز هذا البحث. وأخيراً أرجو من الباري عز وجل أن أكون قد وفقت في إعطاء الموضوع حقه وليسهم ولو بقدر يسير في خدمة الحركة العلمية.

والله ولي التوفيق

تمهيد:

لقد حلَّ ببلاد آشور ما حلَّ بالأجزاء الأخرى من بلاد وادي الرافدين في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، حيثُ تعرضت البلاد إلى الغزوات الحثية والهورية (الميتانية) والكاشية. ثم عاد الآشوريون من جديد إلى الساحة السياسية وكان لهم دورٌ بارزٌ في منطقة الشرق الأدنى القديم وذلك خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد إبان حكم الملك الآشوري توكولتي-ننورتا - الأول الذي لُقِّبَ "بالجواد العظيم". وعلى الرغم من الضغوط التي وجهتها القبائل الآرامية على الدولة الآشورية آنذاك، إلا أنَّ بلاد آشور جابهتها بنهضتها الحديثة في زمن حكم الملك (أدد - نيراري - الثاني) (٩١١-٨٩١ ق.م)، حيثُ امتدت أطراف الدولة الآشورية لتشمل مناطق الفرات والخابور ولتتسع أكثر في زمن الملك شلمانصر الثالث (٨٥٨-٨٢٤ ق.م) اللذين شهدت أيامهما تطورات أساسية عظيمة فقد تمكَّنَّا من إخضاع الممالك الآرامية والوصول إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط، ووضع الأسس الجديدة للإدارة وتطوير علاقة الدولة الآشورية الحديثة بجيرانها سيما الواقعة منها في شمال سوريا، هذا فضلاً عن تأسيس المراكز التجارية في كافة الاتجاهات من مصر إلى بلاد الأناضول ومن سواحل البحر الأبيض المتوسط وشمال سوريا إلى الخليج العربي والجزيرة العربية. وقد نتج عن هذا الامتداد المترامي الأطراف للدولة الآشورية الحديثة زيادةٌ في مكانتها الاقتصادية ومن إحكام نظامها الإداري خاصةً الإدارة المركزية للقصر وكذلك إدارة مدنها ومقاطعاتها التابعة فضلاً عن الجيش وضبط توجهات الدولة اقتصادياً.

فالخبرة المتراكمة التي اكتسبها الآشوريون عبر تاريخهم الطويل ومزجهم لتلك الخبرة مع الخبرات الرافدية الموروثة السابقة الأخرى المتراكمة ساعدتهم بالتأكيد على اجتياز المحن والنهوض من جديد من أجل إعادة بناء الدولة وتوسيعها لتصبح دولةً قويةً مؤثرةً بكل معنى الكلمة. لذلك اعتبر القرن التاسع قبل الميلاد قرن بناء الدولة الآشورية الحديثة حيثُ قُدِّرَ لهذه الدولة أن تستعيد قوتها مرةً أخرى وأن تبذل الجهد لإعادة أمجادها السابقة، وأن تستثمر الأوضاع السياسية في المنطقة وتوظفها لصالحها، كذلك وأن تعيد تنظيم الدولة من الناحيتين السياسية والعسكرية، وهكذا وجب على هذه السلالة الحاكمة الجديدة المتمثلة بالعصر الآشوري الحديث أن تُشَمِّرَ عن ساعدها وأن تعيد أمجاد الدولة الآشورية الزاهرة وأن تخرج من هذه العزلة التي فرضت عليها وأن تنتفض لتحقيق فكرة الإمبراطورية وتكون سيدة منطقة الشرق القديم، وبالفعل بدأت آشور تستعيد قوتها على يد ملوكٍ أقوياء في هذا العصر، والذي سنشير إليه لاحقاً.

الفصل الأول

الآشوريون: (موطنهم، أصلهم، تسميتهم،
أوضاعهم السياسية)

أولاً: لمحة موجزة عن الطبيعة الجغرافية للدولة الآشورية:

١ - الموقع والامتداد.

٢ - البيئة الطبيعية لبلاد آشور.

٣ - المناخ في بلاد آشور.

٤ - أهمية الموقع الجغرافي لبلاد آشور.

ثانياً: أصل الآشوريين:

١ - الأقوام التي استوطنت في منطقة شمال بلاد وادي الرافدين.

٢ - مجيء الآشوريين إلى منطقة شمال وادي بلاد الرافدين.

ثالثاً: التسمية:

١ - تسمية كلمة "الآشوريون".

رابعاً: اللغة التي تكلم بها الآشوريون:

١ - اللهجة الآشورية القديمة (Old Assyrian)

٢ - اللهجة الآشورية الوسيطة (Middle Assyrian).

٣ - اللهجة الآشورية الحديثة (New Assyrian).

خامساً: التنقيبات الأثرية في العواصم الآشورية ونتائجها:

١ - مدينة آشور:

أ - موقع المدينة.

ب - تسمية المدينة.

ت - أهمية المدينة.

ث - عمليات التنقيب في المدينة ونتائجها.

٢ - مدينة كلخو (نمرود):

أ - موقع المدينة.

ب - تسمية المدينة.

ت - أهمية المدينة.

ث - عمليات التنقيب في المدينة ونتائجها.

الفصل الأول:

٣ - مدينة نينوى:
أ - موقع المدينة.
ب - تسمية المدينة.
ت - أهمية المدينة.
ث - عمليات التنقيب في المدينة ونتائجها.
٤ - مدينة دور شروكين (خُرسباد):
أ - موقع المدينة.
ب - تسمية المدينة.
ت - أهمية المدينة.
ث - عمليات التنقيب في المدينة ونتائجها.
سادساً: لمحة سياسية عن الأدوار التاريخية التي مرّت بها بلاد آشور:
١ - دور سيطرة الدولة الأكديّة إلى نهاية سلالة أور الثالثة (٢٥٠٠-٢٠٠٠ ق.م).
أ - أحوال بلاد آشور السياسية في هذا العصر.
٢ - العصر الآشوري القديم (٢٠٠٠-١٥٢١ ق.م):
أ - الفترة الزمنية التي شغلها هذا العصر.
ب - أحوال بلاد آشور السياسية في هذا العصر.
ت - ظهور المستوطنات التجارية الآشورية في بلاد الأناضول.
٣ - العصر الآشوري الوسيط (١٥٢١-٩١١ ق.م):
أ - الفترة الزمنية التي شغلها هذا العصر.
ب - أحوال بلاد آشور السياسية في هذا العصر.
ت - أحوال بلاد آشور السياسية في عهد خلفاء الملك الآشوري آشور أوبالط.
٤ - العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م):
أ - الفترة الزمنية التي شغلها هذا العصر.
ب - أحوال بلاد آشور السياسية في هذا العصر.
- الأوضاع الدولية الجديدة التي طرأت في هذا العصر.
- الملامح العامة للسياسة الآشورية المتّبعة إزاء التحديات والصعوبات التي واجهتها.

أولاً: لمحة موجزة عن الطبيعة الجغرافية للدولة الآشورية:

١ - الموقع والامتداد:

يُجمع معظم الباحثين المعنيين في دراسة تاريخ الحضارات القديمة أن البيئة الطبيعية والموقع الجغرافي كان لهما الأثر الكبير في أي بلد أو منطقة ما في انحلال ذلك البلد أو تطوره سواء أكان ذلك من ناحيته السياسية أم الاجتماعية أم الاقتصادية^(١). فلقد كان للموقع الجغرافي لبلاد وادي الرافدين القديم بما في ذلك القسم الشمالي الشرقي منه الذي عُرف بعد استيطان الآشوريين فيه منذ مطلع الألف الثاني قبل الميلاد "ببلاد آشور" أثره البارز في سير تاريخه الطويل سواء أكان ذلك من ناحية ظروفه الطبيعية وحياته الاقتصادية أم من ناحية تركيب سكانه واتصاله بالأقوام والبلدان المجاورة. وتمتد بلاد آشور في ضوء الأدلة والشواهد الأثرية على طول أواسط نهر دجلة والتي تمتد بحدودها الشمالية شمال مدينة الموصل وحتى سلسلة جبال طوروس التي تعد الحدود الطبيعية لهذه البلاد، في حين تمتد بحدودها الجنوبية إلى ما يقرب من مئة وثلاثين ميلاً شمال غرب بغداد في الإقليم الذي يخترق فيه نهر دجلة سلسلة الجبال التي تُسمى "جبل مكحول" غرب دجلة وجبل حميرين إلى الشرق. وأما حدودها الغربية فلم تكن ثابتة بشكلٍ كاملٍ فقد كانت تمتد أو تنقلص أحياناً تبعاً للظروف السياسية ومراكز القوة في المنطقة، لكن على الرغم من ذلك يمكن القول إن حدودها الغربية كانت تقع إلى الغرب من نهر دجلة حيث تطل على هضبةٍ كلسيةٍ منخفضةٍ هي "الجزيرة" مع حافة جبلية في نهايتها الشمالية تسمى جبل سنجار، وتمتد هذه الجزيرة من دون انقطاع إلى الغرب حتى نهر الخابور، وأما حدودها الشرقية فقد تمثلت بسلسلة جبال زاغروس^(٢).

٢ - البيئة الطبيعية لبلاد آشور:

تتميز تضاريس بلاد الرافدين عموماً بتباين سطحها من جبالٍ وسهولٍ وهضابٍ، مما أدى بدوره إلى تباين في أحوالها البشرية، حيث أثرت تضاريسها مع خصائص الموقع في اعتدال مناخها وخاصةً في الأقسام الشمالية منها، مما أدى إلى تباين الأنشطة الاقتصادية للإنسان واختلاف نمط المعيشة من منطقة إلى أخرى^(٣). فقد اتصفت بلاد آشور بأنها ذات طبيعة تليّية متموجة، ضمت سهول ووديان زراعية كبيرة حيث قُسمت إلى ثلاثة سهول هي:

(١) الدباغ، تقي: "البيئة الطبيعية والإنسان"، موسوعة حضارة العراق، ج ١، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨٥م، ص ١٧.

(٢) ديلابورت، ل: "بلاد ما بين النهرين الحضارتان البابلية والآشورية"، ترجمة: محرم كمال، مراجعة: د. عبد المنعم أبو بكر، المطبعة النموذجية، القاهرة ١٩٧٩م، ص ٢٥٧.

(٣) الخلف، جاسم محمد، "جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية"، دار الفكر العربي، ط ٣، القاهرة ١٩٦٥م، ص ٣٧-٣٨.

الأول: هو السهل الذي يقع بين الزاب الأعلى والجبال الشمالية والذي يُعرف "بسهل الموصل"، وأما الثاني فهو المنطقة الواقعة بين الزابين والمتمركزة حول مدينة أربيل الحالية ، والتي تدعى "بسهل أربيل"، في حين يمثل الثالث المنطقة الواقعة إلى الجنوب من الزاب الأسفل حتى جبل حميرين وتضم هذه المنطقة مدينة أرباخا والمعروفة الآن "بسهل كركوك"^(١). وكانت بلاد آشور بأقسامها وسهولها الزراعية تؤلف وحدة جغرافية متكاملة، فقد كانت هناك اختلافات مهمة بين قسم وآخر سواء من حيث التضاريس أو المناخ. حيث سادت معظم أجزائها ظاهرة التَمَوُّج إذ تظهر فيها خصائص الجبال والسهول والهضاب والأودية، فتضم مجموعة من التلال ذات ارتفاعات قليلة نسبياً مما يسهل حركة الإنسان والحيوان وعبور الجيوش والقوافل من خلالها، وأما سهولها فهي بشكل عام سهول خصبة صالحة للزراعة إذ إن سقوط الأمطار في أجزاء كبيرة من البلاد كانت كافية للزراعة. بيد أن الوضع في أقصى جنوب بلاد آشور يجعل من المتعذر الاعتماد على الأمطار في نمو الحبوب الزراعية من دون الاستعانة بوسائل الري الاصطناعية. كما تمتاز بلاد آشور بوفرة مواردها المائية، إذ يدخل ضمن نطاقها أنهار مهمة كالزابين الأعلى والأسفل حتى مصبهما في نهر دجلة الذي يخترق هو الآخر البلاد من شمالها الغربي إلى جنوبها الشرقي، فضلاً عن نهر دجلة وروافده كانت هناك مصادر أخرى للمياه هي العيون والينابيع والآبار التي كانت تفيض بالمياه في مواسم سقوط الأمطار في فصلي الشتاء والربيع، وكانت تلك الموارد المائية تشكل المصدر الرئيسي لمياه الشرب للإنسان والحيوان ولسقي الأراضي الزراعية في فصل الصيف^(٢). وعلى الرغم مما امتازت به بلاد آشور من خصائص جغرافية متميزة جعلتها بلداً زراعياً شهد ظهور أولى القرى الزراعية في العالم القديم آنذاك. إلا أنها لم تكن كافية لقيام دولة مزدهرة قائمة على أسس متينة. فقد كانت تفتقر إلى الكثير من الموارد الأولية من المعادن كالذهب والفضة والنحاس والحديد والأحجار الثمينة وأنواع الأخشاب الجيدة كالأرز والأبنوس. فكان ذلك عاملاً مهماً لعب دوره في توجيه السياسة الخارجية للمملكة الآشورية لأجل الحصول عليها من مصادرها الخارجية.^(٣)

٣- المناخ في بلاد آشور:

يتنوع المناخ تبعاً لأقسامه الطبيعية فمنح المناخ المنطقة الجبلية يماثل مناخ البحر المتوسط بصيفه الحار وشتائه البارد الممطر وسمائه الصافية^(٤)، ويتراوح معدل سقوط الأمطار في هذه المنطقة بين (٤٠٠-١٠٠٠ ملم) في السنة، وتنخفض درجات الحرارة إلى ما دون الصفر لعدة أيام في السنة

(١) باقر، طه: "تاريخ العراق القديم"، ج ١، جامعة صلاح الدين، الموصل ١٩٨١م، ص ٤٧٣.

(٢) ساكر، هاري: "قوة آشور"، ترجمة: عامر سليمان، مطبعة المجمع العلمي، بغداد ١٩٩٩م، ص ١٥.

(٣) الأحمد، سامي سعيد: "التجارة"، موسوعة الموصل الحضارية، ج ١، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ط ١، ١٩٩١م، ص ١٨٥.

(٤) خصبك، شاكر: "العراق الشمالي، دراسة لتواحيه الطبيعية والبشرية"، مطبعة شفيق، ط ١، بغداد، ١٩٧٣م، ص ٤٧.

أيضاً^(١) بينما تنخفض كمية التساقط والارتفاع عن مستوى سطح البحر بالاتجاه من الشمال إلى الجنوب والجنوب الغربي، إذاً فهناك علاقة طردية بين كمية التساقط والارتفاع عن مستوى سطح البحر^(٢). إضافةً إلى ذلك فإن اتجاه السلاسل الجبلية من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي بشكلٍ مُتعامدٍ جعل السفوح الغربية تتلقى كميات من الأمطار أكثر من تلك المُعاكسة لها والتي تقع في منطقة تُعرف بظل المطر^(٣). كما تتميز منطقة شرقي آشور بكثرة الأمطار المُتساقطة عليها شتاءً، إذ تستمر حتى فصل الربيع، ونتيجةً لقربها من الجبال أصبح مُناخها رطباً وأكثر برودةً من مُناخ منطقة غربي آشور^(٤)، وأما جنوباً فالأرض تتميز بانبساطها وانعدام المياه نسبياً فيها الأمر الذي أدى إلى ضرورة إقامة مشاريع الري لتوفير المياه في وقت الحاجة إليها^(٥). وكان لوقوع بلاد آشور بمُستوى أعلى من مجاري الأنهار أثره في عدم الاستفادة من تلك المياه في زراعة الأراضي، إلا أن غزارة أمطار المنطقة^(٦)، أسهم في الاعتماد على مياه الأمطار في الزراعة مما جعل الاقتصاد الأساسي في بلاد آشور زراعياً^(٧) حيث تُعد أراضيها من أهم مناطق إنتاج الحبوب ولاسيما القمح^(٨)، وانتشرت زراعة أنواع مختلفة من الأشجار المثمرة مثل العنب والتين والزيتون كذلك^(٩). وقد انعكس تأثير المُناخ المعتدل لبلاد آشور على طبيعة الفرد الآشوري أيضاً، الذي كان نشيطاً ومُحباً للعمل في ميداني الزراعة والتجارة^(١٠).

٤ - أهمية الموقع الجغرافي لبلاد آشور:

يُعدُّ الموقع الجغرافي من العوامل المهمة المؤثرة في طبيعة الانتاج الحضاري وذلك لما يتميز به من إمكانية الاتصال بالأقوام والشعوب المجاورة، وما يوجد به من طرق مواصلات تربطه بالعالم

(١) الدباغ، تقي: "العراق في التاريخ"، مطبعة جامعة بغداد، بغداد ١٩٨٣م، ص ٣٥.

(٢) الصحاف، مهدي: "الموارد المائية في العراق وصيانتها من التلوث"، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد ١٩٧٦م، ص ٣١.

(٣) الجنابي، صلاح حميد، وسعدي، علي غالب: "جغرافية العراق الإقليمية"، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل ١٩٩٢م، ص ٨٧.

(٤) بابك، أي رويستن: "قصة الآثار الآشورية"، ترجمة: يوسف داود عبد القادر، مراجعة: لطفي الخوري، مطبعة أسعد، بغداد ١٩٧٢م، ص ٢٠.

(٥) ساكز، هاري: "قوة آشور"، ص ١٥.

(٦) ملرش، أيج - أي - أيل: "قصة الحضارة في سومر وبابل"، ترجمة: عطا بكري، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٧١م، ص ٦٩.

(٧) Clay, R., "The Tenure of land in Babylonia and Assyria", No. 1, London, 1938, p21.ff

(٨) ساكز، هاري: "قوة آشور"، ص ١٧.

(٩) Mallowan, M. E. L, "The Assyrian Tree", SUMER, vol. 42, No. 1-2 Baghdad, 1986, p.141

(١٠) بارو، أندريه: "بلاد آشور"، ترجمة: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠م، ص ١٨.

الخارجي المحيط به، ومدى نصيبه من الثروات الطبيعية ونصيب البلدان المحيطة به، وكذلك أهمية المنطقة العسكرية، كل هذه العوامل تحدد أهمية الموقع في التطور الحضاري للإنساني^(١). وبالنسبة إلى بلاد آشور فهي تقع في الجزء الشمالي الشرقي من بلاد وادي الرافدين^(٢)، بين خطي عرض (٣٥-٣٧ درجة شمالاً)^(٣). تحدها من جهة الشمال والشرق السلاسل الجبلية وهي بمثابة حدود طبيعية لبلاد آشور^(٤)، مما جعلها عرضة لتأثيرات تلك البلدان المتمثلة بالأناضول (تركيا الحالية) وإيران^(٥)، في حين كانت حدودها مع بلاد بابل غير مستقرة، بسبب النزاع المستمر فيما بينهما. وأما من جهة الغرب فلا توجد حدود طبيعية تفصلها عن نهري الخابور والفرات أي إقليم الجزيرة الفراتية كما يطلق عليه^(٦)، وقد اهتم الآشوريون بهذا الإقليم وأقاموا فيه الاستحكامات لتحصينه من الأعداء^(٧). ولاسيما دولة ميتاني والآراميون^(٨). ومما لا شك فيه أن تلك الحدود لم تكن ثابتة فقد كانت تتغير دائماً نتيجة لتأثرها بالتغيرات السياسية في المنطقة بحسب قوة الحكومة المركزية في بلاد آشور أو ضعفها^(٩)، ولكونها تتمتع بموقع استراتيجي مهم مكنها من إقامة صلات مع المناطق المجاورة لها، حتى إن سيطرتها امتدت ووصلت أحياناً إلى مناطق آسيا الصغرى وسوريا وحتى مصر، بينما انكمشت في أحيان أخرى^(١٠). لذا يمكننا القول بأنه كان لموقع بلاد آشور الجغرافي أثر هام في تاريخها، وذلك في جعلها منطقة مفتوحة مهددة باستمرار. مما دفع بالآشوريين حينها إلى الاهتمام بالجانب العسكري خاصة بعد أن خضعت بلاد آشور ولحقة ليست بالقصيرة للسيطرة الميتانية (كما سيرد معنا ذلك لاحقاً)، فكان لا بد من تأمين حدود الدولة الآشورية ضد الأخطار الخارجية. إذ إن الدول المجاورة لها

(١) سليم، أحمد أمين: "دراسات في تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم"، ج ٦، (حضارة العراق القديم)، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر، الاسكندرية ٢٠١١م، ص ٢٥.

(٢) Grayson, A. K., "Assyrian Rule of Conquered territory in Ancient western, Asia" CANE, vol. 1-2, Neo York, 2000, p. 959.

(٣) خصباك، شاكر: "العراق الشمالي، دراسة لنواحيه الطبيعية والبشرية"، ص ٥٠.

(٤) باقر، طه: "تاريخ العراق القديم"، ج ١، ص ٤٧٥.

(٥) ساكز، هاري: "قوة آشور"، ص ١٩.

(٦) ساكز، هاري: "قوة آشور"، ص ١٤.

(٧) الأحمد، سامي سعيد: "المدن الملكية والعسكرية"، المدينة والحياة المدنية، ج ١، بغداد ١٩٨٨م، ص ٥٨.

(٨) عبد الله، محمد صبحي: "العلاقات العراقية - المصرية في العصور القديمة"، دار الشؤون الثقافية العامة ط ١، بغداد ١٩٩٠م، ص ٤٣.

(٩) سليمان، عامر، ومالك الفتیان، أحمد: "محاضرات في التاريخ القديم"، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل ١٩٧٨م، ص ١٤٤.

(١٠) علي، فاضل عبد الواحد: "عادات وتقاليد الشعوب القديمة"، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٧٩م، ص ٢٥.

كانت تُشكل مصدرَ خطرٍ دائمٍ عليها وهذا ما جعل منها دولةً عسكريةً تهتم بتدريب المُقاتلين لدرء الأخطار عنها^(١)، يُضاف إلى ذلك رغبة ملوك آشور في توسيع رقعة دولتهم من خلال ضم المزيد من الأراضي والمقاطعات البعيدة عنهم، لأنَّ حاجتهم إلى المواد الأولية الضرورية لبناء دولتهم (كالذهب والفضة والأحجار الكريمة) التي لم تكن متوفرة في بلاد آشور دفعتهم نحو مدِّ نفوذهم والسيطرة على مناطق بعيدة عنهم مثل سوريا والأناضول^(٢). ومن ناحية أخرى، فقد أكسب الموقع الجغرافي لبلاد آشور أهمية تجارية كبيرةً لأنَّه مكَّن الآشوريين من السيطرة على أهم الطرق التجارية التي كانت تربط ما بين مناطق عيلام والأناضول من جهة، وسواحل البحر المتوسط من جهة أخرى، ومن ثم السيطرة على التجارة المارة من تلك المناطق إلى الجنوب (بلاد بابل) وبالعكس^(٣).

ثانياً: أصل الآشوريين:

١- الأقوام التي استوطنت في منطقة شمال بلاد وادي الرافدين.

يُعدُّ موقع المنطقة الجغرافي وطبيعتها من الوسائل الرئيسية التي تُساعد الباحث المعاصر على معرفة هوية الأقوام التي استقرت في منطقة معينة في عصور قبل التاريخ، لما لذلك من أثرٍ كبيرٍ في تركيب السُكان وأصولهم. فمنطقة شمال بلاد الرافدين تمتازُ، كما سبقَت الإشارة إلى ذلك سابقاً، بخصوبة تربتها واتساع سهولها ووفرة مياهها، وملائمة مناخها لزراعة مختلف أنواع المحاصيل، كما أنها تقع بين منطقتين تفتقران إلى الكثير من الموارد والخيرات الطبيعية، هما منطقة البوادي والسهول المجاورة لحافاتهما الغربية، والمنطقة الجبلية المتاخمة لها من الجهات الشمالية والشمالية الشرقية. لذا فإنَّ أبرز ظاهرة في تاريخ المنطقة من حيثُ التحركات البشرية كانت ظاهرة استمرار هجرة الأقوام من تلك المنطقتين إلى وادي الرافدين، شماله وجنوبه، في مختلف العصور. وحيثُ تُشيرُ الدراسات الأثرية إلى أنَّه لم يحدث أيُّ تغييرٍ جوهريٍّ في طبيعة المنطقة الجغرافية أو طبيعة مناخها منذ بداية العصر الحجري المعدني في الألف الخامس قبل الميلاد وحتى الآن، لذلك فإنَّ الأسلوب العام في هجرة الأقوام وتحركاتها ظلَّ مُتشابهاً خلال هذه الفترة الطويلة من الزمن. ومع أنَّه يمكن افتراض الطريق الذي سلكته الأقوام عند مجيئها إلى المنطقة في عصور قبل التاريخ، بشيء من الثقة، إلا أنَّه لا يمكن بالأسلوب نفسه معرفة اللغة أو اللغات التي تكلمت بها تلك الأقوام ولا التسميات التي أطلقتها

(١) إبراهيم، نجيب ميخائيل: "مصر والشرق الأدنى القديم - وادي الرافدين - بلاد الحثيين - فارس"، دار المعارف، ط١، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ٢٤٠.

(٢) سلمان، حسين أحمد: "العمليات الأدبية الآشورية لليهود في ضوء النصوص المسمارية"، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد ١٠، بغداد، ٢٠٠٢م، ص ١٦٦، ١٦٧.

(٣) بوستغيت، نيكولاس: "حضارة العراق وآثاره"، ترجمة: سعيد عبد الرحيم الجليبي، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد ١٩٩١م، ص ١٠٥.

على نفسها وعلى الأماكن التي جاءت منها أو حلت بها طالما لم تكن هناك وسيلة للتدوين معروفة بعد. ونجدُ بأنه منذ أواسط الألف الثالث قبل الميلاد بدأ استخدام الكتابة في منطقة شمال بلاد الرافدين، على الرغم من أن الكتابة كانت قد ابتدعت قبل ذلك بقرونٍ عدّة في القسم الجنوبي من بلاد الرافدين. إلا أنها لم تنتشر إلا في أواسط الألف الثالث قبل الميلاد، وعليه تزدادُ معلوماتنا تدريجياً عن الأقوام التي عاشت في المنطقة كلّما تقدّمنا بالزمن حتى تُصبح غايةً في التفصيل والدقة في الألفين الثاني والأول قبل الميلاد^(١).

حيثُ ورد في النصوص المسمارية من أواخر عصور فجر السلاسل ومن العصر الأكدي ذكر (السوباريين) (Subarinas) على أنهم أقوامٌ كانت تقطن في الجهات الشمالية من وادي الرافدين في منطقة الجزيرة العليا وشرقي دجلة، وسُميت بلادهم باسم (سوبارتو) (Subartu)، غير أنه يصعب تحديد المنطقة المقصودة بذلك من خلال ما ورد عنها في النصوص المسمارية من إشارات^(٢)، وأمّا عن هوية السوباريين وأصولهم ولغتهم فغير معروفة لدينا، فربما كان السوباريون من الأقوام الجبلية التي هاجرت نحو المناطق السهلية واستقرت في أطراف منطقة شمال بلاد الرافدين غير أنها عادت وانسحبت عندما وجدت ضغطاً متزايداً عليها من الأقوام القادمة من ناحية الغرب. وظل اسم "السوباريين" واسم بلاد سوبارتو يُطلق على المنطقة وعلى سكانها من الآشوريين في العصور المتأخرة من قبل ملوك سومر وأكد وغيرهم، في حين تحاشى الآشوريون أنفسهم استخدام الاسم "سوبارتو" للدلالة على بلادهم واستهجنوه ربما لأنه كان يُطلق على العبيد أيضاً، نظراً لأن العبيد كان يؤتى بهم أصلاً من المنطقة الشمالية، أي منطقة سوبارتو^(٣).

٢- مجيء الآشوريين إلى منطقة شمال وادي بلاد الرافدين.

يُشير عددٌ من الباحثين إلى أن أول هجرة كبيرة معروفة حدثت في أواخر الألف الرابع وبداية الألف الثالث قبل الميلاد، حيث اتجهت نحو القسم الأوسط والجنوبي من بلاد الرافدين، والتي عُرفت فيما بعد بالهجرة الأكديّة في حين اتجهت مجموعةٌ منها إلى المنطقة الشمالية من بلاد الرافدين مُكوّنةً بذلك طلائع الآشوريين. ثم تتابعت بعدها هجرة الأقوام القادمة من الغرب، وهذا يقود إلى الاستنتاج بأن الأقوام الرئيسة التي استقرت في منطقة شمال بلاد الرافدين منذ فجر التاريخ هي تلك التي قدّمت من ناحية الغرب عن طريق سوريا ومنطقة الجزيرة^(٤). والتي كان قد أطلق عليها السومريون عليها حينئذٍ اسم

(١) سليمان، عامر: "منطقة الموصل في الألف الثالث قبل الميلاد"، موسوعة الموصل الحضارية، ج ١، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ط ١، ١٩٩١م، ص ٦٠.

(٢) بوتير، جان: "الإمبراطورية السامية الأولى" بحث ضمن كتاب: الشرق الأدنى - الحضارات المبكرة، ترجمة: عامر سليمان، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل ١٩٨٦م، ص ١١٢.

(٣) Gelb, L. J., "Hurrians and Subarians", JNES, vol. 5, Chicago. 1964, p.108

(٤) سليمان، عامر: "منطقة الموصل في الألف الثالث قبل الميلاد"، ص ٦١.

(مارتو)^(١)، والذي يُقَابَلُهُ في اللغة الأكديّة اسم أمورو (Amurru)، ويعني (الغرب) "أي الأقوام القادمة من الغرب". وكانت هجرة هؤلاء الأموريين قد حدثت في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد.^(٢) وضمّت حينها موجتَيْن رئيسيّتين تفصلُ بينهما فترة زمنية تُقدَّر بقرنٍ أو أكثر، وتمكّن الأموريون من إقامة عدد من السلالات الحاكمة في مختلف أنحاء بلاد الرافدين كانت منها سلالة إسين ولارسا وإشنونا وبابل ودير وماري وآشور. ومنذ الألف الثالث قبل الميلاد أصبح الآشوريون العنصر الرئيس في المنطقة التي عُرفت باسمهم فيما بعد، أي (بلاد آشور) بالأكديّة (مات. آشور. كي): (Māt Aššur ki)، ((الكلمتان الأولى والثالثة، مات وكي، هما علامتان دالتان تُشيران إلى اسم آشور بأنه اسم بلاد)). والدليل على أنّ طلائع الآشوريين يؤلفون هم والأقوام الأكديّة في الأصل موجةً بشريةً واحدةً جاءت عن طريق الغرب، هو أنّ اللهجة الآشورية القديمة واللهجة الأكديّة القديمة كلتاها من لهجات اللغة الأكديّة بمعناها الواسع، فهما تتشابهان إلى درجة ظنّ بعض الباحثين أنّه لا بدّ أن كان الآشوريون قد استقروا في الجنوب إلى جانب الأكديين قبل هجرتهم إلى الشمال. غير أنّ هذا الافتراض لا تؤيده الأدلة الأثرية، في حين يمكن تفسير التشابه بين اللهجتين بانحدارهما من أصلٍ واحدٍ وارتباطهما الوثيق من بعد استقرار كل من الآشوريين والأكديين في منطقتين مختلفتين^(٣). وبناءً على ما أشرنا إليه فإنه بوسعنا القول بأنّ الآشوريين هم ينتمون إلى ذات الشجرة التي تفرّعت عنها الأقوام الأكديّة والبابلية (الأمورية) والآرامية والكليدية في بلاد الرافدين، والأقوام الكنعانية والفينيقيّة والأمورية والآرامية في بلاد الشام والأقوام العربيّة الشماليّة والجنوبيّة التي انتشرت في جميع الأقطار العربيّة فيما بعد. فمنبت تلك الشجرة إذن كما هو مُتَّفَقٌ عليه تقريباً بين معظم الباحثين، في (شبه الجزيرة العربيّة)، حيث يبدو أنّ شبه الجزيرة العربيّة كانت في العصور الحجريّة القديمة عامرةً بالحياة من حيوانٍ ونباتٍ وإنسان ثم حلّ فيها الجفاف في أعقاب العصر الجليدي الأخير مما دفع بالأقوام التي كانت تعيش فيها إلى الهجرة إلى حافاتها ثم إلى البوادي القريبة منها في كل من

(١) (مارتو) (Martu): وهي مصطلح سومري يُقَابَلُهُ في اللغة الأكديّة (أمورو) وكلاهما يعني "الجهة الغربيّة المجاورة لبلاد وادي الرافدين". ثم أصبح اسماً للقبائل البدويّة التي كانت تشكل خطراً على المدن البابليّة (السومريّة والأكديّة معاً)، كما أجملت المصادر المسماريّة تلك القبائل البدويّة الجزرية تحت لقب (مارتو)، والمرادف لها بالأكديّة هو (أموروم) (Amurru)، ويعود أول ظهور لهؤلاء المارتو في نصوص عقارية ترجع إلى عصر فجر السلالات الثالث، وقد استخدمت هذه الكلمة على أنها اتجاه جغرافي (Tum-mar-tu) والتي تعني "ريح - أي اتجاه - المارتو) ويقصد بها الغرب، أو بدقة أكثر الشمال الغربي. أنظر:

بوتيرو، جان، إدوارد، أوتو، فالكنشتاين، آدام، فيركوتر، جان: "الشرق الأدنى الحضارات المبكرة"، ترجمة: عامر سليمان، جامعة الموصل، الموصل ١٩٨٦م، ص ١٧٦.

(٢) كير شابوم، ايفا كانجيك: "تاريخ الآشوريين القديم"، ترجمة: فاروق إسماعيل، دار الزمان للطباعة والنشر، ط ١، دمشق ٢٠٠٨م، ص ٣١.

(٣) سليمان، عامر: "منطقة الموصل في الألف الثالث قبل الميلاد"، ص ٦١.

سوريا وبلاد الرافدين فكانت تلك البوادي موطنها الثاني بعد شبه الجزيرة، وما لبثت أن اتجهت جماعات منها إلى التوغل في الأقاليم المجاورة، لاسيما سوريا وبلاد الرافدين بشكلٍ سلمي، وذلك منذ الألف الرابع قبل الميلاد على أقل تقدير. ولم يُشر إلى تلك التحركات إلا عندما كانت تتضمن هجرة مجموعاتٍ كبيرةٍ تُحدث اضطراباتٍ وتبدلاتٍ أساسيةٍ في المنطقة، وربما كانت هجرة الأقاليم الأكديّة والآشورية من أولى الهجرات الكبرى ثم تبعها هجرة الأقاليم الأمورية ثم الآرامية وأخيراً هجرة العرب الكبرى، ولم تنقطع هجرة الأقاليم هذه إلى بلاد وادي الرافدين حتى يومنا هذا حيث ما زالت هناك بعض القبائل العربية تنتقل في أطراف بلاد وادي الرافدين وسوريا متوغلةً أحياناً إلى مراكز المدن^(١).

نستنتج ممّا سبق على أنّ السبب وراء هجرة الأقاليم الآشورية إلى شمال وادي بلاد الرافدين يعود إلى وجود الأرض الصالحة للزراعة مع وفرة المياه الأمر الذي شجع تلك الأقاليم على الاستقرار في المناطق السابقة. وعند استيطان الآشوريين لهذه المنطقة أراحوا قسماً من سكانها السابقين أي "السوباريين" إلى المناطق الجبلية شرقي دجلة في حين امتزج من بقي منهم بالآشوريين وغلب العنصر الآشوري عليهم^(٢). هذا وقد أطلق البابليون مصطلح "سوبارتو" مرادفاً لبلاد آشور وذلك لجلبهم العبيد من منطقة شمال بلاد الرافدين^(٣)، فأصبح مدلول تلك الكلمة يعني "العبد"، وربما يكون استخدام البابليين كلمة سوبارتو للدلالة على بلاد آشور هو من باب الانتقاص^(٤)، إذ إنها تُرادف مصطلح العبد في اللغة الأكديّة (سوبروم) (Subrum) فقد ذكرت النصوص المسمارية لاسيما نصوص العصر البابلي القديم الآشوريين "باسم السوباريين" حتى إنّ الملك حمورابي يذكر أنّه تمكّن من صد التحالف (العيلامي - الغوتي - الأشنوني - السوبارتي "الآشوري") ضدّ بلاد بابل في كتاباته.

"قام القائد الأثير عند مردوخ، بعد أن دحر الجيش الكثيف الذي أعدّه العيلاميون.....، السوبارتو (الآشوريون)، الغوتيون، وأشنونا وملكيئوم، بإرادة الآلهة العظيمة بتوثيق أسس سومر وأكد".^(٥)

وذكر حمورابي في سنوات حكمه الأخيرة أنّه (دحر جيش سوبارتو "آشور") وأنّه (هزم كافة أعدائه حتى بلد سوبارتو)^(٦). ولدينا مثال آخر يعود إلى حكم (دادوشا) ملك مدينة إشنونا، حيث يذكر جيش الملك الآشوري (يسمخ - أدد - الأول) على أنّه "جموع السوبارتو وخانة". إضافةً إلى ذلك نجد بأنّ الملك البابلي (مردوخ - بلا - دان) (٧٢١-٧١١ ق.م) لا يُسمي خصمه الملك الآشوري (سرجون الثاني) بملك الآشوريين وإنّما "بملك السوباريين" و"جيشه بجموع السوبارتو" وعموماً فإنّ الآشوريين

(١) سليمان، عامر: "منطقة الموصل في الألف الثالث قبل الميلاد"، ص ٦١.

(٢) علي، فاضل عبد الواحد: "عادات وتقاليد الشعوب القديمة"، ص ٢٥.

(٣) Gelb, L. J., "Hurrians and Subarians", op. cit, pp. 165-168.

(٤) Finkelsten, J. J., "Subartu and Subarian Old Babylonian Sources" JCS, vol. 9, No. 1, New York, 1955, p.7.

(٥) رو، جورج: "العراق القديم"، ترجمة: حسين علوان، ط ٢، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨٦ م، ص ٢٧١.

(٦) رو، جورج: "العراق القديم"، ص ٢٧٣.

تحاشوا عن إطلاق هذه التسمية على أنفسهم باستثناء نصوص خاصة بالفأل والتنجيم^(١). ومثال على ذلك التقرير الذي قدمه أحد المنجمين الآشوريين إلى الملك الآشوري:

"إذا شوهد القمر في اليوم الثلاثين من شهر نيسان فإن بلاد "سوبارتو" سوف تتغلب على الأخلامو (إحدى القبائل الآرامية الكبرى) ويضيف ذلك المنجم موضحاً: "نحن السوباريين".^(٢)

ثالثاً: التسمية:

١ - تسمية كلمة "الآشوريين"؟

إن اسم "الآشوريين" على ما هو واضح من التسمية، مأخوذ من النسبة إلى كلمة "آشور"، وهي كلمة أطلقت على أقدم مراكز الآشوريين، أي عاصمتهم المسماة "آشور"، وسمي بها أيضاً إلههم القومي "آشور".^(٣) ويبدو أن كلمة "آشور" هي تسمية سامية^(٤)، وأمّا عن أصل هذه التسمية فما يزال مجهولاً ومثار جدل بين الباحثين، ولا يُعرف إن كانت قد أطلقت على اسم البلاد أولاً أو أنها كانت تُطلق على الآشوريين ثم سميت البلاد باسمهم، أو أنها أطلقت على إلههم القومي آشور أم أصبحت صفة نعت بها الآشوريون، في حين يرى البعض الآخر أنها ترجع إلى إحدى اللهجات الأكديّة القديمة

(١) الشخيلي، عبد القادر: "المدخل إلى تاريخ العراق القديم"، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل ١٩٩٠م، ص ١٤٢.

(٢) باقر، طه: "مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة"، ج ١، ص ٥١٩.

(٣) الإله (آشور): ورد اسم الإله آشور في اللغة الأكديّة بصيغة "Aššur"، وكان الإله آشور يحمل صفة حربية حيث كان إلهاً للحرب، ويلاحظ في معظم حوليات ملوك العصر الآشوري الحديث أنها تتضمن دعم الإله آشور ومباركته فهو يُعد الإله القومي للآشوريين فضلاً عن اتخاذ اسماً لبلادهم. بالإضافة إلى نظرة الآشوريين للإله آشور على أنه الملك وأن الحاكم هو ممثله على الأرض، كذلك نجد بأن جميع ملوك الدولة الآشورية الحديثة كانوا يستهلون في حولياتهم بعبارة "دعم الإله آشور أو بأمر الإله آشور". وهذا يدل على الأهمية والمكانة الكبيرة التي حظي بها هذا الإله لدى الآشوريين، كما لُقّب الإله آشور بألقاب عديدة منها: "الإله آشور سيد الجميع". أنظر:

الأحمد، سامي سعيد: "المعتقدات الدينية في العراق القديم"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٨م، ص ٣٣، ٣٤. كذلك ينظر أيضاً كلاً من:

ساكر، هاري: "قوة آشور"، ص ٧٢، وساكر، هاري: "عظمة بابل"، ترجمة: عامر سليمان، دار الكتب للطباعة والنشر، ط ١، الموصل ١٩٧٩م، ص ٣٩٧.

(٤) تنويه: كان الشائع لدى الباحثين إطلاق تسمية "الأقوام السامية" على جميع الأقوام التي تنتمي إلى هذه المجموعة التي هاجرت أصلاً من شبه الجزيرة العربية، وتسمية لغاتها "باللغات السامية" "Semitic Languages"، غير أن الدراسات الحديثة بيّنت عدم دقة التسمية من الناحية التاريخية، فاستُعيض عنها بمصطلح "الأقوام الجزرية" أو أقوام شبه الجزيرة العربية، وينسحب ذلك على تسمية اللغات الخاصة بها أيضاً. للمزيد أنظر: سليمان، عامر: "منطقة الموصل في الألف الثالث قبل الميلاد"، ص ٦٠، ٦١. كذلك أيضاً بوتيرو، جان: "بلاد الرافدين الكتابة - العقل - الآلهة"، ترجمة: الأب البير ابونا، ط ١، بغداد ١٩٩٠م، ص ٣٦٠.

التي تكلم بها الآشوريون ومنها جاءت التسمية^(١). وعلى الرغم من تسمية بعض المدن باسم الإله القومي لقوم ما على المنطقة التي حلوا فيها، إلا أن نسبة الأقوام إلى المدن يُعد أكثر شيوعاً في العراق القديم مثل الأكديين نسبةً إلى مدينة أكد والبابليين نسبةً إلى مدينة بابل. ومهما كان الأمر فإن كلمة "آشور" كانت تُكتب بصيغة قديمة على هيئة "آ - اوسار" "A-usar" والتي يبدو بأنها صيغة سومرية رمزية. ولكن الكتابة المألوفة الأخرى كانت بصيغة آشور (A-shur) يتبعها العلامة المسمارية الدالة على المكان أو الأرض "كي" "ki". وأقدم ما جاءنا من هذه الصيغة من النصوص الأكديّة المكتشفة في مدينة "توزي" وكان اسمها في العصر الأكدي "جاسور" "g ā-sur". وغلب في الاستعمال في الأدوار الآشورية الحديثة أن يُضعف حرف الشين فيقال "آشور" "Ash-shur". وللتعبير عن بلاد آشور أي القطر الآشوري كانت الكلمة تصدر بالعلامة المسمارية الدالة "مات" "Māt"، أي بلاد، فيقال: "مات آشور كي"^(٢). وفي العصرين الآشوريين القديم والوسيط كانت تُكتب بصيغة مقطعية (ki A-šū-ur) أو (A-šur)، ومنذ عهد الملك الآشوري آشور - أبالط الأول (١٣٦٥-١٣٣٠ ق.م) أصبح اسم آشور يُكتب بصيغة مُشددة بتضعيف حرف الشين (Aš-šur)، كما وردت هذه التسمية بصيغة (An-šar) ومعنى: (An) السماء وأما (Šar): فتعني الأفق وبذلك يكون اسم المدينة (أفق السماء). وللتعبير عن بلاد آشور في النصوص المسمارية كُتبت مسبوقاً بالعلامة الدالة (māt) أي (بلاد) فيقال (ki) ^(٣) (māt-aš-šur). وكثيراً ما تُضاف ياء النسبة المضاهية لياء النسبة العربية للتعبير عن الشخص الآشوري وعن الآشوريين فيقال: "آشوريو، أي آشوري"^(٤).

رابعاً: اللغة التي تكلم بها الآشوريون:

لقد نوهنا سابقاً إلى أن الأقوام الآشورية تنتمي إلى مجموعة الأقوام التي انتشرت في سوريا وبلاد وادي الرافدين، منذ فجر التاريخ والتي تُعرف عادةً بأقوام (شبه الجزيرة العربية القديمة)، لذا فلا بد أن اللغة التي استخدمها الآشوريون تنتمي هي كذلك إلى مجموعة اللغات المتفرعة عن اللغات القديمة (الأكديّة والبابليّة). وهذا ما تؤكدُه النصوص المسمارية في العصور التالية حيث تشير هذه النصوص إلى أن لغتها كانت من مُشتقة من تلك اللغات القديمة أي (الأكديّة والبابليّة)، وأنها تشبه اللغة المعروفة من النصوص المسمارية والمكتشفة في مدن جنوبي بلاد الرافدين والتي سُميت باللغة الأكديّة إلى درجة أن عدّها الباحثون لهجة من اللهجات الأكديّة^(٥). إذن فاللغة الآشورية هي إحدى لهجات

(١) Borger, R., "Assyrisch- Babylonischen Zeiehn Liste", Berlin 1988, p.55.

(٢) باقر، طه: "مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة"، ج ١، ص ٥١٧.

(٣) Borger, R., loc. cit., p. 55.

(٤) سليمان، عامر: "منطقة الموصل في الألف الثالث قبل الميلاد"، ص ٦١.

(٥) سليمان، عامر: "اللغة والكتابة"، موسوعة الموصل الحضارية، ج ١، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ط ١، ١٩٩١م، ص ٣٣٩.

اللغة الأكديّة التي انتشر استخدامها في بلاد الرافدين في مطلع الألف الثاني ق.م حتى أواخر الألف الأول ق.م^(١)، وهي مدونة بالخط المسماري^(٢)، استخدمها الآشوريون في تدوين أسماء ملوكهم وسنّي حكم كل واحد منهم، كذلك أهم أعمالهم ومنجزاتهم السياسية والحضارية في قوائم عرفت بجداول الملوك الآشوريين، وقد عثر على عدد كبير من هذه القوائم وأشهرها قوائم (خُرسَبَاد) التي دُوّنت في زمن الملك الآشوري سرجون الثاني (٧٢٢-٧٠٥ ق.م) مُبتدئةً من أقدم الملوك الآشوريين حتى زمن حكم هذا الملك^(٣).

ويُميزُ الباحثون اللغويون ثلاثَ لهجاتٍ آشوريةٍ رئيسيةٍ استُخدمت في العصور الآشورية الثلاث الرئيسية وهي:

١ - اللهجة الآشورية القديمة (Old Assyrian):

تتمثل هذه اللهجة بلغة نصوص الفترة ما بين ٢٠٠٠-١٧٥٠ ق.م ، ومعظمها ملكيّة، وهي قليلةٌ بالمقارنة مع نصوص العصرين الوسيط والحديث، وقد اكتشفت في بلاد آشور الأصلية، بالإضافة إلى الرسائل والوثائق الرسمية التي تجاوز عددها عشرة آلاف والمكتشفة في المراكز التجارية الآشورية في إقليم كبدوكيا في آسيا الصغرى^(٤).

٢ - اللهجة الآشورية الوسيطة (Middle Assyrian):

وأما هذه اللهجة فتتمثلها النصوص التي ترقى بتاريخها إلى النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد أي التي تعود إلى العصر المعروف باسم العصر الآشوري الوسيط (١٥٢١-٩١١ ق.م). ومن أهم هذه النصوص القوانين الآشورية الوسيطة، وهي مجموعة من ألواح الطين والتي تضم بعض القوانين الآشورية وجدت في مدينة آشور. إضافةً إلى العديد من النصوص والوثائق القانونية الأخرى، وبعض الرسائل والنصوص الأدبية والملكية ومعظم النصوص الأدبية والملكية هذه كانت تحمل تأثيرات بابلية آنذاك.

(١) سليمان، عامر: "العصر الآشوري"، موسوعة العراق في التاريخ القديم (موجز التاريخ الحضاري) ، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل ١٩٩٣م، ص ١١٩.

(٢) سليمان، عامر: "اللغة الأكديّة (البابلية - الآشورية) تاريخها وتدوينها وقواعدها"، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل ١٩٩١م، ص ١٥٣.

(٣) بصمه جي، فرج: "كنوز المتحف العراقي"، دار الكتب والوثائق الوطنية، بغداد ١٩٧٢م، ص ٤٨.

(٤) سليمان، عامر: "اللغة والكتابة"، ص ٣٤١.

٣- اللهجة الآشورية الحديثة (New Assyrian):

وأخيراً هناك اللهجة الآشورية الحديثة والتي تُعدُّ أهمَّ لهجةٍ آشوريةٍ لكونها تتمثَّلُ بمجموعةٍ كبيرةٍ جداً من النصوص، منها ما هو غاية في الأهمية التاريخية، كالمراسلات الملكية، والمعاهدات والاتفاقيات والرسائل الشخصية المكتشفة في العواصم الآشورية الرئيسة ومنها الوثائق الاقتصادية والقانونية^(١).
أمَّا وسيلة التدوين التي استخدمت لتدوين اللهجات الآشورية فهي الكتابة المسمارية التي كان قد ابتدعها السومريون وطوَّرها الأكديون والبابليون واقتبسها الآشوريون في النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد، أي بعد أن قطعت الكتابة مراحل تطورها حتى وصلت إلى مرحلتها النهائية بالشكل التي وصلت إلينا به النصوص الآشورية، غير أنَّ الكتابة لم تستخدم على نطاقٍ واسعٍ في بلاد آشور إلا منذ الألف الثاني قبل الميلاد^(٢).

خامساً: التنقيبات الأثرية في العواصم الآشورية ونتائجها:

ارتبط التنقيب عن الآثار في بلاد الرافدين والمنطقة العربية عموماً منذ بداياته الأولى بأطماع الدول الأوروبية بثروات المنطقة وموقعها الحيوي، كما ارتبط برغبة تلك الدول لإغناء متاحفها ومجاميعها الفنية بنتاج حضارتنا العربية. لذا شكلت بدايته تلك ضرراً جسيماً أصاب أبرز مواطن الحضارة في القطر العراقي وبقية البلدان العربية. حيث نُقلَ الكثير من نتاجات حضارتنا القديمة ورموزها الفنية خلال تلك الفترة إلى أممات متاحف أوروبا وأمريكا وتركيا. وقد بدأت عمليات التنقيب والبحث عن الآثار في بلاد وادي الرافدين في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي على أيدي عدد من التجَّار والمغامرين والهواة والدبلوماسيين الأجانب الذين لم تكن لهم أيَّة معرفةٍ سابقةٍ بطرق التنقيب وأصوله، والتي لم تكن هي الأخرى معروفة آنذاك. ومع استكمال بلاد وادي الرافدين أي (العراق حالياً) لاستقلالها خلال منتصف القرن المنصرم، عندها انتقلت الهيمنة وعمليات التنقيب بالتدريج إلى أيدي وطنيةٍ محليةٍ عملت بجهدٍ ومعاناةٍ وصبرٍ لتكوين مدرسةٍ وطنيةٍ للآثار ذات مفاهيم وتقاليدها ومنطلقات وطنية وقومية نجد ثمارها اليوم، حيث ملئ أبناء هذه المدرسة وتلاميذها متاحفَ مُدن وجامعات العراق بآثار ومُخلفات حضارة بلاد وادي الرافدين على مرِّ العصور، كما نجدهم يُساهمون بنشاط في إغناء المكتبة الأثرية العربية بالبحوث والدراسات الأصيلة^(٣). وسنلقي الضوء هنا على تلك العواصم الآشورية الرئيسة وأبرز المُكتشفات الأثرية فيها وهي:

(١) سليمان، عامر: "اللغة والكتابة"، ص ٣٤١.

(٢) سليمان، عامر: "التراث اللغوي" موسوعة حضارة العراق، ج ١، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨٥م، ص ٣٠٠-٣٠٣. كذلك ينظر أيضاً: سليمان، عامر: "اللغة والكتابة"، ص ٣٥٠-٣٥٤.

(٣) أبو الصوف، بهنام: "دور التنقيبات الأثرية في الكشف عن حضارة العراق القديم"، موسوعة حضارة العراق، ج ١، ص ٥٨.

١ - مدينة آشور:

أ - موقع المدينة:

تقع أطلال مدينة آشور على الضفة الغربية من نهر دجلة^(١)، ونتيجة موقعها فهي تتحكم بالسيطرة على الطريق الهام الذي المؤدي إلى الاتجاه الغربي، أي إلى وادي الخابور وإلى وادي الفرات الواقع على حافات الصحراء إلى شمال أراضي بلاد بابل^(٢). وتبعد آشور إلى الجنوب من مدينة الموصل بنحو (١٠ كم) تقريباً. كما تُعرف بقاياها اليوم بالقلعة أو قلعة الشرايط، نسبةً إلى بلدة شرايط التي تبعد عنها بضع كيلومترات، وتقدر مساحة الموقع بنحو (٦٠٧٥٠٠ م^٢)^(٣). وقد شُيّدت على مرتفع من أرضٍ صخريةٍ وهي على شكل قلعة طبيعية يبلغ ارتفاعها بحدود (١٢ م) عن الأرض المجاورة من جهة النهر ويحدها نهر دجلة من الجهة الشرقية، وذراعه المائي الذي يمثل مجراه القديم من جهة الشمال وأما من الجهة الغربية فتحدها هضبة مرتفعة نسبياً، وتتحدّر أرض المدينة شيئاً فشيئاً نحو الجنوب ويحدها مُنخفضٌ في الجهة الجنوبية الغربية على شكل زاوية منفرجة تفصل بين المدينة والمرتفعات المقابلة لها من هذه الجهة. وتعد آشور أصغر العواصم الآشورية مساحةً حيث لا تتجاوز مساحتها (٢٤٠ دونماً) في حين تبلغ مساحة نينوى ما يقرب من ثلاثة آلاف دونم ومساحة كلخو (نمرود) حوالي (١٢٨٠ دونماً) ومساحة دورشروكين (٩٦٠ دونماً)^(٤).

ب - تسمية المدينة:

ورد اسم مدينة آشور في كتابات العصر الآشوري القديم (٢٠٠٠-١٥٢١ ق.م) بصيغة: (a-šur, a-šu-ur ki)، كما ورد اسمها في عهد الملك الآشوري (آشور - أوبالط) (١٣٦٥-١٣٣٠ ق.م) بصيغة (aš-šur)^(٥)، ويكتنف الاسم آشور، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، الغموض ولا يُعرفُ أهذا الاسمُ خاصٌّ بالمدينة، ومن ثمَّ استُخدمَ للدلالة على إله الآشوريين القومي وعلى الآشوريين أنفسهم وعلى بلادهم أم إنَّ اسمَ المدينة جاء متأخراً^(٦).

(١) يُلاحظ أنَّ عواصم الدولة الآشورية تقع على الضفة الشرقية من نهر دجلة ماعدا مدينة آشور، والسبب وراء ذلك يعود في رغبة الملوك الآشوريين عدم إيجاد آنذاك حاجز يفصل بين مركز حكمهم وقواتهم العسكرية أثناء الحملات العسكرية باتجاه المناطق المجاورة من الشرق والشمال، وذلك لسهولة وصول الامدادات العسكرية إذا ما اقتضت الضرورة لذلك.

(٢) Radner.Karen, "The Assur-Nineveh- Arbela Triangle central Assyrian in the Neo-Assyrian period", London 2011, p.321.

(٣) خضر العبادي، معاذ حبش: "الحوليات الملكية في العصر الآشوري الحديث دراسة تحليلية"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل ٢٠٠٦م، ص ٨٩.

(٤) سليمان، عامر: "الآثار الباقية"، موسوعة الموصل الحضارية، ج ١، ص ٥٢٧.

(٥) خضر العبادي، معاذ حبش: "الحوليات الملكية في العصر الآشوري الحديث دراسة تحليلية"، ص ٨٩.

(٦) سليمان، عامر: "الآثار الباقية"، ص ٥٢٤.

ت - أهمية المدينة:

تعد مدينة آشور من أقدم المدن الآشورية المعروفة وأولى عواصمهم الإدارية، وقد ظلت آشور طوال تاريخ الآشوريين منذ مجيئهم إلى المنطقة وحتى مطلع الألف الأول قبل الميلاد، المدينة الرئيسية للآشوريين والعاصمة الوحيدة حتى اتخذ الملك الآشوري (آشور - ناصر - بال الثاني) (٨٨٣-٨٥٩ ق.م) مدينة كلخو (نمرود) عاصمةً جديدةً له^(١). فضلاً عن كونها عاصمتهم الدينية المقدسة^(٢)، حيث تتأتى هذه القدسية لكونها تُشكل مركزاً دينياً مرموقاً لدى جميع الملوك الآشوريين، فهي موطن الإله القومي لبلاد آشور، ولذلك كانت تحظى بمكانة خاصة عند الملوك الآشوريين، حتى أولئك الذين اتخذوا غيرها عاصمةً لملكهم، فلا يخلو عهد ملك من الملوك المهمين من نشاطٍ عمرانيٍّ في مدينة آشور وكان يتم فيها احتفالات رأس السنة ومراسم تنويج ودفن الملوك أيضاً^(٣).

ث - عمليات التنقيب في المدينة ونتائجها:

استهوت المدينة المنقبين الأجانب (الألمان) منذ مطلع القرن العشرين، حيث عملت فيها البعثة الألمانية برئاسة كولدفاي ثم فالتر أندريه عام ١٩٠٣م وحتى عام ١٩١٤م، وتمكنت من الكشف عن الكثير من مبانيها وآثارها ونقلت المهم منها إلى ألمانيا حيث تُزيّن تلك الآثار الآن قاعات متحف برلين، كما نُقل معظمها إلى متحف استانبول في تركيا، في حين أُهملت آشور وانهارت الأثرية على أماكن الحفر التي قامت بها البعثات الألمانية^(٤) حتى تهياً لدائرة الآثار والتراث العراقية خلال منتصف القرن العشرين الميلادي أن تبدأ أعمال التنقيب والصيانة فيها وفق خطةٍ مسبقةٍ بهدف إعادة

(١) (آشور - ناصر - بال الثاني) (٨٨٣-٨٥٩ ق.م): وهو أحد ملوك العصر الآشوري الحديث وقد حكم بالفترة الممتدة ما بين (٨٨٣-٨٥٩ ق.م)، حيث ورث هذا الملك عن أبيه (توكلي - ننورتا - الثاني) مملكةً واسعة وقويةً وموحدةً، كما تُعد فترة حكمه التي شغلها واحدة من أهم الحقب الزمنية، التي مرّ بها تاريخ بلاد وادي الرافدين، وهذه الحقيقة تنعكس في العدد الكبير من النصوص المسمارية العائدة لهذا الملك، حيث كان يجهز حملة عسكرية واحدة على الأقل في السنة وفي بعض الأحيان كان يقوم بتجهيز حملتين عسكريتين في السنة، كما أنه وجه حملات عديدة امتدت إلى جميع الاتجاهات باستثناء بلاد بابل. وقد توجّبت فتوحاته بإنجاز كبير وهو الوصول إلى البحر المتوسط "البحر العظيم" وقد بسط هذا الملك نفوذه على شمال سوريا وساحل البحر الأبيض المتوسط. كذلك فقد قام بالعديد من الأعمال العمرانية منها إعادة بناء مدينة نمرود (كلخو). أنظر:

برنكمان، جي، أي: "علم تأريخ وتقويم العصر التاريخي لبلاد ما بين النهرين، بلاد ما بين النهرين"، ترجمة: سعدي فيضي عبد الرزاق، بغداد ١٩٨١م، ص ٤٦١. كذلك ينظر أيضاً: باقر، طه: "مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة"، ج ١، ط ٢، جامعة بغداد ١٩٨٦م، ص ٥٠١.

(٢) سليمان، عامر: "العراق في التاريخ القديم" موجز التاريخ الحضاري، ج ٢، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل ١٩٩٣م، ص ٣٧٦.

(٣) سليمان، عامر: "الآثار الباقية"، ص ٥٢٤.

(٤) فالتر، أندريه: "استحكامات آشور"، ترجمة: عبد الرزاق كامل، وزارة الثقافة، بغداد ١٩٨٧م، ص ٥٥-٦٠.

الكشف عن مبانيها كاملة. حيث كشفت التنقيبات التي أُجريت في المدينة على أنها كانت مستوطنة صغيرة لإنسان العصور القديمة في عصور ما قبل التاريخ، وذلك لما تتمتع به من موقع حصين وإشراف على وادي دجلة وعلى الأراضي الزراعية بعيداً عن مخاطر فيضانات النهر السنوية، غير أن المعلومات المتوافرة عن تلك العصور القديمة قليلة. ومنذ فجر التاريخ أصبحت آشور على اتصال وثيق مع القسم الجنوبي من بلاد الرافدين، لاسيما بعد أن قامت الدولة الأكديّة أواخر الألف الثالث قبل الميلاد، حيث عُثر فيها على بعض اللقى الأثرية والتي تحمل طابعاً أكدياً أو سومرياً مما يُشير إلى تأثير الحضارة السومرية الأكديّة وانتشارها في القسم الشمالي من بلاد الرافدين. كما عُثر على عدد من النصوص المسمارية القصيرة التي تذكر اسم الملك الأكدي مانشتوسو مما يشير إلى أن آشور قد غدت جزءاً من الدولة الأكديّة، وربما كانت أحد المراكز الإدارية المهمة في القسم الشمالي من تلك الدولة يؤيد ذلك الكشف عن عدد من المباني المهمة من بينها قصر واسع إلى جوار زقورة الإله إنليل، يرقى تاريخ بنائه إلى العصر الأكدي. إضافة إلى ذلك، ذكرت النصوص المكتشفة في نوزي (بورغان تبه قرب كركوك حالياً) أن مدينة آشور كانت تُدار من قبل حُكّام تابعين للدولة الأكديّة. ولا بد أن أصاب آشور ما أصاب بقية المدن والمراكز الحضارية إبان الغزو الغوتي الهامي من تخريب وتدمير، غير أنها، كما يبدو، لم تخضع للسيطرة الغوتية، ولعلّها أقامت لها إدارة محلية في حين أصبحت جزءاً من مملكة أور الثالثة التي قامت في بلاد وادي الرافدين في أعقاب طرد الأقوام الغوتية الغازية. وتُشير النصوص المكتشفة في المدينة أن حُكّام المدينة، مثل الحاكم (زريقهم)، كانوا تابعين لملوك مملكة أور الثالثة. وبعد انهيار سلالة أور الثالثة استقلت آشور وأقامت لها سلالة محلية جاءتت أسماء بعض حُكّامها، وقد ذُكر أن أحد الحُكّام، وهو (كيكيا) قام بتشديد أسوار المدينة، وجدّد الأسوار الحاكم (بوزور آشور) وتذكر النصوص أيضاً أن (إيلو شوما وإبريشوم الأول) قاما بتشديد عدد من الأبنية المهمة في المدينة منها معابد آشور وأدد وعشتار وهذا ما يؤكده النص التالي:

"إيرشم، حاكم بلاد آشور، ابن إيلو - شوما، حاكم بلاد آشور، لآشور سيده، من أجل حياته وحياة المدينة أعاد بناء المعبد بأكمله".^(١) ثم تدهور وضع آشور بتدهور قوة الآشوريين بعد ذلك حتى اعتلى العرش الآشوري الملك شمشي - أد - الأول (١٨١٤-١٧٨٢ ق.م) الذي ارتفع في عهده شأن مدينة آشور وشيّدت فيها القصور والمعابد إلى أن اتخذ الملك (شلمانصر الأول) (١٢٧٤-١٢٤٥ ق.م) مدينة كلخو (نمرود) عاصمة عسكرية له، وأمّا ابنه توكلتي نورتا الأول فقد أسس له عاصمة جديدة قبالة مدينة آشور سماها باسمه. وأظهرت التنقيبات أن المعابد والقصور قد تركزت في القسم الشمالي من المدينة وأول ما يسترعي انتباه الزائر بقايا البرج المدرج أي (الزقورة) التي شيّدت إلى جوار معبد آشور، وقد عُرفت الزقورة فيما بعد بزقورة (بيل) كنية للإله (إنليل)، وكان الملك شلمانصر الثالث (٨٥٩-

(١) سليمان، عامر: "الآثار الباقية"، ص ٥٢٥، ٥٢٦.

٨٢٤ ق.م^(١) قد جددَ بناءها وأعاد تشييدها في أثناء قيامه بتجديد أبنية معبدي آشور وعشتار، وأسوار المدينة وقد استخدم في تجديد الزقورة نحو ستة ملايين لبننة كبيرة، وطُمر في زواياها كنزاً من خرز العقيق والبلور الطبيعي ومن الأحجار الكريمة الأخرى وصفائح رقيقة من الحديد والرصاص منقوشة بكتابات مسمارية تذكر ما قام به الملك شلمانصر الثالث من أعمال بنائية مرضاة للإله آشور كما جددَ شلمانصر المعبد المشترك الخاص بأنو وأدد وبنا له باباً مصنوعاً من خشب الأرز ومكسواً بصفائح البرونز فيها صورة بارزة من مشاهد الحياة اليومية الآشورية ومآثرهم الحربية، وقد أصبح هذا البناء فيما بعد من أهم المعابد التي تُقصد للزيارة، وأما معبد آشور فيرقى تاريخه إلى فجر التاريخ ثم جرت عليه تجديدات وترميمات متعددة كان آخرها في عهد الاحتلال الفرثي وكان يُسمى (بيت كشائي)، أي (بيت العالم) كما عُرف أيضاً باسم (بيت آشور)، أو بيت شري، أي (بيت الملك) كنية للإله آشور الملك. وتذكر الكتابات المسمارية المكتشفة في المدينة أن آشور ضمت (٣٤) معبداً لآلهة الآشوريين المختلفة وإنَّ عَشراً منها كانت ضمن بناء معبد آشور الرئيس. وفي الجزء الجنوبي الشرقي من المدينة شيّد الملك (سنحريب ٧٠٥-٦٨١ ق.م) قصراً لابنه أسرحدون كما قام بإنشاء دار بالقرب من معبد آشور وأطلق على الساحة الواقعة بين هذين البنائين اسم ساحة العرض للزمر السماوية، كما يذكر ذلك في الكتابات المسمارية التي خلفها لنا وأطلق على البوابات التي شيدها أسماء شعرية عجيبة منها (الباب المتعدد الألوان) و(مدخل الزمرة السماوية) و(باب العجلة السماوية) (باب قاعة الحضور) و(باب الطريق السماوي) وشيّد خارج المدينة في الشمال الغربي منها دار الحفلات الخاصة بأشور وسط حديقة واسعة، وكانت تُقام في هذه الدار، وهي ما يُسمى ببيت أكيكو، احتفالات أعياد رأس السنة حيث ينقل تمثال آشور وتماثيل بقية الآلهة الآشورية في المدينة من معابدها إلى بيت أكيكو في موكب فخم واحتفال مهيب شبيه بالاحتفال الذي كان يجري في مدينة بابل.^(٢)

(١) الملك شلمانصر الثالث (٨٥٩-٨٢٤ ق.م): وهو أحد ملوك العصر الآشوري الحديث، حيث استلم الحكم بعد وفاة أبيه (آشور - ناصر - بال - الثاني) وتحديداً عام ٨٥٩ ق.م، وقد أثبت هذا الملك أنه كان جديراً بحكم الدولة الآشورية الواسعة التي ورثها عن أبيه، فلم يكتف بالمحافظة عليها فقط وإنما عمل على توسيع حدودها، حتى غدت تضم جميع المناطق الممتدة من الخليج العربي إلى جبال أرمينيا، ومن تخوم الأراضي الميديّة شمال غرب إيران إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط. حيث اتبع سياسة والده في قيادة الحملات العسكرية، إلى بلاد أورارتو وبلاد بابل وجنوب بلاد الأناضول وسوريا، فعبر بجيشه نهر الفرات (٢٥) مرة ومن أهم معاركه العسكرية هي معركة قرقر في عام (٨٥٣ ق.م). ضد تحالف حكام ممالك دمشق وحماة وحكم وسط سوريا وجنوبها وفلسطين وشرقي الأردن. فضلاً عن قيامه بأعمال عمرانية في العديد من المدن الآشورية منها قصره أو حصنه في مدينة كلخو، وقصره أيضاً في مدينة بلوات (إمكر - بيل). أنظر:

سليمان، عامر: "منطقة الموصل في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد، العصر الآشوري الحديث"، موسوعة الموصل الحضارية، ج ١، ص ٩٠، ٩١. كذلك ينظر أيضاً: ساكز، هاري: "قوة آشور"، ص ١١٥.

(٢) سليمان، عامر: "الآثار الباقية"، ص ٥٢٧-٥٢٨.

٢- مدينة كلخو (نمرود):

أ- موقع المدينة:

وهي ثاني العواصم الآشورية وتقع أطلالها على مسافة (٣٧ كيلومتراً) إلى الجنوب الشرقي من مدينة الموصل على الضفة الشرقية من نهر دجلة^(١).

ب- تسمية المدينة:

ورد اسم هذه المدينة في النصوص المسمارية على هيئة كلخو (Kalḫu) في حين ذكرت في كتاب العهد القديم (التوراة) باسم كالح. وبعد نهاية الدولة الآشورية اضمحلت المدينة واندرست بقاياها تدريجياً. وأما البلدانون والمؤرخون العرب المسلمون، فقد ذكروا اسمها على هيئة آشور، كما سُميت بالنمرود^(٢). ويُظن أن اسم نمرود هو تصحيف لاسم إله الحرب الآشوري ننورتا، وإن كان الاعتقاد السائد بأن نمرود كان ملكاً جباراً وطاغياً من ملوك الآشوريين حتى استخدم الاسم في اللغة العربية كصفة للدلالة على الظلم والطغيان والجبروت^(٣).

ت- أهمية المدينة:

تشير الكتابات المسمارية الكثيرة التي خلفها الملك الآشوري (آشور - ناصر - بال - الثاني) (٨٨٣-٨٥٩ ق.م) على أن المدينة كانت قد شُيّدت في عهد الملك شلمانصر الأول (١٢٧٤-١٢٤٥ ق.م). غير أن المدينة نالت شهرتها في عهد الملك آشور ناصر بال الثاني الذي قرر أن يتخذها عاصمةً لملكه منذ السنة الأولى لحكمه، وقام بأعمال تجديد فيها أيضاً، ولا تُعرف الأسباب التي دفعته إلى تغيير العاصمة وترك مدينة آشور آنذاك، فربما كان لموقع كلخو الاستراتيجي العسكري المهم أثره في اختياره مكاناً للعاصمة الجديدة. حيث نجد بأن موقع المدينة في الزاوية التي يلتقي فيها نهر الزاب الأعلى بنهر دجلة إذ يطوقها هذان النهران من ثلاث جهات، وكذلك انفتاحها على الأقوام الجبلية من جهة الشرق، مما يؤمن على الجيش الآشوري عامل السرعة والمباغلة في حال تحرك تلك الأقوام، كما يجنبهم عبور نهر دجلة في مواسم الفيضان من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية منه، كما أن موقع المدينة يتوسط المدن الآشورية الرئيسية حيث نينوى شمالاً وآشور جنوباً^(٤). فالمسافة من كلخو إلى آشور هي بحدود ٧٠ كم وإلى نينوى نحو ٣٥ كم، حيث السفر من وإلى هذه المدن الثلاث كان يستغرق يوماً أو يومين على الأغلب، وذلك بالاعتماد على الاتجاه وطريقة الرحلة^(٥). ويؤيد ذلك اتخاذ المدينة في الفترات

(١) مهران، محمد بيومي: "تاريخ العراق القديم"، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية ١٩٩٠، ص ٣٢٧.

(٢) سليمان، عامر: "الأثار الباقية"، ص ٥٢٨.

(٣) إسماعيل، عارف أحمد: "العلاقات بين العراق وشبه الجزيرة العربية منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد وحتى منتصف الألف الأول قبل الميلاد"، ص ٤٩، ٥٠.

(٤) خضر العبادي، معاذ حبش: "الحوليات الملكية في العصر الآشوري الحديث دراسة تحليلية"، ص ٩٢.

(٥) Radner. Karen, op. cit , p.324

المتأخرة من التاريخ الآشوري قاعدة عسكرية لانطلاق الحملات إلى المناطق الشمالية والشمالية الشرقية. كما كان من الممكن الوصول إلى آشور بالوسائل النهرية المُنيسرة بسهولة فضلاً عن سهولة عبور نهر دجلة في هذه المنطقة^(١). وربما كان اختيار مدينة كلخو كمركز إداري للدولة الآشورية من قبل الملك الآشوري (آشور - ناصر - بال - الثاني) جزءاً من استراتيجية متعمدة مبتكرة وذلك لتقوية موقع الملك على حساب النخب المدنية القديمة في آشور أي "طبقة النبلاء" حيث لعبت هذه الطبقة في السابق دوراً مهماً في الحياة السياسية للدولة الآشورية فيما سبق، ولكن الآن في عهد هذا الملك أصبحت العديد من المناصب الإدارية والعسكرية العليا قد خُصصت لطبقة الخصيان ذوي الأصول الغامضة، إلا أن ولائهم للملك لم يكن مشكوكاً فيه كما سيمرّ معنا لاحقاً. ومثال على ذلك المرسوم الملكي الذي عيّن كبير الخصيان المدعو "نرجال - ابيل - كومو" "Nergal-apil-kumu" للإشراف على عملية الانتقال إلى مدينة كلخو الجديدة. وهذا يدعونا إلى ترجيح الرأي بأن أولئك الذين يُبدون الحماس للملك وخططه المقررة، هم فقط من تم توطئتهم في مدينة كلخو أي "المؤيدين والموالين للملك". وبأحداث هذا النمط أو التركيبة الجديدة للسلطة، يكون الملك "آشور - ناصر - بال - الثاني" قد نجح في تغيير تركيب السلطة المعروفة في وسط الدولة الآشورية سابقاً^(٢). واستمرت أعمال التجديد والبناء في عهد الملك (آشور - ناصر - بال - الثاني) لمدة خمس سنوات ثم انتقل إليها في احتفال كبير وردت تفاصيله منقوشة على مسلته المشهورة. ويبدو أن احتفالات التدشين استمرت لمدة عشرة أيام متتالية وحضرها أعداد كبيرة من الممثلين والسفراء الأجانب والأمراء والحكام والقادة والموظفين من الآشوريين إضافة إلى أعداد كبيرة من المواطنين وقد ذكرت المسلة أن عدد الذين شاركوا بالاحتفالات بلغ (٦٩٥٧٤) شخصاً وأن الملك قدم لهم الطعام والشراب فعاشوا في سرور وحبور لمدة عشرة أيام متتالية حيث يذكر النص التالي:

"الشعب المسرور من جميع البلدان سوية، مع شعب كلخو لمدة عشرة أيام، أطعمتهم وأشربتهم وأعددت لهم الحمامات وقدرتهم ومن ثم أرسلتهم إلى بيوتهم بسلام وسرور".^(٣) وكان يُحيط بالمدينة سور دفاعي ضخم من اللبن طوله حوالي ثمانية كيلو مترات وهو ذو شكل رباعي غير منتظم ويضم مساحة من الأرض تقدر بنحو ٣,٨ كيلو متراً مربعاً. ويحاذي المدينة من الغرب نهر دجلة، وقد كشفت التنقيبات عن أن الضلع الغربية من سور المدينة كانت قد شُيّدت على شكل مُسناة لمقاومة تيار المياه، ويبلغ ارتفاع بقايا المُسناة حوالي (٢٦) قدماً عن مستوى قاع مجرى نهر دجلة القديم المحاذي للمدينة ثم غير دجلة مجراه باتجاه الغرب وهو يجري حالياً على بعد كيلو مترين تقريباً غربي سور المدينة الآشورية. وأمّا من الجنوب، فتحاذي المدينة قناة النُكوب وهي قناة (باتي) القديمة

(١) سليمان، عامر: "الآثار الباقية"، ص ٥٢٩.

(٢) Radner.Karen, loc. cit. p.325.

(٣) Wiseman, D. J., Iraq, XI, pp. 24-44.

التي كان الملك الآشوري (آشور ناصر بال) قد حفرها وربط بواسطتها بين الزاب، على بعد (١٢) كيلو متراً، وبين المدينة، فزاد ذلك من تحصين المدينة.^(١)

ث - عمليات التنقيب في المدينة ونتائجها:

بدأ تاريخ التنقيب في هذه المدينة مع الباحث (ليرد) الذي كان أول من نفّذ في المدينة بين عامي (١٨٤٥ و ١٨٥١م)، ثم أعقبه (هرمز رسام) عام (١٨٥٣م)، وأما (لوفتس) فقد عمل في المدينة بين عامي (١٨٥٤ و ١٨٥٥م)، وبعد عشرين سنة استأنف (سميث) التنقيب في المدينة وأعقبه رسام كذلك ثم توقف العمل ثانيةً ولفترة طويلة حتى باشرت البعثة البريطانية عملها في الموقع عام (١٩٤٩م) واستمرت لعدة مواسم. وفي السنوات الأخيرة تولّت مديرية الآثار العامة العراقية أعمال التنقيب والصيانة في المدينة وهي لا تزال تعمل فيها، حيث تمّ الكشف عن معظم الأبنية والقصور التي كانت البعثات الأجنبية قد نقبت فيها ثم تركتها دون صيانة فتراكمت عليها الأتربة وعادت فانطمرت تحتها. وتُشير التنقيبات التي تمت في نمرود إلى أنّ موقع المدينة كان في الألف الثالث ق.م مستوطناً صغيراً حيث ترك سكان ذلك المستوطن بعض الآثار المُتمثلة بالكسر الفخارية وبعض السهام. كما عُثر في إحدى المناطق المرتفعة من المدينة على قبر يدلّ على أنّه يعود إلى العصر البابلي القديم (في حدود ١٧٥٠ ق.م)، وفي الزاوية الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية يقوم مُجمّع الأبنية، أو المدينة المرتفعة (الأكروبوليس)، الذي ضمّ القصور والمعابد ودور السكن وقد أُقيم المُجمّع على مصطبة من اللبن ترتفع عن مستوى النهر بأكثر من أربعين قدماً وتبلغ مساحتها (٨٠٠ × ٤٠٠ م^٢)، وهي مُحصنة بسورٍ ثانٍ وهو السور الداخلي، وكانت دور السكن مُشيّدة في بادئ الأمر في هذا الجزء من المدينة إلا أنّ توسع المدينة الداخلية وازدياد عدد السكان دفعا إلى تشييد دور السكن في المساحة المحصورة بين السور الخارجي والسور الداخلي. كما قام بعض الملوك بتشديد عدد من الأبنية العامة في المساحة المحصورة بين السورين أيضاً، وكُشف عن ثلاثة من هذه الأبنية. وأما المساحة المتبقية فقد استغلها الملك الآشوري (آشور - ناصر - بال - الثاني) لتجميل المدينة فأقام فيها الحدائق والمتنزهات وأسس فيها حديقةً للحيوانات والنبات جمع فيها مختلف أصناف الحيوانات والنباتات المُتيسرة في المناطق التي وصلت إليها الجيوش الآشورية. ويمكن الوصول إلى المدينة الداخلية بشوارع وممرات تؤدي إلى مداخل السور الداخلي، وقد أمكن التعرف على أحد هذه الشوارع في الجزء الشرقي من السور الداخلي وتبين أنّه كان مرصوفاً بالحجارة ويرتفع تدريجياً إلى أن يصل إلى المدينة المرتفعة حيث ينتهي بمدخل ذي ممرين زُيّن بالأسود الضخمة ويستمر الشارع إلى داخل المدينة حيث يُحيط به القصور والمعابد ويؤدي في النهاية إلى ساحة المدينة الكبرى. وكان السور الداخلي ذا شكل مستطيل تقريباً تتخلله عدة

(١) سليمان، عامر: "الآثار الباقية"، ص ٥٣٠.

بواباتٍ ويرتفع إلى ما يقرب من سبعة عشر متراً في حين يبلغ سمكه حوالي (٣٧) متراً.^(١) وقد أمكن التعرف حتى الآن على تسعة من المعابد التي كانت قد شُيّدت في المدينة المرتفعة وعدد من القصور الملكية. وأمّا المعابد، فكان معبد ننورتا إله الحرب والصيد عند الآشوريين، أقدم هذه المعابد حيث يرقى بتاريخه إلى القرن التاسع قبل الميلاد، وقد كُشف فيه عن عدد من الغرف والمرافق وكان قسم منها مُزخرفاً ومُزيناً بالألواح زخامية وعُثر في بعضها على جرار فخارية كبيرة موسومة بختم الملك آشور ناصر بال وقد زُيّن مدخل المعبد بالأسود المُجَنَّحة. إلى جانب هذا المعبد تقوم الزقورة، وهي صرح مُدرج يبدو حالياً على شكل مخروطي ارتفاع بقاياه (١٧) متراً. وكانت جدران الزقورة من الخارج مُغلقة بالأحجار المهندمة وفوقها غلاف من الطابوق عليه كتابات باسم شلمانصر الثالث الذي أكمل بناءها والذي كان والده آشور ناصر بال الثاني قد بدأه. وأمّا معبد عشتار، إلهة الحب والحرب عند الآشوريين، فيقع إلى الشرق من الزقورة، وقد زُيّن مدخله هو الآخر بالأسود المجنحة. وفي الزاوية الجنوبية الشرقية بقايا معبد نابو الذي كانت سميرا اميس (شمورامات) قد شُيّدت^(٢). ويعد قصر (آشور - ناصر - بال - الثاني)، الذي عُرف لدى المُنقبين بالقصر الشمالي الغربي، أهم بناء ملكي مكتشف في كلخو وتبلغ مساحة الأرض التي أُقيم عليها نحو (٢٠٠ × ١٣٠ متراً)^(٣). وتتألف من ثلاثة أجنحة، الجناح الشمالي الذي كان قد خُصص للإدارة والجناح الأوسط الخاص بالتشريفات الملكية والجناح الجنوبي الشرقي الخاص بالسكن والحريم^(٤). ولعل من أهم ما يُشاهده الزائر الآن هو النيران المجنحة التي تُزيّن مداخل القصر والمؤدية إلى قاعة العرش. وكان الآشوريون يتصورون أن هذه التماثيل التي تمثل كائنات خرافية مركبة كانوا يسمونها (لَمَاسُو) (Lamassu)^(٥)، تعمل على طرد الأرواح الشريرة وحماية القصر أو المدينة منها. كما يلفت انتباه الزائر للقصر قبل أن يدخل إلى قاعة العرش، مَسَلَّة آشور ناصر بال الثاني الشهيرة حيث نُقلت المسلة إلى متحف الموصل ووضع مكانها نموذج جبسي. وهي ذات شكل مكعب تقريباً ويظهر على أحد أوجهها نحت بارز للملك ورموز الآلهة في حين نُقشت

(١) سليمان، عامر: "الآثار الباقية"، ص ٥٢٩، ٥٣٠.

(٢) سليمان، عامر: "الآثار الباقية"، ص ٥٣١، ٥٣٢.

(٣) لويد، سيتون: "آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي"، ترجمة: محمد طلب، دار دمشق للطباعة والنشر، ط ١، دمشق ١٩٩٢م، ص ٢٦٩.

(٤) Mallawan, M. E. L, "Nimrud and its Remains", Vol. II, London 196, p.60.

(٥) (لَمَاسُو) (Lamassu): وهي عبارة عن منحوتات تصور مخلوقات خرافية غريبة جمع فيها الفنان الآشوري بين جسم الثور أو الأسد وبين الرأس الإنساني وجناحي النسر، وكانت هذه المنحوتات تزيّن مداخل القاعات والقصور والبوابات الرئيسية في المدن ظناً من الآشوريين بأنها الملاك الحارس الذي يحمي سكان القصر أو المدينة من كل الشرور. كما تعد هذه المنحوتات من أضخم المنحوتات التي أنجزها النحاتون الآشوريون وهي في الواقع تمثل منحوتات معمارية، قامت بوظيفة معمارية فضلاً عن كونها منحوتات زُيّنت المداخل. أنظر:

سليمان، عامر: "الآثار الباقية"، ص ٥٤٤.

جميع الوجوه بكتابات مسمارية تحكي لنا أعمال الملك سنحريب العسكرية والعمرانية وتدشينه المدينة. كما يمكن مشاهدة ألواح الرخام الرائعة التي تُغلف جدران قاعات العرش والغرف والقاعات الأخرى التابعة للقصر وقد نُحتت بمختلف المشاهد العسكرية والدينية واليومية، وقد نُقلت معظم المنحوتات إلى المتحف البريطاني ولا يزال بعضها الآخر موجوداً في الأماكن الأصلية. وقد قامت دائرة الآثار والتراث بإعادة صيانة أجزاء مهمة من القصر وهي مستمرة في أعمالها لصيانة الأجزاء المتبقية. ومن الآثار المهمة التي تم الكشف عنها في القصر العاجيات التي نالت شهرة واسعة ولاسيما القناع الذي يمثل وجه فتاة والذي سمّاه المنقبون (بمونوليزة النمروذ) وكانت معظم القطع العاجية قد عُثِرَ عليها في الآبار التي تم الكشف عنها والنزول إليها والواقعة في الجناح الأوسط^(١).

ومن القصور الأخرى المكتشفة قصر الملك الآشوري (أدد نيراري الثالث) (٨٠٩-٧٨٢ ق.م)^(٢) ابن الملكة (شمو - رامات) (سميراميس) الواقع إلى الجنوب من القصر الشمالي الغربي، والقصر المركزي الواقع في وسط المدينة شيده آشور ناصريال الثاني وأضاف إليه شلمانصر الثالث. وأمّا القصر الجنوبي الغربي الذي كان الملك الآشوري أسرحدون قد شيده (٦٨٠-٦٦٩ ق.م)^(٣)، ويبدو أن

(١) سليمان، عامر: "الآثار الباقية"، ص ٥٣١، ٥٣٢.

(٢) (أدد نيراري الثالث) (٨٠٩-٧٨٢ ق.م): جاء بعد الملك شمشي - أدد - الخامس ابنه الملك أدد - نيراري - الثالث، وكان هذا الأخير قاصراً عند وفاة أبيه، فتولت الملكة شمو رامات، زوجة الملك شمشي - أدد - الخامس ووالدة الملك أدد - نيراري - الثالث الوصاية عليه، وقد حكمت الدولة الآشورية نيابةً عن ابنها مدة خمس سنوات. وبعد انقضاء مدة الوصاية تولى الملك أدد نيراري - الثالث السلطة الفعلية وأظهر قدراً من الكفاءة وقوة الشخصية، وكذلك مزايا ومؤهلات ممتازة، حيث نجح في إعادة هيكلة الدولة الآشورية، وذلك بفرض سيطرته على العديد من المقاطعات التي كانت الدولة الآشورية قد فقدت السيطرة عليها من قبل، وخاصةً على الجهة الغربية. أنظر:

برنكمان، جي، أي: "علم تأريخ وتقويم العصر التاريخي لبلاد ما بين النهرين، بلاد ما بين النهرين"، ص ٤٦١. كذلك ينظر أيضاً: باقر، طه: "مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة"، ج ١، ص ٥٠٧.

(٣) (أسرحدون) (٦٨٠-٦٦٩ ق.م): وهو أحد ملوك العصر الآشوري الحديث استلم الحكم بعد مقتل أبيه (سنحريب)، وقد واجه هذا الملك في الجهة الشمالية والشمالية الغربية القبائل السكيثية والقبائل الكيميرية للحد من توغلها داخل الأراضي الآشورية، مما أدى إلى وقوع صدامات بينهم وبين القوات الآشورية، كما أحكم سيطرته على الساحل السوري وفينيقيا، ومن ثم بدأ يخطط لمرحلة جديدة ترمي للسيطرة على مصر وذلك لتدخلها وتحريضها المستمر والمتواصل للمدن والأقاليم التابعة للآشوريين في سوريا. وفي عام (٦٧٩ ق.م) قام بغزو مصر، حيث عُدت حملاته العسكرية على مصر من أهم الإنجازات العسكرية لهذا الملك، فضلاً عن قيامه بالعديد من الأعمال العمرانية في مدن آشورية ومثال على ذلك بناء قصر له في مدينة نينوى سمّى بقصر "إكل مشراتي". كما اتسمت سياسته اتجاه بلاد بابل باللين والترضية. أنظر:

ساكر، هاري: "قوة آشور"، ص ١٥١-١٥٤. كذلك ينظر أيضاً: برنكمان، جي، أي: "علم تأريخ وتقويم العصر التاريخي لبلاد ما بين النهرين، بلاد ما بين النهرين"، ص ٤٦٢.

أُسرحدون كان قد نقل العديد من المنحوتات من القصور الأخرى القديمة لاستخدامها ثانيةً في قصره الجديد، كما يبدو أن بناء القصر لم يكتمل بسبب وفاة الملك. وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من المدينة بقايا قصر (آشور - إطللي - إيلاني) (٦٢٥-٦٢١ ق.م) حيث تقع معظم أجزائه تحت القرية الهلنستية، وهي بقايا استيطان السكان في الفترة السلوقية، وفي الجهة الغربية من المدينة بقايا قصر سرجون الثاني الذي دعاه المنقبون (بالقصر المحروق)، وإلى الشمال من هذا القصر بقايا قصر الحاكم الذي يُظن أنه يعود إلى الملك (أدد - نيراري - الثالث)، وفي الزاوية الشمالية الشرقية كُشف عن بقايا عدد من البيوت السكنية. وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من المدينة الكبيرة كُشف عن بقايا ما يُسمى لدى المنقبين (بحصن شلمانصر) (٨٥٨-٨٢٤ ق.م) ويضم الحصن قصراً كبيراً للملك يتألف من خمس وحدات بنائية متناظرة كل منها يضم عدداً من الغرف والمخازن والحمامات تحيط بساحة وسطية^(١). وظلت المدينة عاصمةً للدولة الآشورية في عهد شلمانصر الثالث (٨٥٨-٨٢٤ ق.م) الذي أقام فيها أبنيةً جديدةً ثم انتقلت العاصمة بعده إلى نينوى وآشور في حين ظلت كلخو تُستخدم قاعدةً عسكريةً للجيش الآشوري وشُيّدت فيها بعض المباني الجديدة في عهد الملك (أدد - نيراري الثالث ٧٨٢-٨١٠ ق.م) وتجلات بلاصر الثالث (٧٤٥-٧٢٧ ق.م)^(٢) وأسرحدون (٦٨١-٦٦٦ ق.م) وأخيراً، لاقت المدينة مصيرها المؤلم على أيدي الجيوش الغازية وذلك عام (٦١٤ ق.م) فهُجرت المدينة تدريجياً وانهارت أبنيتها وتراكمت عليها الأتربة.^(٣)

(١) عبد الله، أمين آغا، وميسر، سعيد العرافي: "تمرود"، بغداد ١٩٧٦م، ص ١١٥.

(٢) تجلات بلاصر الثالث (٧٤٤-٧٢٧ ق.م): يعد هذا الملك أول ملوك الدولة الآشورية في فترتها الثانية من العصر الآشوري الحديث ومؤسسها، حيث تولى حكم الدولة على إثر ثورة داخلية اندلعت على سلفه الملك آشور - نيراري الخامس في مدينة كلخو. وقد أحدث هذا الملك تغييراً جوهرياً في العلاقات بين السلطة المركزية الآشورية والممالك والدويلات الموجودة في سوريا، فقد استبدل النهج الذي كان مُتبَعاً والمتمثل بتكرار الحملات العسكرية السنوية، واستلام الآتاوات وهدايا الولاة من المدن والممالك السورية إلى سياسة السيطرة الكاملة للمناطق ودمجها مع حدود الدولة الآشورية كمقاطعات يدير شؤونها موظفون آشوريون. كما شهد عهد هذا الملك أقصى توسع حققته الدولة الآشورية وقد مهد ذلك للقيام بإصلاحات واسعة في الجيش ونظام إدارة الدولة، ولهذه الأسباب عُدَّت مدة حكم هذا الملك بداية دور جديد في العصر الآشوري الحديث، إذ تميزت الدولة الآشورية الحديثة في هذه الفترة بالقوة واتساع الرقعة. أنظر إلى كل من: برنكمان، جي، أي: "علم تأريخ وتقويم العصر التاريخي لبلاد ما بين النهرين، بلاد ما بين النهرين"، ص ٤٦٢. وأيضاً: باقر، طه: "مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة"، ج ١، ص ٥١٠-٥١١، وكذلك: ساكز، هاري: "قوة آشور"، ص ١٢٥.

(٣) مهران، محمد بيومي: "تاريخ العراق القديم"، ص ٣٢٨.

٣- مدينة نينوى:

أ- موقع المدينة:

تقع مدينة نينوى على الجانب الشرقي من نهر دجلة قبالة مدينة الموصل القديمة، ويحيط بالمدينة سور كبير وبقايا لتلّين أثريين:

الأول يقع إلى الشمال من نهر الخوصر^(١) ويُعرف (بتل قوينجق)، والثاني يعرف (بتل النبي يونس عليه السلام).^(٢) وكانت في الأزمنة القديمة تطل على شاطئ النهر، لذا أطلق على أحد أبوابها وهو من الأبواب المكتشفة اسم (باب المسقي)، وشيّد السور المحاذي لها على شكل مُسناة لمقاومة تيار الماء، إلا أن تغيير مجرى النهر المستمر أبعداها عن شاطئها بمسافة تزيد عن كيلومتر في الوقت الحاضر. ونتيجةً للتوسع العمراني الكبير الذي شهدته مدينة الموصل في قسَميّها الواقِعَين على شاطئ النهر، فقد طوّقت الأبنية الحديثة مدينة نينوى وامتد البناء إلى داخلها أيضاً على الرغم من محاولات دائرة الآثار والتراث المستمر منع ذلك، وغدت نينوى الآشورية بأسوارها وآثارها جزءاً من مدينة الموصل الحالية. وكان لموقع نينوى في العصور القديمة أهمية تجارية واستراتيجية كبيرة حيث إنها تتوسط بلاد آشور وتقع عند ملتقى الطرق التجارية التي تصل بلاد بابل ببلاد الشام وسواحل البحر الأبيض المتوسط وآسيا الصغرى، وقد حافظت المنطقة على ازدهار مدينة الموصل على مر العصور.^(٣)

ب- تسمية المدينة:

اسم نينوى هو اسم قديم يكتنف أصوله كثير من الغموض، وهناك اسم مماثل له ورد في النصوص المسمارية وأشير به إلى إحدى مقاطعات مدينة لكش السومرية التي ترقى بتاريخها إلى النصف الأول من الألف الثالث ق.م كتبت على هيئة (نينأ أ) (Ninna-a)، ويرتبط هذا الاسم باسم الإلهة السومرية (نينأ). كذلك فقد ورد اسم نينوى في الكتابات المسمارية مكتوباً بعلامة مسمارية مركبة من علامتين ربما تعني الأولى منها، موطن، أو مسكن، في حين تعني الثانية المكتوبة في وسط الأولى، سمكة أو حوت (نينو) (ninnu). كما أن لفظ اسم المدينة على هيئة (نينو) (Ninnua) يمكن

(١) (نهر الخوصر أو الخوسر): وهو أحد روافد نهر دجلة الفرعية يمثل مجرى مائي يجري وسط مدينة نينوى ويشطرها إلى نصفين ويصب في دجلة، وقد ورد ذكر نهر الخوصر بصيغة "خورزرو" في مدونات الملك الآشوري سنحريب (٧٠٤-٦٨١ ق.م) الذي قام بحفر قناة من هذا النهر إلى نينوى تُعرف بقناة جروان. أنظر: أوبنهايم، ليو: "بلاد ما بين النهرين"، ترجمة: سعدي فيضي عبد الرزاق، دار الرشيد للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨١م، ص ٥٢.

(٢) صالح الحديدي، أحمد خلف زيدان: "علاقات بلاد آشور مع الممالك الحثية الحديثة في شمال سورية (٩١١-٦١٢ ق.م)"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل ٢٠٠٥م، ص ٥.

(٣) سليمان، عامر: "الآثار الباقية"، ص ٥١٧.

أن يُفسَّر على أنَّ القسم الأول منه، وهو نينوى، يعني حوت أو سمكة في اللغة الأكديّة والمُقابلَة للكلمة العربيّة (نون) في حين يُمثِّلُ الجزء الأخير منه، وهو حرف العلة، حرف الجر باللغة السومريّة بمعنى (في) ومعروف أنَّ اللغتين السومريّة والأكديّة عاشتا جنباً إلى جنب واستخدمتا كلاهما أساليب عديدةً واقتبست منها الشيء الكثير. وفي العهد القديم، (سفر يونا، أُشير إلى أنَّ يونا، وهو صاحب الحوت (ذو النون)، كان قد أرسلَ إلى مدينة نينوى، المدينة العظيمة^(١)).

ت - أهمية المدينة:

تُعدُّ مدينة نينوى إحدى أشهر مدن العالم القديم وثالثَ العواصم الآشورية من حيث التسلسل الزمني، كان تأثيرها في العالم القديم عامة وبلاد وادي الرافدين بوجهٍ خاصٍ كبيراً جداً. ذكرتها الكتب القديمة، ومنها كتاب العهد القديم بأنها (المدينة العظيمة) (سفر يونا، الإصحاح ١-٤)، وتحدث عنها المؤرخون والبلدانيون العرب، ومنهم (ابن حوقل) من القرن الرابع الهجري حيث قال:

"بأن آثارها بيّنةٌ وأحوالها ظاهرةٌ وسورها مُشاهدة"^(٢). وذكرها الرحالة الأوربيون الذين زاروا الشرق منذ القرن الثاني عشر الميلادي فقال عنها (بنيامين التيطلي) (١١٦٥-١١٧٣م) بأنها:

"أطلال دارسة تكثرُ حولها القرى والضياع على نهر دجلة". كما ذكرها (بترو لافيل) (١٦١٦-١٦٢٥م)، وكانت تلك الإشارات وغيرها من أسباب تحفيز الباحثين الأجانب للاهتمام بآثارها وبقاياها^(٣).

ث - عمليات التنقيب في المدينة ونتائجها:

بدأ هواة جمع الآثار والكنوز القديمة في بداية القرن التاسع عشر الميلادي يتوافدون إلى المنطقة للبحث عن الكنوز المدفونة، وكانت مدينة نينوى مسرحاً لعمليات التنقيب والحفر من قبل المنقبين الهواة من الانكليز وغيرهم، وكُشف نتيجة ذلك عن آثارٍ كثيرةٍ ومبانٍ واسعةٍ زادت من اهتمام الهيئات والمؤسسات العلمية الأجنبية والعراقية حتى يومنا هذا، وكُتبَ عن المدينة وبقاياها وآثارها المكتشفة العديد من الكتب والبحوث واحتلت مكان الصدارة بين مدن بلاد وادي الرافدين القديمة حتى فاقت شهرتها في الوقت الحاضر ما كانت تتمتع به من شهرة في التاريخ القديم^(٤).

(١) سليمان، عامر: "الآثار الباقية"، ص ٥١٧.

(٢) مظلوم، طارق عبد الوهاب: "نينوى في ضوء التنقيبات الأثرية"، مجلة سومر، مجلد ٢٤، بغداد ١٩٦٨م، ص ١٣٥-١٤٠.

(٣) سليمان، عامر: "الآثار الباقية"، ص ٥١٦.

(٤) سليمان، عامر: "نتائج حفريات جامعة الموصل في سور نينوى الشمالي"، مجلة آداب الرافدين، ج ١، ١٩٧١م، ص ٩٥-٩٧.

تتكون أطلال مدينة نينوى في الوقت الحاضر من تلين رئيسيين هما: تل النبي يونس^(١) وتل قوينجق^(٢)، يُبطنان داخلهما بقايا القصور والمعابد الآشورية وغيرهما من المباني العامة، ويحيط بالتلين سلسلة من التلال قليلة الارتفاع نسبياً طولها اثنا عشر كيلومتراً تقريباً تؤلف شكل شبه منحرف أقصر أضلاعه في الجنوب وأطولها في الشرق، تغطي بقايا سور المدينة ويتخلل تلك الأسوار انخفاضات وارتفاعات واضحة تُشير إلى أماكن بوابات المدينة الخمسة عشرة. وبموازاة الضلع الشرقية من الخارج هناك آثار خندق كبير كان قد حفره الآشوريون ليكون خطاً دفاعياً ضد الغزاة القادمين من جهة الشرق وكدسوا الأتربة على الجانب الشرقي من الخندق على هيئة حائل ترابي ضخم لازالت بقاياه ظاهرة حتى الآن على جانبي الطريق الحديث المؤدي إلى مدينة الزهور الحديثة. وبين التلين الرئيسيين وسلسلة التلال المحيطة بهما مساحات واسعة من الأراضي المنبسطة التي كانت تتوزع فيها الدور السكنية وبعض الأبنية العامة إضافة إلى الساحات والحدائق العامة والشوارع. وكانت أعمال المنقبين الأوائل مقصورة على تل قوينجق باستثناء بعض الأنفاق الجانبية في تل النبي يونس وذلك بسبب وجود مرقد وجامع النبي يونس على التل ووجود مقبرة حديثة واسعة على أقسامه الشرقية ووجود دور سكنية كثيرة حول الجامع لا يزال معظمها قائماً حتى الآن. وتعمل دائرة الآثار والتراث جاهدة على استملاك هذه الدور كما أنها منعت استخدام المقبرة تمهيداً لفسح المجال أمام المنقبين للعمل فيها والكشف عن القصور والمعابد المطمورة تحتها. وتُشير التحريات الأثرية التي تمت في المدينة إلى أن الموقع كان من قرى عصور قبل التاريخ في الألفين الخامس والرابع ق.م، فقد عُثر على آثار تلك العصور، ومنها الفخاريات الكثيرة، في الطبقات السفلى من نينوى كما تُشير التنقيبات إلى استمرار السكن في المدينة في الأدوار التالية، وعُثر في المدينة على آثار تعود إلى العصر الأكدي وعصر سلالة أور الثالثة

(١) (تل النبي يونس): يقع هذا التل في القسم الجنوبي الشرقي من مدينة نينوى، ويقع بمحاذاة سور نينوى الغربي، كما يضم التل قصراً للملك الآشوري أسرحدون والذي يدعى "إكل مشراتي"، إضافة لعددٍ من القلاع شيدها ملوك آشوريين آنذاك، فضلاً عن بعض الأبنية والمعابد. أنظر:

صالح، قحطان رشيد: "الكشّاف الأثري في العراق"، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨٧م، ص ٢٦. وأما عن تسميته "بتل النبي يونس" فهي نسبة إلى مرقد "النبي يونس عليه الصلاة والسلام"، والجامع المشيد فوقه وقد ذكر في المصادر العربية القديمة بأنه كان يُسمى تل توبة. أنظر: معجم البلدان لياقوت الحموي والكامل لابن الأثير ورحلة ابن جببر، ص ٢١١، في حين سمّاه ابن بطوطة بتل يونس ج ١، ص ١٤٨.

(٢) (تل قوينجق): يقع هذا التل في الجزء الشمالي الغربي من مدينة نينوى الأثرية، وأما شكله فهو بيضوي، كذلك يزيد ارتفاعه عن السهل المجاور له نحو (١٣م)، ويبلغ طوله (١كم) وعرضه (نصف كم). أنظر:

مظلوم، طارق عبد الوهاب، ومهدي، محمد علي: "نينوى"، بغداد ١٩٧١م، ص ١٨. وأما عن تسميته "بتل قوينجق" فهي كلمة تركية الأصل لعلها مركبة من كوي أو قوي بمعنى قرية، وانج أو انجيك وهم جماعة من التركمان استقروا في المنطقة وسكنوا بالقرب من التل، ويرى البعض أن الكلمة التركية تعني "مذبح الغنم"، ويعرف حالياً بوادي الدملمجة وهو اسم من أصل تركي. أنظر: سليمان، عامر: "الآثار الباقية"، ص ٥٤٦.

(النصف الثاني من الألف الثالث ق.م) ومن بين الآثار المهمة من العصر الأكدي رأس بالحجم الطبيعي مصنوع من البرونز لملك أكدي يُظنُّ أنه سرجون أو حفيده نرام - سين، وبرزت مدينة نينوى واحتلت مكانة خاصة منذ أن اتخذها الملك الآشوري (تجلات بلاصر الأول) (١١١٥-١٠٧٧ ق.م) عاصمةً لملكه، ووصلت المدينة قمة مجدها وازدهارها في عهد الدولة الآشورية الحديثة الثانية ولاسيما في عهد الملك سنحريب (٧٠٥-٦٨١ ق.م)^(١) وابنه أسرحدون وحفيده آشور بانيبال (٦٦٩-٦٢٧ ق.م)^(٢). وتعود معظم الأبنية والآثار المكتشفة في المدينة إلى عهود هؤلاء الملوك الثلاثة. وكانت نهاية نينوى السياسية عام ٦١٢ ق.م، على أيدي الجيوش الميديّة والكلدية، غير أنها ظلت بلدة

(١) (الملك سنحريب) (٧٠٥-٦٨١ ق.م): وهو أحد ملوك العصر الآشوري الحديث وابن الملك (شروكين الثاني)، كان قد اعتلى العرش بعد وفاة والده، وبالنسبة لنشاطاته العسكرية فكانت موجهةً بالدرجة الأولى إلى الجبهة الغربية والجبهة الجنوبية (سوريا وبلاد بابل)، وأمّا الجبهتين الشمالية والشرقية اللتين صرف فيهما والده جهوداً كبيرةً فقد سادهما شيئاً من الهدوء والاستقرار النسبيين. ولجأ سنحريب إلى تدمير مدينة بابل ودك حصونها وقصورها وسلط مياه نهر الفرات على أنقاضها، بعدما أرهقته المشكلة البابلية والاضطرابات التي سببها الكلدونيون فيها في عام ٦٨٩ ق.م، وقام بفتح بابل بعد حصار دام تسعة أشهر، وبذلك عانت مدينة بابل أعنف تدمير شهدته خلال تاريخها القديم. كما أنه قام بهجر مدينة دور شروكين واتخذ من مدينة آشور عاصمةً له. ثم قام بعد ذلك ببناء قصر في مدينة نينوى سُمي "بالقصر الذي لا مثيل له" بالإضافة إلى قيامه بالعديد من الحملات العسكرية وضم العديد من الممالك والمدن إلى دولته. أنظر:

باقر، طه: "مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة"، ج ١، ص ٥١٧-٥١٩. وأيضاً: برنكمان، جي، أي: "علم تاريخ وتكوين العصر التاريخي لبلاد ما بين النهرين، بلاد ما بين النهرين"، ص ٤٦٢.

(٢) (الملك آشور بانيبال) (٦٦٩-٦٢٧ ق.م): خلف الملك أسرحدون ابنه الملك آشور بانيبال حيث سارع هذا الملك بعد اعتلائه العرش، إلى إعادة غزو مصر التي كانت قد ثارت في أواخر حياة والده فجهز حملةً عسكرية في العام ٦٨٨ ق.م، ضدها وكانت الحملة برية وبحرية شاركت فيها فرق من سوريا وتمكن الجيش الآشوري من فتح مدينة منف والوصول إلى طيبة. كما تمكن هذا الملك من إخضاع سوريا والساحل الفينيقي في الجبهة الغربية وجعلها تحت النفوذ الآشوري، وأمّا بالنسبة للجبهة الشرقية فقد تمكن من أن يخضع حُكّام ممالك ميديا= وأورارتو لنفوذه، فقد أجبرهم على دفع الأتاوات السنوية، إلا أنه لم ينس العدو اللدود الرئيس للدولة الآشورية ألا وهو بلاد عيلام في الجنوب الشرقي. وأمّا في الجبهة الشرقية والشمالية الشرقية فقد وجه الملك آشور بانيبال عدة حملات عسكرية تأديبية ضد حشود القبائل الميديّة والسكيثيّة والكميريّة التي اتحدت فيما بينها وأخذت تهدد طرق التجارة الآشورية، وذلك لإعادة السيطرة الآشورية عليها. كذلك اشتهر آشور بانيبال بأعماله العمرانية، ومنها بناء قصر في مدينته نينوى سُمي بالقصر الشمالي، كما اشتهر بعنايته بالعلوم والمعارف فقد كانت مكتبته التي اكتشفت خير شاهد على ذلك أنظر:

سليمان، عامر: "منطقة الموصل في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد، العصر الآشوري الحديث"، ص ١٠٣، ١٠٤. وأيضاً: الدوري، رياض عبد الرحمن أمين: "آشور بانيبال سيرته ومنجزاته"، بيت الحكمة، ط ١، بغداد ٢٠٠١م، ص ١٤٢.

بسيطة في الفترات التالية لاسيما في فترة الاحتلال الفرثي كما أُشير إلى ذلك في حينه، وكان من نتائج التنقيبات التي أُجريت في المدينة أن تم الكشف عن معظم القصور والمعابد الآشورية بما فيها من منحوتات وتماثيل ومسلات ولقى أثرية أخرى كثيرة، كما كُشف عن مكتبة آشور بانيبال الرائعة في بعض أجنحة قصره وقصر والده، وقد ضمت المكتبة أكثر من خمسة وعشرين ألف رقيم طيني فكانت بذلك من أروع ما تم الكشف عنه من آثار. وعلى الرغم من هذه المكتشفات الرائعة فإن بعثات التنقيب تركت المدينة لعوامل الطبيعة القاسية وعبث العابثين بعد أن سلبتها آثارها وكنوزها، فانهارت الأتربة على القصور والمعابد المستظهرة فاندثرت ثانية حتى غدا من الصعب معرفة أماكنها دون الاستعانة ببعض الخرائط والمخططات التي رسمها المنقبون الأوائل.^(١) وتؤكد التنقيبات التي أجرتها دائرة الآثار وجامعة الموصل صحة ذلك حيث تبين بأن طول السور الذي يحيط بالمدينة يبلغ حوالي (اثني عشر كيلو متراً) وأن السور مؤلف من قسمين رئيسيين شُيّد القسم الأول منهما باللبن في حين يكون القسم الثاني غلافاً حجرياً من الخارج شُيّد بالحجر المهندم. وأمّا الغلاف الحجري، فيبلغ سمكه ثلاثة أمتار ونصف المتر تقريباً وقد تم بناؤه بقطع ضخمة من الصخر (الحلّان) الموجودة في المنطقة بالأسلوب نفسه الذي اتُبع في مدينة الموصل، ولا يزال متبعاً أحياناً في بناء الدور الضخمة ويُعرف (بالبازي). ويرتفع السور إلى ما يقرب من سبعة أمتار ويعطوه صف من الحجارة المُسنّنة التي تأخذ شكل المثلث تقريباً أُعدت لحماية الجند المدافعين والسماح لهم في الوقت نفسه النظر من خلال أسنان الحجارة إلى الأعداء وتوجيه سهام والقذائف لهم، ويتخلل الغلاف الحجري أبراج تبرز عن الجدار قليلاً وترتفع عنه، وهي مفتوحة إلى الداخل وتعلوها حجارة مُسنّنة أيضاً ويُرقى إليها من الداخل بدرجيتين وقد شُيّدت هذه الأبراج لتسهيل مهمة المدافعين من توجيه سهامهم وقذائفهم على الأعداء. وقد تبين أن بعض أجزاء الضلع الغربي قد تم بناؤه على هيئة مُسناة لوقوعه على شاطئ النهر.^(٢)

أمّا القسم الثاني من السور، فقد استخدم في بنائه اللبن المُجفف بالشمس ويبلغ سمك هذا الجزء من السور في أضيق منطقة فيه ما يزيد عن خمسة عشر متراً، ويصل العرض إلى أكثر من أربعين متراً أحياناً. أمّا ارتفاعه فلا يمكن تحديده بشكل دقيق وذلك لعدم بقاء أي جزء منه على هيئته الكاملة كما لم يكشف بعد عن منحدر أو درج كامل يؤدي إلى أعلى السور يمكن بواسطته احتساب الارتفاع. ويلتصق سور اللبن بالغلاف الحجري باستثناء الجزء العلوي من الغلاف حيث يفصل بينهما ممر ضيق يبلغ عرضه ثلاثة أمتار أُعدّ لسير الجند والعربات الصغيرة. ويتخلل سور اللبن أبراج أخرى ضخمة شُيّدت باللبن أيضاً ترتفع عن مستوى سطح السور ارتفاعاً كبيراً ربما كان يوازي ارتفاع الأبراج المحيطة بالبوابات والتي أُقيمت فوق قاعات الحرس، وقد بلغ ارتفاع هذه الأبراج في بوابة أدد (١٧,١٠)

(١) سليمان، عامر: "الآثار الباقية"، ص ٥١٧-٥١٩.

(٢) مظلوم، طارق: "تينوى في ضوء التنقيبات الأثرية"، مجلة سومر، العدد (٢٣)، ١٩٦٧م، ص ١٣٥-١٣٧.

متراً) عن مستوى الأرض المجاورة المرتفعة بطبيعتها عن مستوى الأراضي القريبة وهكذا كانت هذه الأبراج تؤلف خطاً دفاعياً إضافياً يحمي المدينة من الأعداء المهاجمين.

وفي الأربعينات من القرن العشرين الفاتت عملت مديرية الآثار القديمة آنذاك على إعادة بناء بوابة (نرجال)^(١) في الضلع الشمالي من السور، وفق مخطط تخيلي وضعه بعض المنقبين الأوائل لأبواب المدن الآشورية والبابلية، وذلك على جانبي الثورين المجنحين المكتشفين على جانبي الباب، ولا تزال هذه البوابة على الرغم من عدم مطابقتها لتصميم الباب الأصلي من المعالم السياحية المهمة في المدينة وبصورة خاصة بعد أن أُقيم داخل قاعاتها متحف صغير. وفي الستينات من نفس القرن قررت دائرة الآثار توجيه اهتمامها للكشف عن القصور والمعابد التي كان المنقبون الأوائل قد كشفوا عنها ثم عادت وانطمرت تحت الأتربة وكذلك الكشف عن بوابات المدينة، وشكلت لذلك هيئة متخصصة دائمة اتخذت لها مقراً داخل مدينة نينوى نفسها، وقد تم الكشف حتى الآن عن قصر سنحريب وتمت صيانة بعض أجزائه كما كشف عن بوابة شمش وبوابة المسقي وأعيدت صيانة أجزاء مهمة منهما، وبوابة سين كما ساهمت جامعة الموصل مساهمة فعالة في الكشف عن بوابة أد في الضلع الشمالي من المدينة المقابل لأبنية جامعة الموصل الحديثة وتمت صيانة أجزاء مهمة منها ومن السور المحيط بها، وتعد أد أكمل بوابة مكتشفة حتى الآن حيث مازالت بقايا الأقواس التي كانت تعلو البوابة قائمة تقارع الزمن.^(٢) وتؤكد نتائج التنقيبات التي أجريت في نينوى صحة ماورد في النصوص القديمة المسمارية وغيرها، عن عظمة المدينة وفخامة أبنيتها وأسوارها وبواباتها. فقد ذكر سنحريب، مثلاً، في أحد نصوصه المسمارية بأنه أحاط المدينة بسور كبير طوله (٢١٨١٥ شكّم كبير) (والشكّم وحدة قياس للمسافات) وشيّد السور على مصطبة ضخمة من الحجر فجعله بحق: "السور الذي أغرقت عظمته الأعداء"، وجعل سمك السور (٤٠ لبت) (اللبنة) وارتفاعه (٨٠ لتبكا) (وحدة قياس آشورية أخرى). كما جعل للسور ثمانية عشر بوابة للدخول والخروج وأطلق على بعضها أسماء الآلهة الآشورية في حين أطلق على بعضها الآخر تسميات جغرافية. وأما بوابات المدينة فقد ذكرت النصوص المسمارية، وأكدت التحريات الأثرية، أن سنحريب شيّد ثمانية عشر بوابة موزعة على أطراف المدينة. وقد تم الكشف عن سبع بوابات حتى الآن، وتمت صيانة بعضها، وتبين أن مخطط البوابات يختلف من واحدة إلى أخرى وذلك لاختلاف مواقعها واستخداماتها. فهناك بوابة نرجال في وسط الضلع الشمالي المقابل لمعبد نرجال في مدينة تريبص الملكية أعدت لخروج ودخول الموكب الملكية، لذلك

(١) (نرجال) (Nergal): ورد اسم هذا الإله في اللغة السومرية بصيغة (d U-GUR) أو بصيغة (d URI-GAL)، وتقابلهما باللغة الأكديّة صيغة (nergal)، وهو إله العالم السفلي وربّ المرض والمعارك الدموية، وكان إلهاً قوياً ومُخيفاً كما عدّ إلهاً للطاعون. أنظر:

الأحمد، سامي سعيد: "المعتقدات الدينية في العراق القديم"، ص ٣٣. كذلك ينظر أيضاً: ساكر، هاري: "عظمة بابل"، ص ٣٩١.

(٢) سليمان، عامر: "الآثار الباقية"، ص ٥٢٠.

زُيِّنَت بالثيران المجنحة الضخمة ورُصِفَ المدخل والشارع المؤدي إليها من الخارج بالحجر المهندم وامتد الشارع إلى خارج المدينة وربما كان يصله إلى مدينة تريبص نفسها الواقعة على بعد بضعة كيلومترات منها. وأما بوابة المسقي في الضلع الغربي فقد شُيِّدَ جزء من السور المحيط بها على هيئة مُسناة لوقوعها آنذاك على شاطئ النهر في حين بالغ سنحريب في تحصين بوابة شمش الواقعة في الضلع الشرقي مقابل الطريق المؤدي إلى أربيل (أربائيلو) والمنطقة الجبلية لأهمية المنطقة وضرورة تحصين المدينة ضد الهجمات المتوقعة من جهة الشرق^(١). وأما أبنية المدينة الرئيسة من قصور ومعابد فقد شُيِّدَت في منطقتين رئيسيتين تُولفان حالياً نل النبي يونس ونل قوينجق، في حين انتشرت الدور السكنية الخاصة في الساحات المحيطة بهذين التلين والتي تصل إلى حدود السور. كما أُقيمت الحدائق العامة والساحات وشُفَّت الشوارع الملكية والعامة في هذه المساحات الواسعة وفي جهة من جهات المدينة الشمالية كانت هناك بحيرة واسعة جمع فيها الملوك مختلف أنواع الحيوانات المائية. ويُشِيرُ الملك الآشوري سنحريب في أحد نصوصه الملكية إلى الأعمال الكثيرة التي اضطلع بها في نينوى فيقول:

"شُيِّدَت سور (المدينة) وجعلت ارتفاعه بارتفاع الجبال وفي أعلى المدينة وأسفلها، أقيمت الساحات، وزرعت لرعتي ثروة الجبال وجميع البلدان، جميع أنواع النباتات من بلاد الحثيين، نباتات المر التي كانت ثمارها أكثر من ثمارها في موطنها، جميع أنواع الكروم الجبلية وجميع الفواكه من جميع البلدان شجيرات وأشجار مثمرة". ويردُفُ قائلاً: "ووسعت مساحة نينوى، مدينة ملكي، وسعت مساحاتها وجعلت شوارعها وطرقها مُضيئةً كالنهار"^(٢).

ويضمُّ تل قوينجق داخله عدداً كبيراً من القصور والمعابد الآشورية وهو تل ضخم يطل على نهر الخوصر حالياً يبلغ طوله كيلومتر واحد وعرضه نصف كيلومتر وشكله العام شبه بيضوي وترتفع أعلى نقطة فيه عن مستوى سطح البحر ٢٥١ متراً. ومن القصور المهمة التي يضمها التل قصر سنحريب الفخم الذي سماه (بالقصر الذي لا مثيل له) ويقع القصر في القسم الجنوبي من التل وقد شُيِّدَت جدرانه السمكية باللبن وغُلِفَت من الداخل بالمنحوتات البارزة التي نُحِتَت بمشاهد حياتية مختلفة. وترتفع المنحوتات، ومنها الملونة، إلى ثلاثة أمتار من الجدران الداخلية ويعلوها زخارف جصية ملونة مُكَمَّلة للمنحوتات. وقد أمكن رسم صورة تقريبية للقصر وللمنحوتات من خلال نتائج التنقيبات وما ذكرته النصوص المسمارية ويبدو أن معظم جدران القصر الداخلية وكذلك أرضياته كانت مُغلَفة بالحجارة المهندمة والمعادن والأخشاب واستخدم سنحريب الذهب والفضة والنحاس لتزيين القصر كما استخدم أنواعاً مختلفة من الرخام والأخشاب وزُخِرَت الجدران بألوان زاهية تعكس أشعة الشمس. ويُظَنُّ أن السقوف كانت مزخرفة بالألوان البراقة أيضاً وزُيِّنَت مداخل القصر والقاعات الرئيسة فيه بالثيران

(١) مظلوم، طارق: "نينوى في ضوء التنقيبات الأثرية"، ص ١٣٨، ١٤٠.

(٢) Luckenbill, D. D, "The Annals of Sennacherib", Chicago, 1924, p.121.

المُجنحة. وأظهرت التنقيبات التي أُجريت في القصر منذ القرن الماضي والتنقيبات الحديثة إحدى وسبعين غرفةً وسبعةً وعشرين مدخلاً مُزيناً معظمها بالثيران المجنحة. وفي غرفتين من غرف القصر عُثِرَ على بقايا مكتبة آشوربانيبال الشهيرة حيث كان آشوربانيبال قد اتخذ من قصر جدّه مقراً له قبل تشييده قصرًا خاصاً به. وقد تمكنت دائرة الآثار والتراث العراقية في السنوات الأخيرة من الكشف عن بقايا هذا القصر الفخم وحاولت صيانة بعض أجزائه بحيث يمكن للزائر الآن مشاهدة قاعة العرش المزينة بالمنحوتات، وهي قاعة ضخمة طولها (٥١ متراً) وعرضها (١١,٥ متراً) ولها مدخلان في الضلع الشرقي يطلان على ساحة واسعة ومزينان بالثيران المجنحة وقد غُلقت جدران القاعة بسلسلة من المنحوتات التي تظهر مشاهد مختلفة إضافةً إلى الكتابات المسمارية الكثيرة التي تُغطي أجزاء كبيرة منها لتحكي لنا منجزات سنحريب الرائعة في مختلف المجالات. كما تم الكشف في أسس الجانب الغربي من القاعة على منشور فخاري يحمل نصاً مسمارياً يخص الملك سنحريب أيضاً ويتضمن تفاصيل أعماله العسكرية وإشارة إلى بنائه القصر^(١). وفي الساحة الواسعة شرقي القاعة أمكن الكشف عن عدة طبقات سكنية العليا منها إسلامية في حين ترقى الأربع الأخرى إلى الفترة الهلنستية والفرثية. فضلاً عن ذلك كُشف عن قاعة أخرى أصغر حجماً غير أنها شبيهة من حيث التصميم والزخرفة للقاعة الأولى تقع إلى الغرب من قاعة العرش. وأما قصر آشوربانيبال فيقع في القسم الشمالي الشرقي من تل قوينجق. وقد تم الكشف عن هذا القصر منذ التنقيبات الأولى في نينوى إضافةً إلى النصوص المسمارية الكثيرة ومنها ما يعود إلى مكتبة آشوربانيبال. وفي تل النبي يونس كشفت التحريات الأثرية لاسيما التحريات التي أجرتها دائرة الآثار العراقية في أثناء فتح الطريق العام المؤدي إلى أربيل عن بعض أجزاء قصر أسرحدون الذي ذكرته النصوص المسمارية. وقد عُثِرَ على ثلاثة من التماثيل من الحجر تُمثلُ الملك المصري (طهرافا الحبشي) (٦٨٨-٦٦٣ ق.م) (من الأسرة الخامسة والعشرين التي حكمت مصر القديمة آنذاك) و التي ربما كانت من الغنائم التي جلبها الملك أسرحدون من مصر وقد دُوِّنَ على قواعد التماثيل وبالخط الهيروغليفي اسم الملك طهرافا كما كُشف عن أسطوانة فخارية تحمل نصاً مسمارياً يتحدث عن منجزات أسرحدون العسكرية^(٢). وفي عام (١٩٨٧م) في أثناء عملية توسيع جامع النبي يونس من جهة الشرق ارتطمت فؤوس العمال بجزء من تمثال ضخم تبين بعد الكشف عنه أنه ثورٌ مجنح كبير من طراز خاص حيث أنه مؤلف من عدد كبير من قطع الصخر (الحلان) المكعبة الشكل مجموعة بعضها إلى بعض لشكل ثوراً مجنحاً ضخماً غير أنه من المؤسف أن رأس

(١) سليمان، عامر: "الآثار الباقية"، ص ٥٢٢، ٥٢٣.

(٢) Paterson, A. "Assyrian sculptures": "The palace of Sennachrib", London 1915, pp. 40, 46.

الثور كان مفقوداً. وطبيعي أن الثور الممنوح هذا كان يُزين أحد مداخل قصر أسرحدون غير أن وجود الأبنية الحديثة، ومنها الجامع حالت دون استكمال أعمال التنقيب في المنطقة.^(١)

٤ - مدينة دور شروكين (خُرسباد):

أ - موقع المدينة:

تقع بقايا مدينة دورشروكين (خُرسباد) على بعد ثمانية عشر كيلو متراً شرقي نينوى، كما تبعد عن (٤٥ كم) إلى الشمال من مدينة كلخو، وحتى (١٥ كم) شمال آشور أيضاً. وعلى العكس من مدينة كلخو فإن مدينة دور شروكين لم تحتل موقعاً مركزياً، فهي واقعة شمال كل المدن الرئيسية للدولة الآشورية. وتُعرف بقاياها اليوم باسم (خُرسباد)، وقد أسس هذه المدينة الملك الآشوري (سرجون الثاني) (٧٢١-٧٠٥ ق.م)^(٢) وذلك في سنة (٧١٧ ق.م)، وسمّاها باسمه (دورشروكين)^(٣)، وتمّ بناؤها على شكل مربع تقريباً أبعاده (١٧٦٠ × ١٦٧٥ م)، ويتم الدخول إليها بواسطة طريق مبلط عرضه أربعون قدماً^(٤). وقد أحيطت بسور له أكثر من (١٥٠) برجاً، وفيه ثمانية أبواب، سُمّي كل واحدٍ منها باسم إله آشوري، كما زينت الثيران الممنحة ذات الرؤوس البشرية مداخل المدينة، ويُرجح أن الملك الآشوري سرجون الثاني لم يسكن هذه المدينة، كما أن أبناءه الملوك الذين خلفوه هجروها ولم ينتقل إليها أحدٌ منهم.^(٥)

(١) سليمان، عامر: "الآثار الباقية"، ص ٥٢٣، ٥٢٤.

(٢) (الملك سرجون الثاني/ شروكين الثاني) (٧٢١-٧٠٥ ق.م): أعقب الملك شلمانصر الخامس الملك شروكين الثاني ويعني اسمه: "الملك الثابت أو المكين أو الصادق"، ومن المرجح جداً أن شروكين الثاني كان القائد العسكري الذي قاد الحصار على مدينة السامرة في جنوب سوريا أثناء حكم الملك شلمانصر الخامس، كما تمكن من كسب احترام الجيش الآشوري لدرجة أنه تمكن من أن يعلن نفسه ملكاً على بلاد آشور بعد الإطاحة بالملك شلمانصر الخامس. إضافةً إلى قيادته لعدة حملات عسكرية ناجحة داخل بلاد آشور وخارجها لاستعادة مكانتها ونفوذها كما كانت عليها أيام الملك تجلات بلاصر الثالث والتي جعلته أحد القادة العسكريين العظام في تاريخ بلاد وادي الرافدين. كذلك فإن عهد هذا الملك يمثل بداية حكم سلالة ملكية جديدة تنابت على الحكم وأعقبه ثلاثة من أشهر ملوك بلاد وادي الرافدين شهرةً وأغزهم من حيث المخلفات المادية ونقص على وجه الخصوص الكتابات المسمارية وهم: "الملك سنحريب، والملك أسرحدون، والملك آشور بانيبال"، ومن أهم منجزاته العمرانية بناء مدينة دور - شروكين (خُرسباد) والتي أسس فيها قصراً لم يسكنه إلا لسنتين فقط. وأخيراً يمثل حكم هذه الأسرة المالكة نهاية حكم الدولة الآشورية الحديثة السياسي في المنطقة. أنظر:

ساكر، هاري: "قوة آشور"، ص ٩٦. وأيضاً: سليمان، عامر: "منطقة الموصل في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد، العصر الآشوري الحديث"، ص ٩٦-٩٨.

(٣) مهران، محمد بيومي: "تاريخ العراق القديم"، ص ٣٢٩.

(٤) لويد، سيتون: "آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي"، ص ٢٧١.

(٥) إسماعيل، عارف أحمد: "العلاقات بين العراق وشبه الجزيرة العربية منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد وحتى منتصف الألف الأول قبل الميلاد"، ص ٥١.

ب- تسمية المدينة:

استغرق العمل ببناء مدينة دور - شروكين نحو عشر سنوات أي من عام ٧١٧ ق.م إلى عام ٧٠٦ ق.م، ويعني اسم دور - شروكين: "مدينة سرجون" أو "حصن سرجون". وتُعرف أطلالها اليوم باسم خُرسباد أو خُرسباد^(١)، وهو اسم فارسي أُطلق قديماً على قرية صغيرة تقع بجوار أطلال المدينة الآشورية ثم شاع استخدامه مؤخراً للدلالة على المدينة القديمة أيضاً. وقد أشار إلى العاصمة الآشورية بعضُ البلدانين العرب حيث ذكر (ياقوت الحموي) بأنه كان هناك إلى جانب قرية (خرستاباذ)، وهي الصيغة التي ذُكرت بها (خُرسباد)، مدينة يُقال لها (صرغون)، ولفظة (صرغون) كما جاءت في معجم البلدان لياقوت الحموي تحريف من لفظة سرجون، وهو اسم مؤسس المدينة. ويذكرُ ياقوت الحموي عن مدينة صرغون بأنها:

"مدينة كانت قديماً من أعمال نينوى خير أعمال الموصل وقد خربت، يزعمون أن فيها كنوزاً قديمة، يحكى أن جماعةً وجدوا فيها ما استغنوا به ولها حكاية وذكر في السّير القديمة". وهذه إشارة إلى أعمال التفتيش والنبش عن الكنوز القديمة التي شهدتها أطلال المدن القديمة منذ القرن السادس والسابع الهجري^(٢).

ت- أهمية المدينة:

وهي آخر العواصم الآشورية من حيث تأريخ التأسيس، قام بتأسيس المدينة الملك الآشوري سرجون الثاني (٧٢١-٧٠٥ ق.م) ودعاها باسمه (دور شروكين) أي (مدينة) أو (حصن) شروكين العاصمة الجديدة حيث قال:

"في تلك الأيام، و(بجهود) شعوب الأعداء الذين قبضت عليهم، شيدت مدينة عند أقدام جبل مصري أعلى مدينة نينوى استناداً إلى أمر الإله وإلهام قلبي ودعوت اسمها دور شروكين".

(ويقصد هنا بجهود شعوب الأعداء الأقوام الجبلية في الجبهتين الشمالية والشرقية من حدود الدولة الآشورية والتي صرفَ فيها سرجون الثاني جهوداً كبيرةً لاستتباب الأمن والاستقرار فيهما)، وبالنسبة لتاريخ المدينة فقد تنقلَ الملك سرجون الثاني بين العواصم الآشورية الثلاثة آشور وكلخو ونيوى قبل أن يُقررَ بناء عاصمة جديدة له. ففي بداية حكمه اتخذ مدينة آشور القديمة مركزاً لحكمه ثم انتقل إلى مدينة نينوى، بالإضافة إلى مدينة كلخو "نمرود" ثم اتجه أخيراً إلى تأسيس مدينته الجديدة "دور شروكين". وأمّا عن سبب قيام الملك سرجون الثاني ببناء هذه المدينة فتعود إلى انعدام مزايا مدينة كلخو المبكرة في تزويد السلطة الملكية الحاكمة بالقاعدة الشعبية المضمونة، كما أنها لم تعد ذلك الملجأ الآمن للملك وذلك لمدةٍ طويلةٍ، وذلك يعود لكون سكان مدينة كلخو قد تطورت وتبلورت

(١) خضر العبادي، معاذ حبش: "الحوليات الملكية في العصر الآشوري الحديث دراسة تحليلية"، ص ٩٦.

(٢) سليمان، عامر: "الآثار الباقية"، ص ٥٣٢.

شخصيتهم الخاصة على فترة أكثر من قرن ونصف، وهذا يبدو واضحاً في حركة التمرد عام "٧٤٦ ق.م" ضد الملك الآشوري (آشور - نيراري - الخامس) (٧٥٤-٧٤٥ ق.م) والذي بدأ في كلخو بدعم حاكمها، وفي العام التالي عندما دعم (تجلات - بلاصر - الثالث) (٧٤٤-٧٢٧ ق.م) الثورة والتمرد التي استولت على العرش. حيث نلاحظ أن هذا التمرد كان قد بدأ عندها في المركز ذاته من الدولة الآشورية، بدعم وتأيد بعض أكثر مسؤوليه الكبار، وهذا يوضح بأن النخبة في كلخو لم يعد بمقدورها أن تكون "القوة الموالية والمخلصة بشكل مطلق" لمن صادف وكان ملكاً آنذاك. وأما سرجون الثاني، فقد خلع شقيقه الملك (شلمانصر الخامس) (٧٢٦-٧٢٢ ق.م) في عام "٧٢٢ ق.م" من العرش الآشوري، غير أنه واجه مقاومة عنيفة ضد حكمه في بداية سنوات عهده، وذلك في قلب المنطقة الآشورية بالإضافة إلى المقاطعات البعيدة الأخرى، وفي النهاية تمكن سرجون الثاني من سحق الثورة والتمرد في عام "٧٢٠ ق.م"، وهنا وبدون أدنى شك كان قرار سرجون الثاني بنقل القصر والإدارة المركزية إلى المركز الجديد مدفوعاً إلى قلة المؤيدين له ونشاط المقاومة العنيفة لحكمه والتي واجهها في قلب الدولة الآشورية^(١). وفي عام ٧١٧ ق.م، باشر بتشديد عاصمته الجديدة واختار لها موقعاً قريباً كان يُعرف باسم (مكانيا) على مقربة من مجرى ماء ينحدر من جبل ورد اسمه على هيئة:

(جبل مصري). واستغرق تشييد المدينة عشر سنوات تقريباً استعان سرجون الثاني بالحرفيين الذين جلبهم من مختلف البلدان والأقاليم التابعة. وانتقل إليها عام ٧٠٦ ق.م. أي قبيل وفاته، باحتفال كبير دعا إليه جموع غفيرة من المواطنين وكثير من السفراء والوفود الأجنبية، وتشير التنقيبات التي أجريت في المدينة إلى أن الملك الآشوري سرجون الثاني انتقل إلى المدينة قبل أن يكتمل بناؤها حيث تبين أن أحد أبواب المدينة كان خالياً من الثيران المُنحِتة خلافاً لبقية الأبواب كما يلاحظ عدم الانتهاء من بناء أحد المعابد فضلاً عن ذلك فإن هناك بعض المنحوتات الجدارية التي لم ينته العمل فيها. ويبدو أن المدينة هُجرت تماماً بعد وفاة سرجون الثاني مباشرة وانتقل سنحريب بن سرجون الثاني وخليفته في الحكم إلى نينوى التي قام بتعميرها وتوسيعها. ولم يكتف سنحريب بهجر دور شروكين بل إنه ربما اقتلع بعض منحوتاتها الجدارية ونقلها إلى نينوى ليُزين بها جدران قصره كما وجدت بعض المنحوتات في دور شروكين وقد شوّهت عن قصد، كما يبدو، بأزاميل معدنية لأسباب غير معروفة بعد، وظلت دور شروكين بعد ذلك مدينةً مهملة لا تعدو كونها مركزاً من المراكز الإدارية في المنطقة فحسب.^(٢)

ث - عمليات التنقيب في المدينة ونتائجها:

بدأت التنقيبات في المدينة منذ أواسط القرن التاسع عشر الميلادي وعمل فيها كل من: (بوتا) (١٨٤٢-١٨٤٤ م) و(اليرد) (١٨٤٥ م) و(اويرت) (١٨٥٢ م) و(بلاس) (١٨٥٢-١٨٥٥ م). وكان من

(١) Radner. Karen, op.cit., p.325, 326.

(٢) سليمان، عامر: "الآثار الباقية"، ص ٥٣٣.

نتائج تلك التنقيبات أن تم رسم مخطط كامل تقريباً للمدينة كما تم الكشف عن آثار آشورية غاية في الأهمية ضمت مجموعات كبيرة من المنحوتات الرخامية وقطعاً معدنية وتماثيل من الحجر وغيرها. غير أن معظم الآثار التي تم الكشف عنها فقدت في شط العرب بالقرب من بلدة القورنة في أثناء نقلها بواسطة الأكلاك^(١) إلى ميناء البصرة تمهيداً لنقلها إلى خارج العراق وهي لا تزال في قاع الشط تنتظر اليوم الذي يكشف عنها ثانية لتستقر في المتحف العراقي. وقامت باستئناف التنقيبات في المدينة منذ عام ١٩٢٩م بعثة أمريكية كما قامت دائرة الآثار والتراث العراقية ببعض أعمال التنقيب فيها عام ١٩٣٩م، وكشفت عن ثورين مجنحين ضخمين نقلتهما إلى بغداد لتزيين بهما المدخل الكبير الذي شيد على جانب من الأرض المخصصة لبناء المتحف العراقي الحالي كما قامت عام ١٩٥٦م بالكشف عن أحد معابد المدينة، وهو معبد (سببتي)، وعملت على صيانة بعض أجزائه وعلى ارتفاع ما يقرب من مترين وهو ما يمكن للزائر أن يشاهده بوضوح في المدينة حالياً. وأوضحت التنقيبات أن دور شروكين كانت قد خططت وشيدت وفق تصاميم هندسية دقيقة وهي من المدن القليلة التي أسست لتكون عاصمة لدولة مترامية الأطراف كالدولة الآشورية. وأحيطت هذه المدينة بسورٍ ضخيم شيد بالطين يبلغ سمكه (٢٥م) وتجه زواياه إلى الجهات الأربع الرئيسية مع ازورار بسيط في الزاوية الشمالية الغربية، وقد أقيم في كل ضلع مدخلان كبيران تحف بهما الأبراج باستثناء الضلع الشمالية الغربية حيث استعُض عن أحد المدخلين بحصن كبير مشيد على مصطبة ضخمة من اللبن ترتفع بارتفاع السور ويبرز الحصن عن السور من الداخل والخارج وقد شيد فوقه القصر الملكي والبنائات العامة الأخرى. وفي الضلع الجنوبي الغربي حصنٌ مشابه من حيث التصميم يحمي أحد المدخلين، وهو المدخل المؤدي إلى مدينة نينوى والمناطق الجنوبية. ويرى بعض الباحثين أن هذا الحصن يمثل قصر ولي العهد الآشوري غير أنه ليس هناك من الأدلة ما يثبت هذا الرأي^(٢). وأحيط الحصن الرئيسي في الضلع الشمالي الغربي بسور داخلي يفصله عن بقية أجزاء المدينة ويتخلل هذا السور أيضاً مداخل تحفها الأبراج وتحيط بها غرفٌ خصصت للحرس المدافعين والمراقبين والمشرفين. إن نظرة خاطفة إلى مخطط المدينة ومقارنته بمخططات المدن الآشورية الأخرى توضح دقة مخططات دور شروكين الهندسية وتناسق أبنيتها وانتظام توزيعها وتناظرها على الرغم من ضعف أساليب المسح والتخطيط آنذاك مما نتج عنه ازورار بسيط في إحدى الزوايا. وأما المساحة الواسعة الواقعة بين الحصن أو

(١) (الأكلاك): ومفردها (الكلك) وتعني: "الطوف"، حيث وردت الإشارة إليها في النصوص المسمارية بالصيغة الأكديّة "kalakkum"، وهي تطابق تماماً التسمية العربية "الكلك"، وقد اشتهرت مدينة "اسكي كلك" الواقعة على نهر الزاب الأعلى من نهر دجلة بهذه الصناعة، فكانت المكان المخصص لصناعة الأكلاك في بلاد آشور. أنظر: رشيد، فوزي: "وسائل النقل المائية والبرية في العراق القديم"، مجلة النفط والتنمية، السنة السادسة، العددان: (٧، ٨)، بغداد ١٩٨١م، ص ١٠٦.

(٢) سليمان، عامر: "الآثار الباقية"، ص ٥٣٣، ٥٣٤.

القلعة التي شُيِّدَتْ عليها الأبنية الملكية وبين السور الكبير الذي يُحيطُ المدينة فقد خُصصت لبيوت عامة الناس وقد كشفت التنقيبات التي أُجريت في المدينة بعض تلك البيوت والشوارع التي كانت تفصلُ بينها. وأمَّا القصر الملكي فكان غاية في الروعة والافتان، وقد زُينت مداخله بالثيران المجنحة التي وضعت لحماية المدينة من الشرور، كما كان الناس يعتقدونَ آنذاك. ويُشبهُ مخطط قصر سرجون الثاني مخططات القصور الآشورية الأخرى بشكل عام، حيث يؤدي المدخل الرئيسي ذو الأبواب الثلاثة إلى ساحة كبيرة تحفُ بها غرف الموظفين وأجنحة الخدمات من جهة اليمين، في حين شُيِّدَتْ ثلاثة معابد كبيرة وثلاثة معابد صغيرة على جهة اليسار، ويقعُ مقر الملك خلف الساحة الكبيرة. ويضمُ المقر الملكي بعض الغرف والأجنحة تحيطُ بساحة صغيرة وتقعُ قاعة العرش على الجانب الأيمن من الساحة، وكان على كل من يريدُ مقابلة الملك من السفراء والوفود أن يتقدمَ من خلال الساحة الكبرى ويمرُ من بين المنحوتات والتماثيل الكثيرة التي كانت تُغلفُ جدران الأبنية المطلة وتبعثُ في نفوس الداخلين الخوف والاحترام في آن واحد. ولكي يتفادى الملك النزول إلى الساحة الكبيرة المفتوحة في أثناء زيارته لمعبد نابو فقد وصل بين المقر الملكي والمعبد بجسر من الحجر يقوم فوق قنطرة. وكانت الساحة الكبرى تحتضنُ الاحتفالات التي يُشاركُ فيها جميع المواطنين ومنها تتطلقُ المسيرات الخاصة بالاحتفالات الدينية أو الحملات العسكرية. وفي أقصى الجهة اليسرى، بين الأجنحة الرسمية وأبنية المعابد، تقوم الزقورة التي ترتفعُ ارتفاعاً شاهقاً وربما شُيِّدَتْ في هذا المكان لتكون في خدمة المعابد الستة إضافة إلى معبد نابو^(١)، المعبد الرئيسي في المدينة، وقد تم الكشف عن ثلاث طبقات من الزقورة وجزء من الطبقة الرابعة، وربما كانت تتألف أصلاً من سبع طبقات، وترتفعُ كل طبقة عن الأخرى ثماني عشرة قدماً وزُينت واجهات الطبقات بالطلعات والدخلات وزُينت بالألوان الجذابة ويرقى إلى الزقورة بمنحدر يدور حول أصل البناء من القاعدة إلى القمة بالأسلوب نفسه الذي يرقى بواسطته إلى أعلى منارة الملوية في سامراء ويبلغ عرض المنحدر حوالي ستة أقدام ويحدهُ من الجهة الخارجية شُرَفات مُسننة.^(٢)

سادساً: لمحة سياسية عن الأدوار التاريخية التي مرّت بها بلاد آشور:

- اعتاد الباحثون على تقسيم تاريخ بلاد آشور إلى عدة عصورٍ تاريخيةٍ هي:
- ١- دور سيطرة الدولة الأكديّة إلى نهاية سلالة "أور" الثالثة (٢٥٠٠-٢٠٠٠ ق.م).
 - ٢- العصر الآشوري القديم (٢٠٠٠-١٥٢١ ق.م).

(١) (الإله نابو): ورد اسم الإله نابو في النصوص السومرية بصيغة (d MUATI) وتقابلها في اللغة الأكديّة صيغة:

(d Nabu)، بمعنى: "اللامع"، وهو الابن البكر للإله مردوك. أنظر:

الأحمد، سامي سعيد: "المعتقدات الدينية في العراق القديم"، ص ٣١.

(٢) سليمان، عامر: "الآثار الباقية"، ص ٥٣٤-٥٣٥.

٣- العصر الآشوري الوسيط (١٥٢١-٩١١ ق.م).

٤- العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م).

ويُقسم العصر الآشوري الحديث بدوره إلى فترتين هما:

أ- الدولة الآشورية الأولى تتمثل ما بين عامي (٩١١-٧٤٤ ق.م).

ب- وأخيراً الدولة الآشورية الثانية والتي شغلت الفترة ما بين عامي (٧٤٤-٦١٢ ق.م). ومن ضمنها السلالة السرجونية (٧٢١-٦١٢ ق.م).^(١)

١- دور سيطرة الدولة الأكديّة إلى نهاية سلالة "أور" الثالثة (٢٥٠٠-٢٠٠٠ ق.م).

أ- أحوال بلاد آشور السياسية في هذا العصر:

كان السومريون يؤلفون العنصر الرئيسي المهيمن على دول المدن في جنوب وادي الرافدين سياسياً وحضارياً. وامتدت تأثيراتهم الحضارية إلى خارج حدود بلاد سومر ووصلت إلى الأقسام الوسطى والشمالية من بلاد الرافدين حيث وجدت دلائل تلك التأثيرات في الآثار المكتشفة في كل من نينوى وآشور وتبه كورا وغيرها، كما أُشير إلى ذلك، إلا أن واقع التجزئة والانقسام هذا لم يكن يتفق ومصالح المنطقة العامة والمشاركة السياسية والاقتصادية مما ولد شعوراً عاماً لدى القادة والملوك الأوائل بضرورة وحدة أرض الرافدين. وقد تُرجم هذا الشعور منذ عهد (لوجال زاجيزي)، حاكم مدينة أوماً من أواخر عصر فجر السلالات بمحاولاتٍ جادةٍ نحو توحيد دول المدن المتنافسة وتأسيس دولة واحدة تُهيمن على المنطقة. وقد نجح (لوجال زاجيزي) بضم عدد من الدول السومرية وتوحيدها في مطلع القرن الرابع والعشرين ق.م بل إن كتابات لوجال زاجيزي نفسه تُشير إلى أنه امتد نفوذه إلى خارج حدود بلاد سومر وربما وصلت مملكته بحدودها، كما ادّعى: "من البحر الأسفل إلى البحر الأعلى" أي من الخليج العربي إلى البحر المتوسط.^(٢) ولم تمض سوى خمس وعشرين سنة على حكم (لوجال زاجيزي) حتى ظهر زعيم أقوى عزيمة وأصلب عوداً، كانت الأقدار قد هيأتها لإكمال وحدة أرض بلاد وادي الرافدين وتأسيس أول إمبراطورية كبيرة عرفها التاريخ القديم، ذلك هو (سرجون الأكدي) الذي ظل اسمه بارزاً وساطعاً على مرّ العصور ومقروناً بالقوة والمقدرة السياسية والعسكرية إلى درجةٍ تسمّى بها أكثر من ملك من الملوك الآشوريين بعد قرونٍ عدةٍ ومنهم على سبيل المثال (الملك الآشوري سرجون الثاني ٧٢١-٧٠٥ ق.م). وكان سرجون الأكدي ينتمي إلى الأقوام الأكديّة التي جاءت أصلاً، وربما في الفترة نفسها التي جاءت خلالها الأقوام الآشورية، من شبه الجزيرة العربية عن طريق سوريا، وبعد أن تمكّن الملك الأكدي سرجون من ضم الدول السومرية بما فيها مملكة لوجال

(١) باقر، طه: "مقدمة في تاريخ الحضارات"، ج ١، ص ٥٢١.

(٢) نوح كريم، صموئيل: "السومريون تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم"، ترجمة: فيصل الوائلي، وزارة الثقافة والإرشاد ط ١، شيكاغو ١٩٦٤م، ص ٧٧، ٧٨.

زاجيزي، إلى حدود مملكته المتنامية، توجّه نحو الغرب والشمال حيث ذكر أنّه وصل إلى كل من مدينة (اتوا) (Itu) (هيت حالياً غرب مدينة الرمادي على نهر الفرات) وماري (Mari) (تل الحريري)^(١) وجبال الأرز (جبال الأمانوس) وجبال الفضة (جبال طوروس) ويارموتي (Yar-muti) (ميناء إلى الجنوب من جبيل) ومدينة إبلا (تل مردوخ في شمال سوريا). أي أنّه امتد بنفوذه على طول نهر الفرات وحتى شمال سوريا وربما وصل بنفوذه إلى بعض جزر البحر المتوسط أيضاً^(٢). أمّا بالنسبة لأحوال بلاد آشور في هذا العصر، فيبدو أنّ سرجون الأكدي كان قد ضمّها إلى حدود إمبراطوريته في وقتٍ مُبكرٍ من حياته السياسية، حيث أظهرت التنقيبات التي أُجريت في كل من مدينة نينوى وآشور أنّهما كانتا من المراكز الإدارية التابعة للدولة الأكديّة، ولاسيما مدينة آشور^(٣). حيث تمت إدارتهما من قبل حُكّام تابعين إلى الدولة الأكديّة، فالسياسة العامة التي اتبعتها الملوك الأكديون، وفي مُقدّمهم الملك سرجون، كانت تتضمن ضم جميع المدن والأقاليم الواقعة في المنطقة وتوحيدها في دولة مركزية واحدة تُدار من العاصمة أكد. ويمكن ملاحظة التأثير الثقافي الذي خلفه العهد الأكدي في بلاد آشور من خلال تأثر اللهجة الآشورية باللغة الأكديّة المُشتقّة منها، هذا علاوةً على احتفاظ الملوك الآشوريين بذكرى طيبة للأكديين وعدم الإساءة إليهم^(٤). كما يتأكد لنا وقوع بلاد آشور ضمن نفوذ الدولة الأكديّة في عهد خلفاء سرجون الأكدي و الذين تركوا لنا نصوصاً وآثاراً تدلّ على ذلك. فقد تم الكشف في نينوى وآشور عن أبنية وآثار مُكرّسة للملوك الأكديين في حين قام بعض الملوك الأكديين بأنفسهم بتشييد بعض الأبنية. وربما قام (ريموش) خليفة الملك الأكدي سرجون بتشييد مدينة تحمل اسمه على بُعد بضعة كيلومترات إلى الشمال من مدينة نينوى. وفي مدينة نينوى كُشف عن بقايا معبد كان قد شيّده (مانشتوسو) حفيد سرجون الأكدي من أجل الإلهة عشتار، كما يُستدلّ على ذلك من نصٍّ مُتأخّر يعود إلى الملك الآشوري (شمشي - أدد الأول ١٨١٣-١٧٨١ ق.م) الذي ذكر عند ترميمه المعبد،

(١) ماري (Mari) (تل الحريري): وهي مدينة تقع على نهر الفرات بالقرب من البوكمال، وهي تُعرف اليوم بتل الحريري، وقد أسفرت التنقيبات التي قامت بها البعثة الفرنسية منذ عام ١٩٣٣م في العثور على الكثير من المخطّات العمرانية كالقصور والمعابد والمنحوتات فضلاً عن النصوص المسمارية وأهمها: المراسلات ما بين ملوك ماري و(يسمخ أدد) (١٧٩٦-١٧٨٠ ق.م) ابن الملك الآشوري شمشي - أدد الأول (١٨١٣-١٧٨١ ق.م) و(زيري - ليم) (١٧٧٩-١٧٥٩ ق.م) حيث كشفت لنا عن النشاطات اليومية للدولة والقصر والأعمال التجارية التي تمتعت بها تلك المملكة والتي ضمها حمورابي إلى سلطته سنة ١٧٥٩ ق.م أنظر: دانيال، كلين: موسوعة علم الآثار، ج ٢، ترجمة: ليون يوسف، دار المأمون، بغداد ١٩٩١م، ص ٥٠٣-٥٠٤.

(٢) Gadd, G. J., *Cambridge Ancient History*, Cambridge, 1971, vol. part, 2, 427.

(٣) سليمان، عامر: "منطقة الموصل في الألف الثالث قبل الميلاد"، ص ٦٢، ٦٣.

(٤) سليمان، عامر: "الجيش والسلاح"، ج ١، بغداد ١٩٨٧م، ص ٢٣٢.

بأنَّ المعبد كان قد شُيِّدَ في عهد (مانشتوسو)، كما عثرَ في آشور على رأس رمح من البرونز مُكرَّس للملك مانشتوسو عليه نصٌّ مسماريٌّ يقول:

"مانشتوسو، كيش، ازوزو، خادمه، قدَّم هذا تكريساً للإله". وكان (أزوزو) أحد الحُكَّام التابعين الذين يحكمون في آشور باسم الملك مانشتوسو الأكدي وقد ورد ذكره في جداول الملوك الآشوريين المكتشفة في خورسباد (دورشروكين) على أنَّه الملك الثالث عشر من أولئك الملوك السبعة عشر الأوائل الذين كانوا ما يزالون يعيشون في الخيام. ومن الآثار المهمة التي ترقى بتاريخها إلى العصر الأكدي بقايا قصر كُشف عنه في مدينة آشور يُشبه من حيث التخطيط والطرز القصر الأكدي الذي كان قد بناه نرام - سين في تل براك على نهر الخابور مما يشيرُ إلى أنَّ القصر يعود للفترة نفسها.^(١) (وتذكر إحدى الدراسات الحديثة أنَّ ذلك القصر يعود إلى عصر الملك الآشوري شمشي-أدد-الأول) وهكذا تؤكد تلك الآثار والنصوص المكتشفة في كل من نينوى وآشور والمناطق المجاورة إلى أنَّ بلاد آشور أصبحت جزءاً من الدولة الأكديَّة، ولعلَّ هذا الوضع الذي غدت فيه نينوى وآشور، وربما أربيل وبقية المدن في بلاد آشور، جزءاً من هيكلٍ سياسيٍّ واحدٍ ذي سلطنةٍ مركزيةٍ واحدة، وإن كان مقر تلك السلطة خارج بلاد آشور نفسها، يُمثل أول خطوة نحو وحدة بلاد آشور وقيام مملكتها في الفترات التالية التي تركزت حول المدينتين الرئيسيتين نينوى في الشمال وآشور في الجنوب. وقد أصاب بلاد آشور إبان الغزو الغوتي لبلاد وادي الرافدين (٢٢٣٠-٢١٢٠ ق.م) ما أصاب بلاد سومر وأكد^(٢). وكشفت التنقيبات التي أُجريت في مدينة آشور ونيوى عن آثار التخريب والتدمير الذي قام به الغوتيون في مدن بلاد وادي الرافدين كافة. ومع ذلك ليس هناك ما يُشيرُ إلى أنَّ بلاد آشور كانت ضمن المنطقة التي وقعت تحت تسلُّط الغزاة الغوتيين المباشر، بل يبدو أنَّ الغوتيين كانوا قد انسحبوا إلى الجنوب بعد أن نهبوا وسلبوا ودمروا المدن الآشورية وتمركزوا في بلاد أكد تاركين بلاد سومر في أقصى الجنوب وبلاد آشور في الشمال خارج حدود سلطتهم المباشرة^(٣). وفي عهد سلالة أور الثالثة (٢١١٢-٢٠٠٦ ق.م) نجد بأنَّ كتابات ملوك هذه السلالة تُشيرُ إلى دخول بلاد آشور ضمن الأقاليم التابعة إلى سلالة أور الثالثة ولا سيما المناطق الشرقية والشمالية الشرقية، حيثُ تذكر تلك الكتابات أنَّ الحاكم الآشوري زريقم (Zarriqum) قد بنى معبداً للإلهة عشتار المُلقبة (بسيدة القصر) من أجل حياة سيده (أمر - سين) (Amar-sin) (٢٠٤٦-٢٠٣٨ ق.م) ملك أور، وهذا يُشيرُ إلى أنَّ هذا الملك كان أحد الحُكَّام التابعين لملوك سلالة أور الثالثة^(٤). واستمرت أور في إدارة إمبراطوريتها الواسعة لفترة تزيد عن مائة سنة (٢١١٣-٢٠٠٦ ق.م) وكانت آخر السلالات السومرية الحاكمة. ثم بدأت قوة أور تتهاور وتضعف تدريجياً خاصةً بعد تدفق الأقوام الأمورية من الغرب والشمال الغربي. وفي حدود عام (٢٠٠٦ ق.م) انهارت

(١) سليمان، عامر: "منطقة الموصل في الألف الثالث قبل الميلاد"، ص ٦٣، ٦٤.

(٢) ساكز، هاري: "قوة آشور"، ص ٤٩.

(٣) Smith, S., "Journal at Royal Asiatic society", 1932, p. 295.

(٤) سليمان، عامر: "منطقة الموصل في الألف الثالث قبل الميلاد"، ص ٦٨.

مملكة أور أمام غزو الأقوام العيلامية القادمة من الشرق، وتمكنت آشور من الاستقلال عن سلطة أور حيث أن هناك نصاً يُشير إلى أن الملك أو الحاكم (كيكيا) (Kikkiya) كان قد شيد أسوار مدينة آشور.^(١) ويمكن تأريخ حكم (كيكيا)، بعد الأخذ بعين الاعتبار ما ورد في جداول الملوك الآشوريين، قبل عام ٢٠٠٠ ق.م بفترة وجيزة، ومع ذلك، فإن التوقيات التي أُجريت في آشور تشير إلى أن أسوار المدينة كانت قد شُيّدت قبل ذلك بقرون عدة وربما كانت الإشارة في النص إلى إعادة بناء الأسوار وترميمها بعد أن تمكنت آشور من الاستقلال عن نفوذ أور في أواخر الألف الثالث ق.م.^(٢)

٢- العصر الآشوري القديم (٢٠٠٠-١٥٢١ ق.م):

أ- الفترة الزمنية التي شغلها هذا العصر:

يُطلق العصر الآشوري القديم على الفترة الزمنية المبتدئة من نهاية سلالة (أور) الثالثة، وينتهي بالنسبة إلى التاريخ الآشوري في حدود منتصف الألف الثاني ق.م، حيث يبتدئ ما يُسمى بالعصر الآشوري الوسيط منذ (١٥٠٠ ق.م).^(٣)

ب- أحوال بلاد آشور السياسية في هذا العصر:

لقد استعادت بلاد آشور قوتها في هذا العصر، وتمكنت أيضاً من شن حملات سريعة وخاطفة إلى المناطق الشرقية والجنوبية من بلاد بابل وذلك في عهد الملك (إيلوشوما) (١٩٦٢-١٩٤٢ ق.م) وذلك لتأمين طرق المواصلات مع جنوبي غربي إيران ومنطقة الخليج العربي.^(٤) كما أصاب بلاد آشور في هذه الفترة نصيبٌ من تدفق هجرات الأقوام القادمة من الجهة الغربية لبلاد وادي الرافدين، أي الأقوام الأمورية. ونتج عن تلك الهجرات نتائج وأثار على التركيب السكاني في الأجزاء الوسطى والشمالية من بلاد وادي الرافدين، من حيث ازدياد نسبة الأقوام الأمورية فيها بالإضافة جماعات جديدة وكثيرة منهم إلى السكان القدامى الذين كانوا قد جاؤوا في هجرات أقدم. واستطاعت بعض الجماعات من أولئك القادمين الجدد في بلاد آشور أن تُقيم عندها كياناً سياسياً كما حدث في بلاد بابل. وبعبارة أخرى اغتتمت بلاد آشور فرصة زوال سلطة (أور) على بلاد آشور إثر تحطيم دولتها من جانب الأموريين والعيلاميين فاستقلت وقام فيها ملوكٌ وحُكَّام، ولكن لا يُعلم ترتيب تسلسلهم وقد حكموا على هيئة مجموعات في فترات زمنية كما جاء ترتيبهم في إثبات الملوك الآشوريين. ولعل أقدم مجموعة من أولئك الحُكَّام الذين استقلوا في بلاد آشور في الشطر الأول من هذا العصر، أي من بعد نهاية سلالة

(١) ساكز، هاري: "قوة آشور"، ص ٥٠.

(٢) سليمان، عامر: "منطقة الموصل في الألف الثالث قبل الميلاد"، ص ٦٥، ٦٦.

(٣) باقر، طه: "مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة"، ج ١، ص ٥٢٧.

(٤) المهنا مزهر، رشا شامر: "التطورات السياسية للدولة الآشورية (٩١١-٧٤٥ ق.م)"، رسالة ماجستير غير

منشورة، جامعة بابل ٢٠٠٥ م، ص ٢٦.

أور الثالثة يتصدّرُها اسم ورد بصيغة (سوليلي) (Sulili) ابن (أمينو) (Amino)، ثم يأتي من بعده (كيكيا) (Kikkia) الذي ورد ذكره في إثبات الملوك الآشوريين وفي كتابات الملكين الآشوريين (آشور - ريم - نشيشو) و(شلمانصر الثالث) على أنه هو الذي شيد أسوار مدينة آشور. ثم يليه اسم الملك (بوزر - آشور الأول) الذي يرجح أنه أسس سلالة حاكمة مهمة، وقد ذكره الملك الآشوري (شلمانصر الثالث) بأنه كان من بين الملوك القدامى الذين أقاموا أسوار المدينة. وبلغ (إيلوشوما) (١٩٦٢-١٩٤٢ ق.م) مبلغاً من القوة استطاع فيه أن يدخل في معمرة النزاع ما بين دول المدن في بلاد بابل، فقد غزاها في عهد ملك سلالة (إسين) (إسمي) (إشمي - دكان) (١٩٥٣-١٩٣٥ ق.م).^(١) والمرجح أنه في عهد الملكين الآشوريين (إيلوشوما) و (إريشم) (Erishum) كانت قد ازدهرت المستوطنة التجارية الآشورية في بلاد الأناضول، وجاء من بعدهما في حكم بلاد آشور الملك المسمى (ايكونم) ثم سرجون الأول الذي بلغت في عهده الدولة الآشورية اتساعاً ملحوظاً. ويعقب عهد هذا الملك فترة غامضة في تاريخ بلاد آشور في هذا العهد، حيث عانت الضعف والارتباك حتى أن إحدى الدويلات في بلاد بابل، وهي مملكة (إشنونا)^(٢)، فرضت سلطتها عليها. ويذكر إثبات الملوك الآشوريين من بين الملوك الذين حكموا في أثنائها الملك (نرام - سين)، والذي يرجح أن يكون (نرام - سين) ملك مملكة إشنونا نفسه.^(٣) وفي حدود القرن الثامن عشر قبل الميلاد، بدأت بوادر التوسع والنفوذ السياسي والعسكري بظهور الملك الآشوري (شمشي - أد الأول) (Shamshi-Adad I) (١٨١٣-١٧٨١ ق.م)^(٤)

(١) باقر، طه: "مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة"، ج ١، ص ٥٢٦، ٥٢٧.

(٢) مملكة (إشنونا): تُعرف حالياً باسم (تل أسمر) وتقع على بعد (٢٥ كم) إلى الجنوب الشرقي من مدينة بعقوبة الحالية. أنظر: رشيد، فوزي: "الشرائع العراقية القديمة"، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ٣، بغداد ١٩٨٧ م ص ٢٢٥.

(٣) باقر، طه: "مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة"، ج ١، ص ٥٢٧.

(٤) (شمشي - أد - الأول) (Shamshi-Adad I) (١٨١٣-١٧٨١ ق.م): يُعد هذا الملك مؤسس أول دولة أو كيانٍ سياسيٍ مستقلٍ للآشوريين في بلاد وادي الرافدين، لذا فقد احتل المكانة الأولى بين الملوك الآشوريين عبر مسيرة التاريخ الآشوري العام، كما شهد عصر هذا الملك الكثير من الإنجازات والأعمال سواء أكانت إدارية وعسكرية أو العمرانية والفنية. إذ وردنا العديد من النصوص البنائية والتي تتحدث عن النشاط المعماري الواسع الذي اضطلع به هذا الملك منها على سبيل المثال لا الحصر إنشاء معبدي الإله أنو وأدد في آشور وبناء زقورة معبد الإله إنليل في آشور أيضاً، فضلاً عن إعمار وترميم العديد من المدن وأسوارها. ويرجح أن الملك شمشي = أد - الأول كان ضابطاً في الجيش الآشوري، لجأ مع قواته إلى بلاد بابل إبان الغزو الذي قام به ملك إشنونا (نرام - سين) على بلاد آشور مُعلنًا ضمها إلى نفوذه السياسي وسيطرته العسكرية. إلا أن شمشي - أد - الأول لم يقف مكتوف الأيدي فأخذ يعد نفسه وقواته للعودة إلى بلاد آشور حالما تسنح له الفرصة، وبالفعل فقد أعلن في مملكة إشنونا عن وفاة ملكها (نرام - سين)، مما نتج عنه حالة من الإرباك في القيادة العامة للبلاد والأقاليم الخاضعة لها، وعندها بادر شمشي - أد - الأول إلى استغلال هذه الفرصة التاريخية فبدأ مشروعاً العسكري لتحرير بلاد آشور وتأسيس الدولة الآشورية القديمة. أنظر:

الأموري الأصل الذي توجه من بلاد بابل نحو مدينة إكالاتوم (Ekallātum)^(١) وبقي فيها مدة ثلاث سنوات، ثم ترك إكالاتوم نحو آشور وهناك قام بخلع (إيريشم الثاني) (Erishum II) ملك آشور ابن نرام - سين (Naram-sin)، وتبوَّء عرش بلاد آشور^(٢). وجَّه شمشي - أدد الأول عدة حملات للسيطرة على منطقة أعالي ما بين النهرين (الجزيرة)، لأنها الطريق المهم للوصول إلى آسيا الصغرى، كما استولى على مدينة ماري (Mari) التي تعد مركزاً مهماً للطريق التجاري بين الخليج العربي وبلاد بابل من جهة وشمال سوريا من جهة أخرى.^(٣) وبعد أن أصبحت ماري تحت سيطرة شمشي - أدد الأول عين عليها ابنه الأصغر (يسمخ - أدد الأول) (١٧٩٦-١٧٨٠ ق.م) نائباً له فيها، في حين عين ابنه الأكبر وخليفته على العرش (إشمي - داجان) (١٧٨٠-١٧٤١ ق.م) نائباً له على إكالاتوم، وبذلك سيطر شمشي - أدد الأول على الأجزاء الوسطى من وادي دجلة والفرات^(٤). ويبدو بأن الملك الآشوري شمشي - أدد الأول كان كثير التنقل والترحال على نحو دائم فلم يستقر في مدينة واحدة، ويتخذها عاصمة لحكمه، بل كان يُقيم أحياناً في مدينة آشور وأحياناً أخرى في نينوى، في حين كان يقضي معظم أوقاته في مدينة "شوبات-إنليل" الواقعة على أعالي نهر الخابور بالقرب من موقع شهر بازار الحالي، حيث كُشف في تلك المدينة عن أرشيف من النصوص المسمارية. وهكذا أصبح نفوذ الدولة الآشورية نفوذاً قوياً له دور كبير ومؤثر في سير الأحداث السياسية في المنطقة، إذ امتدت حدودها من سلسلة جبال زاغروس شرقاً حتى حوض الفرات الأوسط غرباً، ومن نهر العظيم جنوباً وحتى بلاد الأناضول شمالاً^(٥). ومما تجدر الإشارة إليه أن الملك الآشوري شمشي - أدد الأول كان قد عاصر في السنوات الأخيرة من حكمه الملك البابلي حمورابي (Hammurapi) (١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م)

معضد، علي هاشم: "الآثار المعمارية والفنية للملك شمشي - أدد - الأول (١٨١٣-١٧٨١ ق.م) دراسة في ضوء النصوص المسمارية"، الجامعة المستنصرية، مجلة كلية التربية، العدد (٥٥)، بغداد ٢٠١٦م، ص ٤٢١-٤٢٢. كذلك ينظر أيضاً:

Lewy, M., C. "Assyria B. C. 2600-1816, B.C". CAH, Vol. 1, part, (1971), p. 310.

(١) مدينة (إكالاتوم): تقع هذه المدينة على الضفة اليسرى من نهر دجلة على بعد نحو (٢٥ كم) تقريباً من مدينة آشور، وتعرف بقاياها اليوم (بتل الهيكل)، كما أنها تعد من المدن الآشورية المهمة، كذلك يطلق عليها تسمية "مدينة القصور" أنظر:

Villard., "Shamshi-Adad and Sons, The Rise and Fall of an upper Mesopotamia Empire", in Sasson, J. M., "Civilization of the Ancient Near East", Vol.1-2, New York (1995), p.873.

(٢) Laessoe, J., "People of Ancient Assyria", London, 1963, pp.40-42.

(٣) Mallowan, M. E. L. "Reflections on the History and Archaeology of Assyria", in SUMER, part 7, No.2, Baghdad, 1951, p.157.

(٤) باقر، طه: "مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة"، ج ١، ص ٤٢٠.

(٥) طه، منير يوسف: "علاقات الآشوريين مع الأقاليم المجاورة"، موسوعة الموصل الحضارية، ج ١، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ط ١، ١٩٩١م، ص ١١١.

الفصل الأول:

وارتبط معه بعلاقات ودية، إلا أن الأحوال السياسية لبلاد آشور تدهورت بعد وفاة شمشي - أدد الأول، وتمكن حمورابي في السنة الثانية والثلاثين من حكمه من ضم جميع المدن الآشورية لسلطته، واستمرت أوضاع الدولة الآشورية بالتدهور حتى القرن الخامس عشر قبل الميلاد حيث ازداد خطر المينانيين القادمين من الشمال الشرقي على بلاد آشور.^(١)

ت - ظهور المستوطنات التجارية الآشورية في بلاد الأناضول:

كان من أبرز ما يُميز هذا العصر هو تواجد المراكز التجارية الآشورية في بلاد الأناضول، و التي ازدادت اتساعاً في عصر دول المدن أو عصر فجر السلالات (مع بداية الألف الثالث قبل الميلاد) من خلال المتاجرة بالمواد المهمة مثل الصوف والفضة وغيرها. واتسعت الصلات ما بين بلاد آشور وبين بلاد الأناضول في العصر الآشوري القديم. حيث قامت فيها عدة مستوطنات أو مستعمرات تجارية من التجار الآشوريين، وذلك في الأجزاء الشرقية من تلك البلاد التي دُعيت في العصر الهلنستي (القرن الثالث ق.م) باسم (كبدوكية)، ومن غير المعروف لنا على نحو دقيق متى أسس الآشوريون تلك الجاليات التجارية، غير أن أقدم أخبار مدونة وصلت إلينا عنها ترجع في تاريخها إلى زمن الملك الآشوري (إريشم الأول ١٩٤١-١٩٠٢ ق.م) الذي مر ذكره آنفاً. وقد اشتهر من هذه المراكز المدينة التي ورد اسمها في النصوص المسمارية المكتشفة في موقع (كول تبه) (Kultepe) بصيغة (كانيش)، وقد عُثر في هذا الموقع على ألوف عديدة من ألواح الطين المسمارية. كما اكتُشفت مراكز أخرى لأولئك التجار الآشوريين مثل الموقع الأثري المسمى (علي شار) وفي موضع العاصمة القديمة (حاتوشا) أو (حاتوشاش). ويستنتج من الوثائق المكتشفة في هذه الأماكن الأثرية أن تلك المستوطنات الآشورية مرت بطورين اثنين في تاريخها:

الطور الأول القديم: ولعلّه بدأ منذ مطلع العصر الآشوري القديم، ويمكن تحديده من زمن الملك الآشوري (إريشم) إلى حدود (١٨٠٠ ق.م)، أي قبيل مجيء الملك (شمشي - أدد الأول) إلى العرش الآشوري، ودام زهاء القرن الواحد. وأمّا **الطور الثاني:** فيبدأ من حكم ذلك الملك أي (شمشي - أدد الأول) وحكم ولديه (يسمخ - أدد) و (إشمي - دكان)، وينتهي باستعادة استقلال مدينة ماري على يد ملكها المحلي (زمرى - ليم). غير أن نشاط هذه المستعمرات استمر على ما يبدو بعد ذلك ولكن بأشكال مختلفة، حيث زال النفوذ السياسي الآشوري وحل محله ظهور المملكة الحثية القديمة، فأصبحت تلك المستعمرات تحت سلطة هذه المملكة.^(٢) وكانت (كانيش) (كول تبه)، مركز السلطة الآشورية في شرقي الأناضول، على هيئة دولة مدينة تتبعها عدة مراكز أخرى في أنحاء مختلفة من

(١) الزبياري، أكرم: "الآشوريون: خططهم وسياستهم الحربية"، مجلة بين النهرين، العددان (٥١-٥٢)، الموصل

١٩٨٥م، ص ١٠.

(٢) باقر، طه: "مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة"، ج ١، ص ٥٢٨-٥٣٠.

الأناضول. وكانت بلاد الأناضول نفسها في هذه الفترة مؤلفة من عدة دويلات مدن يحكمها أمراء من أهل البلاد، كانوا على ما يبدو على علاقات ودية مع المستعمرات الآشورية، ولاسيما عندما لا يعرقل أولئك الأمراء نشاط التجار الآشوريين. وقد جاءت نماذج من المعاهدات التي كانت تُبرم ما بين السلطات الآشورية وبين تلك الدويلات المحلية، وفيها أخبار المصاهرات والمساعدات العسكرية ما بين الطرفين. وصادف زمن قيام هذه المستوطنات الآشورية مجيء هجرات من الأقوام "الهندو-الأوربية" إلى الأناضول، وقد أطلق عليهم اسم الحثيين. وأما الأقوام الأصلية قبل مجيء هذه الهجرات والذين يُطلق عليهم اسم (خاتيين) أو (حاتيين) فليسوا من الأصل الهندو-الأوربي. ويُستدل من الوثائق المكتشفة في بلاد الأناضول بأن عائلات وأسراً آشورية كثيرة أسست لها مراكز تجارية في الأناضول وكانت من الطبقات الآشورية الأرستقراطية، والغالب أن عميد الأسرة كان يُقيم في بلاد آشور ويدير شؤون أعماله التجارية في كبدوكية وغيرها من الأقاليم وكلاؤهم من أفراد أسرته حيث المراسلات كانت مستمرة ما بينه وبين هؤلاء الوكلاء، وقد خلف لنا أولئك التجار مجموعات مهمة من تلك الرسائل. وكثيراً ما كان يتم التزاوج ما بين التجار الآشوريين وبين السكان المحليين. وشيّد الآشوريون عدة معابد لعبادة آلهتهم القومية على رأسها الإله (آشور). أما لغتهم المدونة فتغلب عليها القدم، إلا أنها كانت أقرب اللهجات إلى اللغة الأكديّة القديمة.^(١)

وقد سمى التجار الآشوريون الهيئة التي كانت تحكمهم في آسيا الصغرى بالمصطلح الأكدي (كاروم) (Kārum) الذي يعني بالدرجة الأولى مركزاً تجارياً أو ميناء. وظهرت عدة مراكز من هذا النوع (ككانيش أو ما يُعرف اليوم ببول تبه). وقد خُصص لحكومة (الكاروم) بناء خاص يقع في الغالب بالقرب من قصر الحاكم. وكانت وظائف هذه الهيئة أي (الكاروم) متنوعة متعددة، فكان بمثابة "مجمع للتجار" أو ما يُصطلح عليه الآن (الغرفة التجارية)، كما كان يقوم بوظيفة المحكمة ومجلس الشورى. وكان يتّأسس رئيس يُعاد انتخابه كل عام، كما وكان يجمع الضرائب من القوافل التجارية الداخلة وكان يتبعه موظفون خاصون لمراقبة طرق القوافل ومصادرة أموال التجار المهربين. ولهذا الغرض كان للكاروم مخازن للبضائع التجارية. وبالإضافة إلى هذه الأعمال المختلفة كان (الكاروم) يقوم كذلك بوظيفة المصرف للمداينات والقروض والشؤون المصرفية الأخرى. ونشطت القوافل التجارية التي كانت تنقل البضائع وكانت الحمير والعربات وسائل النقل الرئيسية، فكانت دائبة التنقل ما بين بلاد آشور وبين تلك المراكز التجارية ومنها (كبدوكية في الأجزاء الشرقية من بلاد الأناضول)، كذلك كانت الفضة والذهب والنحاس والأحجار الثمينة في مقدمة قائمة السلع المستوردة من الأناضول إلى بلاد آشور والتي بدورها كانت تُصدّر المنسوجات الصوفية والقصدير أو الرصاص. وأما القصدير

(١) باقر، طه: "مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة"، ج ١، ص ٥٣٠، ٥٣١.

فالمَرَجُحُ أنَّ الآشوريين كانوا يجلبونهُ من المناطق الشمالية الشرقية أي فيما يُعرف حالياً "بآذربيجان"، وكان الطلبُ عليه كثيراً في بلاد الأناضول لخلطهِ بال نحاس في صناعة البرونز.^(١)

٣- العصر الآشوري الوسيط (١٥٢١-٩١١ ق.م):

أ- الفترة الزمنية التي شغلها هذا العصر:

حدد المؤرخون العصر الآشوري الوسيط في المدة الزمنية ما بين بداية حكم الملك الآشوري (بوزر - آشور الثالث) (Puzur-Ashur III) عام ١٥٢١ ق.م ولغاية حكم الملك أد - نراري الثاني (Adad-(nirari II) عام ٩١١ ق.م، أي أنه دام زهاء ستة قرون، ويُقابل بذلك العصر البابلي الوسيط في بلاد بابل الذي شغل معظمهُ بحكم السلالة الكاشية أو سلالة بابل الثالثة (١٥٩٥-١١٦٢ ق.م).^(٢)

ب- أحوال بلاد آشور السياسية في هذا العصر:

مرّت بلاد آشور بتقلبات سياسية متعددة في العصر الآشوري الوسيط، إذ كانت تارةً دولةً ضعيفةً تابعةً وتارةً أخرى دولةً قويةً مستقلةً، إلا أنها خرجت من كل تلك الظروف دولةً عسكريةً قويةً استطاعت أن تثبت سلطانها وتفرض وجودها.^(٣) ولكي نقف على سير الأحداث في بلاد آشور في هذا العصر، لا بدُّ لنا أن نتحدث عن الأوضاع السياسية العامة للدول والممالك الكبرى التي قامت في الشرق الأدنى في ذلك الوقت. فبعد أن خضعت بلاد آشور مدةً طويلةً للسيطرة البابلية في العصر البابلي القديم (٢٠٠٤-١٥٩٥ ق.م)، فإنها استقلت سياسياً بعد اجتياح بابل من قبل الحثيين عام ١٥٩٥ ق.م.^(٤) بقيادة مورشليش الأول (Murshalish I) (١٦٢٠-١٥٩٠ ق.م) الذي شنّ حملةً عسكريةً انطلق فيها من بلاده نحو سوريا واحتل مدينة حلب ثم توجه نحو أعالي الفرات ودخل مدينة ماري ودمرها واستمر في تقدمه متجهاً إلى بابل ودخلها في عهد آخر ملوكها (سمسو - ديتنا) (Samsu-

(١) باقر، طه: "مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة"، ج ١، ص ٥٣١، ٥٣٢.

(٢) باقر، طه وآخرون: "تاريخ العراق القديم"، ج ١، جامعة صلاح الدين، الموصل ١٩٨١م، ص ٢١٧.

(٣) سليمان، عامر: "العراق في التاريخ"، ص ١٢٨.

(٤) الحثيون: وهم من الأقوام الهندو أوروبية وورد اسمهم في المدونات الآشورية والمصرية، وقد تعددت الآراء حول موطن الحثيين وكيفية وصولهم إلى بلاد الأناضول، فهناك من يرى أنهم قدموا من أوربا عبر مضيق البوسفور، ومنهم اقترح أنهم من سكان القفقاس في شمال روسيا، وأمّا الرأي الآخر فهو يشير إلى أنهم من سكان آسيا الوسطى الأصليين. وهناك من يرى وهو الرأي الأكثر ترجيحاً بأنهم ينتمون إلى القبائل الهندو أوروبية التي استقرت في منطقة القوقاز جنوب روسيا ومنها انتشروا إلى المناطق المجاورة في عدة اتجاهات. أنظر: محمود خليل، أحمد: "تاريخ مملكة ميتاني الحورية"، دار موكرياني للبحوث والنشر، ط ١، أربيل ٢٠١٣م، ص ٦٨. كذلك أنظر أيضاً: عثمان الورد، محمود فارس: "الهجرات الهندو - أوروبية (الآرية) إلى منطقة غرب آسيا وأثرها على بلاد الرافدين حتى سنة ٦٣٧م"، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد (٢٢)، العدد (١)، شباط ٢٠١٥م، ص ١٧.

(ditanā) (١٦٢٦-١٥٩٥ ق.م)، وبذلك قضى على السلالة البابلية الأولى الحاكمة فيها^(١)، إلا أن مورشليش الأول لم يبق في بلاد بابل حيث انسحب منها نتيجة لحدوث مؤامرة ضده في البلاط الحثي، فاستغل الكاشيون^(٢) ذلك الانسحاب واحتلوا بابل في عام ١٥٩٥ ق.م وبذلك استقلت بلاد آشور عن بلاد بابل في الحكم، وانشغل الملوك الآشوريون في تقوية جبهتهم الداخلية وترصين حدودهم الخارجية.^(٣) وكان لوجود تلك القوى السياسية تأثير كبير على بلاد آشور إذ حال دون توسعها إلى المناطق المجاورة لها وتقلصت حدودها إلى أدناها، إلا أن الخطر الحقيقي الذي واجه بلاد آشور تمثل بالدولة الميتانية^(٤) التي استغلت ضعف الدولة الحثية فيما بعد ومدت نفوذها على بلاد آشور، حيث

(١) أوتس، جون: "بابل تاريخ مصور"، ترجمة: سمير عبد الرحيم، بغداد ١٩٩٠، ص ١٣٠.

(٢) الكاشيون: وهم يمثلون أحد الأقوام التي يرجح أنها هاجرت من منطقة بحر قزوين وجبال القفقاس إلى المنطقة الوسطى من سلسلة جبال زاغروس المعروفة اليوم باسم (بلورستان)، وذلك في نهاية القرن الثامن عشر قبل الميلاد. ويعود أصل كلمة (كاشيون) إلى (كاش/ كاشو) وهو إلههم ويعني (السيد). كما أطلق اليونان على تلك البلاد اسم (كاسايا وأهل كاسايوي) وهم أول من أدخل الخيول إلى بلاد بابل، واستخدموا العربات التي تجرها الخيول في أيام السلم والحرب، وقد سيطروا على بلاد بابل بقيادة ملكهم (آغوم الثاني) حوالي سنة ١٥٣١ ق.م، وضموا إليها جنوبي بلاد وادي الرافدين، واتخذوا مدينة بابل عاصمة لهم، وأطلقوا على بلاد بابل اسم (كاردنياش) أي (بلد الإله دونياش). أنظر:

Sommer, F. W. "The Kassites of Ancient Mesopotamia: Origins, Politics and Culture", CANE, New York, 2000, p.930.

كذلك أنظر أيضاً: محمود خليل، أحمد: "تاريخ مملكة ميتاني الحورية"، ص ٦٧، ٦٨.

(٣) Tenen, M., A., "Histories The Ancient World", London, 1937, p.86.

(٤) الميتانيون: وهم فرع من الحوريين (Hurrians) الذين انحدروا منذ نهاية الألف الثالث قبل الميلاد من المرتفعات الواقعة شمال شرقي بلاد وادي الرافدين بين بحيرة أورمية وجبال زاغروس. وقد تعددت الآراء حول أصولهم فالبعض أرجعهم إلى مناطق أرمينيا الحالية (شمال شرق آسيا الصغرى)، وأن تاريخ وجودهم هناك يعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد، وأنهم وصلوا إلى أعلى دجلة والفرات متخذين من أعالي الخابور وهو أحد أهم الروافد الفراتية في سوريا موطناً لهم، ويذهب البعض إلى أن الحوريين كانوا في المنطقة الممتدة بين البليخ والخابور منذ الألف الخامس قبل الميلاد ليسيطروا بعدها على مثلث الخابور مع أواسط الألف الثالث قبل الميلاد. وتؤكد النصوص الآشورية أن الحوريين الميتانيين هم من القبائل الهندو أوروبية وذلك بالإشارة إلى أسمائهم إذ ميزهم الآشوريون عن الأقوام الأخرى الذين كانوا في المنطقة من خلال لغتهم الخاصة وديانتهم وهم من الشرق، كما أن دراسة لغتهم أثبتت ارتباطهم بلهجة الهندو أوروبية. وبعد عام ١٥٥٠ ق.م نمت مملكة حورية عرفت باسم ميتاني امتدت من بحيرة وان وحتى أواسط نهر الفرات، ومن جبال زاغروس وحتى الساحل السوري، وعاصمتها (واشوكاني) (Washukkanni) وتعرف حالياً (بتل الفخيرية) الواقعة قرب رأس نهر الخابور إلى الشرق من تل حلف شمال محافظة الحسكة في الشمال الشرقي من سوريا حالياً، وقد ذكرتها المصادر الآشورية باسم (خانجلبات) (hanigalbat) وأما مركزها في بلاد وادي الرافدين فكان في (أرابخا) (كركوك حالياً). أنظر: حتي، فيليب: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ج ١، ترجمة: جورج حداد وعبد المنعم رافق، بيروت، ص ١٦١.

مرت بلاد آشور بفترة مظلمة دامت زهاء القرن ونصف القرن، حكم فيها اثنا عشر ملكاً ابتداءً من (بوزر - آشور الثالث) (١٥٢١-٤٩٨ ق.م)، إلى بداية عهد الملك الآشوري (آشور - أوبالط الأول) (Ashur-uballit I)، حيث كانت الدولة الآشورية فيها تابعةً للميتانيين ويدفع الملوك الآشوريين فروض الطاعة والولاء لهم^(١). فقد توسعت الدولة الميتانية باتجاه بلاد آشور وتمكنت من فرض سيطرتها على بعض أجزائها في حين كانت المناطق الأخرى تتمتع بنوع من الاستقلال، نستدل على ذلك من خلال قيام الملك الآشوري (بوزر - آشور الثالث) (١٥٢١-٤٩٨ ق.م) بعقد معاهدة مع الحاكم الكاشي (بورنابورياش الأول) (Burna-Buriash I) لترسيم الحدود بين بلاد آشور وبلاد بابل^(٢)، ونصت هذه المعاهدة التي ذكرت في التاريخ المعاصري^(٣) على ما يأتي:

"بوزر - آشور الثالث، ملك آشور وبورنابورياش الأول ملك كاردونياش أقسما وثبتا بالذات الخط الحدودي هذا....."^(٤).

يُستدل من قيام الملك الآشوري بوزر-آشور الثالث بعقد معاهدة مع دولة مجاورة على أنه كان يتمتع بنوع من الاستقلال والسيادة. بحيث تمكن من عقد مثل تلك المعاهدة، كما يمكن أن نستشف من ذلك أن العلاقة ما بين بلاد آشور وبلاد بابل كانت تميل إلى سياسة المهادنة ومبدأ التعايش السلمي الذي اعتمده الكاشيون في علاقاتهم مع الأقوام المجاورة لهم، وانصرفهم إلى التعمير والبناء، وذلك بعد توطيد الجبهة الداخلية لهم^(٥). والدليل الآخر على تمتع بلاد آشور بنوع من الاستقلال هو الهدية التي أرسلها أحد ملوك بلاد آشور إلى ملك مصر تحوتمس الثالث (Thutmosis III) (١٥٠٤-٤٥٠ ق.م) الذي قاد حروباً ضد الميتانيين عام ١٤٧٢ ق.م وادعى فيها أنه سيطر على سوريا ووصل بجيشه إلى

كذلك أنظر أيضاً: شوال، حسن إسماعيل: "الصراع الحثي الميتاني المصري للسيطرة على سوريا في القرنين السادس والخامس عشر قبل الميلاد"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الزقازيق، القاهرة ٢٠٠٥م، ص ٦٨-٧٣.

(١) رو، جورج: "العراق القديم"، ص ٣٤٤.

(٢) Rowton, M. B., "Ancient Western Asia", CAH, Vol, 1, part 1, Cambridge, 1970, p.203.

(٣) التاريخ المعاصري: وهي عبارة عن قائمة تحتوي في الجهة اليسرى على أسماء الملوك الآشوريين مُسلسلةً عمودياً، ويُقابلها في الجهة اليمنى أسماء مُعاصريهم من الملوك البابليين، ومما يجدر إليه بالملاحظة وجود ملوك حكموا لفترة طويلة من الزمن يعاصرهم في العمود المقابل أكثر من ملك واحد، ورغم أن التاريخ المعاصري هو من إبداع الآشوريين، إلا أن أهميته في تحديد تواريخ السلالات الحاكمة لم تقتصر على بلاد آشور فحسب بل تعدتها إلى تاريخ بلاد وادي الرافدين عموماً، أنظر:

الطائي، ابتهاج عادل: "علم التاريخ لدى سكان بلاد وادي الرافدين"، مجلة آفاق عربية، العدد: (١١-١٢)، بغداد ٢٠٠٠م، ص ٣٦.

(٤) Grayson, A. K., TCS, Vol. 5, New York, 1975, p.158.

(٥) المهنا مظهر، رشا ثامر: "التطورات السياسية للدولة الآشورية (٩١١-٧٤٥ ق.م)"، ص ٣٠، ٣١.

نهر الفرات^(١). إلا أن الوضع في بلاد آشور لم يبقَ على حاله حيث عمدت الدولة الميتانية على ضمها وأصبحت تحت النفوذ الميتاني في عهد الملك سوستاتار (Saustatar) (١٤٩٠-١٤٣٦ ق.م) الذي ذكر بأنه نهب باباً من الفضة والذهب من بلاد آشور وزين به قصره في العاصمة واشوكاني (Washukanni) وتشير الدلائل الأثرية إلى أن بلاد آشور لم يكن فيها أي مركز سياسي، بل إنها كانت مقسمة إلى عدة إدارات مركزية تُدار من الميتانيين، وأن مركز تلك الإدارات هو في المدن الآشورية الرئيسة وهي آشور ونيوى وأربيل وأرابخا (كركوك)^(٢). وبعد احتلال الميتانيين لبلاد آشور اختلفت الأوضاع السياسية في المنطقة وقامت سلسلة من الحروب والأحلاف والمعاهدات بين دول الشرق الأدنى القديم نتيجة لتضارب مصالح تلك الدول في سوريا^(٣)، حيث اتجه الميتانيون لإقامة علاقة تحالف وصداقة مع ملوك مصر عن طريق عقد مصاهرات سياسية إذ تزوج الملك المصري أمنوفس الثالث (Amnofese III) (١٤٠٨-١٣٧٢ ق.م) من (كيلو حيبا) ابنة الملك الميتاني (شوتارنا الثاني) (Shuttarna II)، كما أن الملك (تشراتا) (Tushratta) الذي خلف والده (شوتارنا الثاني) على العرش الميتاني بعث بابنته (تادو - حيبا) ليتزوجها الملك المصري أمنوفس الثالث^(٤). وهذا يدعونا للتساؤل عن الدوافع الحقيقية وراء هذا التقارب المصري الميتاني آنذاك، فربما يعود السبب لحدوث هذا التقارب ما بين مصر ومملكة ميتاني إلى تحسب كلا الطرفين من تنامي الخطر الحثي، ففي مصر تمكن تحوتمس الثالث (١٥٠٤-١٤٥٠ ق.م) من القضاء على الهكسوس في معركة مجدو (١٤٧٨ ق.م)^(٥)، وبذلك اصطدمت المصالح التجارية المصرية في سوريا بمصالح الدولة الحثية التي كانت لها أغراض توسعية في تلك المنطقة، فما أن تولى (شوبيلوليوما) (١٣٧٥-١٣٣٥ ق.م) المجهول الأصل الحكم في بوزازكوي حتى قاد جيشاً نحو سوريا لاحتلال حلب التي كانت تحت السيطرة الميتانية، إلا أن حملته تلك باءت بالفشل، فسير حملة ثانية اجتاز فيها الفرات قرب ملاطية ووصل إلى بلاد ميتاني وتمكن من دخول عاصمتها واشوكاني ومنها توسع نحو مناطق شمالي سوريا، أما الدولة الميتانية فلم تتمكن من إستعادة ممتلكاتها التي سيطر عليها الحثيون وذلك لانشغالها بالصراعات والنزاعات الداخلية، فانتابها الضعف وانقسمت إلى دولتين مستقلتين سيطرت الأولى على منطقة بحيرة وان بينما سيطرت الأخرى على بلاد آشور وأجزاء من سوريا^(٦). وقد استغل الملك الآشوري أربيا أد الأول (Eriba-Adad I) (١٣٩٢-١٣٦٦ ق.م) الأوضاع المتردية التي تمر بها

(١) ساكز، هاري: "قوة آشور"، ص ٦٥، ٦٦.

(٢) سليمان، عامر: "الجيش وال سلاح"، ج ١، ص ٢٤٠.

(٣) سليمان، عامر: "العلاقات السياسية الخارجية"، موسوعة حضارة العراق، ج ٢، بغداد ١٩٨٥م، ص ١٣٣.

(٤) Olmstead, A. T., "History of Assyria", Chicago, 1960, p.39.

(٥) إبراهيم، نجيب ميخائيل: "مصر والشرق الأدنى القديم"، ط ١، مصر ١٩٦٣م، ص ٢١٠.

(٦) Rowton, M. B., op. cit., p.229.

الدولة الميتانية واستقل عنها^(١)، واقتسم الآشوريون مع مملكة أخرى تدعى (الشي) (Alshe) والتي ربما تقع في طور عابدين بعض مناطق الدولة الميتانية^(٢). خلف هذا الملك في الحكم ابنه آشور أوبالط الأول (Ashur-uballit I) (١٣٦٥-١٣٣٠ ق.م) الذي استغل ضعف الجبهة الداخلية في بلاد ميتاني، حيث لم يقتصر دهاء هذا الملك أي (آشور أوبالط الأول) على تخليص بلاده من النفوذ الميتاني، بل إنَّه أسهم في إسقاط تلك الدولة وإزالتها من الوجود، مُنتهزاً الأوضاع الدولية وعلاقاته المزدوجة مع المملكتين المُتعاديتين آنذاك وهما، مصر والحثيين، يُضاف إلى ذلك ضعف الدولة المصرية في عهد الملك المصري (أخناتون)، الذي سببت ثورته الدينية إضعاف المملكة المصرية في الداخل والخارج. واستطاع آشور - أوبالط أيضاً أن يتدخل في شؤون بلاد بابل عن طريق المصاهرة، ويمكن القول إنَّ هذا الملك الآشوري القوي وضع أسس الدولة الآشورية القوية، وحدد سياستها العامة إزاء الأخطار الخارجية التي ظلت تُهددها في جميع عهودها، والتي يمكن حصرها في ثلاث جبهات:

الأولى: وهي الجبهة الشرقية والشمالية الشرقية حيث الأقوام الجبلية الشديدة المراس مثل الغوتيين واللوليو وغيرهم. **والثانية:** الجبهة الغربية والشمالية الغربية حيث الأقوام القاطنة في بوادي ما بين النهرين، وكانت هذه جبهة حيوية للآشوريين، لأنها كانت واسطة الاتصال البري بموانئ البحر المتوسط. وقد تفاقمت الأخطار على الآشوريين من هذه الجبهة إبان اندفاع القبائل الآرامية وتهديدها للوجود الآشوري نفسه. **والجبهة الثالثة:** كانت الجنوبية وهي بلاد بابل التي ما انفكت تتنازع الآشوريين على توسعهم صوب الجنوب، لما في ذلك من خيرات وموارد واتصال بالخارج عن طريق الخليج، ويجاور بلاد بابل العيلاميون في الأجزاء الجنوبية من إيران (خوزستان) وكانوا مصدر خطر جسيم على البابليين والآشوريين على السواء. وظلَّ الآشوريون يقظين إزاء تلك الأخطار المُهددة لكيانهم، وكانوا يكتسبون الخبرات العسكرية من تعرضهم إلى تلك التحديات الخارجية والداخلية، بحيث إنهم خرجوا من تلك الأخطار والتحديات شعباً مُحارباً قوياً مكتسباً للحنكة والقوة إزاء مثل تلك التحديات الشديدة^(٣).

ت- أحوال بلاد آشور السياسية في عهد خلفاء الملك الآشوري آشور أوبالط:

خلف هذا العاهل القوي عدد من الملوك استمرت الدولة الآشورية في عهود معظمهم في النمو والتعاظم، كما أنهم نهجوا على نهجه من حيث توطيد الأسس، نَحْصُ بالذكر منهم المُسمى الملك (شلمانصر الأول ١٢٧٤-١٢٤٥ ق.م) الذي كان من أعظم ملوك العصر الآشوري الوسيط، وقد اشتهر بفتوحه الخارجية وتقويته كيان دولته، وخلف له شهرة واسعة لدى الملوك الذين جاؤوا من بعده، كما وصلت إلينا منه نصوص تاريخية عن حملاته الحربية إلى الجهات الشمالية والشمالية الشرقية،

(١) سليمان، عامر: "منطقة الموصل في الألف الثاني قبل الميلاد"، ص ٧٧.

(٢) ساكز، هاري: "قوة آشور"، ص ٦٨.

(٣) باقر، طه: "مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة"، ج ١، ص ٥٣٥، ٥٣٦.

ولاسيما على الغوتيين. ونقرأ في هذه الأخبار إرسال حملة عسكرية إلى بلاد أرمينيا (أورارتو) لأول مرة. كما أنه غزا موطن الحوريين، وجهات ما بين النهرين العليا (خانيجلبات) وورد في أخبار حملته هذه ذكر إحدى القبائل الآرامية الكبيرة باسم (أحلامو) أو (أخلامو) (ولعل معناها الأحلاف)، ومن أعمال شلمانصر الأول المهمة التي ذكرتها أخبار الملوك الذين أعقبوه تأسيسه عاصمة أخرى جديدة للملكة خصصها لتكون بالدرجة الأولى عاصمة عسكرية. وقد سماها (كلخو) وهي (كالح) المذكورة في التوراة) وتُعرف بقاياها الآن باسم (نمرود) على بعد نحو (٢٢ ميلاً) جنوب الموصل. وقد أعاد بناءها ووسّعها الملك الشهير (آشور ناصر بال الثاني ٨٨٣-٨٥٩ ق.م)، وخلف شلمانصر الأول ملك كفاء هو ابنه المسمى (توكولتي نورتا الأول ١٢٤٤-١٢٠٨ ق.م)، وكان ملكاً قوياً استمر في عهده تعاظم الدولة الآشورية، واشتهر من بين أعماله الحربية في غزوه لبلاد بابل في عهد ملكها الكاشي (كاشتلياش الرابع)، وضمها إلى مملكته طوال سبع سنوات حكم في أثائها ثلاثة ملوك تابعين. وقد خلد (توكولتي - نورتا) هذا الحدث بتأسيسه مدينة جديدة قرب العاصمة آشور سماها باسمه (كار - توكولتي - نورتا) أي مدينة أو حصن (توكولتي - نورتا).

وانتهى حكم الملك (توكولتي - نورتا) باغتياله وهو مُحاصر في قصره إثر انقلاب دبره ابنه المسمى (آشور - نادن - أبلي) مع بعض الأمراء والقواد. وأعقب ذلك فترة ضعف حلت في المملكة الآشورية انكمشت في أثائها وتقلصت حدودها، وقد دامت زهاء القرن الواحد (من حدود ١٢٠٨-١١١٥ ق.م) وحكم فيها تسعة ملوك ضعفاء إلى بداية حكم (تجلات بلانصر الأول ١١١٥-١٠٧٧ ق.م).^(١)

وقد حصل بعض الانفراجات في أحوال البلاد الآشورية في عهد آخر ملوك الفترة المظلمة التي نوهنا إليها، وهو الملك (آشور - ريش - إيشي) والد (تجلات بلانصر الأول)، الذي اضطلع حالما تبوأ عرش المملكة الآشورية بأعمال جسيمة، وفي مقدمتها درء الأخطار المحدقة بها من الجبهات الثلاث التي أشرنا إليها سابقاً. فمن الجهة الشمالية زحفت من أسيا الصغرى جموع قوم (المشكي)^(٢)، ومن الغرب بدأت

(١) (تجلات بلانصر الأول ١١١٥-١٠٧٧ ق.م): وهو إحدى الشخصيات القيادية القديرة والذي يعود حكمه للفترة الآشورية الوسيطة، إذ استطاعت بلاد آشور في عهده، أن تستعيد سالف قوتها وازدهارها، فضلاً عن تثبيت كيان بلاد آشور من خلال انتصاراته على الأقوام التي كانت تهدد أمن واستقرار بلاد آشور. أنظر:

مورتكات، أنطوان: "تاريخ الشرق الأدنى القديم"، ترجمة: توفيق سليمان وآخرون، دمشق ١٩٦٧م، ص ٢٨٣.
(٢) أقوام (المشكي): وهم مجموعة من الأقوام الجبلية ظهرت في شمال بلاد آشور فيما وراء منطقة طور عابدين، وقد تقدمت هذه الأقوام نحو الجنوب لغزو الأقاليم الآشورية ومنها "كموخ"، وقد عمل الملك تجلات بلانصر الأول على إخضاعها والسيطرة عليها، كما يرجح بعض الباحثين على أنهم "الفريجيون" الوارد ذكرهم في المصادر الكلاسيكية. أنظر:

باقر، طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج ١، ص ٤٩١. كذلك ينظر أيضاً:

القبائل الآرامية المتمركزة على طول الفرات الأعلى في عبور هذا النهر والاتجاه إلى تخوم بلاد آشور نفسها. وفي الجبهة الجنوبية انتهزت بلاد بابل في عهد سلالتها الرابعة أحوال الضعف في بلاد آشور فمدت حدودها شمالاً على حساب الدولة الآشورية إلى قرب الزاب الأسفل. وهنا تتجلى مقدرة الملك الجديد (تجلات بلاصر الأول) في مواجهته تلك الأخطار الجسيمة والتغلب عليها، ولم يكتف بذلك بل إنه عكس الآية فانقل من موقف الدفاع إلى الهجوم، فحذر جموع (المشكي) وأوقع فيهم المذابح، وهاجمهم في عقر دارهم وعرج من بعد ذلك على أرمينيا ونصب له تمثالاً في منطقة بحيرة (وان)، وأوغل أحد جيوشه في جبال (زاغروس) إلى الإقليم الذي ورد ذكره باسم (مصري). كما أن جيوشه استطاعت أن ترد القبائل الآرامية إلى ما وراء الفرات وطاردتهم إلى معاقلمهم في بوادي الشام ولاسيما في منطقة تدمر، وقد ورد اسم هذا الموضوع في كتاباته. والجدير بالذكر عن معاركه مع الآراميين أن الاسم (أرامو)، أي (آراميين)^(١)، ورد لأول مرة في النصوص المسمارية إلى جانب اسم القبائل الأخرى مثل (أحلامو) أو (أخلامو)، وأن تجلات بلاصر الأول وجه على الآراميين ما لا يقل عن ثمان وعشرين حملة. والمُرجح أن هذا الملك غزا أيضاً سوريا ووصل إلى الساحل الفينيقي، حيث يُخبرنا أنه أخذ الجزية من المدن الفينيقية مثل (أرواد) و(جبيل) و(صيدا)، ووجه ضربة شديدة أيضاً على بلاد بابل في عهد ملك سلالتها الرابعة المسمى (مريدوخ - نادن - آخي) الذي خلف (نبوخذ نصر الأول). وأُغرم هذا الملك الفاتح بصيد الحيوانات الوحشية، وهي الرياضة التي كانت مُحبة إلى الملوك الآشوريين. فقد جاء في أخباره المدونة أنه قتل أربعة ثيران وحشية في بلاد (ميتاني) (شمالي ما بين النهرين)، وعشرة من الفيلة الضخمة في بلاد (حاران) ومنطقة الخابور وقتل أيضاً (١٢٠) أسداً وهو راجل و(٨٠٠) أسد وهو في عربته، واصطاد كذلك أفراس البحر في مياه البحر المتوسط بالقرب من جزيرة (أرواد على الساحل السوري). إن تلك الانتصارات والأمجاد التي حققها (تجلات بلاصر الأول) لبلاد آشور لم تدم من بعده أمداً طويلاً، فإنه بعد أن اغتيل انتهت فترة حكمه المزدهرة، وأعقبتها فترة ضعف أخرى في حياة الدولة الآشورية، وكانت حقبة مظلمة سواء كان ذلك من ناحية قلة مصادرها عنها أم من ناحية تعرض الآشوريين إلى أشد الأخطار التي جابهتهم في جميع أدوار تاريخهم، ونعني بذلك اشتداد اندفاع القبائل الآرامية وضغطها على الآشوريين، بحيث هددتهم في عقر دارهم. وشملت الأخطار

حسين، ياسر هاشم: "حملة الملك الآشوري تجلات بلاصر الأول ١١١٥-١٠٧٧ ق.م على إقليم المشكو، الأسباب والنتائج"، مجلة التربية والعلم، مجلد "١٢"، العدد: "٣"، الموصل ٢٠٠٥م، ص ١٦٨.

(١) (الآراميون): وهم يمثلون أحد الأقوام العربية التي هاجرت نحو سوريا وبلاد وادي الرافدين حوالي منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، وقد استقروا في أواسط نهر الفرات، حيث يرد ذكرهم لأول مرة في النصوص المسمارية التي يعود تاريخها إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وتشير كذلك إلى أنهم انتشروا في الصحراء الواقعة إلى الغرب من بلاد وادي الرافدين، وإلى أنهم كانوا في بادئ أمرهم قبائل رحل متنقلين بين نجد وحدود سوريا ونهر الفرات في الشرق وخليج العقبة في الغرب. أنظر:

الأحمد، سامي سعيد، وأحمد، جمال رشيد: "تاريخ الشرق القديم"، بغداد ١٩٨٨، ص ٢٢٩.

الفصل الأول:

الآشوريون: (موطنهم، أصلهم، تسميتهم، أوضاعهم السياسية)

أيضاً بلاد بابل حيث اتجهت إليها جُملة قبائل من الآراميين. ودامت هذه الفترة المظلمة زهاء (١٦٦ عاماً)، منذ موت تجلات بلاصر الأول عام (١٠٧٧ ق.م) إلى بداية حكم الملك (أدد - نراري الثاني ٩١١ ق.م)^(١)، الذي جعلنا عهده بداية لما سميناهُ بالعصر الآشوري الحديث^(٢).

٤- العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م):

أ- الفترة الزمنية التي شغلها هذا العصر:

يؤشر اعتلاء الملك (أدد - نراري الثاني) (٩١١-٨٩١ ق.م) للعرش الآشوري عام (٩١١ ق.م)، بدايةً لعصرٍ جديدٍ دامَ حتى نهاية كيان الآشوريين السياسي عام (٦١٢ ق.م). ويُطلق عليه عادةً مُصطلح: "العصر الآشوري الحديث"^(٣)، ونتيجة للحقبة الزمنية الطويلة التي استغرقتها هذا العصر والتي يمكن تحديدها بثلاثة قرونٍ كانت مليئةً عندها بالأحداث السياسية والعسكرية والمنجزات الحضارية، لذلك ارتأى الباحثون تقسيم العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م) إلى فترتين هما:

- الدولة الآشورية الأولى (٩١١-٧٤٥ ق.م).

- الدولة الآشورية الثانية (٧٤٤-٦١٢ ق.م).^(٤)

ب- أحوال بلاد آشور السياسية في هذا العصر:

لقد مرت بلاد آشور بعصورٍ تاريخيةٍ مختلفةٍ، تقلّبت فيها أوضاع الدولة الآشورية ما بين القوة والضعف كما مرَّ معنا سابقاً، ويعد العصر الآشوري الحديث أغزر تلك العصور في إنجازاته السياسية والحضارية. فبعد فترة الركود والانكماش السياسي الذي خيم على الدولة الآشورية في نهاية عصرها الوسيط، نهضت تلك الدولة من جديد لتأخذ دورها على مسرح الأحداث السياسية، وبرزت كقوةٍ دوليةٍ

(١) (أدد - نراري - الثاني ٩١١-٨٩١ ق.م): سار هذا الملك على نهج أبيه الملك آشور - دان - الثاني (٩٣٤-٩١٢ ق.م)، في شنِّ الحملات العسكرية في كلِّ عم من أعوام حكمه الإحدى والعشرين تقريباً، التي قضاها في العرش الملكي. كما قام خلال مدة حكمه بوضع أسس الدولة الآشورية في العصر الآشوري الحديث، ومن أهم أعماله العسكرية هو تجهيز عدد من الحملات العسكرية بهدف إخماد التمردات والفتن والقضاء على ضغط الدويلات والقبائل الآرامية التي كانت تغيّر على الحدود الشمالية الغربية للدولة الآشورية. وقد انعكس نجاح تلك الحملات العسكرية في إبعاد خطر التجمعات الآرامية عن حدود بلاد آشور، بالإضافة إلى قيامه بالخطوة الأولى لتحقيق أمل الآشوريين في السيطرة على الطرق التجارية المؤدية إلى البحر المتوسط، فضلاً عن غزوه لبلاد بابل وبلاد الأناضول والسهول السورية أيضاً. أنظر:

سليمان، عامر: "العصر الآشوري الحديث، العهد الإمبراطوري"، العراق في التاريخ، بغداد ١٩٨٣م، ص ١٤٤. وأيضاً: سليمان، عامر: "منطقة الموصل في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد، العصر الآشوري الحديث"، ص ٨٧.

(٢) باقر، طه: "مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة"، ج ١، ص ٥٣٧-٥٤٠.

(٣) سليمان، عامر: "منطقة الموصل في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد، العصر الآشوري الحديث"، ص ٨٢.

(٤) المهنا مظهر، رشا ثامر: "التطورات السياسية للدولة الآشورية (٩١١-٧٤٥ ق.م)"، ص ٨٣.

مؤثرة في المنطقة يحسب لها حساب من جيرانها المجاورين لها. حيث هيأت الظروف الدولية الجديدة المحيطة بها جواً مناسباً لها لتحتل المكانة الكبيرة التي وصلت إليها في العصر الآشوري الحديث، مُستغلةً ضعف الدول والممالك المجاورة لها، فضلاً عن العوامل الداخلية التي أثرت تأثيراً كبيراً في انبعاث قوة الدولة من جديد. ويمكننا القول بأن الدولة الآشورية قد استغلت تلك الظروف الخارجية المواتية والتي سنأتي على ذكرها لاحقاً، فضلاً عن الاستعداد الداخلي الذي أهلها للوصول إلى المكانة المرموقة التي وصلت إليها.^(١) فقد تميّزت هذه الفترة من تاريخ الآشوريين بتعاظم قوة الآشوريين السياسية والعسكرية حتى تبوأ دولتهم في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، المركز الأول بين دول العالم القديم وغدت أكبر قوة في المنطقة. ورافق تلك القوة ازدهار حضاري واضح في مختلف المجالات تُفصح عنه المخطّات الرائعة (من قصور ومدن وزقورات ومعابد وغيرها)، والتي تم الكشف عنها حتى الآن وبصورة خاصة في العواصم الآشورية الرئيسية، ومع ذلك فقد انتابت الدولة الآشورية خلال هذا العصر الطويل الذي دام ثلاثة قرون كاملة بعض فترات من الضعف والتقهقر في القوة وبعض الأزمات والمحن السياسية والاقتصادية كان آخرها إيذاناً بنهاية الآشوريين السياسية واختفاء دولتهم من على المسرح الدولي آنذاك، غير أن حضارتهم وتأثيراتها على البلدان والأقاليم التي كانت تابعة أو خاضعة لنفوذ الآشوريين ظلت واضحة بل إنها أثرت حضارياً في الأقوام التي جاءت بعد الآشوريين. واحتلت مكانتهم السياسية مما يُشير إلى قوة حضارتهم وأصالتها وعمق تأثيراتها في الأقوام الأخرى. والمتتبع لتاريخ الآشوريين في عصورهم المختلفة يذهل من كثرة المخطّات المادية التي خلفها لنا الآشوريون في عصرهم الحديث، والتي تُشكل حالياً أهم وأروع ما تمتلكه المتاحف العالمية الشهيرة من آثار، كما أن المدن الآشورية المكتشفة، وجميعها تقع في منطقة آشور، تُعد من أهم مدن بلاد وادي الرافدين المكتشفة من حيث ضخامتها وفخامة أبنيتها وكثرة آثارها الباقية كمدينة (نينوى، وآشور، وكلخو، ودور - شروكين، وتريص وغيرها).^(٢) ولكي نتعرف على الأحوال السياسية للدولة الآشورية في هذا العصر فلا بد لنا أن نُعرّج ولو بشكل موجز على التطورات الدولية التي حدثت إبان هذا العصر.

– الأوضاع الدولية الجديدة التي طرأت في هذا العصر:

يبدو لنا من الواضح من خلال تتبع أحوال الآشوريين فيما سبق، أنه لم يكن بمقدورهم أن يصلوا إلى ما وصلوا إليه من القوة وسعة النفوذ وتحقيق الانتصارات العسكرية المتلاحقة والارتقاء بمستواهم الاقتصادي والحضاري في هذا العصر وعلى نحو مفاجئ، من دون وجود عوامل أساسية هيأت لهم الظروف الملائمة دفعت بهم إلى الأمام لتحقيق ذلك، ومن هذه الأسباب والعوامل ما يمكن التعرف

(١) المهنا مزر، رشا ثامر: "التطورات السياسية للدولة الآشورية (٩١١-٧٤٥ ق.م)"، ص ٦٠.

(٢) سليمان، عامر: "منطقة الموصل في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد"، ص ٨٢.

عليه من خلال الدراسات الموضوعية لمُخلفات الآشوريين أنفسهم ومتابعة تطور الأحداث في المنطقة ومنها ما يبقى خافياً حتى تكشف لنا عنه الدراسات والمكتشفات المقبلة، وقد يبقى خافياً إلى الأبد. ويأتي في مقدمة تلك الأسباب والعوامل التي حفزت الآشوريين، ودفعت بهم إلى توحيد جهودهم وبناء جيشهم، ثم إلى تفوقهم العسكري على غيرهم من الشعوب والأقوام، التحديات الصعبة والأخطار الجسيمة التي واجهها الآشوريون منذ أن وُجدوا في المنطقة، والتي لم تكن موجهة ضدهم لأنهم آشوريون، بل كانت موجهة ضد المنطقة الغنية بمياهها وتربتها الخصبة ومناخها الملائم، مقارنةً بالمناطق الفقيرة المجاورة لها في الشرق والغرب، فضلاً عن موقع بلاد آشور الاستراتيجي وأهميته بالنسبة لخطوط التجارة القادمة من الخليج العربي في الجنوب أو من موانئ البحر المتوسط في الغرب. لذلك كانت بلاد آشور تتأثر بما كان يحدث فيما حولها من تغييرات وتقلبات سياسية وعرقية لما لذلك من أثر كبير، على زيادة خطورة التحديات وجسامة الأخطار أو انكماشها، بل يمكن القول أنه ما كان يحدث في بلدان الشرق الأدنى القديم من مُتغيرات آنذاك، أُملى على الآشوريين في كثير من الأحيان، إتباع سياسة معينة في داخل بلاد آشور وخارجها، وهذا ما سوف نلاحظه من خلال متابعة تطور الأحداث السياسية والإدارية فيما بعد. لذا، فإنه من المفيد أن نُلقي نظرة سريعة على الأوضاع التي كانت تمر بها بلدان الشرق الأدنى القديم في هذه الفترة لمعرفة مدى تأثيرها على الدولة الآشورية.^(١) ففي مطلع الألف الأول قبل الميلاد، كانت الأوضاع الدولية قد تغيرت تماماً عما كانت عليه في العصر الآشوري الوسيط، فكانت قد غابت عن المسرح السياسي والعسكري قوى عديدة كان لها تأثيرها في المنطقة بل إنها كانت تتحكم في توجيه الأحداث الدولية، كما تقلص وانكمش نفوذ قوى أخرى كانت لها المكانة نفسها فيما سبق. فالمملكة الحثية التي كانت تسيطر على آسيا الصغرى وشمال سوريا وتهدد مصالح المملكة المصرية القديمة، وتحد من نشاط الآشوريين كانت قد انتهت في حدود القرن الثاني عشر ق.م.^(٢) على أيدي الإيجيين الذين هاجروا من مواطنهم في جزر بحر إيجه نحو مناطق الشرق الأدنى القديم، حيث دخلت أولى موجاتهم عن طريق آسيا الصغرى واستوطنوا في أواسطها، وبعد القضاء على الدولة الحثية لم يبق منها سوى دويلات صغيرة امتدت من ملاطية حتى كركميش.^(٣) وأما الدولة الميتانية التي كان الحوريون قد أسسوها وغدت من الدول الكبرى حتى إنها سيطرت على بلاد آشور لفترة تجاوزت القرن في بداية العصر الآشوري الوسيط، فكانت قد انقسمت على نفسها وضعفت قوتها، ولم يعد لدولة ميتاني الصغيرة في أعالي ما بين النهرين، التي سُميت في النصوص الآشورية بمملكة (خانيجلبات) أو (خانيكلبات)، إلا سلطة محدودة على منطقة صغيرة،

(١) سليمان، عامر: "منطقة الموصل في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد"، ص ٨٣.

(٢) ساكز، هاري: "قوة آشور"، ص ٣٤٨.

(٣) Glover, T. R., "The Ancient World", London and New York, 1944, pp.61, 62.

وأخيراً انتهت بأن ضُمَّت أراضيها إلى حدود الدولة الآشورية وغدت مقاطعة من المقاطعات الآشورية مع بداية العصر الآشوري الحديث. وفي بلاد بابل كان قد انتهى حكم السلالة الكُشية التي كانت تحاول السيطرة على بلاد آشور ودخلت معها في صراع حدودي استمر لفترة طويلة، وصلت محلّها سلالة محلية ضعيفة إثر الغزو العيلامي لبلاد بابل وذلك في القرن الثاني عشر ق.م. وأمّا المملكة المصرية، فكان نفوذها قد تقلّص كثيراً، وانكششت سلطتها إلى داخل حدودها، وهكذا يبدو أن الظروف الدولية كانت ملائمة نسبياً لظهور الآشوريين وتنامي قوتهم، غير أن ذلك لا يعني أن الدولة الآشورية انفردت في عصرها الحديث بالقوة والزعامة ولم يكن هناك من يُنافسها أو يقف أمام تطلّعاتها بعد أن غابت الدول الكبرى التي كانت قائمة فيما سبق^(١). بل ظهرت قوى وأقوام جديدة كانت أشدّ وأكثر خطراً على الآشوريين ممن سبقهم، ففي الجبهة الغربية والشمالية الغربية زادت ضغوط القبائل الآرامية وزادت غاراتها على حدود الدولة الآشورية^(٢). وكانت تلك القبائل قد تبلّورت وكونت لها عدداً من الدويلات والممالك الصغيرة في أنحاء بلاد الشام المختلفة كان منها^(٣):

((دويلة آرام - نهرايم، فيما بين الخابور والفرات، وفدّان آرام، ومركزها في مدينة حرّان، وأرام صوباً في الجنوب وأرام معكة عند سفوح جبل الشيخ وأرام رحوب في منطقة حوران ومملكة دمشق ومملكة شمّال (سنجرلي))، هذا فضلاً عن دويلة إسرائيل التي انقسمت في عهد يريعام إلى دولتين هما: دويلة إسرائيل في الشمال ومركزها مدينة السامرة ودويلة يهوذا ومركزها مدينة القدس^(٤). وغالباً ما كانت هذه الدويلات والممالك تعقد أحلافاً سياسية وعسكرية لمواجهة خطر الدولة الآشورية وتعاضم قوتها، وقد تتلقّى العون من القوى الأخرى المعاصرة كالمملكة المصرية، وكان على الآشوريين أن يعملوا للقضاء على تلك الأحلاف إن هم أرادوا تأمين حدودهم وحماية طرق مواصلاتهم التجارية، شريان حياتهم الاقتصادية، إلى موانئ البحر المتوسط ومصادر المواد الخام في جبال الأرز وجبال الفضة (جبال الأمانوس وطوروس)^(٥).

وأما في الجهات الشمالية والشمالية الشرقية والشرقية فقد كانت تحركات القبائل والأقوام الجبلية على أشدها، وكاد ضغطها يقضي على الدولة الآشورية وينهي كيانها السياسي لولا عزم وثبات القوات الآشورية وجراً وشجاعة قادتها ومنهم (التورتانو القائد العام للجيش الآشوري الذي سنّاتي على ذكر أهمية منصبه وواجباته لاحقاً) ، فكان تجهيز الحملات العسكرية المتتالية على المنطقة محور سياسة

(١) سليمان، عامر: "منطقة الموصل في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد"، ص ٨٣.

(٢) موسكاتي، سبتيانو: "الحضارات السامية القديمة"، ترجمة: د. يعقوب بكر، راجعه: د. محمد القصاص، دار الرقي للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٦م، ص ١٧٨.

(٣) منصور، ماجدة حسو: "الصلوات الآشورية الآرامية"، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد ١٩٩٥م، ص ٢٧.

(٤) باقر، طه: "مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة"، ج ١، ص ٤٩١ وما بعدها.

(٥) سليمان، عامر: "منطقة الموصل في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد"، ص ٨٣، ٨٤.

الملوك الآشوريين الأقوياء بهدف الحد من غارات هذه الأقوام والقبائل وفرض السيطرة عليها وتأمين طرق المواصلات المارة عبر أراضيها^(١). وكان من بين القوى التي أفلقت الآشوريين لسنين طويلة دولة أورارتو والأقوام الجبلية في منطقة زاموا وإقليم تشخاني (جنوب شرقي تركيا الآن) وبلاد نائيري ومنطقة القبائل الميديّة الفارسية^(٢). وأمّا في بلاد بابل فقد كان الملوك الآشوريون البارزون ينظرون إلى بلاد بابل على أنّها النصف الثاني المكمل لبلاد آشور وبأنها جزء منها طالما اعتمدت سياستهم على توحيد أرض بلاد الرافدين وإقامة دولة مركزية واحدة تُهيمن على كامل أجزائه من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب. وقد اصطدمت هذه النظرة وهذه السياسة مع مصالح بعض القبائل الكلدية التي كانت قد استقرت في أقصى جنوبي بلاد الرافدين، وكان أهمها قبيلتا كلدو وبيت ياكين، وهما من القبائل التي ترتبط بالأقوام الآرامية على أغلب الظن، وأقامت لها أحياناً سلالات محلية مناوئة للحكم الآشوري وساعية للسيطرة على بلاد بابل بأكملها، وكانت مملكة عيلام في جنوبي غربي إيران تُقدّم لهذه القبائل العون المادي والعسكري وتُعرضها للنيل من الآشوريين والسيطرة على بلاد بابل، كما كانت توفر لها الملجأ متى ضيّقت الدولة الآشورية الخناق عليها. وطبيعي أنّه لم يكن استعداد حُكّام عيلام لتقديم العون والوقوف إلى جانب قبيلة كلدو وغيرها من القبائل المستقرة في جنوبي بلاد الرافدين من أجل تلك القبائل أو رغبة في مساعدتها لذاتها بل كان هدفهم الرئيس من ذلك الحد من قوة الآشوريين المتزايدة وإثارة الفتن والاضطرابات في بلاد بابل لزعزعة الحكم الآشوري فيها ثم محاولة السيطرة على بلاد بابل نفسها. وقد وضحت نوايا حُكّام عيلام أمام الملوك الآشوريين مما دفعهم أخيراً إلى مهاجمتهم في عقر دارهم لإيقاف تدخّلهم المستمر في شؤون بلاد آشور وتم القضاء على مملكة عيلام نهائياً وذلك في أواخر العصر الآشوري الحديث^(٣).

- الملامح العامة للسياسة الآشورية المتبعة إزاء التحديات والصعوبات التي واجهتها:

كان على الآشوريين، إن هم أرادوا البقاء وبناء دولة قوية، أن يواجهوا معظم التحديات، ويقضوا على الأخطار المحدقة بهم (سواء من جانب الأقوام الجبلية على الجبهة الشمالية الشرقية أم الغربية أي هجمات القبائل الآرامية) كذلك وأن يحدّوا منها بعزيمة قوية وسياسة حكيمة ثابتة، فكان أن اتبع الملوك المتعاقبون سياسة تجهيز الحملات العسكرية المنتتالية على المناطق المختلفة للسيطرة على الأقوام والقبائل التي كانت تُهدّد كيانهم وإرغامها على الاعتراف بسيادة الدولة الآشورية^(٤)، أي أنّ الظروف المحيطة بالآشوريين هي التي أملت عليهم إتباع هذه السياسة، لذلك "لم تكن أهداف تلك

(١) سليمان، عامر: "منطقة الموصل في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد"، ص ٨٤.

(٢) Saggs, H. W. E., "The Might that was Assyria", London, 1984, P.70.

(٣) سليمان، عامر: "منطقة الموصل في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد"، ص ٨٤.

(٤) المهنا مزهر، رشا ثامر: "التطورات السياسية للدولة الآشورية (٩١١-٧٤٥ ق.م)"، ص ٧٦.

الحروب إلا دفاعية محضة في الأساس، أي كانت بالأحرى حروباً وقائية تستهدف حماية أرض الإله آشور.^(١) ومع ذلك، فإن تحقيق الانتصارات المتلاحقة، كالتى حققها الآشوريون في عصرهم الحديث، لا يتم من خلال تجهيز الحملات العسكرية للقضاء على الأخطار ومواجهة التحديات فحسب بل كان لابد أن يرافق ذلك سياسة حازمة ثابتة وقيادة عسكرية مقتدرة وجيش على مستوى عالٍ من الضبط والتنظيم والتدريب والتسليح، ومعنويات مرتفعة ونظام إداري كفء يؤمن للجيش جبهة داخلية متماسكة وقوية، ويبدو أنه توفر للآشوريين معظم هذه الأسباب في عصرهم الحديث فكان أن حققوا تلك الانتصارات الرائعة. كذلك فإننا إذا ما أمعنا النظر إلى تلك السياسة نجد بأنها كانت بحق على درجة كبيرة من النضج وبعد النظر، حيث لم تكن الحملات العسكرية تُجهز إلا بعد دراسة مُستفيضة لجميع الأوضاع الداخلية والخارجية للمنطقة المُزَمَّع توجيه الحملة عليها، كما كان يسبق كل حملة اتصالات مُكثفة مع أمراء وحكام البلدان المجاورة لضمان ولائهم للسياسة الآشورية، أو تحييدهم على أقل تقدير، لضمان أمن وسلامة الخطوط الخلفية المارة بحدود مملكتهم^(٢). وقد تُعَدُّ المعاهدات مع بعض الأمراء وتوثق بالمصاهرات السياسية من أجل تحقيق العلاقات السياسية ومثال على تلك المصاهرات، الزواج الذي أعقب المعاهدة بين الآشوريين والبابليين والتي نصت على ترسيم الحدود بين الدولة الآشورية وبلاد بابل في نهاية عهد الملك الآشوري أدد - نيراري - الثاني (٩١١-٨٩١ ق.م)، ويبدو بأن هذه المعاهدة كانت لصالح الآشوريين، إذ عُدَّ الخط المار جنوب مدينتي "دور كوريجالزو (عقروق حالياً) وسيبار (أبو حبة حالياً) حداً شمالياً لمملكة بابل. وبذلك أُحكمت السيطرة على الأراضي المحاذية لنهري دجلة والفرات، فقد تزوج كل من الملكين أي الآشوري أدد - نيراري - الثاني والبابلي نابو - شومو - أكن (٨٩٩-٨٨٨ ق.م) ابنة الآخر^(٣)، حيث يذكر النص الآتي ذلك الزواج:

"أدد - نيراري الثاني ملك آشور، و"نابو - شومو - أوكن" ملك بابل، زوّجوا بناتهم فيما بينهم، وأقاموا صداقةً مثاليةً وسلاماً مع بعضهم، لقد اجتمع شعب بابل وشعب آشور سويةً ووضعوا حدوداً لهم"^(٤). كما كان رجال الاستخبارات الآشوريون المبعوثون إلى تلك المناطق يقومون بدراسة الأوضاع الداخلية وبيعتون بتقاريرهم التفصيلية إلى الملك الآشوري، وقد وردت إلينا تقارير بعض أولئك المُخبرين ولاسيما فيما يتعلق بحملة سرجون الثامنة التي وجهها على بلاد أورارتو. وقد يضطر الملك إلى إيقاف الحملة قبل الشروع بها أو حتى بعد بدئها، من أجل معالجة موقف مُستعجل في مكان آخر، كما فعل سرجون عندما أوقف الحملة التي كانت ستتوجه إلى بلاد بابل ريثما تتم

(١) رو، جورج: "العراق القديم"، ص ٣٨٣.

(٢) سليمان، عامر: "منطقة الموصل في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد"، ص ٨٥.

(٣) Delaport, L., "Mesopotamia", London 1970, p.52.

(٤) Grayson, A. K., "TCS", vol. 5, p.166.

معالجة الجبهة الغربية^(١)، وقد يُقدّم الملك بعض التنازلات المؤقتة في جبهة معينة من أجل تحقيق هدف أبعد في جبهة أخرى، كما فعل أسرحدون بالنسبة لأحد الأقاليم الآشورية الحدودية في الجبهة الشمالية الشرقية^(٢)، كل ذلك وفق سياسة مدروسة من قبل الملك نفسه، وربما بالتشاور مع قادة الجيش وكبار ضباطه وحُكّام المقاطعات. ومن أجل تقوية معنويات الجند المقاتلين ورفعها كان لابد من الإدعاء بأن الحملات العسكرية ما كانت توجه إلى أية جبهة إلا تنفيذاً لرغبات الآلهة القومية ووفق توجيهاتها التي أوصتها إلى الملك بإحدى الطرق المعروفة آنذاك، لذا كان الملك، وقبل أن تبدأ الحملة مسيرتها، يستخير الآلهة من خلال الكهنة لأخذ موافقتها على بدء الحملة ثم يستخيرها لتحديد الوقت المناسب لبدءها، وقد يؤجل الموعد إن لم تكن تنبؤات الكهنة وقراء الطالع ملائمة. وكان بعض الكهنة يرافقون الحملة العسكرية ويقومون بإجراء الطقوس الدينية في كل مناسبة ويعلنون أحياناً عن تجلّي بعض آلهتهم، ولاسيما آلهة الحرب، في أوقات معينة، وغالباً في الأوقات العصيبة التي كانت تمرّ بالجيش الآشوري، كل ذلك من أجل رفع المعنويات وشحن الهمم^(٣). وفي الحملات المهمة كان الملك نفسه يقود الحملة في حين كان يتولى قيادة الحملات الأقل أهمية أحد القادة العسكريين أو أحد حُكّام المقاطعات القريبة. وقد ذكرت النصوص المسمارية ألقاب ورُتب كبار القادة أمثال (رب - شاقى) و(تورتانو)، وغيرهم^(٤). كما امتازت القوات الآشورية بصلاية أفرادها وشجاعتهم وصبرهم على تحمل الصعوبات كما امتازت بخبرتها المكتسبة حيث خاض الجيش الآشوري معارك كثيرة في ظروف وبيئات متباينة ومواسم مختلفة مما أكسب وحدات الجيش قوة قتالية عالية وتدريباً جيداً^(٥). وأمّا الجبهة الداخلية للدولة الآشورية الحديثة فكان يُديرها وينظمها ويقودها جهاز إداري كفاءته عبر العصور، ويرجع الفضل الأول في وضع أسس هذا الجهاز الكفاء إلى الملك تجلات بلاصر الثالث (٧٤٥-٧٢٢ ق.م) الذي أعاد تنظيم الدولة الآشورية ووضع لها نظاماً إدارياً غاية في الدقة، فقسمها إلى مقاطعات وقسم المقاطعات إلى وحدات إدارية أصغر وأصغر، (كما سيُشار إلى ذلك بالتفصيل في الفصل الثالث). وفي النهاية نجد بأن هذه الأسباب والعوامل شكّلت بمجموعها الركائز الثابتة لقوة الدولة الآشورية وتعاظم نفوذها خلال العصر الآشوري الحديث، كما رافق تلك القوة ازدهار حضاري

(١) ساكز، هاري: "عظمة بابل"، ترجمة: عامر سليمان، دار الكتب للطباعة والنشر، ط١، الموصل ١٩٧٩م، ص ١٤٣.

(٢) ساكز، هاري: "عظمة بابل"، ص ١٥٥.

(٣) Saggs, H. W. E., op. cit. p.247.

(٤) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، موسوعة الموصل ج١، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ط١، ١٩٩١م، ص ٢٥٧.

(٥) رشيد، فوزي: "الجيش وال سلاح"، موسوعة حضارة العراق، ج٢، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨٥م، ص ٥٥، ٥٦.

ورفاه اقتصادي واضح. كذلك فإنَّ ظهور عدد من الملوك والقادة من ذوي الشخصية القوية والمقدرة المتميزة كان له الأثر الأكبر في استثمار هذه الأسباب والعوامل وتوجيهها لصالح الدولة الآشورية. إضافةً إلى ذلك فقد كان من نتائج السياسة الآشورية وسعة نفوذها هو احتكاك الآشوريين عن طريق الحرب والسلم بسكان البلدان والأقاليم الأخرى، مما نتج عنه أن نقل الآشوريون إليهم وعنهم الكثير من العناصر الحضارية، فكان هناك تمازج حضاري رائع تشيّر إليه الآثار المكتشفة في مختلف أرجاء الشرق الأدنى القديم. وتيسيراً لمتابعة تطور الأحداث السياسية المزدهمة التي مرّ بها الآشوريون في عصرهم الحديث.^(١)

وفي النهاية نجد بأن الموقع الجغرافي قد لعب دوراً مهماً في بناء الدولة الآشورية الحديثة في كافة النواحي، سواء أكان على المستوى السياسي أو الاقتصادي أو العسكري، وكذلك على وزنها بالنسبة للعلاقات السياسية الخارجية والداخلية. وهذا ما توضحه دراسة منطقة بلاد آشور التي كانت أقدم منطقة استوطن فيها الإنسان في بلاد وادي الرافدين منذ أقدم العصور. هذا فضلاً عن كونها منطقة جذب للهجرات من الجزيرة العربية والبادية الشمالية الغربية وجماعات أخرى من أصول هندو-أوربية، انصهرت جميعها في بوتقة حضارة بلاد وادي الرافدين عموماً. وقد ارتقت الدولة الآشورية في عصرها الحديث إلى مركز الصدارة بين دول وممالك الشرق القديم، سواء من حيث الازدهار الحضاري والاقتصادي أو القوة العسكرية التي برز تأثيرها على الدور السياسي الذي لعبته في المنطقة بأسرها. حيث هيأت الظروف الدولية الجديدة المحيطة بالدولة الآشورية في هذا العصر والتي سبقت الإشارة إليها فيما سبق، مناخاً مناسباً لها لتحتل المكانة المميزة التي وصلت إليها، فضلاً عن السياسة الداخلية المتبعة والتي أثرت تأثيراً كبيراً في انبعاث قوة الدولة الآشورية الحديثة.

(١) سليمان، عامر: "منطقة الموصل في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد"، ص ٨٥، ٨٦.

الفصل الثاني

نظام الحكم

أولاً: لمحة عن نشوء مفهوم نظام الحكم في بلاد الرافدين وتطوره.
١ - مفهوم الملكية في بلاد وادي الرافدين.
٢ - أسس النظام الملكي ومراحل تطوره في بلاد وادي الرافدين.
ثانياً: الملك.
١ - المبادئ التي استند إليها الملوك الآشوريين لإضفاء شرعية حكمهم.
٢ - هل نُظر إلى الملك الآشوري على أنه إله أم لا؟.
٣ - طقوس تتويج الملك:
أ - أهم شارات الملكية في آشور:
- التاج.
- رباط الرأس.
- الصولجان.
- عصا الرعية.
ب - الإجراءات التي ترافق مراسم تتويج الملك.
٤ - مسؤوليات الملك وواجباته:
أ - الواجبات الدينية وتتضمن:
- مراقبة الإدارة المالية للمعابد.
- تمثيل سكان البلاد أمام الإله.
- تنفيذ رغبات الآلهة.
- المشاركة في الاحتفالات الرسمية.
- بناء المعابد.
ب - الواجبات الدنيوية وتتضمن:
- استقبال سفراء وممثلي الدول والممالك الأجنبية وتوقيع المعاهدات والاتفاقيات.
- فرض الأمن والنظام.
- فرض العدالة وتطبيق القانون.
- قيادة الجيش الآشوري والاهتمام بشؤون المقاطعات.
- تأمين مستلزمات المعيشة لسكان المملكة.
- دعم الحياة الاقتصادية وتعزيزها من خلال تقديم الخدمات اللازمة.
٥ - ظاهرة تنصيب الملك البديل في آشور (شَر - بوخي) (šar- pûhi).

أ- الدوافع التي دفعت بالملوك إلى ممارسة هذه الظاهرة المؤقتة.
ب- أمثلة على تطبيق هذه الظاهرة في العصر الآشوري الحديث.
٦- مراسم وفاة ودفن الملك:
أ- مراسم الحداد التي يقيمها سكان آشور.
ب- المراسم والطقوس التي ترافق دفن الملك.
ت- المكان الذي يتم فيه دفن الملوك الآشوريين.
ثالثاً: الملكة:
١- لقب الملكة: (مي. إي. جال) (Mi.É.GAL)
٢- مكان إقامة النساء داخل القصور الملكية.
٣- المعايير التي اعتمدها الملوك الآشوريين في اختيار الملكة.
٤- مكانة الملكة ودورها ضمن القصر وخارجه.
أ- (زاكوتو/ نقيّة) (Zākūtu/Naqī `a).
ب- (شمو - رامات) (šammu-rāmat).
ت- (ليبالي - شرت) (Libbāli-šarrat).
رابعاً: نساء القصر الملكي الأخريات:
١- الملكة الأم (أم لوجال) (AMA LUGAL).
٢- بنات الملك: دومو. مي. لوجال (Dumu.Mi.LUGAL)، وأخواته: مي. نين. لوجال (Mi.NIN.LUGAL).
٣- محظيات الملك (الزوجات الثانويات) (مي. إريم. إ. جال) (Mi.ERIM.É.GAL).
خامساً: منصب ولاية العهد:
١- لقب ولي العهد (مار - شري) (mār-šarri).
٢- طريقة اختيار ولي العهد.
٣- قصر ولي العهد (بيت - ريدوتي) (bit-redûti).
٤- موظفو ولي العهد.
٥- التدريب والمهام التي يكلف بها ولي العهد ومدى صلاحياته.
سادساً: دور الملوك في نهوض الدولة الآشورية الحديثة:
١- الأسس والمبادئ التي اعتمد عليها الملوك في نهوض دولتهم.
٢- دور الملوك في عملية الإصلاح والتطوير للنظام الإداري الآشوري.

أولاً: لمحة عن نشوء مفهوم نظام الحكم في بلاد وادي الرافدين وتطوره:

١ - مفهوم الملكية في بلاد وادي الرافدين.

كانت النظرة السائدة لمفهوم الملكية بين سكان بلاد وادي الرافدين أنها موجودة في السماء آنذاك، وقد هبطت قبل الطوفان في مدينة إريدو (Iridu) (جنوب بلاد الرافدين)^(١)، ومن ثم صعدت إلى السماء في أثناء الطوفان، كما أنها نزلت مرة ثانية إلى مدينة كيش (Kiš)^(٢) حيث يرد هذا في جداول الملوك السومريين. كذلك فقد جسد سكان بلاد وادي الرافدين الملكية حينها برموز خاصة يطلق عليها عادةً (شارات الملك)، والتي سترد معنا بشيء من التفصيل لاحقاً، إذ إنهم يعتقدون بأن مقر تلك الشارات في السماء، وهي مقدسة عندهم وموجودة قبل وجود البشر على الأرض. ويؤيد ذلك ما جاء في أحد الأساطير وهي أسطورة (إيتانا والنسر)^(٣)، حيث تؤكد آنذاك على هبوط الملكية إلى الأرض بعد الطوفان في مدينة كيش، وكانت الملكية حسب ما يظهر قد عادت إلى السماء عند حلول الطوفان لحمايتها من الخطر. فالملكية إذن كانت مقدسة وهي هبة الآلهة إلى البشر، حتى يعيشوا في نظام وأمن.^(٤) وهنا نذكر بعض ما جاء في أسطورة إيتانا والنسر:

"الأنانوكي العظماء الذين قرروا الأقدار
جلسوا واجتمع مجلسهم على اليابسة
كانوا يخلقون جهات العالم ويحددون
شكله..."

(١) (إريدو): وهي تُعرف حالياً باسم (تل أبو شهرين)، تقع على على بعد (٤٠ كم) إلى الغرب من مدينة الناصرية وجنوب غرب مدينة أور بحوالي (٨١ كم)، وتعد من المدن السومرية في جنوب بلاد وادي الرافدين القديمة والمقدسة، أنظر: صالح، قحطان رشيد: "الكشاف الأثري في العراق"، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨٧م، ص ٢٥٨.

(٢) (كيش): وتعرف في الوقت الحاضر باسم (تل الأحيمر)، حيث تقع على مسافة تقدر بنحو (١٥ كم)، إلى الشرق من موقع بابل الأثري، أنظر: رشيد، فوزي: "الشرائع العراقية القديمة"، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ٣، بغداد ١٩٨٧م، ص ٢٢٧.

(٣) (أسطورة إيتانا والنسر): ورد في اللوح الأول منها ما يشير إلى بداية نزول شارات الملكية من السماء، واختيار الآلهة لأحد البشر ليتولى مسؤولية حمل النظام الملكي، وقد ورد ذكر هذا الملك في قائمة الملوك السومريين. أنظر: سليم، أحمد أمين: "دراسات في تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم، ج ٦، (حضارة العراق القديم)"، ص ١٩١، ١٩٢.

(٤) (الأحمد، سامي سعيد: "الإدارة ونظام الحكم"، موسوعة حضارة العراق، ج ٢، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨٥م، ص ١١، ١٢.

لم يكونوا قد عينوا ملكاً على جميع الناس المتوالدة
عند ذلك الوقت لم تكن عصابة الرأس والتاج
قد صنعا بعد

ولم يكن الصولجان مُطعماً باللازورد
وفي الوقت نفسه منصة العرش لم تكن قد
صنعت بعد...

والسببتي أحكموا إقفال البوابة في وجه الجيوش
(ال....) أحكموا أقفالهم البوابة ضد شعوبٍ (أخرى) مقيمة
والإيكيني سوف يقومون بحراسة المدينة
الصولجان والتاج والعصابة وعصا (الراعي)
وَضَعُوا أمام آنو في السماء
لم تكن هناك نصيحة لشعبها
(وعندئذٍ) نزلت الملكية من السماء
عشتار (كانت تبحث عن) راعٍ
وتبحثُ في الأعلى والأسفل عن ملكٍ
وانليل كان يبحث عن منضدة عرش لإيتانا
الشاب الذي (تبحث عنه) عشتار بكل اجتهد
وتبحث دون نهاية (.....)
وما إنَّ ملكاً يتم تعيينه على اليابسة، وفي
كيش (تم تعيين)
ادخل الملكية (.....).^(١)

نستنتج مما جاء في هذه الأسطورة ما يلي:

((أنَّ الآلهة لم تعيّن ملكاً بعد لشعبه المجهول، وفي ذلك الوقت لم يكن قد لبس رباط الرأس
والتاج، والصولجان لم يكن قد رُصّع باللازورد... وكان الصولجان ورباط الرأس والتاج والعصا مودعةً
في السماء أمام الإله آنو (Anu)^(٢)، ولم يكن هناك توجيه (ملكي) (ثم) هبطت الملكية من السماء،

(١) سليم، أحمد أمين: "دراسات في تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم، ج٦، (حضارة العراق القديم)"، ص ١٩٠-١٩٢.

(٢) الإله آنو (Anu): ورد اسم هذا الإله باللغة السومرية بالصيغة "d AN"، ويقابلها في اللغة الأكديّة الصيغة:

وبعد أن هبطت الملكية بحث الإله إنليل (Enlil) وإنانا (عشتار)^(١) عن (راعٍ للناس) ولكن ليس هناك ملك في الأرض، وفكر إنليل عندها مع نفسه لتعيين ملك فنصب الإله إنليل ملكاً من البشر. وقد أختير للملكية عند نزولها بعد الطوفان (إيتانا) الراعي، وتذكر الأسطورة صعود إيتانا إلى السماء للحصول على نبتة تشفيه من العقم. وتبدأ الأسطورة بالعبارة "إن مدينة كيش تبكي" ((لأن ملكها عقيم مما يعرض سلامة البلدة بعد وفاته للخطر)). وبسبب حلول الملكية في كيش أولاً ظل ملك كيش يتمتع بمركز كبير. ولما سيطر (ميسانبيدا) (Mesannepada) ملك مدينة (أور)^(٢) على كيش بالقوة العسكرية

"da-nim" أو صيغة "d Anu". ومن معاني اسمه أيضاً (السماء، اللعان، والشرق)، ويقع معبده الرئيسي في مدينة الوركاء، كذلك رقمه سكان بلاد وادي الرافدين بالرقم (٦٠) وهو أعلى رقم بين أرقام الآلهة، إضافة إلى ذلك فقد ورد في نصوص الأساطير أن أبناء الإله أنو هم: "الإله إنليل الذي اعتبر الإبن البكر له، وكذلك إله الجو أد، والإلهة عشتار إلهة الحب والجمال". أنظر:

الأحمد، سامي سعيد: "المعتقدات الدينية في العراق القديم"، ص ٢٠.

(١) الإله إنليل (Enlil): ورد اسم هذا الإله في اللغة السومرية بصيغة "EN.LIL" وتُقابلها في اللغة الأكديّة الصيغة: "Enlil"، كما ورد في النصوص السومرية أيضاً بصيغة (BAD) وتُقابلها في الأكديّة صيغة (bel). وقد لُقّب الإله "إنليل" بإنليل (يهب الحياة) أو (إنليل يحيي)، وبذلك يُصبح لقبه "إله الحياة". كذلك فإنه احتل الرقم (٥٠) في النصوص المسمارية. ويلاحظ ورود ذكر للإله إنليل وتعظيمه في نصوص معظم الملوك الآشوريين من العصر الحديث، مثال على ذلك: فقد ذكر الملك الآشوري "أدد - نيراري - الثالث، أنه عُيّن من قبل الإله إنليل نائب الوصي لآشور". كذلك يذكر الملوك الآشوريون في الفترتين الأولى والثانية من العصر الآشوري الحديث بأنهم "عُينوا من قبل الإله إنليل نائب الإله آشور". وهذا يبين لنا المكانة والأهمية التي أولاها ملوك الدولة الآشورية الحديثة لهذا الإله. أنظر: الأحمد، سامي سعيد: "المعتقدات الدينية في العراق القديم"، ص ٢٣.

(٢) الإلهة إنانا (عشتار): ورد اسم هذه الإلهة في اللغة السومرية بالصيغة (d INN ANA) (إنانا) وتُقابلها في اللغة الأكديّة الصيغة (d Ištar) (عشتار)، وهي إلهة الحب والجمال والجنس، وحسب اعتقاد سكان بلاد وادي الرافدين أن الإلهة إنانا كانت تعيش في بيت "غدوت التمر" لذا عُرف اسمها "بسيده عناقيد التمر"، وسميت أيضاً بالسيدة الطاهرة، وملكة السماء وقد حملت الرقم (١٥). وقد ورد ذكر الإلهة عشتار في العديد من النصوص الآشورية الحديثة، ومثال على ذلك ما ورد في كتابات الملك أدد - نيراري - الثاني حيث وصفها بأنها "سيدة المعركة". أنظر:

الأحمد، سامي سعيد: "المعتقدات الدينية في العراق القديم"، ص ٢٨، ٢٩.

(٣) (أور): تقع هذه المدينة في جنوب بلاد وادي الرافدين على نهر الفرات، وهي من المدن السومرية الكبيرة، قدس فيها إله القمر نانا (سين)، وتعرف حالياً باسم (تل المقير). أنظر: بوستغيت، نيكولاس: "حضارة العراق وآثاره" ترجمة: سمير عبد الرحيم الجليبي، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد ١٩٩١م، ص ١٤٢.

فضَّل استعمال لقب ملك كيش الذي اتخذهُ الملك الأكدي (سرجون)^(١) بعد ذلك. وتذكر أسطورة ايتانا أنَّ الصولجان والتاج وعصا الراعي وغيرها من شارات الملكية كانت موضوعة أمام الإله أنو ملك الآلهة في السماء. كذلك تذكر أسطورة سومرية أخرى كيف أنَّ الإلهة (إنانا) لما أرادت رخاء مدينتها أوروك، صمَّمت على زيارة مدينة (إريدو) لجلب معالم المدينة فيها. وعددت الأسطورة مائة عنصر من عناصر التحضُّر تضمنت التسعة الأولى منها القيادة والتاج والصولجان وإشارات الملك مما يدل على الأهمية الكبيرة التي علَّقها السومريون على الملكية كعنصرٍ أساسيٍّ لنشوء المدينة. وفي نصٍّ من فترة لاحقة ذكر حينها الناسخ أعداء الدولة وغزاتها في الشمال والشرق أو مناطق السهوب بأنَّهم: "لا يعرفون بيوتاً وليس لهم ملوك"، فالملكية بنظرهم هي أساس النظام والتمدُّن، و(كلكامش)^(٢) كما تُصوِّره الملحمة ابن إلهة وملك عظيم فكان رُغم ظلمه لرعيته يحميهم من الأخطار ويدراً عن قُطعانهم الوحوش وحتى إنَّه قتل الوحش الذي هو أصلُ الشرِّ على الأرض. فبوجود (كلكامش) استتبَّ الأمن بكل مكان إضافة إلى كونه، كما تبدأ الملحمة، قد رأى كلَّ شيءٍ وخبر البلاد، دلالةً على اقتناع شعبه بخبرته ومعرفته التامة بالأُمور. ويُخاطب الملك السومري في التراتيل الدينية (براعي البلاد المخلص). وفي قصة كلكامش وشجرة (الحياة المقدسة) أحال الإله شمش الإلهة (إنانا) عندما شكت إليه اغتصاب الشجرة التي استنبتتها، إلى كلكامش ملك مدينتها (أوروك) الذي أرجع لها شجرتها بالقوة. كما اعتقدَ سُكَّان بلاد الرافدين القدماء بأنَّ الآلهة هي التي تختار الملك وتُقدِّم له وظائفه ومنذ البداية هو ملك البلاد.^(٣)

(١) الملك الأكدي (سرجون): وهو مؤسس المملكة الأكديّة التي استمرت للفترة (٢٣٧١-٢٢٣٠ ق.م) أي ما يقارب قرن ونصف من الزمن تقريباً، وسُمُّوا بالأكديين نسبةً إلى عاصمتهم أكد، والأكديون هم من الأقوام العربية القديمة (الجزرية)، أنظر:

باقر، طه وآخرون: "تاريخ العراق القديم"، ج ١، جامعة صلاح الدين، الموصل ١٩٨١م، ص ١٣٩.

(٢) (كلكامش): وهو خامس ملك في سلالة الوركاء الأولى كما يرد ذلك في قائمة الملوك السومرية، حيثُ حدّد زمن حكمه بزمان حكم "أكّا" ملك مدينة (كيش)، ويعد كلكامش صاحب الملحمة السومرية الشهيرة التي سُمِّيت باسمه. وملحمة كلكامش هي عبارة عن قصيدة أكديّة تتألف من (١٢) لوحاً، تسردُ قصة بحث كلكامش عن الحياة الأبدية، كما تتضمن إشاراتٍ عن قصة الطوفان التي رواها له "أتو نابشتم"، أنظر: بوستغيت، نيكولاس: "حضارة العراق وآثاره"، ص ١٣١.

(٣) الأحمد، سامي سعيد: "الإدارة ونظام الحكم"، ص ١١، ١٢.

يتضح من ذلك أنَّ الملكية عندها لم تكن إذاً من صنع البشر في الأصل، وإنما أُضيفت إلى المجتمع البشري بواسطة الآلهة، إضافةً إلى ذلك كان على الملك أن يكون عند حسن الاختيار بالنسبة لمختارته، وإلاَّ فإنَّها، أي الآلهة، تستطيع نقل الملكية إلى شخصٍ آخرٍ ترتئيه حينها، وفي أيِّ زمانٍ ومكان.^(١)

٢- أسس النظام الملكي ومراحل تطوره في بلاد وادي الرافدين.

يرى بعضُ الباحثين الأجانب أنَّ أساس نظام الحكم حينها كان يقومُ على ما عُرف (بالنظام الديمقراطي البدائي) الذي كان أساسه وجود مجلس في كل مدينة يتكون من الأحرار كافة. إذ إنَّ طبيعة نظام المجتمع آنذاك هي قروية، وكان الأشخاص المُسنون الذين يتمُّ اختيارهم لهذا المجلس لم يكونوا فقط من المُتفدِّين، بل أيضاً من رؤساء العوائل. كما أنه من الممكن أن يكونَ هذا النظام من الإدارة، قد أصبح قيدَ الوجود في فترة ما قبل السلالات، والدليل على وجود هذا (المجلس) هو ورود علاماتٍ صُوريةٍ من فترة العصر الشبيه بالكتابي والذي شغل الفترة الممتدة ما بين (٣٥٠٠-٢٨٠٠ ق.م)، خاصةً بالمُسَّنين والذي يُطلق عليهم اللقب الأكدي: (شيبوتو) (šebūtu)^(٢)، وكذلك اللقب الأكدي: (للمجلس) (بوخرو) (puḫru) ويُقابله باللغة السومرية (أوكنين) (Ukkin)، وكان هذا المجلس أيضاً خاصاً بكلِّ مقاطعةٍ أو دولة مدينة.^(٣)

إضافةً إلى ذلك فإنَّ أعضاء مجلس المدينة (وعده غير معروف لنا على نحوٍ دقيق) كانوا يجتمعون سويةً لاتخاذ القرارات المُهمَّة والمصيرية، التي تخصُّ المدينة خصوصاً في حالة حدوث الأزمات والأخطار (كالحروب والفيضانات والأوبئة). وكان لكلِّ عضوٍ من أعضاء مجلس المدينة حقُّ الكلام وإبداء الرأي داخل المجلس حينها، إلا أنَّ بعضهم ولاسيما الرجال المُسنون منهم كان لهم رأياً أكثرَ وزناً من غيرهم. وربما كانوا يُشكّلون ما يُشبه (بمجلس الشيوخ) أو (المُسَّنين) أو (الكبار) داخل المجلس العام، كما تذكرُ ذلك العديد من النصوص المسمارية وخاصةً القصص والأساطير الدينية، والتي تتحدث عن مجالس الآلهة آنذاك. كما أنَّ لقبَ (الكبار) أو (المُسَّنين) أو (الشيوخ) عُرف في اللغة السومرية بالصيغة (أب - با) (AB-BA)، وهذا يعني أنه كان هناك مجلسان أحدهما للشيوخ والآخر للشباب أو لبقية أعضاء المجلس العام، وكان النقاش يستمرُّ طويلاً في هذين المجلسين إلى أن يصلَ

(١) الجبوري، علي ياسين: "نظام الحكم"، موسوعة الموصل الحضارية، ج ١، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ط ١، ١٩٩١م، ص ٢٢٩، ٢٣٠.

(٢) (شيبوتو) (šebūtu): وهي كلمة أكديّة تعني: "الشيخوخة"، وهناك الكلمة المشتقة منها وهي (شيبو) (šibu(m)) وتعني أيضاً:

"شبية (رجل متقدم بالعمر)". للمزيد أنظر: مرعي، عيد: "اللسان الأكادي موجز في تاريخ اللغة الأكادية وقواعدها"، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٢م، ص ٢٨٣.

(٣) الجبوري، علي ياسين: "نظام الحكم"، ص ٢٣٠.

الأعضاء إلى قرار نهائي ومُنْفَقٍ عليه بالاجماع ، إضافةً إلى ذلك كان المجلسان يتخذان حينها تلك القرارات بطريقةً حكيمةً وبالتشاور بعد الإفادة من كلِّ التجارب، واختيار أفضل السبل حسب نظرتهن وتقديرهم للأمور وهي تُعدُّ إحدى الوسائل القيادية الجماعية لتنظيم مختلف شؤون المدينة وسُكَّانها. ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ القرار النهائي لهذا المجلس كان يتم إعلانه عادةً من قبل مجموعةٍ صغيرةٍ يُطلقُ عليها (مُشرعو القانون)، ومن بين تلك القرارات المهمة التي يتخذها المجلس هو اختيار موظف يتولى بالدرجة الأولى المهام الدينية للمدينة فضلاً عن المهام الدنيوية، وقد حمل هذا الشخص في البداية لقب (إن) (EN) ويعني: (السيد)، ويأتي أحياناً بمعنى (الكاهن). وكان هذا المسؤول من أوائل الحُكَّام في المدن السومرية، إذ كان الاعتقاد لدى سُكان بلاد الرافدين حينها أنَّ الإنسان خُلِقَ من أجل خدمة الآلهة والعناية بها، لذا فإنَّ هؤلاء السُكَّان وضعوا كلَّ ثقتهم آنذاك بالكاهن الأعلى للمعبد والذي أصبح هو الحاكم، أي أنه جمع عندها بين السلطتين الدينية والدنيوية في آنٍ واحد. ويبدو أنَّ صلاحيات هذا الحاكم والذي حمل لقب (إن) (EN)، كانت مُقَيَّدةً ومُحددةً من المجلسين ولم يكن بمقدوره اتخاذ القرارات المصيرية والمهمة، كإعلان الحرب أو قبول الاستسلام إلا بالرجوع إلى المجلسين، وهو أمر لم يكن غريباً عندها طالما أنَّ الحاكم (إن) (EN) قد تمَّ انتخابه من قبل مجلس الشيوخ^(١). وفي منتصف الألف الثالث قبل الميلاد أي عندما اتسعت المدينة وضمت حينها أكثر من مدينةٍ واحدة، فإنَّه من الطبيعي حينها أن يكون لدى الحاكم (إن) (EN)، واجباتٍ ومسؤولياتٍ أكبر. حيث لم يعد باستطاعته القيام بجميع الواجبات الدينية والدنيوية في وقتٍ واحد. ونتيجةً لذلك بدأ الانفصال بين الوظيفتين الدينية والدنيوية، وانتقل الحاكم (إن) (EN) للسكن خارج المعبد في قصرٍ خاصٍ، بعد أن كان يعيش في جناحٍ خاصٍ مُلحقٍ بالمعبد. وقد رافق لقب (إن) (EN) لقبٌ آخرٌ وهو لقب: (إنسي) (ENsì₂) ويعني: (النائب أو الوكيل)^(٢)، وهو يُشير إلى أنَّ الحاكم كان يحكم مدينةً صغيرةً أو مناطق أكبر منها مساحةً في أحيانٍ أخرى، وكان واجبه الاهتمام بالشؤون الدينية والمهام الاقتصادية (الزراعية)، أي الموظف الذي ينظم العمل الزراعي الجماعي للمدينة، كالري والبذار والحصاد وما شابه وإدارة شؤون المدينة. فهو لا يتمتع بقوةٍ كافيةٍ لكي يُدعى ملكاً، أو حاكماً بالنيابة عن سيد أعلى.^(٣) بينما أُنيطت الواجبات والمهام الدينية إلى كاهنٍ بقي مقره في المعبد ويُعاونهُ عددٌ من الكهنة والكاهنات، وظل الحاكم (إنسي) (ENsì₂) ممثلاً للآلهة على الأرض بالإضافة إلى تأديته دوراً مهماً

(١) محمد عبد الحاج أحمد، هيفاء: "ألقاب حكام وملوك العراق القديم"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل ٢٠٠٧م، ص ٩٤-٩٦.

(٢) سليم، أحمد أمين: "دراسات في تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم، ج ٦، (حضارة العراق القديم)"، ص ١٩٦.

(٣) ساكز، ه. و. ف.: "البابليون"، ترجمة: سعيد الغانمي، مراجعة: عامر سليمان، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط ١، بيروت ٢٠٠٩م، ص ٨٢.

في بعض الأمور الدينية. وقد عُدَّ هذا اللقب من الألقاب السياسية التي ظهرت في بلاد الرافدين على إثر نموّ واتساع ممالك المدن، حيث اقتضت الضرورة إلى اتخاذ هذا اللقب إثر انفصال السلطة الدينية عن السلطة السياسية. ويعني أنَّ هذا اللقب قد أصبح ذا مدلولٍ سياسيٍّ أكثر ممَّا هو دينيٌّ. ومع نهاية الألف الثالث قبل الميلاد ونتيجة تطور الأوضاع السياسية للبلاد فقد تطلَّب الأمر حينها اختيار أحد الأشخاص الأقوياء ومنحه صلاحياتٍ واسعة لمواجهة الظروف الطارئة، كحدوث الفيضان أو التعرض للغزو أو غير ذلك، ونظراً لضرورة وجود من يتمكن من إصدار القرارات السريعة والحاسمة من دون الرجوع إلى المجلسين، فقد منح المجلسان للحاكم آنذاك مُطلق الصلاحية لمواجهة مثل تلك الظروف الخطيرة، وكانت شخصية الحاكم الذي يُمنح تلك الصلاحية المطلقة تمتاز بالقوة والحكمة وسعة النفوذ الاجتماعي وربما الاقتصادي أيضاً وحُسن التصرف والإدارة، ولذلك سُمِّي باللقب التالي: (لوجال) (LUGAL) ويعني حرفياً: (الرجل العظيم/ الملك)^(١). فأصل هذه الكلمة مُكوّن من مقطعين سومريين هما رجل = "Lú=awilum"، وعظيم "الكبير" = "GAL=rabûim". وكان الرجل العظيم أي (لوجال) (LUGAL) إمَّا من المُسنين أو من ذوي الحكمة والرأي والمؤهلين لهذا المنصب أو من الشباب الأقوياء. وعلى الرغم من انفراد مثل هؤلاء بالحكم فإننا نجد دور مجلس دولة المدينة السومرية واضحاً ومؤثراً في اتخاذ القرارات المصيرية والحاسمة يُسانده في ذلك أبناء المدينة الآخرون رجالاً ونساءً والذين يُشكّلون ما يُسمّى بمجلس العموم (الشياب)^(٢).

وأما عن طبيعة مهام (الوجال) (LUGAL) فكان يتولى إدارة شؤون المدينة في الظروف الحرجة، وربما كان (الوجال) (LUGAL) هو نفسه الحاكم (إن) (EN)، إضافةً إلى ذلك لم تكن وظيفة (الوجال) (LUGAL) مُستمرةً بشكلٍ دائمٍ أو وراثيةً، بل يُفترضُ بحامل هذا اللقب والوظيفة أن يتقلَّدها لزمَنٍ محددٍ ينتهي بانتهاء حالة الطوارئ حسب رأي المجلس، ويرى بعض الباحثين أنَّ حاملي لقب (إن) (EN) و(لوجال) (LUGAL) آثروا الاستمرار بالسلطة والصلاحية التي مُنحت لهم وقت الأخطار من قبل المجلس، واحتفظوا بها حتى بعد زوال حالة الطوارئ، فالتسوّغ وراء ذلك هو تطور الأحداث في مدن جنوب بلاد الرافدين في عصر فجر السلالات، واستمرار ما تعرّضت له تلك المدن من الغزو ولاسيما من جهة بلاد عيلام، والمنطقة الجبلية إلى الشرق من بلاد سومر وأكد، فضلاً عن المنافسات الشديدة بين المدن السومرية المختلفة للسيطرة على أكبر مساحةٍ ممكنة من الأرض، ومُحاولات توحيد المدن في مملكة واحدة، بالإضافة إلى رغبة الحُكّام الذين تمَّ انتخابهم ومنحهم لقب:

(لوجال) (LUGAL)، بالبقاء والمُحافظة على حكمهم وتمتعهم بالصلاحيات الواسعة، وحرصهم على توسيع نفوذهم وسلطتهم، وهكذا نجد أنَّ كلَّ تلك الأسباب والدوافع المذكورة شكّلت عندها مُسوغاً

(١) محمد عبد الحاج أحمد، هيفاء: "ألقاب حكام وملوك العراق القديم"، ص ٩٦-٩٨.

(٢) الجبوري، علي ياسين: "نظام الحكم"، ص ٢٣١.

لاستمرار الملوك الأوائل في الحكم حتى بعد زوال تلك الأزمات والأخطار التي انتخبوا أصلاً لمواجهةها. ونتيجة لذلك فقد بقي هؤلاء الرجال المنتخبون يتمتعون بسلطتهم المطلقة كأسياد وملوك للمدن، وأصبحت وظائفهم الملكية في أواخر عصر فجر السلالات ذات نظام وراثي، ورغبة منهم في حماية منصبهم وتثبيت سلطتهم، فقد عمل هؤلاء الملوك على البحث عن أساس ثابت يُقيمون عليه حكمهم بعد أن تخلوا عن طريقة انتخابهم في مجالس المدن، ذلك الانتخاب الذي يرتبط بحالة خاصة ومؤقتة تحددها الأخطار التي تُهدد المدينة وينتهي معها. ولذلك اتجه هؤلاء الملوك آنذاك إلى الآلهة لتأكيد الحق الإلهي والانتخاب الغيبي لهم بدلاً من انتخابهم من قبل البشر. وهكذا أصبحت النظرية أو المفهوم التي يستند عليها الحكم في بلاد الرافدين القديمة يقوم على أساس مبدأ الاختيار والتفويض الإلهي، أي أن الإله في تصورهم كان يختار واحداً من بين الناس ليتولى مسؤولية الحكم نيابة عنه.^(١) كما أن عملية انتقال مركز الحكم من الجنوب إلى شمال بلاد الرافدين، ونشوء مراكز حضارية جديدة في كل من بابل وماري وآشور، كان من المتوقع حينها أن يحدث تغييراً في (الألقاب) السياسية السابقة. إلا أننا نلاحظ الاستمرار في التقاليد القديمة التي ظهرت في الجنوب، فمثلاً المجالس الآشورية التي تدعى (بوخرو) (Puhru) وإلى جانبها كلمة الأمراء: (رُبو) (rubû) الذين كانت واجباتهم مُشابهة إلى حد ما لواجبات الانزي (Ensi) في بلاد سومر وأكد. وفي الحقيقة فإن الأمير (rubû) كان يحمل اللقب نفسه بما يخص علاقته بالآلهة المدينة الآشورية أي (إشأكو) (Išaku) وتعني: (حاكم). ولكن التغيير حدث منذ زمن الملك الآشوري شمشي أد الأول (١٨١٤-١٧٨٢ ق.م) حيث أشار هذا الملك إلى أسلافه بلقب ملك أي (لوجال - LUGAL) بدلاً من (رُب) (rubû) أي (أمير) هذا بالإضافة إلى استحداثه لقباً جديداً وهو (ملك العالم) (شركيشاتي) (šar kiššati) وهذا اللقب يشابه اللقب الأكدي (ملك الجهات الأربع).^(٢) فضلاً عن استخدامه للألقاب السومرية مثل:

(Šanga) (شَنجا) أي كاهن، وكذلك (جَر إنليل) (GARd Enlil) أي حاكم الإله إنليل، ومن هنا نلاحظ أن الملك الآشوري شمشي أد الأول كان قد أبقَ على الألقاب السومرية التقليدية في سبيل إضفاء الشرعية على مدينة آشور، خاصة فيما يتعلق باللقب الأخير باعتبار الإله إنليل هو الذي عين الملكية على الأرض، كما كان الاعتقاد سائداً حينها، طبقاً لأمر الآلهة الذي أصدرته في مجلس الآلهة. كما يمكن أيضاً العلاقة بين الإله القومي آشور والإله إنليل من خلال زوجاتهم، فزوجة الإله آشور هي (نينليل) (Ninlil)^(٣) والتي استخدمها الآشوريون بصيغة موليسي (Mulisi) وهي في الأصل

(١) محمد عبد الحاج أحمد، هيفاء: "ألقاب حكام وملوك العراق القديم"، ص ٩٤-٩٨.

(٢) الجبوري، علي ياسين: "نظام الحكم"، ص ٢٣١.

(٣) الإلهة (نينليل): ورد اسم الإلهة نينليل في اللغة السومرية بصيغة "NIN-LIL" ونقابها في اللغة الأكديّة الصيغة:

زوجة الإله إنليل الذي مقرّه في مدينة نيبور (نفر)^(١) مما يشير إلى أنّ عبادة الإله إنليل كانت موجودة منذ نشوء السلطة الآشورية على أساس أنّه (الإله الخاص) بتعيين الملوك، أو لأنه الإله القومي لبلاد سومر، وقد أبق ملوك الدولة الآشورية الحديثة اتصالهم بالحضارة السومرية والبابلية من خلال استخدامهم للألقاب الملكية الخاصة بها.^(٢)

فقد لقب ملوك آشور الأوائل أنفسهم بالألقاب التالية: (إنزي بعل وكاهن آشور)، وأضاف إليها الملك الآشوري (شلمانصر الأول) (١٢٧٤-١٢٤٥ ق.م) لقب (ملك الكل) الذي يوازي اللقب البابلي (ملك العالم). وبدأت ألقاب الملوك الآشوريين بالتكامل زمن الملك (توكولتي نورتا الأول) (١٢٤٤-١٢٠٨ ق.م) فتلقب آنذاك بلقب (ملك العالم، وملك بلاد آشور، والملك القوي، وملك الجهات الأربع). وهذا يدفع بالملك لأن يكون مُستعداً للدفاع عن الأبعاد التي ينطوي عليها اللقب الذي يتّخذهُ ولتحدّي الملوك المعاصرين له. فألقاب "ملك العالم وملك الجهات الأربع" تتضمن تحدياً للملوك الآخرين آنذاك دون شك.^(٣)

ثانياً: الملك:

١ - المبادئ التي استند إليها الملوك الآشوريين لإضفاء شرعية حكمهم.

كان النظام الملكي الوراثي هو النظام السائد في بلاد وادي الرافدين منذ بدايات ظهور نظام الحكم ووصولاً إلى نهايات التاريخ القديم، وكما هو معروف وحسب الاعتقاد السائد في الفكر العراقي القديم بأنّ النظام الملكي هو نظام إلهي مقدس يحكم الآلهة نفسها، وبالتالي انعكست هذه النظرية على جوهر السلطة في المجتمع. فقد وُجدَ هذا النظام منذ الأزل، أي قبل أن يوجد من يمارسها على الأرض، فهي كانت موجودة في السماء ومع وجود الآلهة، لذا كان الإله إنليل أول من تقلّد الملكية،

"elliltu"، وهي زوجة الإله إنليل وشريكته كما كان اسمها قبل زواجها من الإله إنليل "سود" كما تذكر الأساطير.

ويرد ذكر الإله نينليل في نصوص عديدة لملوك آشوريين منهم على سبيل المثال: الملك "توكولتي - نورتا - الثاني" إذ يصفها بقوله: "بزوجة الإله إنليل وأم الآلهة العظام". أنظر:

الأحمد، سامي سعيد: "المعتقدات الدينية في العراق القديم"، ص ٢٣.

(١) مدينة نيبور (نفر): وهي تقع جنوب بلاد وادي الرافدين بالقرب من بلدة (عفك) الحالية، حيث تبعد عنها مسافة سبعة كيلو مترات، كما أنها تعد من المدن السومرية الشهيرة فقد كانت مركزاً لعبادة الإله إنليل، وتلفظ باللغة السومرية "نبرو" وبالأكدية "نيبور". أنظر: رشيد، فوزي: "الشرائع العراقية القديمة"، ص ٢٢٨.

(٢) الجبوري، علي ياسين: "نظام الحكم"، ص ٢٣٢.

(٣) الأحمد، سامي سعيد: "الإدارة ونظام الحكم"، ص ١٧، ١٨.

والآلهة عندما خلقت البشر قررت أن تهب البشر نظاماً إلهياً لإدارة شؤونهم^(١)، لذا نُظرَ للملكية باحترام وتقديسٍ لتصورهم أنه ليس بإمكان الإنسان العيش من دون حاكم، ولا يمكن أن تُعَمَّ الطمأنينة والسلام والعدالة في المجتمع دون وجود حاكم يحميه^(٢)، ولذا فإنَّ الملكية أساس النظام والتمدن^(٣). وكان مبدأ الاختيار الإلهي قد سبق التفويض الإلهي، فالملك يُعطى تفويضاً بممارسة الحكم بعد أن يتم اختياره لمَهْمَةِ الحكم، فرغم اختيار الملك من قبل إله المدينة فإنَّ تفويضه عندئذٍ لا يُعتبر أمراً خاصاً من أمور إله المدينة بل يجب تثبيته من قبل المُجمَع الإلهي^(٤).

لذا نجدُ بأنَّ الاختيار الإلهي كان ضرورةً حتمتها طبيعة النظام السياسي وعلاقته بالآله^(٥)، إضافةً إلى ذلك هناك أسباباً أخرى دعت إلى تبني مبدأ الاختيار الإلهي في الخطاب السياسي آنذاك، كان أهمها إبقاء الاعتقاد بالأصل الإلهي للسلطة السياسية، حيث أنَّ التأكيد عليها في الخطاب السياسي قد اتخذت خطاباً أيديولوجياً قادراً على توجيه الاعتقاد العام بالسلطة السياسية التي ما لبثت أن مثلت سرّاً إلهياً رُودَّ به الإنسان من قبل الآلهة. ونتيجةً لذلك نرى أنَّ الملكَ قد قُدِّسَ آنذاك بسبب هذه الصلة التي اتصفت بها مع الآلهة، فالشعب عندما يُقدِّسُ الملك إنما يُقدِّسُ فيه الجوهر الإنساني الذي اختصَّ بالتعبير عن القوة الإلهية، مما دفع بالملوك إلى الافتخار بهذا الاختيار منذ عصر فجر السلالات السومري^(٦) وحتى العصر الآشوري الحديث (٩١٢-٦١٢ ق.م). ومثال على ذلك نجدُ بأنَّ

(١) علي، فاضل عبد الواحد، سليمان، عامر: "عادات وتقاليد الشعوب القديمة"، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة بغداد ١٩٧٩م، ص ٤٩.

(٢) Frankfort, H. "Kingship and the Gods", Chicago, 1948, p.3

(٣) الأحمد، سامي سعيد: "الإدارة ونظام الحكم"، ص ١٠.

(٤) هنري، فرانكفورت، وآخرون، "ما قبل الفلسفة"، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا، بغداد ١٩٦٠م، ص ٢٢٩.

(٥) Luckenbill, D. D. "ARAB", Vol. I, New York, 1968, p.133.

(٦) (عصر فجر السلالات السومري): وهي الحقبة الزمنية الممتدة من (٢٨٥٠-٢٤٠٠ ق.م)، وقد تميزت هذه الفترة بظهور أولى السلالات السومرية، التي أنشأت أنظمةً سياسيةً عُرفت بين المختصين "بديلات المدن السومرية". كما يُقسم هذا العصر بدوره إلى ثلاث فتراتٍ زمنيةٍ لتسهيل دراسته وهي:

أ- عصر فجر السلالات الأول (٢٨٠٠-٢٧٠٠ ق.م).

ب- عصر فجر السلالات الثاني (٢٧٠٠-٢٥٥٠ ق.م).

ت- عصر فجر السلالات الثالث (٢٥٥٠-٢٣٧١ ق.م).

أنظر كلاً من:

علي، فاضل عبد الواحد: "السومريون والآكديون"، العراق في التاريخ، بغداد ١٩٨٣م، ص ٦٩. وبإقر، طه: "مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة"، ج ١، ص ٢٧٩-٣٨١.

الملك الآشوري (سنحريب) (٧٠٤-٦٨١ ق.م)^(١) كان قد افتخر عندها بأنه مُختارٌ من قبل الآلهة عندما كان في رَجَمِ أُمِّه، كما جاء في النص التالي:

"الربة ملكة الآلهة قد اختارتني للملك عندما كنتُ في رحم أُمِّي".^(٢)

كما يذكرُ الملك الآشوري (أسرحدون) (٦٨٠-٦٦٩ ق.م) ما يلي:

".... عندما رفع الإله رأسي بخصوص أحييتي بالعرش والحكم فقد استفسروا من الإله شمش وأد آلهة الفأل، فأجابوهم بالإيجاب: "نعم إنه خليفتك"^(٣). وفي مكان آخر يقول:

"أنا (الملك) المختار من قبل الإله آشور".^(٤) وأما الملك الآشوري آشور بانيبال (٦٦٨-

٦٢٦ ق.م) فيقول عن نفسه:

"الإله آشور والإله سين، أعلنوا عن اسمي للملكية منذ الأزل"^(٥). وأما تسويغ هؤلاء الملوك لاختيار الآلهة لهم ففي أحيانٍ كثيرة يُشار إليها على أساس أنها من أجل رفاهية الناس الذين خلقتهم الآلهة خدماً لها، ولهذا السبب فلديه الخيار عندها في تقرير مصيرهم، ولكن رحمة الآلهة لأبنائها تجعلها تختار هذا الملك من أجل أن يتمتعوا بالرفاهية تحت حكمه أو بكلمة أخرى فإن التعبير عن شعور المواطنين مرتبط أساساً برغبة الآلهة.

ولم يقف الملوك الآشوريون عن هذا الحد وإنما تجاوزوه إلى الادعاء بأنهم خلُقوا من قبل الإله من دون أب أو أم كما يقول الملك الآشوري (آشور بانيبال) عن نفسه:

"أنا عبدك آشور بانيبال الذي خلقتني (بنيتني) من دون أب أو أم".^(٦) وأما الملك الآشوري (أدد نيراري الثالث) (٨١٠-٧٨٣ ق.م) فقد شبه حكمه بشجرة الحياة المقدسة للشعب الآشوري^(٧)، واستخدمت الألفاظ نفسها لوصف أسرحدون من قبل أحد رعاته، حيث يُخاطبه:

"الملك سيدنا منحنا الحياة، وقد زرع نبات (عطر) الحياة في أنوفنا"^(٨). فالملك هنا أيضاً وُصف بشكل مجازي وكأنه مانح الحياة لأبنائه.^(٩) إضافةً إلى ذلك فإن عملية الاختيار الإلهي لا تتم مرةً واحدة، وإنما تمرُّ بمراحل متعددة، أولها عن طريق النظرة التي يُلقِيها الإله على ملك المستقبل،

(١) نور الأعرجي، حسين سيد: "الاختيار والتفويض الإلهي أحد أركان العقيدة السياسية في العراق القديم"، مجلة

كلية التربية، مج ١، العدد: ١، جامعة واسط ٢٠٠٧، ص ١٦٠، ١٦١.

(٢) الأحمد، سامي سعيد: "الإدارة ونظام الحكم"، ص ١١.

(٣) III R.15-16, i: 1-16, ARAB II, P.500

(٤) vs.1, No.78, ARAB II, P. 577.

(٥) III R.35, No. 5, ARAB II.

(٦) K.3515, 15ff.OECT, 6.73.i: 15.

(٧) IR. 35, i: 2. Cf. L. Oppenheim, BASOR, 107, P. 10.

(٨) ABL. 771: 5ff cf. ABL 831.

(٩) الجبوري، علي ياسين: "نظام الحكم"، ص ٢٣٢.

حيث نلاحظ بأن النظرة الإلهية قد حظيت عندها بمكانة بارزة لدى الملك الآشوري (شلمانصر الثالث) (٨٥٨-٨٢٤ ق.م) عندما قال:

"السيد العظيم (آشور) بقلب ثابت كان قد اختارني بنظراته اللامعة".^(١)

وأما الطريقة الأخرى التي يتم بها الاختيار الإلهي فهي النطق الإلهي بالاسم، فالاسم يحتل مكانة بارزة في الفكر الرافدي القديم عموماً، إذ إنه يمثل الوجود الفعلي، فالشيء يتمتع بوجوده الفعلي عندما يكون قد اقترن باسم، فما دام لم يكن ثمة شيء له اسم فإنه لن يكون موجوداً. لذا فإن النطق الإلهي بالاسم كان يتمتع بأهمية كبيرة في الفكر السياسي في بلاد الرافدين، من خلال ما جاء من تأكيد الملوك في خطبهم السياسية على هذا المبدأ آنذاك.^(٢) فلدينا الملك الآشوري (شمشي-أدد-الأول) (١٨١٣-١٧٨١ ق.م) والذي كان سباقاً إلى التمسك بالنطق الإلهي باسمه كأساس في اختياره لممارسة السلطة السياسية فهو لم يتردد عن تسمية نفسه بهذا، حيث يقول:

"الذي نطق باسمه من الملوك الآشوريين من أجل ضمان سيادة الإله (آنو) و(إنليل) بناءً على طلب من الإله (آشور) الذي يحبه".^(٣)

وبالرجوع إلى مبدأ الاختيار الإلهي والادعاء بالبنوة والقربة من الآلهة، نجد أنهما لم يكونا عندها بالعنصرين الكافين للتمتع بالسلطة السياسية الكافية، لذا نرى أن الفكر السياسي قد طوّر هذه السلطة وجعلها تتمتع بسلطات وصلاحيات أوسع، فكان اختياره موفقاً إلى حد بعيد وذلك عندما اختار المبدأ الثاني وهو ما يُسمى بالتفويض الإلهي للملك، والذي أصبح آنذاك من ركائز النظام الملكي، فضلاً عن اعتباره نظرية في الحكم. ونتيجة لذلك فقد استمر ملوك بلاد الرافدين بادعاء التفويض الإلهي ومارسوا سلطاتهم لأنهم أشخاص فوضوا من قبل الآلهة، لأن سكان بلاد الرافدين القدماء اعتقدوا أن الآلهة تختار من ينوب عنها على الأرض من الأشخاص الجديرين بتحمل الملكية وأعبائها.^(٤) حيث مارس الملك بموجب ذلك التفويض حكم البشر وبقي مبدأ التفويض الإلهي سمة ملازمة للحكم في جميع العصور اللاحقة، وذلك لإضفاء الشرعية على الحكم، ولكسب العون والتأييد من قبل سكان المدن ومجالسها. فكان لهذا التغيير في مفهوم اختيار الملك أثره في زيادة قوة الملك وتناميها، وأصبح

(١) الطعان، عبد الرضا: "الفكر السياسي في العراق القديم"، دار الشؤون الثقافية العامة، ط٢، بغداد ١٩٨٦م، ص ٤٣٢.

(٢) نور الأعرجي، حسين سيد: "الاختيار والتفويض الإلهي أحد أركان العقيدة السياسية في العراق القديم"، ص ١٦٢.

(٣) نور الأعرجي، حسين سيد: "الاختيار والتفويض الإلهي أحد أركان العقيدة السياسية في العراق القديم"، ص ١٦١، ص ١٦٢.

(٤) الزبياري، محمد صالح طيب: "النظام الملكي في العراق القديم دراسة مقارنة مع النظام الملكي المصري"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل ١٩٨٩م، ص ٣٩.

له حاشية وأتباعاً يعملون على طاعته وتنفيذ أوامره بشكل كبير، وعندها تلاشى ما عُرف "بدايةً بالنظام الديمقراطي البدائي"، غير أن بعض مظاهره ظلت خلال العصور التالية مثل استمرار وجود مجالس المدن. ومع مرور الزمن عمل الملوك على تركيز السلطات بأيديهم، وتقليص دور المجالس والكهنة، عندما دعم الملك حكمه بالشرعية الدينية، وادّعى بأن الآلهة التي تملك السلطة قد فوّضته وأوكلت إليه حق ممارستها نيابةً عنها مما جعل المجالس لا تستطيع مجابهته، فكان لهذا التحول التدريجي والتركيز على الانتخاب الإلهي بدلاً من انتخاب الناس أن أوجد حينها الأساس لانتقال كامل من مبدأ الاختيار الشعبي إلى مجال الحق الإلهي.^(١) وقد ظلّ العمل بنظرية التفويض الإلهي، تلك النظرية ذات السلطات الواسعة التي وازنها ملوك بلاد الرافدين من خلال سعيهم لإرضاء الآلهة عن طريق ما يُقدمونه من أعمالٍ مثل بناء المعابد وشنّ القوانين، وتنفيذ مشاريع الري، والاهتمام بالعدل، لأنهم مهما تمتعوا بسمات هذا التفويض فإنهم يبقون رهينة تحقيق الرفاه للسكان، ذلك الرفاه الذي اعتُبر من أهم أسباب إبقاء الملك في منصبه، بحسب الفكر السياسي الرافدي القديم آنذاك.^(٢)

وبالنسبة للعصر الآشوري الحديث (٩١٢-٦١٢ ق.م) موضوع بحثنا هذا فإن الملك كان يتلقى عندها سلطته السياسية مباشرةً من الإله باعتباره مُمثلاً له^(٣). كذلك نجد أن خلال البعد الزمني الذي استغرقه الفكر السياسي في بلاد الرافدين حتى وصل إلى العصر الآشوري الحديث حيث انصهرت فيه صفات ذات أصولٍ سومريةٍ أي (صفات حُكم الكاهن الأكبر للمدينة باعتباره نائب الإله على الأرض) مع صفاتٍ أكديّةٍ أي (صفات الحاكم المطلق)، ويلاحظُ هذا الانصهار في الفكر السياسي بين السومريين والأكديين حينها في الخطاب السياسي الآشوري الحديث. ومثال على ذلك ما ورد في إحدى خطابات الملك الآشوري (شروكين - الثاني/ سرجون الثاني) (٧٢٧-٧٠٤ ق.م)^(٤):

"سرجون، مُفضل إنليل، كاهن آشور، (نائب الملك) لنابو ومردوخ".^(٥)

وهناك قبله الملك الآشوري (آشور - ناصر - بال الثاني) (٨٨٣-٨٥٩ ق.م)، والذي دُعي:

"بكاهن الإله آشور الذي اختاره إنليل". حيث أننا نلاحظ أن نظرية التفويض الإلهي حتمت على الملوك الآشوريين أن يتبنوا في خطابهم السياسي أن إعلان الحرب على الأعداء، هو إطاعة لأوامر الإله آشور، فهو إمّا لأنّ الإله يأمره بذلك أو لأنّ المعاهدات المُودعة تحت حماية الإله لم تعد

(١) محمد عبد الحاج أحمد، هيفاء: "ألقاب حكام وملوك العراق القديم"، ص ١٠٠-١٠٥.

(٢) نور الأعرجي، حسين سيد: "الاختيار والتفويض الإلهي أحد أركان العقيدة السياسية في العراق القديم"، ص ١٦٥.

(٣) الطعان، عبد الرضا: "الفكر السياسي في العراق القديم"، ص ٤٢٧.

(٤) عبد القادر، خليل سعيد: "معالم من حضارة وادي الرافدين"، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٨٤م، ص ٧١.

(٥) Luckenbill. D. D. "ARAB", part II, no. 226, p.113

محترمة حقاً^(١). إضافةً لذلك نرى أن مركز الإله آشور قد تعزز في العصر الآشوري الحديث بشكل كبير، وذلك بعد أن أصبحت مدينة آشور عاصمةً لصرحٍ سياسي كبير، وهذا التعاضل أوردته الملوك الآشوريون في كتاباتهم، حيث زعموا أنهم قد تزودوا بأوامر حقيقية مُندفعة للنضال في سبيل حكم العالم آنذاك، ونتيجةً لذلك اعتقدوا بأن القتال في سبيل الإله آشور إنما هو في نفس الوقت من أجل الحق^(٢)، لأن الإله آشور هو من عظم ممالك نوابه كما جاء على لسان الملك الآشوري (تجلات بلاصر الأول) (١١١٥-١٠٧٧ ق.م) في خطابه:

"الإله آشور والآلهة العظام هم من عظم مملكتي، هو الذي منح نصيبي من القوة والمثانة".^(٣)

ويذكر الملك الآشوري (شلمانصر الثالث) (٨٥٨-٨٢٤ ق.م) في إحدى خطابه السياسية ما نصّه:

"عندما السيد العظيم، بقلبه الثابت اختارني بنظرته الباهرة".^(٤) كما ادعى أيضاً الملك الآشوري (آشور - ناصر - بال الثاني) (٨٨٣-٨٥٩ ق.م) مايلي:

"بأن الآلهة عشتار اختارته ورغبت في أن تراه حاكماً". كذلك يرد في حوليات الملك الآشوري (سنحريب) (٧٠٤-٦٨١ ق.م) النص التالي:

"ملكة الآلهة اعتنت بي وخصتني بعطفها عندما كنت في رحم أمي التي ولدني وسهرت علي، ومنحتني رحمةً واسعة في فترة وجودي في بطن أمي، منحتني إدراكاً قوياً وعدالة السيدة آدابا، آشور أبو الآلهة أخضع لحكمي جميع ذوي الرؤوس السود، وأشاد جميع رجال السلالات بعلو مكانتي لكي أصبح حاكماً على البلاد والشعب وأعطاني الصولجان المستقيم، ووسّع بلادي وهو الذي وضع في يدي سيفاً حاداً لإسقاط خصومي، في ذلك الوقت جعلت شعوب الأعداء يحملون السلال وشظايا الحجارة".^(٥)

يتبين لنا من منطلقات الخطاب السياسي ومعالمه الواضحة في مبدأ التفويض الإلهي آنذاك، أن طبيعة الملكية الآشورية كانت قد نضجت وترسّخت، حيث نلاحظ بأنها تختلف عن طبيعة الملكية البابلية، والسبب يعود إلى علاقة الإله الأكبر للدولة الآشورية الحديثة بالملك الآشوري والتي كانت من نوع خاص، إذ لم يكن الملك الآشوري نائباً للإله، كما كان الملك السومري، ولم يصبح إلهاً كالحكام

(١) كونتينو، جورج: "الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور"، ترجمة: سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، ط٢، بغداد ١٩٨٦م، ص ٢٥١.

(٢) عبد القادر، خليل سعيد: "معالم من حضارة وادي الرافدين"، ص ٧١.

(٣) Grayson, A. K., "Assyrian Royal Inscriptions" Part 2, Germany, 1976, p.6.

(٤) الزبياري، محمد صالح طيب: "النظام الملكي في العراق القديم دراسة مقارنة مع النظام الملكي المصري"، ص ٧٨.

(٥) الزبياري، محمد صالح طيب: "النظام الملكي في العراق القديم دراسة مقارنة مع النظام الملكي المصري"، ص ٧٨.

العالميين الأكديين وملوك أور الثالثة، ولكنه أصبح الكاهن الأول أو الأعلى للإله آشور وقائد الجيش بأمر من الإله والآلهة الكبرى، وهذا يعني حينها زيادة في سلطة التفويض الإلهي لمهام لم تكن من مهمات الملك سابقاً^(١). فمن خلال العودة إلى الخطاب السياسي العام للملوك الآشوريين، نلاحظ وجود نوعين من الحكام الأول كان قد استمد السلطة من نسب الحماية الإلهية، والآخر قد وجد الموافقة من قبل الآلهة في بلاد آشور في أن يصبح ملكاً، والتي حوّلتها حينها بهذا الواجب وأنه الرجل المنتخب من قبلها.^(٢) وفي النهاية فإنه كان لظهور مبدأ التفويض الإلهي للحكم حينها أسباب عدة أهمها:

- إضفاء الشرعية الدينية للسلطة السياسية لما للدين من تأثير قوي على السياسة آنذاك.
- لكونه يشكل عاملاً من عوامل الاستقرار السياسي خصوصاً عند انتقال السلطة من ملك إلى آخر، بسبب وفاة الملك، أو مقتله عن طريق مؤامرة داخلية أو انقلاب عسكري أو ماشابه ذلك.
- إن الإجراءات التي اتخذها الملوك والحكام لحماية مناصبهم والاحتفاظ بها دفعهم حينها إلى البحث عن أساس مستقر يُقيمون عليه سلطتهم، لذلك فإنهم وجدوا في مبدأ التفويض الإلهي الطريقة الأفضل والأمثل للحفاظ على تلك المناصب.^(٣)

٢- هل نظر إلى الملك الآشوري على أنه إله أم لا؟.

لقد تميّز ملوك الدولة الآشورية عن بعض ملوك بلاد الرافدين السابقين بطابعهم الخاص وهو: أنهم لم ينسبوا لأنفسهم تلك الادعاءات بالألوهية الشخصية حينذاك، كما أنهم لم يؤلّوها أنفسهم حتى في عصور قوتهم الكبرى، ولكنهم تلقّبوا ببعض الصفات الإلهية، وحولوها إلى أغراض دينوية.^(٤) كذلك لم يكن الحاكم الآشوري ولغاية القرن الرابع عشر قبل الميلاد يُسمّى نفسه باللقب الذي يمكن ترجمته (ملك) (مع استثناء واحد وهو الملك شمشي - أد - الأول)، وبدلاً من ذلك كان الملك الآشوري يستعمل لقباً آشورياً يعني: (وكيل الإله آشور) مما يعكس مرتبته كممثل للإله على الأرض. إذاً لم يكن الحاكم الآشوري إلهاً بالمعنى الكامل، لكنه كان فعلياً (ظل الإله) وهذا ما عبّر عنه أحد المسؤولين آنذاك بكلمات عديدة كتبها إلى الملك جاء فيها:

(١) عبد القادر، خليل سعيد: "معالم من حضارة وادي الرافدين"، ص ٧١، ٧٢.

(٢) أوبنهايم، ليو: "بلاد ما بين النهرين"، ترجمة: سعدي فيضي عبد الرزاق، دار الرشيد للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨١م، ص ١٢٥.

(٣) نور الأعرجي، حسين سيد: "الاختبار والتفويض الإلهي أحد أركان العقيدة السياسية في العراق القديم"، ص ١٦٩، ١٧٠.

(٤) زودن فون، ف.: "مدخل إلى حضارات الشرق القديم"، ترجمة: فاروق إسماعيل، مراجعة: أحمد ارحيم هبو، دار المدى للثقافة والنشر، ط ١، دمشق ٢٠٠٣م، ص ٧٣-٨٢.

(أبو الملك سيدي كان صورة الإله بعل والملك سيدي هو صورة الإله بعل أيضاً).^(١) كما دُعي الملك الآشوري أحياناً بلقب (الشمس الإلهية للشعب) ومع ذلك، فيجب أن نُسَمي هؤلاء الحُكَّام (ملوكاً - كهنة)، لأنهم في مدينة آشور كانوا يُعتبرون ورثةً للسلطتين الدينية والمدنية، ومع زيادة نفوذ الدولة الآشورية، واتساع حدودها وتحولها إلى تسمية بلاد آشور، وبالتوازي مع ذلك فكانت هيئة حاكمها تتسع أيضاً، وظلّ الملوك حتى النهاية يُحافظون على رابطٍ ديني خاصٍ مع مدينة آشور.^(٢) إضافةً إلى ذلك ليس لدينا ما يُشير إلى عبادة الملوك الآشوريين، غير أن تماثيل هؤلاء الملوك إنّما كانت توضع مع تماثيل الإله آشور بمعبده في مدينته آشور، ومثال على ذلك فقد وُضعت تماثيل الملك الآشوري (تجلات بلاصر الثالث) مع تماثيل الآلهة.^(٣) وعلى أية حال فقد ظل الملك في بلاد وادي الرافدين القديمة بشراً دائماً، ولم يتعدّ طور التشبيه "بالإله"، ولئن أُقيمت له المعابد، وصُنعت له التماثيل، فبوصفه ممثلاً للإله وليس إلهاً وقد يرتفع الملك أحياناً إلى مرتبة (ابن الإله) عن طريق التبني، ولكنه ليس (ابناً حقيقياً للإله).^(٤)

٣ - طقوس تتويج الملك:

أ - أهم شارات الملكية في آشور:

كان لشارات الملكية أهميتها الكبيرة في نظر ملوك بلاد الرافدين عموماً، حيث نرى ذلك جلياً في المنحوتات والتماثيل والمسلات، إذ قلماً نجد أثراً يخلو من هذه الشارات المقدسة التي كان يتسلّمها كل ملك في حفل تتويجه، وتمثل هذه الشارات رموزاً ملكية تُضفي الهيبة والاحترام والتقدير على كل من يتسلّمها، وتُميّزه عن بقية الناس. وكان لتسلّمها طقوس وتقاليد خاصة تُمارس في المناسبات الرسمية والاحتفالات الدينية ومراسيم التتويج، وأول من اتبعها هم السومريون ثم الأكديون ثم أخذها عنهم الملوك البابليون والآشوريون الذين طوروها وحافظوا عليها فيما بعد.^(٥) وكانت (شارات الملكية) تتألف من:

(١) سليم، أحمد أمين: "دراسات في تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم"، ج ٦، (حضارة العراق القديم)، ص ١٩٥، ١٩٦.

(٢) ساكر، هاري: "جبروت آشور الذي كان"، ترجمة: آخو يوسف، دار الينابيع للطباعة والنشر، دمشق ١٩٩٥م، ص ٢١٠، ٢١١.

(٣) الاحمد، سامي سعيد: "الإدارة ونظام الحكم"، ص ١٢، ١٣.

(٤) سليم، أحمد أمين: "دراسات في تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم"، ج ٦، (حضارة العراق القديم)، ص ١٩٦.

(٥) حمزة الطائي، محمد: "أهم شارات الملكية في العراق القديم"، مجلة آداب الرافدين، العدد: (٥٠)، جامعة الموصل ٢٠٠٨م، ص ١.

"التاج، والصولجان، ورباط الرأس، والعصا"، والتي صُورت بأنها كانت مُودعة في السماء أمام أنو كبير الآلهة السومرية، ففي ملحمة إيتانا نقراً:

"في ذلك الوقت لم يكن قد لبسَ تاجَ وكان الصولجان ورباط الرأس والتاج والعصا مودعة في السماء أمام أنو".^(١)

وهنا سنأتي على ذكر شارات الملكية بشكلٍ موجز:

- التاج:

وهو لباسُ الرأس الخاص بالملك، ومن الرموز الإلهية والدينية لدى ملوك بلاد الرافدين جميعهم، ويمثل صلة الوصل بين الآلهة والبشر، وبما أنه يمثل رمز القوة والسلطة فقد كان يتسلّمه كلُّ ملكٍ في حفل تتويجه، وقد ورد التاج في النصوص المسمارية بعدة صيغٍ سومرية هي:

(٢) (AGA, MEN, MEN4) وكل تلك الصيغ يُقابلها بالأكدية اللقب (أجو) (agû) ويعني حرفياً: "تاج". وقد حصل الملوك الآشوريون على تاج آشور، فالتاج الذي يضعه كبير الكهنة على رأس الملك في حفل التتويج يُعدُّ تاج آشور الإله القومي عند الآشوريين حينها^(٣)، حيثُ يذكر أحد النصوص الآشورية الحديثة الآتي:

"تاج آشور الجليل، التاج العظيم".^(٤)

ومما تجدرُ الإشارة إليه أن إله القمر (سين) قد عُرفَ بأنه إله التاج، وضيأؤه يرمزُ إلى لمعان التاج الملكي والأشعة المنبعثة منه ترمزُ إلى الإلهوية، ومن هذا المنطلق بالغَ سكان بلاد الرافدين في استعمال الأحجار الكريمة اللماعة والذهب في تزيين التاج، فضلاً عن كونه من الشارات الملكية المقدسة التي تعكسُ هيبة الملك وعظمته، وعُصراً مهماً في استكمال الزي الملكي، ويمكننا القول إن معرفة اهتمام الملوك بتيجانهم تأتي من الرسائل المتبادلة بينهم، وعلى سبيل المثال لدينا الرسالة الموجهة إلى الملك الآشوري (أسرحدون) (٦٨٠-٦٦٩ ق.م):

"حسب النموذج القديم عملتُ من جديد التاج الذهبي المُزين بالأحجار

الكريمة الذي يستلزمُ وضعه على مسطبة مُزينة ومصنوعة من الجبس".^(٥)

(١) الحاج يونس، ريا محسن عبد الرزاق: "فجر الحضارة السومرية في ضوء أختام عصري الوركاء وجمدة نصر"،

أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد ١٩٩٨م، ص ٢٠٠.

(٢) لابات، رينيه: "قاموس العلامات المسمارية"، ترجمة: الأب البير أبونا، وليد الجادر، خالد سالم إسماعيل،

مراجعة: عامر سليمان، بغداد ٢٠٠٤م، ص ١٥٩، ص ١٣١، ص ٢١٩.

(٣) شيت، أزهار هاشم: "الدعاية والإعلام في العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م)"، أطروحة دكتوراه غير

منشورة، جامعة الموصل ٢٠٠٠م، ص ٢٥.

(٤) Frankfort, H. "Kingship and the Gods", Chicago, 1948, p.249.

(٥) شيت، أزهار هاشم: "الدعاية والإعلام في العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م)"، ص ٢٥، ص ٢٦.

- رباط الرأس:

ويطلق عليه أحياناً (العمامة أو العصابة)، حيث استخدمها ملوك بلاد الرافدين وهي تمثل إحدى شارات الحكم والملوكية، ولا تقل في أهميتها عن التاج، وقد وردت العمامة في النصوص المسمارية بالصيغة السومرية التالية: (SAGŠU)^(١) ويقابلها بالأكدية اللقب (كوبشو) (kubšu) والذي يعني: (عمامة، غطاء الرأس).^(٢) وقد استخدم الملوك الآشوريون العمامة بكثرة، وازدادت ارتفاعاً عندهم، كما يلاحظ بصورة عامة تطور ملحوظ في هيئة التاج والعمامة عندهم، حيث نرى التاج وعموم أغطية الرأس في العصور السومرية قصيرة الارتفاع، ثم ازداد ارتفاعها تدريجياً بمرور الزمن حتى أصبحت في العصور الآشورية تتخذ شكلاً مخروطياً، تتميز بحقول أفقية مزينة بالزخارف ومُرصعة بالمجوهرات بأسلوب منظم على جانبي التاج وواجهته، ونتيجة لذلك فبإمكاننا القول أننا نستطيع تمييز الملوك الآشوريين عن غيرهم من خلال تيجانهم.^(٣)

- الصولجان:

وهو عبارة عن قضيب خشبي أو معدني ينتهي بكتلة مصنوعة من الحجر أو المعدن، وقد تقنَّ الملوك بصنع صولجاناتهم كثيراً فجعلوا رأس الصولجان عبارة عن رأس أسد أو حيوان مفترس، وغالباً ما كان يُطعم بالقطع الذهبية أو اللآلئ والأحجار النادرة، لأنَّ الصولجان كالتاج حيث عُدَّ أيضاً جزءاً مهماً ومكملاً لقيافة الملك فهو رمز السلطة السياسي، فظهور الملك في المقابلات الرسمية والاحتفالات حاملاً الصولجان بهذه العظمة والتزيين، كان عندها يُعطي انطباعاً إعلامياً للملك وقوته وبذلك أصبح من السهل علينا تمييز الملوك في المشاهد الدينية والرسمية على المنحوتات عن الموظفين الآخرين والمرافقين أو المدعويين.^(٤)

كما وردت تسميات عديدة للصولجان في العديد من النصوص المسمارية، إلا أنَّ معظم معانيها كانت تشير بصورة واضحة إلى الصولجان، ومنها:

(جيش جيدرو/جيدري) (GIŠ GIDRU/GIDRI)^(٥)، ويقابلها بالأكدية اللقب خَطُو (ḫaṭṭu)

وتعني حرفياً: (صولجان)، وقد وردت هذه الكلمة كثيراً في نصوص الملك الآشوري (آشور - ناصر - بال الثاني) (٨٨٣-٨٥٩ ق.م)، إذ نقرأ في أحد نصوصه:

"dPA. TúG šu-a-ši GIŠ GIDRU Kù-te DINGIR mu-ul-tal-l ú"

ويترجم كمايلي: "الإله نسكو حامل الصولجان المقدس، الإله الواعي (اليقظ)".^(١)

(١) لايات، رينيه: "قاموس العلامات المسمارية"، ص ١٩١.

(٢) حمزة الطائي، محمد: "أهم شارات الملكية في العراق القديم"، ص ٨.

(٣) الجادر، وليد، والعزاوي، ضياء: "الملابس والحلي عند الآشوريين"، بغداد ١٩٧٠م، ص ١، ١٦.

(٤) حمزة الطائي، محمد: "أهم شارات الملكية في العراق القديم"، ص ١٠.

(٥) لايات، رينيه: "قاموس العلامات المسمارية"، ص ١٣٥.

وأما التسمية الثانية التي أُطلقت عليه فهي:

"GIŠ TUKUL.DINGIR" ويُقابِلها بالأكدية اللقب مِيطُو (mittu) والتي تعني حرفياً: (صولجان القتال) الذي كان يُعدُّ أيضاً سلاحاً خاصاً بالآلهة، وهذه الكلمة ترد أحياناً بصيغٍ سومريةٍ أخرى هي:

(MITTA)، (ŠU.MA)، كذلك أُطلقَ عليه اللقب (جيش شيبير) (GIŠ ŠIBIR) ويُقابِلها بالأكدية اللقب شيبيرُو (Šibirru) والتي تعني حرفياً: (صولجان).^(١)

وتُعدُّ الصولجانات من المواد النذرية المُهمّة أيضاً في بلاد الرافدين القديمة، حيث كانت تقدّم كهدايا نذرية إلى المعابد، فضلاً عن كونها تُعدُّ رمزاً من شارات الملكية وأسلحة احتفالية.

ومن خلال تلك النصوص المسمارية يتبيّن لنا أنّ عملية بناء المعابد كانت لها طقوساً دينية خاصة من ضمنها أن يقوم الملك بتقديم القرابين، والتي كان من أهمها آنذاك الصولجانات فضلاً عن تأدية بعض الطقوس الأخرى، وهذا يدلُّ على أنّ عملية تقديم الصولجانات هي عملية مُكمّلة لطقوس ومراسيم بناء المعابد، ولذلك نجد أنّ غالبية الصولجانات التي عُثِرَ عليها كانت في المعابد، والتي قُدِّمت كهدايا للآلهة من قبل الملوك والأمراء والكهنة وغيرهم من ذوي الرتب الرفيعة.^(٢)

ومن طقوس تقديم الصولجان العديدة هناك طقس تقديمه إلى الملوك أثناء تتويجهم، ولكونه يمثّل رمز القوة والسلطة حينها فقد كان يتسلّمه كلّ ملكٍ في حفل تتويجه، حيث يحمل الكاهن التاج والصولجان على الوسادة جالِباً إيّاها إلى الملك وعند قيامه بتتويج الملك يقول له:

"عليك أن توسّع بلادك بصولجانك المستقيم عسى إلهك أن يمنحك القناعة والعدل والسلام".^(٣)

كما عدّ الصولجان من أهم المشاهد التي زينت منحوتات مختلف عصور بلاد الرافدين القديمة، حيث أبدع سكان بلاد الرافدين في نحتها وتصميم مشاهد الصولجانات عليها، وقد تعددت هذه المشاهد مع تعدد أشكالها، حيث كشفت أعمال التنقيب التي جرت في المواقع الأثرية المختلفة عن عددٍ كبيرٍ من هذه المشاهد، ومثال على ذلك مسلة الملك الآشوري (أسرحدون) (٦٨٠-٦٦٩ ق.م) والتي تُعدُّ من أروع المسلات فهي تصوّر لنا الصولجان البيضوي الشكل المطوق بعقدة تتكون من حافاتٍ مُركبةٍ، إذ تُظهر لنا هذه المسلة (طهراقا الحبشي) (٦٨٨-٦٦٣ ق.م) ملك مصر راکعاً و(عبدي ملكوتي) ملك صيدا واقفاً وهما يتضرعان للملك الآشوري أسرحدون الذي قام بأسرهما حيث يظهر الملك أسرحدون

(١) الطائي، نبيل نور الدين حسين: "من حملات (آشور - ناصر - بال - الثاني) في ضوء نصوص مسمارية منشورة وغير منشورة"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل ٢٠٠١م، ص ٥٤.

(٢) لابات، رينيه: "قاموس العلامات المسمارية"، ص ٢٢١، ص ٥٩.

(٣) حمزة الطائي، محمد: "أهم شارات الملكية في العراق القديم"، ص ١١، ١٢.

(٤) Frankfort, H., op. cit. p.247

واقفاً وهو يُمسكُ بيده اليسرى الصولجان البيضوي.^(١) ولم يقتصر تمثيلُ مشاهد الصولجان على المنحوتات فقط، بل مُثلت أيضاً على التماثيل، ولعلَّ أبرز الأمثلة على ذلك هو تمثال الملك الآشوري آشور - ناصر - بال الثاني (٨٨٣-٨٥٩ ق.م) والذي تم العثور عليه في معبد نينورتا والمصنوع من الحجر الجيري، حيثُ يظهر هذا الملك واقفاً وهو يرتدي الزي الرسمي ويحملُ بيده اليسرى التي يضمُّها إلى صدره صولجان السلطة، وبيده اليمنى عصا الرعية، وهو موجودٌ الآن في المتحف البريطاني.^(٢) (ولمزيد من الإيضاح حول الصولجان أنظر في ملحق الأشكال في نهاية الرسالة).

- عصا الرعية:

وهي تعدُّ أيضاً من الشارات الملكية المقدَّسة وأحد رموز السلطة الملكية، حيثُ ورد ذكرها بشكلٍ واضحٍ في ملحمة إيتانا عندما كانت مودعةً في السماء أمام الإله أنو، وقد حملت عدة تسمياتٍ في النصوص المسمارية، وكانت معظم معانيها تُشيرُ بصورةٍ واضحةٍ إلى العصا أو عصا القيادة والتي يُقصدُ بها عصا السلطة والملوكية آنذاك^(٣)، ومن هذه التسميات:

(GIŠ ŠU.KIN)^(٤)، ويُقابلها باللغة الأكديّة اللقب شورو (Šūru) والتي تعني: (عصا). وأما التسمية الثانية التي أُطلقت عليها فهي: (GIŠ ŠiTA)، ويُقابلها بالأكديّة اللقب (ككو) (kakku) وتعني حرفياً: (عصا أو عود أو عصا القيادة)، وأحياناً تُطلق هذه التسمية على الصولجان، حيثُ أُشير إلى العصا بالصيغة (GIDRI) ويُقابلها بالأكديّة اللقب خَطُو (ḫattu)، وأحياناً ترد هذه التسمية بصيغة سومرية أخرى هي: (NINGIDAR)^(٥)، وهذا يقودنا إلى الاستنتاج أن كلتا التسميتين تعنيان (عصا)، ومن الممكن أن تعنيان (صولجان). كذلك أُطلقَ عليها لقب (جيش جينو) (giš ginu) للدلالة على العصا المستخدمة كسلاح وهي عبارة عن عصا خشبية مدمكة الرأس أي "رأسها أملس مُدَوَّر"، حيثُ ورد ذكرها في نصٍ يعود إلى عهد الملك الآشوري (سرجون الثاني) (٧٢١-٧٠٥ ق.م).^(٦)

ومما يُلاحظ أنَّ بعض تسميات العصا في المصادر المسمارية قد تعني (صولجان)، فكلتا هاتين الشارتين أي (العصا والصولجان) كانتا تؤديان نفس الوظيفة ويرمزان للحكم وبدلان على السيادة والسلطة، حيثُ يؤيد هذا القول هو ما جاء في المعاجم العربية، إذ إنَّ ((العصا هي التي اعوجَّ طرفها،

(١) حمزة الطائي، محمد: "أهم شارات الملكية في العراق القديم"، ص ١٥، ١٦.

(٢) حمزة الطائي، محمد: "أهم شارات الملكية في العراق القديم"، ص ١٧.

(٣) شيت، أزهار هاشم: "الدعاية والإعلام في العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م)"، ص ٢٦.

(٤) لابات، رينيه: "قاموس العلامات المسمارية"، ص ١٦٣.

(٥) لابات، رينيه: "قاموس العلامات المسمارية"، ص ١٣٥، ص ٢٤٥.

(٦) عبد الله، يوسف خلف: "الجيش والسلاح في العهد الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م)"، ط ١، بغداد ١٩٧٧م، ص ٢١٢.

فهي المَحْجَن بكسر الميم وفتح الجيم أي العصا التي في طرفها انعقاف أو اعْوَجَاج^(١)، ولفظة صولجان هي لفظة فارسية مُعربة وتطلق على العود المِعْوَج، ومنها صولجان المُلك: أي عصا يحملها الملك وترمزُ لسلطانه^(٢). كذلك أطلق على العصا التسمية التالية: (ú.GIDIDRI) ويقابلها بالأكديّة اللقب (خطو ريئ) وتعني:

(عصا الراعي)، وبالفعل فإن عصا الملك تُسمى (بعصا الراعي أو عصا الرعية) لأنه يرعى بها الناس ويحميهم^(٣). وقد عمد ملوك بلاد الرافدين إلى استخدام تلك العصا بوصفها جزءاً مُهمّاً ومُكمّلاً للأناقة وللزي الملكي، وهذا ما نشاهدهُ بوضوح في تمثال الملك الآشوري (آشور - ناصر بال الثاني) (٨٨٣-٨٥٩ ق.م) فهو يحملُ بيده اليمنى عصاً، وهي عبارة عن قضيب معدني، ينتهي طرفها بهلال معدني ذي حافة خارجية مُسننة بهيئة تشبه المنجل المُفلطح^(٣).

نستنتج مما سبق أن التاج والصولجان كانا آنذاك من أهم شارات الملكية المستخدمة في التتويج المُقدس (تتويج الملك)، والدليل على ذلك هو من النصوص العديدة التي أشارت إليهما، وعلى سبيل المثال لدينا نص تتويج من العصر الآشوري الحديث (٩١٢-٦١٢ ق.م) ورد فيه ما يلي:

"التاج لرأسك، عسى الآلهة آشور وننليل، سادة تاجك يضعونه عليك لمئة سنة

قدماك في إيكور، ويداك ممتدتان

إلى آشور الملك، عسى كهنتك وكهنة بلادك يمدان العطف

بصولجانك المستقيم وسع بلادك

عسى آشور أن يمنحك القناعة والعدل والسلام"^(٤).

ومن هذا النص يمكن القول أن التاج والصولجان من أهم وأكثر الشارات الملكية المستخدمة في النصوص المسمارية آنذاك.

ب- الإجراءات التي ترافق مراسم تتويج الملك:

كانت تتم مراسم تتويج الملك الجديد بعد مراسم دفن الملك السابق واكتمال الطقوس الدينية الخاصة بدفنه، حيث يُباشِر حينها بمراسيم تتويج ولي عهده. ولدينا حالياً نص آشوري يُبين لنا

(١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: "لسان العرب"، مج ٢، دار صادر، بيروت ١٩٥٦م، ص ٣١٠.

(٢) شيت، أزهار هاشم: "الدعاية والإعلام في العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م)"، ص ٢٦.

(٣) Frankfort, H. "The Art and Architecture of the Ancien Orient", London 1969, p. 82.

(٤) شعلان كامل، إسماعيل: "الحياة اليومية في البلاط الملكي الآشوري خلال العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م)"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل ١٩٩٩م، ص ٢٠.

بالتفصيل مراسيم التتويج الذي يتم بمدينة آشور غالباً، حيث يُدفن الملك السابق ويُحمل عرش الملك الجديد على أكتاف الرجال بموكبٍ حافلٍ وهو جالسٌ عليه، وأمامه كاهنٌ يضربُ بالطبلِ ويُنادي: (آشور هو الملك) مرتين، ثم يذهب الملك الجديد إلى معبد آشور فيدخل مزاره مُقبلاً الأرضَ ويحرق البخور ثم يرتقي منصّةً مرتفعةً، وُضعت في نهاية المعبد قرب تمثال الإله آشور. ويبدأ الكاهن بتهيئة مذبح قربابين الإله آشور ويقوم كهنة آخرون بإعداد مناضد الآلهة الآخرين. ويُقدم الملك طاسة ذهبية مملوءةً بالزيت ومقداراً من الفضة وثوباً مطرزاً غالي الثمن. ويركع أمام الإله آشور ويمسحه الكاهن الأعلى، ثم يُتوجّه بشارات الملك وهي تاج الإله (آشور) وصولجان الإلهة (ننليل) ويردد خلال ذلك دعاءً يُبارك فيه الملك، ويدعو له بطول العمر ورعاية الآلهة ورضاها.^(١) وبينما يُتوج الكاهن الأعلى الملك يردد العبارات التالية:

"التاج لرأسك، عسى الآلهة آشور ونليل، سادة تاجك يضعونه عليك لمئة سنة

قدماك في ايكور، ويداك ممدتان

إلى آشور إلهك، وعسى أن يفضلائك

أمام آشور إلهك، عسى كهنتك وكهنة بلادك

يجدان العطف

بصولجانك المستقيم وسّع بلادك

عسى الإله آشور أن يمنحك القناعة والعدل والسلام".^(٢)

وبعد أن يتم الكاهن دعاءه يُصلّي الحاضرون من الأمراء والقواد والوجهاء، وبهذا تنتهي مراسم الاحتفال الدينية، لتبدأ عندها مراسم الاحتفال المدنية. وذلك بذهاب الملك الجديد إلى قصره الملكي بموكبٍ حافلٍ، حيث يكون بانتظاره هناك كافة رجال الدولة والوجهاء وقد اصطَفُوا لتقديم الولاء والطاعة إلى الملك خالعين شاراتهم وأوسمتهم المميزة، واضعين إياها أمام الملك دلالةً على انتهاء مدة خدمتهم بالدولة. كما يجلبُ كل واحدٍ منهم هديةً لائقاً للملك بهذه المناسبة فإن شاء أبقاهم في مناصبهم وإن رغب عنهم عزلهم. ويظهر أن الملك الجديد يتخلّى عن اسمه السابق، ويُعطى اسماً جديداً، وبالوقت الذي يُتوج فيه الملك الآشوري مرةً واحدةً في بداية حكمه، فإن تتويجه في بابل يُجند في كل عيد رأس سنة آنذاك.^(٣)

(١) الاحمد، سامي سعيد: "الإدارة ونظام الحكم"، ص ١٩، ٢٠.

(٢) Müller, K. F. "Das Assyrische Ritus", in MVAG, xi, 1937. p. 82. ff

(٣) سليم، أحمد أمين: "دراسات في تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم، ج ٦، (حضارة العراق القديم)"، ص ٢٠٢-٢٠٤.

٤ - مسؤوليات الملك وواجباته:

يتسلّم الملك في بلاد آشور أعلى المسؤوليات السياسية والدينية والعسكرية، وهذا ناتجٌ بطبيعة الحال على ارتكازه لمبدأ التفويض الإلهي كما مرّ معنا سابقاً. فكان الملك رمزاً للسلطة والقوة، لذا فقد تنوعت واجبات الملك بتنوع المسائل والقضايا التي يُعالجها، ولكثرة هذه الواجبات نجد الملك أحياناً يُعيّن من ينوب عنه لمُتابعته والتأكد من مدى تنفيذها بشكلٍ مناسب. ونتيجةً لذلك كثرت الوظائف والواجبات المنوطة بالموظفين غالباً، الذين كانوا على علاقةٍ مباشرةٍ مع الملك شخصياً، أو القصر الملكي باعتباره المركز الإداري، حيث تُشير الرسائل الملكية الآشورية المكتشفة إلى الأوامر الملكية الصادرة عن الملك والتي تتعلق وتتصل عادةً بمجريات الأحداث المهمة، حيث نرى الملك شخصياً يستفسر عن مدى درجة تنفيذها، حيث لدينا العديد من القضايا التي يُصدر فيها الملك قراره الشخصي فيها. وتقسم تلك الأعمال والواجبات والتي كان يقوم بها الملك شخصياً إلى نوعين هما:

أ - الواجبات الدينية:

كان للملك في الدولة الآشورية الحديثة العديد من المهام الدينية والدنيوية، فبالنسبة لواجبات الملك الدينية، فقد كان هو الكاهن الأكبر للإله الوطني، وهو بهذه الصفة كان على رأس رجال الدين، وهي من الواجبات التي تتصل اتصالاً وثيقاً بالملك، وكان الملك هو الذي يقوم ببناء المعابد وطقوس التطهير واستشارة الآلهة ويراقب إدارة أموال الهياكل، وإقامة تماثيل الآلهة.^(١) وسنذكر هنا بشيءٍ من التفصيل هذه الواجبات:

- مراقبة الإدارة المالية للمعابد:

كان الملك في آشور يراقب إدارة أموال المعابد والتي يقوم بها بعض الكهنة، ويتدخل لتقويم ما اعوجج منها. كما أنه يُعيّن الكهنة في المناصب الكهنوتية، أقلّه في المراكز الأكثر أهميةً، كوظيفة كبير الكهنة، حيث لا يتردد في إسنادها إلى أفراد من أسرته في كثيرٍ من الأحيان، استناداً بطبيعة الحال إلى أوامر الآلهة.^(٢)

- تمثيل سكان البلاد أمام الإله:

لقد مرّ معنا سابقاً عن نظرة سكان بلاد الرافدين القدماء للملك، بأن الآلهة قد اختارته لكي ينوب عنها في حكم شعوبها. فهو إذاً مسؤول أمامها عن تصرفات شعبه وهو الوحيد الذي يستطيع أن يتقدّم

(١) سليم، أحمد أمين: 'دراسات في تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم'، ج ٦، (حضارة العراق القديم)، ص ١٩٩.

(٢) ايمار، أندريه، أبوايه، جانين: "الشرق واليونان القديمة"، موسوعة تاريخ الحضارات العام، مج ١، ترجمة: فريد.م. داغر، وفؤاد.ج. أبوريحان، إشراف: موريس كروزيه، منشورات عويدات، ط ٢، بيروت ١٩٨٦م، ص ١٤٠-١٤٢.

إليها باسمهم. ففي العصر الآشوري كان الملك أول من يُحاسب أمام الإله عن كافة الذنوب التي يرتكبها الآشوريون، حيث كان يمضي بعض الوقت كالتائب لذنوب المجتمع المخطئ، وهذا ما تذكره الرسائل الآشورية أيضاً، فلدينا المدعوّان (بلاسي) و(نابو أخي - إريبيا) يكتبان إلى الملك الآشوري أسرحدون قائلين:

"هذا يوم مضى منذ بدأ الملك بالصيام، ولم يأكل كسرة، إلى متى؟، هل هذا هو السؤال أجب أن لا يأكل الملك طعاماً اليوم، الملك الآن شحاذ".^(١)

يتضح من هذه الرسالة أنها لا تشير بوضوح إلى السبب الرئيسي الذي من أجله اضطر الملك للصيام، ولكن على الأغلب فإنّه قام بمثل هذه الممارسة من أجل التكفير عن الذنوب التي ارتكبها الملك نفسه أو المجتمع الذي يمثله، كذلك كانت الآلهة تشعر الكهنة بغضبها عن طريق تفسير هؤلاء الكهنة للكوارث الطبيعية أو عن طريق الفأل والتنجيم، إذن نجد أنّ العمل الوقائي الذي يقوم به الملك ضدّ كل حالة خطرٍ يتعرض لها المجتمع أو الدولة يُعد جزءاً من واجباته الرئيسية، ولهذا نراه يستفسر من الكاهن (بلاسي) فيما إذا حدثت هزّة أرضية في شهرٍ مُعيّن، وهل هذه إشارة نذر سيئة، وهل سيكون هناك خطر كبير وأي الآلهة التي سببت هذه الهزّة، وكيفية تجنبها فيجيبه الكاهن أنّ الإله (أيّا)^(٢) هو الذي أحدث الهزّة، ويؤكد له أنّه ليس ثمة خطرٍ كبير، ولكن على الملك أن يمدّ ذراعيه بالدعاء والصلاة وأن يعمل تعويذة التطهير. ولا يقتصر قيام الملك على عمل التعاويذ وطقوس التطهير من أجل التكفير عن الذنوب أو تجنب الأخطار، وإنما نجد في رسالة أخرى بأنّ الملك بقي سبعة أيام في كوخٍ من القصب، كالذي أصابه مرض ويجب عزله عن المجتمع، وإن دلّ هذا على شيء فإنّما يدلّ على أنّ الملك يجب أن يُطهر جسده من الأرواح الشريرة التي قد أصابته.^(٣)

- تنفيذ رغبات الآلهة:

كان واجب الملك المعنوي الأول تجاه الآلهة بصورة عملية، هو الطاعة العمياء. لذلك نجد إيّاه يسعى لمعرفة إرادة الآلهة، لذا كان عليه أن يُراقب ويأمر بمراقبة وتفسير كل الدلائل الممكنة عندها:

(١) ABL 78: 9-15 cf. SLA 265.

(٢) الإله (إيا): ورد اسم هذا الإله في اللغة السومرية بصيغة "d EN.ki" "إنكي"، وتقابلها في اللغة الأكديّة الصيغة: "d e-a" "إيا"، وهو يمثل إله الماء والحكمة والطقوس المرتبطة به من سحر وفأل، ويُطلق عليه لقب: "سيد الأرض"، كما يحمل الرقم (٤٠)، وكان مركز عبادته في مدينة إريدو، ويُدعى معبده هناك "أبسو". فقد ورد اسم هذا الإله أي "إيا" في كتابات الملك توكلتني - ننورتا - الثاني حيث وصفه بملك "الأبسو" "apsu" الذي يقرر الأقدار. أنظر:

رشيد، فوزي: "الشرائع العراقية القديمة"، ص ٢٣٠. وكذلك أيضاً: الأحمد، سامي سعيد: "المعتقدات الدينية في العراق القديم"، ص ٢٣.

(٣) الجبوري، علي ياسين، "نظام الحكم"، ص ٢٣٥، ٢٣٦.

أحلامه، الظواهر الفلكية، أجوبة الآلهة^(١). فقد توجّب على الملك الآشوري أن يُنفذ السياسة التي أرادها الإله آشور، فهو المسؤول عن شعبه وبلاده^(٢) ولكنه ليس من المفروض أن ينتظر حتى يتصل به الإله عن طريق الحلم أو التعبد في المعبد، فالظواهر الطبيعية ككسوف الشمس، وكسوف القمر، والهزّات الأرضية أو الفيضانات، هي أيضاً إشارات خاصة من الآلهة يُفسرها الملك بأنها انذار من الآلهة، وعلى الملك أن يُنفذ رغبات الآلهة بهذا الخصوص. حيث وزّع الملوك الآشوريون مهمة تفسير هذه الرغبات وتنفيذها على مجموعة من الكهنة من أجل تسهيل المهمة على الملك، وعليهم أن يرسلوا تقاريرهم إلى سيدهم لكي يطمئنوه عند حدوث مثل هذه الظواهر. ومثال على ذلك إرسال الكاهن (بلاسي) تقريراً إلى الملك الآشوري (أسرحدون) يخص كسوف الشمس قائلاً:

"بخصوص كسوف الشمس الذي تحدّث عنه الملك، الكسوف لم يحدث، سوف أنظر مرة ثانية في السابع والعشرين وأبعث التقرير. وأما بخصوص سوء الطالع الذي يخاف منه الملك سيدي، فأنا لا أملك أية معلومات نهائياً"^(٣).

هذه الرسالة تُشير إلى أن الملك قد سمع عن الكسوف من مصدر آخر، ومن أجل أن يتأكد طلب من (بلاسي) أن يطمئنه عن صحة المعلومات، فالرسالة في مقدّمها اعتذار من الكاتب للملك، ثم اشعار الملك بأنه قد راقب السماء مرتين في السادس والعشرين من الشهرين المنصرمين ولم يلاحظ أي شيء. وفي رسالة أخرى من (بيل أشيزب) (Bēl Ušeziḫ) إلى الملك الآشوري أسرحدون تتحدث عن كسوف آخر يقول:

"لقد حدث كسوف ولكن لم يكن مرئياً في العاصمة، لقد مرّ بجانب العاصمة، مدينة الملك مقر سكناي، غطتها الغيوم، ولم نكن نعلم فيماذا حدث الكسوف أم لا. عسى أن يبعث سيدي الملك إلى مدينة آشور وإلى كافة المدن الأخرى، بابل، ونيبور، وأوروك، وبورسيبا، حتماً لقد كان مرئياً في واحدة من هذه المدن.... الفأل الذي رافق الكسوف في شهري آذار ونيسان أصبح حقيقة وسوف أبعث بتقرير مفصّل إلى الملك سيدي، الملك يجب أن لا يهمل تعويذة التطهير الخاصة بالكسوف والتي يجب أن تُنجز للتكفير عن أيّ الآلهة العظمى التي تسكن في مدينة الملك سيدي (العاصمة) غطت السماء بالغيوم ولم تسمح لرؤية الكسوف قائلة: "دع الملك يعلم بأن هذا الكسوف لم يكن موجهاً ضدّ الملك أو بلاده، دع الملك يفرح"^(٤).

(١) إيمار، أندرية، أبوايه، جانين: "الشرق واليونان القديمة"، ص ١٤٠-١٤٢.

(٢) بشور، أمل مخائيل: "تاريخ الإمبراطوريات السامية في بابل وآشور"، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس لبنان ٢٠٠٨م، ص ١٨٤-١٨١، ص ١٨٧-١٩٧.

(٣) ABL. 687: r 12-19 cf. LAS 41, SLA 315.

(٤) ABL. 895: 1-10, r.1-9. cf. SLA 276.

يتضح من هذه الرسالة خوف الملك من الكسوف الذي حدث، ولكن (بيل - أشيزب) طمأنه بأن الحدث لم يكن موجهاً ضده، ولكنه أكد للملك بأن الكسوف الذي ذكره الملك في التعويذة السابقة قد حدث متزامناً مع هذا الكسوف، وهذا في الحقيقة دعم لموقف الكاهن وقدرته على التفسير والتنبؤ عند الملك وتوضح الرسالة أيضاً فكرة نشر وتوزيع مثل هؤلاء الكهنة والمنجمين في المدن الآشورية الأخرى، هذا فضلاً عن تأكيد الكاهن على الملك باستخدام المَطَّهر الخاص بالتكفير عن الذنوب التي من المحتمل قد ارتكبها الملك حتى لا يُصاب بأذى من جراء هذا الكسوف.^(١)

المشاركة في الاحتفالات الرسمية:

كان على الملك الآشوري أن يمضي الليلة الأولى من الشهر القمري في المعبد، ويُقدّم الضحايا للإله، هذا فضلاً عن وجود إشارات عديدة على أن الملوك الآشوريين قد دعوا الآلهة لتحل محلهم في بعض المناسبات فمثلاً الملك الآشوري (أدد نيراري الأول) (١٣٠٧-١٢٧٥ ق.م) يقول:

"بأن الإله يحل محله سنوياً".^(٢)

وأما الملك الآشوري سرجون الثاني (٧٢١-٧٠٥ ق.م) فبعد انتهاء العمل في عاصمته (دور شروكين) (خرسباد حالياً)، فقد دعا الآلهة العظام التي تُقيم في بلاد آشور لحضور الاحتفال بهذه المناسبة. وهذا دليل على مدى أهمية تلك المناسبة لدى الملوك الآشوريين والتأكيد على أن الحكم في الأصل للآلهة وأنه نائب عنها. ومن أهم تلك الاحتفالات هو احتفالات أعياد رأس السنة أكيـتو (Akutu)^(٣)، وهو يأتي بعيد رأس السنة ويعد من المناسبات الرئيسية في ديانة وادي الرافدين، حيث كان حضور الملك في هذه المناسبة شرطاً أساسياً. حيث يقع عيد رأس السنة في الأول من شهر نيسان من كل سنة، وفي الأيام الخمسة الأولى يكون الاحتفال في معبد (إساكلا)، معبد الإله مردوخ في بابل، وفي كل صباح يدخل الكاهن الأعلى إلى المعبد بعد التطهير ويصلي للإله مردوخ وللآلهة الأخرى في حين يمارس بقية الكهنة واجباتهم اليومية في هذه المناسبة، وفي اليوم الخامس، وهو يوم التكفير، يكون الملك هو الممثل الرئيسي في الاحتفال، ففي هذا اليوم يقوم الكاهن الأعلى شخصياً بتطهير المعبد ويُقدّم الصلاة للإله مردوخ، وفي هذه الأثناء يدخل الملك بصحبته أحد الكهنة إلى

(١) الجبوري، علي ياسين: "نظام الحكم"، ص ٢٣٥.

(٢) ARAB I, P.94.

(٣) (أكيـتو) (Akutu): تشير هذه الكلمة إلى أحد الأعياد في بلاد وادي الرافدين، فقد ظهرت هذه الكلمة في النصوص السومرية بصيغ عديدة، كذلك لم يتفق المختصون حتى الآن حول أصل هذه الكلمة، إذ تعددت آراء الباحثين حولها فمنهم من يرى بأنها كلمة أكديّة، ومنهم من أشار إلى أنها كلمة سومرية الأصل أنظر: النعيمي، راجحة خضر عباس: "الأعياد في حضارة بلاد وادي الرافدين"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد ١٩٧٦م، ص ٥٦، ٥٧.

المعبد، حيث دِكَّة المذبح ويتركه الكاهن المرافق هناك، ثم يظهر له الكاهن الأعلى من قدس الأقداس الخاص بالمعبد وينزع من الملك جميع الشارات الملكية، كالتاج والصولجان.... ويضعهن على منضدة أمام تمثال الإله، وعند ذلك يتقدم نحو الملك المخلوع من الشارات الملكية، ويصفعه على وجهه ويجعله يركع قائلاً:

"أنا لم أرتكب خطيئة يا سيد البلاد

أنا لم أهمل قدسيك

أنا لم أدمر بابل

ويجيبه الكاهن نيابة عن تمثال الإله قائلاً:

لاتخف..... ماقاله مردوخ

سوف يسمع صلواتك وسوف يزيد سيطرتك ومملكته.^(١)

وبعد ذلك يعيد الكاهن شارات الملكية إلى الملك، ويصفع وجهه ثانيةً آملاً أن تنزل دُموع الملك والتي تُعد من الإشارات المستحسنة لدى الآلهة، كل هذه الممارسات والإهانات التي تقع على الملك من الكاهن أمام تمثال الإله لها دلالة على مدى العلاقة بين الملك والإله من ناحية، وكذلك فإن الملك قد كفر عن ذنوبه وأخطائه التي ارتكبها في السنة الماضية. ولقد مر بنا سابقاً كيف أن ولي العهد عبّر بنفس الخطوات قبيل تسلّمه للشارات الملكية، وبعد هذه الممارسات يخرج الملك مُرتدياً شارات الملك، ثم تُقدّم الضحايا والقربان، حيث يخرج أبناء المدينة للمشاركة بهذه المناسبة، وفي اليومين الثامن والحادي عشر تُجرى المراسيم في مدينة نيبور، حيث مُجمع الآلهة، والتي توضع حسب مراكزها في المجلس ويقوم الملك بدور رئيسي في المجلس والاحتفال. كما دَوّن الملوك الآشوريون المتأخرون زياراتهم السنوية إلى بابل وأعطوا مبررات لتلك الزيارة، فالملك الآشوري سرجون الثاني يقول:

"لقد دخلتُ فرحاً إلى بابل، مدينة الإله سيدي، بقلب مسرور وبكل رزانة ووقار مسكتُ يدي

مردوخ السيد العظيم وزرتُ بيت أكيكو"^(٢). وهذا لا يعني أن كافة الملوك الآشوريين كانوا يذهبون إلى بابل للاحتفال بأعياد رأس السنة، وذلك لأنّ هذا الاحتفال كان يُقام في مدينة آشور أيضاً، وكان الإله آشور يقوم مقام الإله مردوخ، ونجد أن النصوص التعاصريّة أشارت إلى مثل هذا الجفاء بالنسبة لبابل من قبل الآشوريين، حيث يذكر أحد النصوص مايلي:

"في تلك السنة، الملك لم يأت إلى بابل، الإله نابو لم يأت، الإله مردوخ لم يخرج، ولم يحدث

الاحتفال بأكيكو". ولقد عُثر على بيت أكيكو في مدينة آشور من قبل الباحث (آندريه) ويصفه بأنّه يقع

(1) Zimmern.H., AO XX V (1926) p.12.

(2) ARAB II ,P.70.

على مسافة (٢٠٠م) خارج أسوار المدينة، والذي تُميّزه كثرة الحقائق المحيطة به، وكذلك الساحة الوسطية والمعبّد ذي الهيكل الكبير.^(١)

- بناء المعابد:

تتضح علاقة الملك بالإله من خلال الاحتفالات التي يحضرها الملك شخصياً عند بناء أو ترميم المعبد الخاص به، وهذا يُعدّ من الأعمال العظمى والتي يُفضّلها الإله على أيّة خدماتٍ أخرى، حيث يُعدّ الملك مسؤولاً عن صيانة بناء المعبد، وسلامة أداء الشعائر ومكانها. ويُعتبر تأسيس المعبد أو تعميره من أعمال الملك الدائمة، بالرغم من أنّ نفقات ذلك قد تؤخذ من واردات الآلهة، فيذكر اسم الملك ولقبه مع اسم المعبد على قسم من الأجر المُستعمل في البناء. وتوضع تحت أسس البناء صناديق مصنوعة من الأجر والقار يحتوي كل منها على صورة نحاسية للملك وهو على هيئة خادم للمعبد يحمل على رأسه سلة من المِلَاط. كما توضع قطعة من الصخر منحوتة بشكل طابوقة أي "الأجر المفخور" وقد كُتِبَ عليها ما ينص على إهداء المعبد للآلهة.^(٢)

ولذلك فإنّ الحديث عن ترميم المعابد وتوسيعها أو تجديدها احتل حيزاً مهماً في التقارير التي تتحدث عن منجزات الملوك^(٣)، فمثلاً الملك الآشوري أسرحدون يتفاخر بإعادة بناء معبد الإله آشور الذي بناه أجداده قائلاً:

"ذلك المعبد لم أُغَيّر موقعه، ولكنّي زينته بالذهب والفضة والأحجار الكريمة والتوابل وأخشاب الأرز ووضعت أسس جدرانه وبنيت لبنة وأكملتة". ولم تكن أعمال أسرحدون العمرانية الدينية وقفاً على بلاد آشور، بل امتدّت إلى بلاد بابل أيضاً. ويتضح من خلال النصوص الآشورية أنّ الملوك الآشوريين ادّعوا بأنهم كانوا يستلمون إشارات من الإله لبناء أو ترميم معبده، فعند ذلك تُجرى العديد من الاستعدادات الأولية من تنبؤات وقراءة الطالع، فعندما تكون الاجابات طبيعية عند ذلك يُنظّف الموقع من الأنقاض وتُسكب عليه الزيوت لتطهيره، وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّ بعض الملوك الآشوريين يتأسّفون على المعبد القديم الذي بناه أجدادهم، فهذا الملك الآشوري (آشور بانيبال) يقول:

"بشديد من الأسى والحزن وضعت يداي (لإعادة بناء) ما هدمه الأعداء وبالأفراح أكملتة".

وبعد التطهير تُجرى مراسيم عمل أول بناء لبنة ونجاح عملها يُعدّ أيضاً من الإشارات الضرورية على قناعة ورضى الإله المعني على عبده، ولهذا يجب أن تكون المواد الخاصة جيدة والقياسات صحيحة بحيث لا تكون هناك أيّة إشارة إلى ردايتها وفشل عملها، لأنّ هذا باعتقاد الملوك الآشوريين

(١) الجبوري، علي ياسين: "نظام الحكم"، ص ٢٣٧، ٢٣٨.

(٢) وولي، ليونارد: "وادي الرافدين مهد الحضارة (دراسة اجتماعية لسكان العراق في فجر التاريخ)"، ترجمة: أحمد

عبد الباقي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، مصر ١٩٤٨م، ص ٤٧.

(٣) كيرشباوم، ايفا كانجيك: "تاريخ الآشوريين القديم"، ص ١١٦.

إشارة إلى عدم الرضا عند الإله، ولقد ترك الملوك الآشوريون الكثير من الإشارات التي تُبين مشاركتهم الفعلية في بناء المعابد، كالتماثيل الفخارية والبرونزية والتي تحمل على رأسها سلال الطين والتي كانت تودع في زوايا أسس المعبد. واحتفالاً بمناسبة انجاز بناء المعبد فإن الملك بوصفه وكيلاً للإله على الأرض عليه أن يرفع تقريراً مفصلاً للإله بهذا الخصوص، وقد كانت الفكرة الأساسية هي كتابة مخاريط فخارية يُذكر فيها اسم الملك والعمل الذي قام به لانجاز بناء المعبد. ولكنها تطورت في العصر الآشوري الحديث حيث أصبحت جزءاً من النصوص التاريخية المهمة للدولة الآشورية، حيث تغير شكلها إلى المنشور، ويذكر فيها الملك مُجمل أعماله الأخرى حتى العسكرية منها وتودع في زوايا المعبد، ((وهذه العملية لا تزال تُمارس حتى الوقت الحاضر عند وضع حجر الأساس لأي مشروع أو بناء رسمي)). وقد أصبحت التقارير الآشورية لا تقتصر على الأعمال الدينية أو العمرانية بل تجاوزتها إلى الحملات العسكرية، وخير مثال على ذلك رسالة الملك الآشوري سرجون الثاني إلى الإله آشور والتي يسرد فيها أخبار حملته الثامنة ضد أعداء الدولة الآشورية.^(١)

ب- الواجبات الدنيوية:

يُعدّ الملك رأس الدولة وأن القرارات الخاصة بالدولة تصدر عنه شخصياً، فالحوليات والرسائل الملكية الآشورية خير دليل على هذه الممارسات والأعمال الإدارية، كالقيام بحملة عسكرية، أو تعيين كبار الموظفين. وتم العثور على عدد من الرقم الطينية والتي تُبين الطريقة التي كان يتبعها الملك لاتخاذ قرار حاسم، حيث إنه يأمر بكتابة القرار على رقم طيني ويضعه أمام تمثال الإله شمش باعتباره إله العدالة، للموافقة عليه، وفي هذه المناسبة يُقدّم الملك نذراً حيوانياً ثم يُخرج كبده أو الغدة الصفراء لفحصها من قبل الكهنة المختصين والتأكد من صحة الممارسة التي سيقوم بها الملك. ومثال على ذلك لدينا رسالة من المدعو (أدد - شم أصر) إلى الملك الآشوري (أسرحدون) يقول فيها: "بخصوص الغدة الصفراء التي كتب لي الملك عنها، أهي منحنية؟. الفص (الشق) الثابت من الكبد انحنى والغدة الصفراء قد تدلت تحتها، هذا الوضع غير مُحبذ، ما هو فوق أصبح تحت، وخلال يومين جرى منه السائل (القيح). إنها إشارة جيدة على أن يكون الملك سعيد جداً".^(٢)

ويندرج تحت الأعمال والواجبات الدنيوية التي كان يمارسها الملك في آشور مايلي:

- استقبال سفراء وممثلي الدول والممالك الأجنبية وتوقيع المعاهدات والاتفاقيات:

كان على الملك الآشوري أن يستقبل السفراء وممثلي الدول والممالك الأجنبية المجاورة، وهي من الواجبات الإدارية المهمة المنوطة بالملوك في آشور، فالعمل الدبلوماسي في القصر الملكي إبان العصر الآشوري الحديث كان له مساس بشخص الملك مباشرة، لذا فهو يستند إلى قواعد وأصول وترتيبات، أي

(١) الجبوري، علي ياسين: "نظام الحكم"، ص ٢٣٦-٢٣٨.

(٢) ABL. 363 cf. LAS 152, SLA. 337.

(ما يُعرف اليوم بقواعد البروتوكول الدبلوماسي الرسمي بين الدول) كان يجب تهيئتها والالتزام بها ومراعاة العمل بسياقاتها بدقة من باب اللياقة والذوق والعمل الدبلوماسي وذلك لسببين اثنين:

الأول: فهو يمثل انعكاساً لهيبة الملك وعظمته وقوة دولته، والتي لم يكن يُسمح التعامل معها إلا بكل وقار وتقدير، وأما الثاني فإن الإخلال بأصول (الأتكيت أو البروتوكول المُتبع) قد يؤثر سلباً على طبيعة العلاقات الدولية بين دولة السفير أو الموفد ودولة الملك الموفد إليه، أو قد يؤثر إيجاباً في توطيد العلاقات الدولية ويؤدي الى نتائج إيجابية على مستوى العلاقات الدولية. ولا بد أن نذكر بأن العمل الدبلوماسي وأصول (اللياقة والأتكيت الرسمي) معني به فئة من الموظفين الدبلوماسيين والسفراء والموفدين والمبعوثين والرسائل الملكيين، وبالتأكيد الملوك أنفسهم وأمراء الأسرة الملكية فضلاً عن مجموعة من موظفي القصر، (والذين سنأتي على ذكرهم في الفصل التالي)، وهنا لدينا إحدى الأمثلة فيما يتعلق بقواعد البروتوكول واللياقة الدبلوماسية المُتبعة مع السفراء الأجانب:

وهي عندما كان الملوك الآشوريون يدعون بعض السفراء الى موائدهم الملكية، وتناول الطعام معهم ربما لاستكمال محادثاتهم في الشؤون والعلاقات الدولية المختلفة، أو لإبداء نوع من المجاملات الدبلوماسية^(١). حيث كان لهذه الموائد مراسيم وبروتوكول مُعين ومعروف، وبالتأكيد لا تتم إلا بدعوة من الملك وبأمر منه حتى الجلوس والبدء في تناول الطعام كان بأمر من الملك أو على الأقل بإِِحاء منه، ومن الممكن القول أنه في مثل تلك المناسبات لم يكن المدعوين يبادروا بأي تصرف إلا بعد الإذن لهم. وتتضح كل مراسيم اللياقة في الموائد الملكية تلك من خلال أحد النصوص وهو يعود لأمين سر القصر للملك آشور بانيبال (٦٦٨-٦٢٦ ق.م) عندما دعى سفير مملكة ملاطية^(٢) على مائدة الغداء أثناء مقابلته حيث نُقرأ في النص:

(١) إسماعيل، شعلان كامل: "أصول لياقة العمل الدبلوماسي (الأتكيت الدبلوماسي) خلال العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م)"، مجلة دراسات موصلية، العدد (٣٥)، جامعة الموصل ٢٠١٢م، ص ٩٨، ٩٩.

(٢) (ملاطية) (Malatya): ورد ذكرهذه المملكة في النصوص الآشورية بالصيغة: (KUR/URU) ma /me /mi-lid/ li-da/di (-a) /du. وكانت مملكة "ميليد أو "ميليدو" أي "ملاطية" الحالية تقع شمال مملكة كموخ على طول امتداد نهر الفرات من الحدود مع أورارتو، ونتيجةً لهذا الموقع الجغرافي المهم التي تمتعت به فقد سيطرت على الممرات الجنوبية الشرقية عبر سلسلة جبال طوروس وعبر منطقة (تل -كاريمو) (Til-garimmu) في طوروس. كما أشارت النصوص الهيروغليفية المكتشفة في سهل ملاطية أن هذه المملكة كانت تمتد من الضفة الغربية من نهر الفرات الأعلى وأسفل نقطة اتصال قاراصو (Karasu) ومراد صو (Murt su) وتمتد غرباً بمحاذاة الطرق المؤدية إلى بلاد الأناضول. وتم اكتشاف عاصمتها "أرسلان تبة" الواقعة على بعد (٧ كم) شمال شرق ملاطية الحالية. حيث ظهرت عدد من النصب والكتابات الأثرية التي تشهد بوجود مملكة حثية حديثة ممتدة في سهل ملاطية ومتمركزة حول العاصمة أرسلان تبة. أنظر: ساكر، هاري: "قوة آشور"، ص ٩٣. وكذلك ينظر أيضاً:

Hawkins, J. D. "Assyrian and Hittites", Iraq, Vol. XXX VI, 1974, p.75, 88.

".... عندما استقبل سيدي الملك العظيم سفير ملك ملتيا (ملاطية) انحنى أمام سيدي الملك العظيم... ثم أمر الملك سيدي العظيم تهيئة طعام الغداء ومشى خلفه سفير ملتيا كما أمر سيدي الملك العظيم... عندما أمر (أذن) سيدي الملك العظيم بدأ ضيوف الملك سيدي العظيم بتناول طعام الغداء... اللحم المشوي، والخبز الطري والفواكه..."^(١)

كذلك كان الملك يستقبلُ مُحصلي الضرائب الذين تأتي أعداداً كبيرة منهم من كل أنحاء الدولة آنذاك، وتوضح الأدلة الأثرية التي ترجع إلى فترة العصر الآشوري الحديث مناظر استقبال السفراء، وفيها يظهر الملك وهو يجلس على عرشه المرتفع في غرفة استقبال كبرى في القصر، وقد أحاط به وزراؤه وأفراد البلاط والحرس وهو يرتدي كامل أرويته الرسمية ويقوم باستقبال سفراء الدول العظمى، ويظهر السفراء وهم يطرحون عند أقدام الملك الهدايا الثمينة التي جلبوها له من الذهب والفضة والمعدات الثمينة والأحجار الكريمة، أو يستعرضون أمامه الخيول التي أحضروها من بلادهم والحيوانات النادرة والنباتات وكذلك العبيد.^(٢)

- فرض الأمن والنظام:

تعد من أهم المسؤوليات التي سعى الملوك الآشوريون حديثاً إلى فرضها وتطبيقها في أرجاء المملكة. إذ أدركوا أنه لا سبيل أمامهم في بناء مجتمع قائم على أسس متينة، من دون المحافظة على الأمن والاستقرار، وحماية السكان من أي اعتداء خارجي أو فوضى داخلية. وكان من أهم واجبات حاكم المدينة أو المقاطعة وجهازه الإداري أمام الملك هو ضمان ذلك، فقد كان لكل حاكم قوة عسكرية خاصة تابعة له على أهبة الاستعداد لمواجهة أي خطر يهدد المدينة من الخارج، وخاصة المدن الحدودية، التي كانت معرضة دوماً لغارات واعتداءات الأقوام والقبائل المجاورة^(٣)، ولعل هذا ما نستشفه من خلال رسالة بعثها حاكم مقاطعة حماة (ha-ma-te)^(٤) إلى الملك الآشوري، يُطمئن فيها الملك بأن مهمته في حماية المقاطعة في وضع جيد، قائلاً له:

(١) اسماعيل، شعلان كامل: "أصول لياقة العمل الدبلوماسي (الأتكيت الدبلوماسي) خلال العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م)"، ص ١٠٢، ١٠٣.

(٢) سليم، أحمد أمين: "دراسات في تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم"، ج ٦، (حضارة العراق القديم)، ص ١٩٩، ٢٠٠.

(٣) ساكز، هاري: "قوة آشور"، ص ١٢٣-١٢٥.

(٤) (حماة) (hamat): ورد اسم المدينة في المصادر المسمارية بصيغة (خماة)، حيث ذكرت بالصيغتين التاليتين: (أم - أت - مت) (at/mat) أو (خ - أم - ما - أت) (ha-am-ma-at)، وتقع هذه المملكة على نهر العاصي حيث اشتملت على الإقليم السوري الأوسط وحتى الصحراء شرقاً ومملكة أرباد من الشمال ومملكة دمشق من الجنوب. كما ضمت مملكة حماة مقاطعات مهمة مثل (ختاريكا) و(لخوتي) (luhuti) ومنصوتي (mansute)، كما يجري نهر العاصي على أرض هذه المدينة باتجاه الشمال الغربي، وتتميز بكونها منطقة غنية

"حراستي في وضع جيد، كل مقاطعة حماة في حالة جيدة ليكن سيدي الملك فرحاً".^(١)
وأما حفظ الأمن الداخلي فكان أيضاً من المهام المناطة بحكام المدن والموكلة إلى قوات:
(إتووا) (Itu'u)^(٢)، التي يمكن مقارنة واجباتها وأعمالها بواجبات ما يُعرف اليوم بقوة الدرك وأعمالها،
أي أنها كانت تجمع بين واجبات قوات الشرطة والعسكر، كما يُستدل على ذلك من خلال رسالة بعث
بها حاكم إحدى المدن إلى الملك يقول في إحدى فقراتها ما يأتي:
"أمرت بتحريك (قوات) (إتووا) التابعة لي إلى ضفة النهر الأخرى للقيام بالحراسة في مدينة
سينو (sinnu)"^(٣).

وإلى جانب قوات "إتووا" فإننا يمكن أن نستدل من خلال بعض الإشارات النصية الواردة في
الرسائل الإدارية، على وجود أجهزة أمنية أخرى تعمل تحت إمرة الحكام مهمتها، هو حماية المدن
وحراستها والحفاظ على أمن سكّانها وسلامتهم من المجرمين وقطاع الطرق الذين قد يعيثوا بالنظام^(٤).
ولعل هذا ما نجده واضحاً في إحدى الرسائل التي بعث بها حاكم مقاطعة (إرزن) إلى الملك
الآشوري يُدلي في إحدى فقراتها بما يأتي:

"المجرمون العائدون لمدينة أرابخا (و) العائدون لممتلكات مُنادي القصر ارتبطوا سويةً
وينوون القيام بغارة إلى هناك، الآن حركت القوات (الجنود) إلى هناك لأجل المراقبة إذا ألقوا القبض
عليهم سوف يجلبونهم إلى حضرة سيدي الملك".^(٥)
- فرض العدالة وتطبيق القانون:

على نحو ممتاز وذات تربة خصبة، حيث اشتهرت أراضيها بالزراعة، إضافة إلى ذلك اكتسبت بموقعها مكانةً
مهمة واستراتيجية من الناحيتين التجارية والعسكرية، وقد أصبحت من أبرز المحطات التجارية التي سيطرت على
الممرات وطرق التجارة . كذلك ربما نستنتج من معنى اسمها (Ematu) (إمتو) في اللغة العربية أي "حصن أو
قلعة"، وفي اللغة الأكديّة فإنّ (خماة) (hamatu) تعني "مُساعد، قوة، مساعدة" أن معنى اسم هذه المدينة يدل
على الحماية والمنعة والذي يتناسب مع موقع المدينة من خلال صد الهجمات المعادية. أنظر: خلف صالح
الحديدي، أحمد زيدان: "علاقة بلاد آشور مع الممالك الحثية في شمال سوريا"، ص ٢٣.

(١) سعيد سامي، صفوان: "حقوق رعايا المملكة الآشورية في عصرها الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م)"، مجلة آداب
الرافدين، العدد: (٥١)، جامعة الموصل ٢٠٠٨م، ص ٣، ٤.

(٢) (إتووا): وهي إحدى القبائل الآرامية التي اتصفت بإمكانات قتالية خاصة أي (رُماة للسهام)، والتي استخدمت من
قبل الملوك الآشوريين بوصفها قوات احتياطية ضمن صفوف الجيش الآشوري. أنظر: أحمد، علي ياسين:
"القبائل العربية في بلاد بابل خلال الألف الأول قبل الميلاد"، وقائع ندوة الوطن العربي النواة والامتدادات عبر
التاريخ، بغداد ٢٠٠٠م، ص ٣٢.

(٣) ABL 482 = SAA, Vol.1, No. 93, obv 6-9.

(٤) سعيد سامي، صفوان: "حقوق رعايا المملكة الآشورية في عصرها الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م)"، ص ٤، ٥.

(٥) ABL 408=SAA, Vol. 5, No. 227, Rev. 25-27, S. 1-2.

أولى الملوك الآشوريون عبر تاريخ حكمهم المتعاقب اهتماماً كبيراً بفرض العدالة وتطبيق القوانين في البلاد، فهي على الرغم من أهميتها في نشر الأمن والأمان، إلا أنها كانت تمثل من وجهة نظرهم تنفيذاً لرغبات آلهتهم التي أوكلت إليهم حكم البشر. فكثيراً ما لقب الملوك الآشوريون أنفسهم في مستهل كتاباتهم الملكية بصفات تنم عن دورهم في نشر العدالة ونصرة الحق، من ذلك على سبيل المثال ما جاء في إحدى كتابات الملك (سنحريب):

"حامي الحق، محب العدالة، المساعد، الذاهب لمعاونة الضعيف، فاعل الخيرات".^(١)

ويبدو أن هذه الحقيقة كان لها الأثر الفاعل في أرض الواقع، فثمة رسالة بعث بها شخص يستنجد بالملك الآشوري، يقول في مستهل فقرة من فقراتها:

"الملك عين الوزير ورئيس القضاة في البلاد قائلاً أعطي الحق وشرع العدالة في بلادي".^(٢)

وبموجب هذه التعهدات والألقاب فقد أصبح التقاضي حقاً مضموناً ومكفولاً لجميع سكان بلاد آشور من دون استثناء، بدليل ما أثبتته الوثائق القضائية المتنوعة التي أتت من بلاد آشور إبان العصر الآشوري الحديث من نصوص أوامر المحكمة، ونصوص المرافعات فيها ونصوص قرارات الحكم.^(٣)

فقد كان لكل مواطن الحق في إقامة الدعوى ضد أي شخص ظلمه أو غبن حقه، حتى إن كان ذلك الشخص موظفاً حكومياً^(٤). ولكن في الوقت نفسه كان عليه أن يثبت التهمة الموجهة إلى خصمه، وإلا قد يتعرض نفسه لعقوبة قاسية توازي العقوبة التي كان خصمه مهدداً بها، ولعل هذه الحقيقة يمكن تلمسها من خلال رسالة بعث بها شخص إلى الملك الآشوري يقول فيها ما يأتي:

"ابن أبو - إليء (Abu-il'i) الذي كتب لي سيدي الملك بخصوصه وتطبيق العدالة بشأنه، خصمه في القضية ذهب إلى الاختبار النهري لكنه رجع من الاختبار النهري".^(٥)

ففي الرسالة إشارة يستدل منها على وجوب التأكد من صحة إدعاء أحد الخصمين في القضية من خلال ذلك الاختبار، وهي سمة تدل على مدى النضج القانوني التي وصلت إليه المملكة في حماية مواطنيها من عبث العابثين ومحاولتهم الإساءة إلى الغير أو التشهير بهم أو ابتزازهم. كما

(١) سليمان، عامر: "الكتابة المسمارية والحرف العربي"، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، الموصل ١٩٧٩م، ص ٦٧.

(٢) ABL, 716=SAA, Vol, 18, No, 181, Rev, 11-13.

(٣) سعيد سامي، صفوان: "حقوق رعايا المملكة الآشورية في عصرها الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م)"، ص ٧.

(٤) Jas, R. "Neo-Assyrian Judicial Procedures", in SAAS, Vol, 5, Finland, 1996, p110-116 .

(الاختبار النهري): وهو أحد طرق الإثبات القانونية الدينية في بلاد وادي الرافدين، كما يسمى بالاختبار المقدس أيضاً لأنه يتضمن الذهاب إلى النهر، الذي يُعتبر مقدساً لدى سكان بلاد وادي الرافدين. أنظر: عويد كاظم، سناء: "العنف المعنوي ضد المرأة في العراق القديم وموقف المشرع العراقي منه ٢٠١٢-٩١١ ق.م"، مجلة جامعة واسط، مج ١٢، واسط ٢٠١٦م، ص ٤٦٧.

(٥) ABL, 550=SAA, Vol, 15, No, 295, obv, 4-13.

أصبح اللجوء إلى الملك والاحتكام إليه حقاً أتاحه الملك لرعاياه، الذين تعرضوا عندها لاضطهادٍ أو ضاقت بهم السبل في الحصول على أموالهم أو ممتلكاتهم من مُغتصبيها، كما يستدل على ذلك من خلال الرسائل العديدة المرسلة إلى الملك حيث يستتجد أصحابها بالملك في سبيل الحصول على حقوقهم من مُغتصبيها^(١)، ولعل خير دليل على ذلك ما جاء في إحدى الرسائل التي بعث بها حاكم مقاطعة حران إلى الملك الآشوري يقول فيها الآتي:

"بخصوص أولاد عم جيرى - ددي (Giri-Dadi) حاكم مدينة تل - طوري (Til-turi) الذين توسلوا بسيدي الملك والذي كتب لي سيدي الملك بشأنهم قائلاً أرجع لهم أي شيء أخذ كيري - ددي منهم".^(٢)

كما يُستدل من خلال النظم الإدارية والصلاحيات القانونية الممنوحة لبعض موظفي المملكة كحكام المدن والمقاطعات، على أنه لا يجوز لأي شخصٍ إداري، اعتقال أو توقيف أو استجواب فردٍ ما لم يرتكب ذنباً أو جرماً ما، من دون علم أو موافقة الملك أو ولي العهد شخصياً، ولعل هذه الحقيقة يمكن تلمسها من خلال بعض الرسائل المرسلة إلى الملك يشتمل أصحابها من أعمال الاعتقالات والاستجوابات التي أجراها بحقهم بعض موظفي المملكة من دون علم الملك أو موافقته^(٣)، على سبيل المثال:

رسالة بعث بها شخص إلى الملك يُخبره عن قيام شخص يُدعى (صلي) (+illaya) باعتقال (بيل - أستي) (Bel-uṣati) وهو راعي البقر التابع للملك من دون تدخل الملك وأنه سيموت.

"بيل - أستي، راعي البقر التابع للملك تحت الاعتقال بأمر من صلي من دون تدخل الملك وأنه سيموت".^(٤)

- قيادة الجيش الآشوري والاهتمام بشؤون المقاطعات:

وهناك في ساحة الحرب فإننا نجد الملك هو الذي يتولى قيادة الجيش بنفسه^(٥)، وهذا مؤثّق بالحواليات الملكية الآشورية، إضافة إلى ذلك كان عليه النظر في شؤون المقاطعات الآشورية شخصياً، حيث تبين الرسائل الملكية الآشورية المكتشفة في كل من مدن نينوى، وكلخو مدى اهتمام الملوك الآشوريين وإطلاعهم على كل صغيرة وكبيرة، هذا فضلاً عن وجود رسائل شخصية بعث بها مواطنون آشوريون يستجرون بالملك لحل مشاكلهم ضد حاكم المقاطعة التي ينتمون إليها كما أسلفنا سابقاً، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى حرص الملوك الآشوريين على متابعة قضايا

(١) سعيد سامي، صفوان: "حقوق رعايا المملكة الآشورية في عصرها الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م)"، ص ٨.

(٢) ABL, 131=SAA, Vol, 1, No, 190, obv, 6-14.

(٣) سعيد سامي، صفوان: "حقوق رعايا المملكة الآشورية في عصرها الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م)"، ص ١٠، ١١.

(٤) ABL, 738=SAA, Vol, 18, No, 17, obv, 14-15, Rev 1-3.

(٥) وولي، ليونارد: "وادي الرافدين مهد الحضارة (دراسة اجتماعية لسكان العراق في فجر التاريخ)"، ترجمة: أحمد

عبد الباقي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، مصر ١٩٤٨م، ص ٤٦.

المواطنين. كذلك فقد أوعز العديد من الملوك الآشوريين إلى حُكامهم بالكتابة إليهم باستمرارٍ، حتى وإن لم يكن ثمة مُشكلة تُذكر. وهذا ما يُفسّر العثور على عشرات الرسائل من هذا النوع، بعث بها حُكام المقاطعات إلى سيّدهم قائلين بعد الدُعاء لحياة أحد الملوك الآشوريين، (وهنا لم يرد اسم الملك في هذا النص):

"أنا بخير والمقاطعة بخير"، وهذا تأكيد على مدى حرص الملوك الآشوريين للاستماع إلى أخبار المقاطعات والمدن الآشورية آنذاك.^(١)

- تأمين مُستلزمات المعيشة لسكان المملكة:

والتي تتضمن توزيع قسم من غنائم الحروب والحملات العسكرية على أفراد الجيش، وعلى حُكام المقاطعات وسكان المدن حينها، ومثال على ذلك ما فعله الملك الآشوري سنحريب بعد حملته العسكرية الموفّقة على إحدى المدن آنذاك، إذ قام بتوزيع جزء من غنائم تلك الحملة على أفراد جيشه، وحُكام مقاطعاته وسُكان مدنه الكبيرة، حيث يقول في إحدى نصوصه ما يأتي:

"بقية أسلاب العدو الثقيلة قسمتها مثل الأغنام بين كل معسكري، وحُكام مقاطعاتي وسُكان مدني الكبيرة"^(٢).

إضافة إلى ذلك منح المُكافآت ومثال على ذلك ما فعله أيضاً الملك سنحريب عندما كافأ عدداً من الرجال، لقاء حفرهم قناة مائية من أجل إرواء مدينة نينوى، حيث وزّع عليهم منسوجات كتانية ملونة براقّة، وقلّدهم الخواتم والخناجر الذهبية كما جاء ذلك في إحدى نصوصه:

"هؤلاء الرجال الذين حفروا القناة أكسيتهم بمنسوجات كتانية ملونة براقّة، ووضعت عليهم الخواتم والخناجر الذهبية"^(٣).

كذلك صرف الأجرة للرعايا المأجورين العاملين في بلاد آشور، نستدل على ذلك من خلال الرسالة التي بعث بها حاكم مدينة شَدِكَن (šadikanni) إلى أحد الملوك الآشوريين يُخبره بمايلي:

"يعلّم سيدي الملك بأنّ (سُكان شَدِكَن) هم أناس مأجورين ويعملون بالأجرة على كل بلدان الملك، هم لم يهربوا من أداء خدمة (الْك) (ilku)^(٤)، وتجهيز جيش الملك."^(١)

(١) الجبوري، علي ياسين: "نظام الحكم"، ص ٢٣٨.

(2) Luckenbill, D. D., "The Annals of Sennacherib", Chicago, 1924, p. 63, 19-22.

(3) Ibid, p., 33, 34,82.

(٤) (الْكُو) (ilku) أو (الْكُو) (alku): وهي مُشتقة من المصدر (الأكُم) بمعنى "ذهاب"، وتم استخدام هذا المصطلح منذ العصر البابلي القديم للإشارة إلى خدمات مقدّمة للمملكة والقصر يقوم بها مجموعة من الأفراد حسب اختصاصاتهم المهنية، وذلك مقابل أراضي ملكية يتم اقتطاعها لهم، ولهم الحق في استغلالها والانتفاع بها طالما كانوا قادرين على أداء تلك الخدمة. كذلك فقد استخدم هذا المصطلح (ilku) في بلاد آشور إبان العصر الآشوري الوسيط والحديث للإشارة أيضاً إلى خدمات متعدّدة تقدّمها للمملكة مجموعة من الأفراد الذين يقطنون ضمن منطقة معينة، على أساس أنّ امتلاكهم لتلك الأراضي كان مقابل هذه الخدمات التي كانوا يؤدونها بشكلٍ فردي أو

وهناك قطع الأراضي والأموال التي منحها الملك لبعض موظفي المملكة جزاء خدماتهم المتميزة، ومثال على ذلك لدينا المسؤول (نابو - شَر - أُصُر) (Nābu-šarru-ušur) والذي كان يشغل منصب رئيس بلاط الملك الآشوري آشور بانيبال، حيث منحه الملك آشور بانيبال عندها أملاكاً تضمنت حقولاً وبساتين وعدد من الأشخاص لقاء وفائه للملك وحسن بلائه، كما جاء ذلك على لسان الملك شخصياً، إذ قال بخصوصه:

"الذي أخلص لسيدِه منذ ولاية العهد إلى توليه الملوكية، الذي أخلص في خدمته لي والذي سار بأمان وتربى بسمعة جيدة في قصري وحرس مملكتي، وبملي إرادتي ووفقاً لمشورتي قررت أن أجازيه وأصدرت له منحة، الحقول والبساتين والأشخاص الذين حصل عليهم تحت حمايتي، جعلتهم ملكاً له."^(٢)

كذلك كان يعمل الملوك الآشوريين على استقطاع أجزاء من أراضي المملكة لبعض الأشخاص لغرض الانتفاع بها، حيث يذكر أحد النصوص وجود صنف من أصناف أراضي المملكة الآشورية يُدعى (بأرض معونة الملك) (mu'untu, mu"uttu) والتي كانت تُقدم للمستخدمين لأجل استحصال قوتهم منها، ويستدل على ذلك من خلال الرسالة التي بعث بها أحد الأشخاص إلى الملك الآشوري يقول في نهايتها ما يأتي:

"مدينة بت - خسنِي (bit-hassanni) الواقعة على قناة بيت (pitu) بيت مدينتي كوئا (cutha) وكيش (kiš) والتي تنتج (١٠٠) كور من الذرة هي أرض معونة الملك لوجال mu-ú-un ti šá نابو - دِن - أُمُر (Nabû-dini-amur) أخذها وأعطاهما إلى (بيل - إقيشا) (Bel-iqiša) وهي مقاطعة بابلية لم ينتفع بها (Uli-kul) ولا أبوه ولاجده."^(٣)

- دعم الحياة الاقتصادية وتعزيزها من خلال تقديم الخدمات اللازمة:

وتشمل تلك الخدمات تنفيذ مشاريع الري وحفر القنوات المائية، حيث كان من واجب الملك تنسيق عملية توزيع المياه للأغراض الزراعية^(٤)، فقد شكلت تلك المشاريع واحدة من أهم الخدمات التي افتخر الملوك الآشوريون بتنفيذها، فهي تمثل إحياء للحياة الزراعية في بلاد آشور، ودرءاً لأخطار الفيضانات والإفادة منها وقت الجفاف، فضلاً عن كونها تعد تخليداً لأعمال الملوك العمرانية بدليل ما

جماعي ضمن مناطقهم أو قراهم، كما يبدو من الأدلة النصية الآشورية المتوفرة أنَّ طبيعة هذه الخدمات كانت ربما مدنية وأحياناً عسكرية أنظر:

Postgate., J, N, "Land Tenure in the Middle Assyrian period Reconstruction" BSOAS, Vol. 34, 1971, p. 496.

(١) CT, Vol, 53, No, 78 =SAA, Vol, 1, No, 223, obv, 4-13.

(٢) SAA, Vol, 12, No, 26, obv, 14-25.

(٣) ABL, 336= SAA, Vol, 18, No, 56, Rev, 6-13.

(٤) زودن فون، ف: "مدخل إلى حضارات الشرق القديم"، ص٧٤.

نصت عليه صراحةً كتاباتهم الملكية، وعلى سبيل المثال ما جاء في إحدى كتابات الملك الآشوري سنحريب عندما قال في أحد نصوصه:

"كانت حقول نينوى مهمة قاحلة جرداء لم يكن لأهلها ماء يروون به زروعهم، فكانوا يرفعون أنظارهم نحو السماء مستمطرينها إلا أنني أرويتها.... أتيت بتلك المياه الوفيرة من أواسط جبال تاس (Tas) العاصية وشيدت القناة وبنيت جدرانها بالحجارة وسميتها قناة سين - أخي - ريب، وفي هذه الأيام أنا سين - أخي - ريب ملك بلاد آشور، والأول بين كل الأمراء والذي دانت له البلاد من مشرق الشمس لمغربها قد أسقيت نينوى وما يجاورها بمياه القنوات التي أمرت بتشيدته.... وأطلقت المياه إلى حيث لم تكن تصل فأحييت حقولاً أضرب بها المحل".^(١)

نستنتج مما ذكر بأن رفاهية البلاد الزراعية تتوقف على تنظيم مياهها. ولذا كان فتح قناة جديدة أو تنظيف مجرى قديم يعتبر من الخدمات العامة التي تستحق التسجيل.^(٢)

وإضافة إلى تنفيذ مشاريع الري وحفر القنوات كان لابد أيضاً من استصلاح الأراضي وزراعتها، حيث تظهر الكتابات الملكية الآشورية مدى حرص الملوك الآشوريين المتزايد في إحياء المدن وذلك عن طريق استصلاح أراضيها بزراعة حقولها وبساتينها، ومثال على ذلك ما ورد في إحدى كتابات الملك الآشوري سرجون الثاني عندما لقب نفسه بالقول:

"الملك الذكي المملوء بالعطف الذي أعطى ذكاه لإحياء مدن أصبحت أطلالاً بزراعة الحقول وتشجير البساتين، الذي وضع في ذهنه زراعة المحاصيل في المنحدرات المائلة التي لم تترعرع فيها الحياة الزراعية منذ أقدم الأيام، الذي تحرك قلبه في زرع النباتات في الأراضي القاحلة التي لم تعرف المحراث في كل أيام الملوك السابقين.... الخ".^(٣)

يتبين لنا أن عملية استصلاح الأراضي وزراعتها شكلت جانباً مهماً من الخدمات المدنية التي قدمها الملوك لرعاياهم، وذلك من أجل النهوض بالواقع الزراعي بما يضمن تأمين مصادر العيش وزيادة الإنتاج الزراعي. كما شكلت طرق المواصلات عبر تاريخها الطويل عصب الحياة الاقتصادية والعسكرية للمملكة الآشورية الحديثة على حد سواء. ولذلك فقد حرص الملوك الآشوريين على زيادة اهتمامهم بفتح الطرق وتأمينها، لأنهم أدركوا أنه لا سبيل أمامهم في بسط نفوذهم وتأمين مستلزمات قصورهم المتزايدة من السلع الكمالية والمواد الأولية الضرورية بما يضمن النهوض بواقع الاقتصاد الآشوري من دون وجود طرق واسعة محدودة ومحمية بقواعد أو حاميات عسكرية مثل (بيت - مرديت) (Bit-mardeti)، حيث كانت تمر بها أعداداً كبيرة من الأشخاص والحيوانات، وبحمولات

(1) Luckenbill, D. D. op. cit, p. 79, 80.

(2) وولي، ليونارد: "وادي الرافدين مهد الحضارة (دراسة اجتماعية لسكان العراق في فجر التاريخ)"، ص ٤٧-٤٨.

(3) ARAB, Vol, 2, p.119.

ضخمة من البضائع كسلع تجارية أو أتاوات أو غنائم^(١). ونتيجة لتلك الأهمية التي تمتعت بها تلك الطرق فقد عمل الملوك الآشوريون على فتح الطرق الوعرة، حيث نالت نشاطاتهم في هذه الأعمال مكانة بارزة في كتاباتهم الملكية، وعلى سبيل المثال ما جاء في إحدى كتابات الملك سرجون الثاني والذي يصف في حملته الثامنة عبور قواته جبلاً عاصيةً لم يسبق لجيش أن عبرها: "جهزت طليعة جيشي بالمعاول النحاسية القوية فحطموا صخور الجبال العالية..... وجعل بذلك طريقاً جيدة...".^(٢)

(نستنتج من هذا النص الجهود التي بذلها الملك الآشوري سرجون الثاني في تأمين المعدات اللازمة لجيشه لشق الطرق الجبلية الوعرة والسيطرة على الممرات المهمة لعبور قواته).
٥ - ظاهرة تنصيب الملك البديل في آشور (شر - بوخي) (šar- pûhi):

أ- الدوافع التي دفعت بالملوك إلى ممارسة هذه الظاهرة المؤقتة.
كانت وجهة النظر الدينية لسكان بلاد وادي الرافدين تتمثل في كون الملك، هو الواسطة بين الإله والشعب. حيث الآلهة هي التي منحت الشارات الملكية المقدسة كما أسلفنا سابقاً، وقد أعطى هذا الاعتقاد الملوك الآشوريين مركزاً مرموقاً ومقدساً واحتراماً كبيراً من قبل الآشوريين حتى أنهم ربطوا سلامة البلاد ورفاهيتها بسلامة الملك البديل نفسه^(٣). ونظراً لأهمية الملك وكون رفاه البلاد مرتبطاً برفاهه، وأن أي شر يلحقه يضر بالبلاد، فقد تمت حمايته بطقوس مختلفة منذ أقدم الأزمنة، باعتباره ممثل الآلهة على الأرض والمسؤول أمامها أي الآلهة عن صالح الناس وخيرهم، ومثال على هذه الطقوس هو (التواري عن الأنظار لفترة مؤقتة والانعزال عن الناس في أحد المعابد)، لذلك كان من الضروري الحفاظ على حياته وحمايته من أي خطر أو مكروه يهدده^(٤). فإذا ما ظهرت إشارات وعلامات سماوية أو أرضية يفسرها الكهنة بشرٍ يُحذقُ بشخص الملك، عندها يتحتم على الملك أحياناً وأفراد أسرته الاختفاء لفترة من الزمن حتى تزول تلك النذر وتخفي تلك العلامات. ومع (ظهور تلك العلامات والإشارات السيئة) فإنه يُعين "ملك بديل" يحل محل الملك الأصلي، ويقوم بأعماله بدلاً عنه لمدة يوم واحد أو مائة يوم. ولا نعرف زمن بداية هذا الطقس ولكنه مُورس في العصر البابلي القديم، حيث اختير "ملك بديل" للحكم مكان (ارّا - ايمتي) ملك مدينة (إسين)^(٥)، ووقع الاختيار على بستانني

(١) سعيد سامي، صفوان: "حقوق رعايا المملكة الآشورية في عصرها الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م)"، ص ٢٩.

(٢) Farhan, W. M. S, "Communication in the Neo-Assyrian Empire" un published, p.h.D. Thesis, university of London, 1991, p.131.

(٣) الجبوري، علي ياسين: "نظام الحكم"، ص ٢٣٩.

(٤) S. , " Letters from Assyrian Scholars", part 2, Helsinki 1971, p.56.

(٥) (مدينة إسين): تُعرف حالياً باسم "إيسان - البحريات" وتقع بالقرب من مدينة نهر، كما كانت عاصمةً لسلالة إسين التي حكمت في الفترة (١٩٦٩-١٧٣٢ ق.م). وهي إحدى السلالات البابلية التي ظهرت بعد سقوط سلالة

ليكون الملك البديل. ولكن حدث أن مات الملك الأصلي أثناء تناوله الحساء فآل الحكم إلى الملك البديل. ولا نعرف إن كان هذا السبب صحيحاً فربما كان هناك تأمرٌ على حياته فمات مسموماً وقد يكون الملك البديل مسؤولاً عن ذلك. وازدادت المعلومات عن هذا الطقس من العصور المتأخرة التالية. فكان على الملك أن يختفي وأفراد أسرته عن أعين الناس ويقوموا بآداء بعض الطقوس الدينية. وتختار الآلهة "الملك البديل" بواسطة الكاهنة بطريقة لا نعرفها إلى الآن^(١). ومن ناحية أخرى، ما دامت الآلهة هي التي اختارت الملك لحكم بلاد آشور وشعبها، فيجب على الآشوريين أن يحموا الملك من أي خطر وإيجاد الوسيلة للإبقاء على حياته المرتبطة بمستقبل البلاد. لذا ففي حالة التنبؤ بوجود خطرٍ على حياته كان عندها لابدٌ من إرسال بديل عنه، أملين بأن الملك نفسه سينجو من الخطر المُحدق به أو ببلاذه. كذلك نجد أن فكرة "الملك البديل" قد تطورت كثيراً في العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م)، وهذا التطور قد يرجع أساساً إلى بعض الممارسات السرية الخاصة بفكرة الأساطير ما دام وجود رداء الملك بديلاً عنه، ويمكن أن تحدث نفس التأثير في نفوس الناس. كما لو كان موجوداً شخصياً^(٢)، ومن ناحية أخرى، قد تكون متطورة من فكرة استخدام حماية للملك، وخاصة في المعارك الحربية، فقد كان يُعمل بعض السحر والذي يجب القاؤه على جيش الأعداء، فالملك هنا يجب أن لا يُشارك في هذا السحر أو غيره من الممارسات حتى لا يُعرض نفسه للخطر الذي قد يحدثه هذا النوع من السحر^(٣). فعندما تُلقى لعنة على العدو قبل بداية المعركة يُذبح أحد (خصيان) الملك أو القادة العسكريين الذي يأخذ اسم سيده، حتى لا يقع الملك ضحيةً للعملية السحرية ويقع الخطر على البديل^(٤). فإذا مرَّ كلُّ شيء بخير، وعلى الرغم من تعريض الملك البديل نفسه للمخاطر فهذه إشارة حسنة واحتمال النصر في المعركة يكون كبيراً عندها، فضلاً عن رفع معنويات الجند الآشوريين^(٥). وكان يتم إخبار الملك بظواهر الخسوف والكسوف التي اعتقدوا أن لها أثراً كبيراً على شخصه وقد يكون إنذار شؤم له. فتذكر إحدى الرسائل مايلي:

أور الثالثة في وسط بلاد وادي الرافدين، وقد أسسها "إشبي - إرا" الآموري واتخذ من مدينة إسين عاصمةً له جنوب بلدة عفا الحالية، وقد تلقب بملك سومر وأكد. أنظر:

الأحمد، سامي سعيد: "العصر البابلي القديم"، العراق في التاريخ، بغداد ١٩٨٣م، ص ٨٤. كذلك ينظر أيضاً: رشيد، فوزي: "الشرائع العراقية القديمة"، ص ٢٢٥.

(١) الأحمد، سامي سعيد: "الإدارة ونظام الحكم"، ص ١٩، ٢٠.

(٢) كونتينو، جورج: "الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور"، ص ٤٩٥، ٤٩٦.

(٣) الجبوري، علي ياسين: "نظام الحكم"، ص ٢٣٩.

(٤) الأحمد، سامي سعيد: "الإدارة ونظام الحكم"، ص ١٩، ٢٠.

(٥) الجبوري، علي ياسين: "نظام الحكم"، ص ٢٣٩.

"ليعلم الملك بأنّ الخسوف لم يكن شؤماً على الملك أو بلده".^(١)

ب- أمثلة على تطبيق هذه الظاهرة في العصر الآشوري الحديث.

ويبدو من المحتمل أنّ هذه الظاهرة أو الطقس قد تطورت أكثر فأكثر، حتى أصبحت تُمارس على نحوٍ رسميٍّ من قبل الملوك الآشوريين المتأخرين، وخاصةً عند ظهور العواض الطبيعية، والتي تُفسّر بأنها خطر على حياة الملك. فكان تعيين "ملك بديل" واجباً حينها، وأصبح يحكم مائة يوم ثم يُقتل على أمل أنّه سيأخذ معه كافة المخاطر التي كانت تُخيف الملك الحقيقي، كما يُشير إلى ذلك المدعو (مار - عشتار) في رسالة إلى الملك الآشوري أسرحدون قائلاً:

"الملك البديل الذي وصل في اليوم الرابع عشر عند مغيب الشمس، أمضى ليلة الخامس عشر في القصر الملكي لقد حدث الكسوف بحضوره، ودخل مدينة أكد في اليوم العشرين بدون أية حادثة (مشكلة) وبقي هناك. جعلته يتلو الابتهالات وكما هي في النص الملكي أمام الإله شمش. لقد أخذ على عاتقه كافة توعّدت السماء والأرض، ثم حكم كافة البلاد. عسى أن يكون ذلك بعلم الملك سيدي".^(٢)

وهذه الرسالة تُبين بوضوح واجبات الملك البديل، وكذلك محلّ إقامته في القصر الملكي واستعداده لتحمل تبعات الطالع والكسوف.^(٣)

وبعد انتهاء مهمّة الملك البديل وزوال الخطر كان عندها يُقتل، وأمّا عن الطريقة التي يتم فيها قتل الملك البديل، فإننا لا نعلمها بالتحديد، إلا أنّ هناك رسالة من العصر الآشوري الحديث فيها تأكيد على مقتل الملك البديل مع سيّدة من القصر وافقت أن تتحمل المسؤولية معه، وعلى الأغلب فإنها مثّلت دور الملكة، فالضحية هنا شخص يُدعى (دامقي) وهذه مقتطفات من الرسالة:

"دامقي وسيّدة من البلاط، وكما هو مناسب، قد أخذوا على عاتقهم مسؤولية الملك البديل، بدلاً من الملك (آشور بانيبال) سيدي، وبدلاً من شمش شوم - أوكين اتخذوا قرارهم (كملك وسيّدة)، لقد لقي حتفه، فبنينا له قبراً، هو وسيّدة من البلاط، جهّزوا للدفن وسجّوا في نعش مكشوف، ثم دُفّنوا ونُذبوا".^(٤)

فبعد مرور مائة يوم تم إعدام نائب الملك وعروسة وجرى دفنهما بحفاوة كبيرة، واستلم الملك منصبه من جديد بكلّ أمان.^(٥) ومن خلال هذه الرسالة يتبين لنا أنّ الملك الأصيل كان آشور بانيبال،

(١) الأحمد، سامي سعيد: "الإدارة ونظام الحكم"، ص ٢٠.

(٢) ABL. 629: 1-14. cf. SLA. 323.

(٣) الجبوري، علي ياسين: "نظام الحكم"، ص ٢٣٩، ٢٤٠.

(٤) الجبوري، علي ياسين: "نظام الحكم"، ص ٢٤٠.

(٥) ساكز، هنري: "جبروت آشور الذي كان"، ترجمة: آخو يوسف، دار الينابيع للطباعة والنشر، دمشق ١٩٩٥م، ص ٢١٠-٢١٤.

أما بالنسبة إلى المدعو دامقي فهو ابن ناظر بلاد أكد وحاكم مقاطعة آشور وبابل، وهذا ما يدل على المكانة المرموقة للملك البديل، وكذلك تأكيد على مشاركة امرأة من البلاط لهذه المهمة، فهما إذا لم يكونا من الطبقة العامة، وفي النهاية فإن الرسالة تُشير بوضوح إلى مصيرهما ونعيمهما رسمياً. ولكن هل كان هناك دوافع أخرى لأطراف قد يكون في مصلحتها تطبيق تلك الظاهرة عند حاجتها لها؟

ربما قد يكون هناك احتمالان اثنين يُمكن لهما أن يُجيبا على هذا السؤال:

الاحتمال الأول: ربما تكون محاولة ذكية يلجأ إليها الكهنة للتخلص من بعض الملوك الذين تتضارب مصالحهم مع مصالح الكهنة، حيث باستطاعة هؤلاء الكهنة التأثير على العرافة، بإعطاء النذر المطلوب إيجاباً أو سلباً، وبهذا سوف يتتحي الملك الأصيل عن العرش، وعندها يُنفذون مآربهم مُعتمدين على سوء الطالع، فإذا مات الملك الأصيل فسيُبرر حينها بأنها إرادة الآلهة، وقد نفذت رغباتها في مُعاقبة الملك المُذنب على الرغم من تنحيه عن العرش، كما حدث لملك إيسين الآموري. وأما الثاني، قد تكون إحدى وسائل الملوك المتعددة للتخلص من بعض الشخصيات التي تظهر لها مطامع في العرش، فيتم الاتفاق سراً بين الملك والكهنة لاختيار الشخص المقصود عن طريق العرافة ليكون الملك البديل، ثم يُقتل للتخلص منه بطريقة ذكية، أي (بأقل الخسائر) وبهذا يستطيع الملك تحقيق ما يصبو إليه من دون إثارة الشكوك، والدليل على ذلك أن الملك الأصيل، وعلى الرغم من تنحيه عن العرش إلا أن الرسائل السابقة تُبين بأنه كان يُمارس سلطاته ملكاً.^(١)

٦- مراسم وفاة ودفن الملك:

أ- مراسم الحداد التي يُقيمها سكان آشور:

تذكر إحدى رسائل العصر الآشوري الحديث زُدود الفعل لدى سكان مدينة آشور، عندما علموا بوفاة الملك، وكيف خرجوا لتشييعه باكيين عليه، وناديين على صُدورهم، فضلاً عن الاحتياطات التي اتخذها حاكم المدينة لتفادي المشكلات التي قد تقع آنذاك، حيث تقول تلك الرسالة:

"لقد خرجنا للطُعم على الصُدور والبكاء على الميت..... في اليوم الذي سمعنا بأن الملك قد مات، سكان مدينة آشور خرجوا للنحيب عليه".^(٢)

نستنتج من هذه الرسالة أن بلاد آشور كانت تدخل في حداد عام على الملك المتوفى، كما أن مراسم الحداد كانت تُقام أيضاً على الملك المتوفى حينها.^(٣)

(١) الجبوري، علي ياسين: "نظام الحكم"، ص ٢٤٠.

(٢) ABL. 473.

(٣) الجبوري، علي ياسين: "نظام الحكم"، ص ٢٤٠، ٢٤١.

ب- المراسم والطقوس التي تُرافق دفن الملك:

لم تكن هناك علاقة بين مراسم دفن الملك وتتويج ولي العهد ملكاً، بالرغم من مشاركة ولي العهد في تلك المراسم آنذاك، حيث يُبين لنا نص من العصر الآشوري الحديث، مراسم دفن الملك والطقوس التي تُرافقه، وأجواء الحزن والأسى على فراقه، والأشياء التي يُفترض أنها كانت تُدفن معه:

"في القبر، المكان الخفي

في المرج الملكي

جعلته يرقد بسلام

التابوت الحجري والفتحة لغطائه

غطيت الفتحة، بنحاس قوي

وثبتت رقبته الخاصة (ضد السرقة، والأرواح الشريرة).

التجهيزات من الذهب والفضة

والتي تناسب القبر

والشارات الملكية التي يحبها والتي

عرضتها على ضوء الشمس

ثم وضعت كل هذا في القبر

مع أبي الذي أنجبني

وقدّمت الضحايا

للسلطات الإلهية، الأنوناكي

والإلهة التي تسكن الأرض

وشقت القنوات

فأجابتها الجداول

واسود وجه الأشجار والفواكه

وبكت البساتين وكل شيء أخضر....^(١)

ت- المكان الذي يتم فيه دفن الملوك الآشوريين.

يبدو أن الملوك الآشوريين كانوا يُدفنون حين وفاتهم في القصور الملكية الموجودة في العاصمة الأولى للدولة الآشورية وهي مدينة آشور، على الرغم من قيام بعض الملوك الآشوريين المتأخرين بنقل وبناء عواصم لهم خارج مدينة آشور، أمثال:

(1) Ebeling. E, "Tod und Lebennach der Verstellungen der Babylonien", (Leipzig, 1931), No.12, p. 57.

الملك الآشوري (آشور ناصر بال الثاني) والذي انتقل إلى مدينة (كلخو/ نمرود)، والملك الآشوري (سرجون الثاني) الذي قام ببناء مدينة (دورشروكين/ خُرسباد)، كذلك جددَ الملك الآشوري (سنحريب) بناء مدينة (نينوى)، إلا أننا نجد أنهم دُفِنوا في مدينة آشور، والسبب وراء ذلك يعود إلى أهمية المدينة، وقديسيّتها من الناحية الدينية باعتبارها مركز عبادة إلههم القومي آشور. فقد وجّه الملوك الآشوريون اهتمامهم إلى مدينة آشور، وذلك من خلال تشييد المباني والصيانة، وحتى إعفاء سُكَّانها من الضرائب.^(١)

كما كشفت تنقيبات البعثة الأثرية الألمانية في موقع مدينة آشور (١٩٠٢-١٩١٤م) عن مدفن للملوك الآشوريين تحت الجناح الجنوبي -الشرقي من "القصر القديم"، حيث يعود تاريخ بناء هذا القصر إلى العصر الآشوري القديم، إذ شُيِّدَ من قبل الملك الآشوري شمشي - أدد - الأول (١٨١٣-١٧٨١ ق.م) وتواصلت عمليات ترميمه وتجديده حتى العصر الآشوري الحديث في الألف الأول قبل الميلاد. وقد سُمِّيَ المدفن في القصر الملكي بالنصوص الآشورية باسم "إكَل - تبشُخَة" "ekal tap šhti" والذي يعني "قصر السكينة"، وكان يُنزل إليه من القصر بواسطة ممر منحدر يؤدي إلى الأضرحة المشيدة بشكل غرف تحت مستوى أرضية القصر. وقد ضم هذا المدفن ما لا يقل عن ستة أضرحة ولكنها تعرّضت للنهب في العصور القديمة على ما يُرجح. كما اكتشف من العصر الآشوري الحديث على أضرحة ملكية لأميرات من الأسرة الملكية الآشورية تحت أرضيات غرف الجناح العائلي الذي كان مُشيّداً في الجهة الجنوبية من قصر آشور - ناصر - بال - الثاني في العاصمة الآشورية كلخو (نمرود حالياً) على بعد نحو (٣٤ كم) إلى الجنوب من مدينة الموصل الحالية. وقد أدى التنقيب في تلك الأضرحة إلى اكتشاف ما عُرف "بكنز نمرود" الذي يتألف من المواد الذهبية والمصوغات ومختلف المواد النفيسة التي دُفِنَت مع الأميرات. حيث قامت بهذا الاكتشاف في عام (١٩٨٨م)، هيئة التنقيب الأثري العراقية في نمرود.^(٢)

(١) ARAB II, 690.

(٢) حنون، نائل: "المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة، دراسة عن الشعائر والعمارة في النصوص المسمارية والآثار" "المدافن وشعائرها ج ١"، دمشق ٢٠٠٦م، ص ٢٠-٢٢.

ثالثاً: الملكة:

١ - لقب الملكة: (مي.إي.جال) (Mì.É.GAL).

يرد في النصوص الآشورية اللقب الأكدي (مي.إي.جال) (Mì.É.GAL) وهو يُشير إلى ملكة القصر آنذاك. وهذا اللقب يُقابل اللقب الآشوري (إصّي - إكلّي) (iṣṣi-ekalli) ويعني حرفياً: (امرأة القصر) أو (سيدة القصر)، والذي يُختصر بدوره إلى اللقب (صيجالو) (šēgallu). وهناك لقب آخر مرادف للقب الملكة وهو: (شَرَاتو) (šarrātū)، أي الصيغة الأنثوية أو تأنيث لكلمة (شَرُو) (šarru) والتي تعني (الملك). إلا أن الآشوريين لم يستخدموا هذا اللقب أي (šarrātū) للتعبير عن الملكات الآشوريات، فهو كان مُخصصاً للآلهة وملكات الدول والممالك الأجنبية عندها فقط. وبناءً على ذلك نجد أن عدداً من الباحثين، اختار تفسير اللقب (Mì.É.GAL) (كإحدى نساء الملك أو قريناته) بدلاً من (الملكة الرئيسية). وبناءً عليه (فربما قد تكون هناك عدة نساء حملن هذا اللقب في نفس الوقت).^(١) كما أن المعلومات المتوفرة عن الملكات الآشوريات ماتزال قليلة، وعموماً فإن الملكات نادراً ما يتم الاستشهاد بهن بالاسم خلال فترة حياتهن، كذلك فإن تلك الإشارات المتوفرة عنهن تأتي غالباً من الطقوس الجنائزية، والتي كانت عندها قد نُقشت على الأشياء والأغراض التي تعود إليهن (كأدوات الزينة من أساور وقلائد وأمشاط وأوعية الخ...). كما تفترض الباحثة (Melville) في الحقيقة، بأنه كان لدى الملوك الآشوريين زوجات أساسيات وأخرى ثانويات. حيث أن فرضيتها عن النساء الملكيات المتعددات اللواتي أقمّن ضمن القصر، تبدو أنها ضرورية لكشف طرق التعامل مع اختلاف المكانة أو المنزلة بين هؤلاء النسوة. غير أن المصادر الآشورية لم تأتي على ذكر أي تمييز بين تلك النسوة، وهناك رأي آخر لأحد الباحثين والذي يفترض بأن لقب (الملكة) (Mì.É.GAL) كان مُرتبطاً بالملك فعندما يصعد ملك جديد على العرش فإن زوجته تحل محل الزوجة السابقة الحاملة للقب (الملكة) بشكل تلقائي.^(٢)

وهذا الاقتراح الأخير هو أقرب للواقع، والذي يمكن أن يوضح القضية الشائكة سواء فيما يتعلق بإمكانية أن تكون هناك أكثر من ملكة واحدة في آن واحد، إضافةً إلى ذلك عدم وجود دليل أو برهان قاطع لمثل هذه الممارسة أو العادة، إلا أنه كان هناك بالطبع نساء أخريات كانت لديهن علاقات مع الملك.^(٣)

(1) Kertal. David, "The Queens of the Neo-Assyrian Empire", in *Altorientalische Forschungen*, 40, 1, 2013, p.109.

(2) Radner. K, "The Seal of Tašmetum-šarrat, Sennacherib's Queen, and its Impressions. In. G.B. Lan- franchieta: (eds), *Leggo! Studies presented to Frederick Mario Fales on the Occasion of his 65th Birthday*, Wiesbaden, 2012, p. 695.

(3) Kertal. David, op. cit. p. 110.

٢- مكان إقامة النساء داخل القصور الملكية.

صنّف الآشوريون النساء ضمن الأجزاء الداخلية للقصر الملكي، أو ما يُعرف في ذلك الوقت باسم قسم (البيتانو) (bitānu). وقد احتوت القصور الملكية الآشورية والمنشرة في العديد من المدن آنذاك على تركيبٍ بنائيٍّ منفصلٍ ومحكمٍ للنساء أي (قسم أو جناح خاص بهنّ) أي (الحرملك)، ويقع ضمن تركيب بناء القصر ذاته، وهذا ما أكّدته النصوص المسمارية التي ذكرت وجود أجزاء من القصر كانت تُخصص لنساء القصر، وهذا ما تم التعرف عليه من خلال التنقيبات الأثرية العلمية التي كشفت عن وجود تركيب بنائي منعزل تماماً يقع ضمن القصر الملكي، كما وجد في مدن:

(نمرود، نينوى، آشور، خورسباد) وغيرها من المدن الآشورية الأخرى، وكان بعض من هذه القصور قد جرت فيه أعمال تنقيب، حيث تم التعرف عليها من خلال المصنوعات اليدوية التي كشفت فيها (ونقصد بها الحلي الذهبية والأواني الخاصة بالزينة والأمشاط وغيرها)، بدلاً من الأدلة المعمارية المميزة لها، والتي تسمح لنا بتمييز تلك الأجزاء الخاصة بالنساء^(١)، ومن الأمثلة عليها ما تم الكشف عنه في الأجزاء الداخلية التي حددت في القصر الشمالي الغربي لقصر آشور ناصر بال الثاني (٨٨٣-٨٥٩ ق.م) في مدينة نمرود (كلخو قديماً)، وفي قصر (إكل مشارتي) في مدينة نمرود أيضاً والقصر الجنوبي الغربي لقصر سنحريب (٧٠٤-٦٨٠ ق.م) في مدينة نينوى^(٢)، ومن الشائع عند الملوك الآشوريين عندها أن يكون لديهم مساكن متعددة في مدينة واحدة، كما في نمرود أثناء القرن التاسع ق.م، إذ بنى الملك الآشوري (شلمانصر الثالث) (٨٥٨-٨٢٤ ق.م) قصران هما: (القصر الشمالي الغربي، والترسانة أو ما يطلق عليه "حصن شلمانصر")، وكان كلٍ منهما تضمن منطقة خاصة بالنساء، وأما في نينوى فقد بنى الملك الآشوري سنحريب ثلاثة قصورٍ ملكية، كلٍ منها تضمن منطقة خاصة بالنساء، ومن الأدلة المهمة التي أكدت على وجود هذه المناطق الخاصة بالنساء في داخل القصر الآشوري هو وجود سلسلة من النصوص المسمارية الخاصة بقوائم توزيع الخمر والملابس، وكذلك قوائم بأسماء الموظفين الذين كانوا يعملون داخل تلك الأقسام والتي جاءت من عهودٍ مختلفة، وهذه النصوص تشير إلى أن النساء اللاتي ارتبطن بوظائف داخل قسم الحريم الملكي كنّ مشمولاتٍ بتلك الجرايات والعطايا التي يمنحها الملك إليهن^(٣).

٣- المعايير التي اعتمدها ملوك آشور في اختيار الملكة.

إذا عدنا إلى النصوص الملكية الآشورية نجدُ بأنها لم توضح بالتفصيل عندها الإجراءات والممارسات والعادات والتقاليد المتبعة في عملية زواج الملوك الآشوريين، ولكن من خلال النص

(١) عبد المالك، منذر علي: "نساء القصر الآشوري"، مجلة كلية الآداب، العدد ١٠١، جامعة الموصل، ٢٠٠١م، ص ٥٣.

(٢) Mallowan, M. E. L. "Nimrud and its Remains I-II", London, 1966, p.396-470.

(٣) عبد المالك، منذر علي: "نساء القصر الآشوري"، ص ٥٤.

الآشوري الخاص بالملكة (موليسو موكنيشات - نينوى) (Mulissu-mukannišat-Ninua)، والتي تعود إلى القرن التاسع ق.م، فهي كانت زوجة الملك الآشوري (آشور - ناصر - بال - الثاني). إضافةً إلى كونها من بنات الآشوريين الأرسقراطيين، وقد ظلت هذه العادة مُستمرةً آنذاك أحياناً، لذلك فهي لم تكن من بنات الملوك أو الحُكَّام التابعين له، فنحو نصف النساء اللواتي حَمَلْنَ اللقب (Mi.É.GAL) تقريباً كُنَّ قد حَمَلْنَ أسماءً أَكَدِيَّةً^(١)، أي ذوي (أُصولٍ محليةٍ)، وهذه الحالة تنطبق على بقية الملكات الآشوريات الأخريات أمثال: (تشميتوم شَرَّت، إِشَرَّ خَمَات، ليالي شَرَّت) (Tašmetum-šarra t, Ešarra-ḥamā t, Libāli-šarrat). وأمَّا الملكات اللواتي حَمَلْنَ أسماءً ساميةً غريبةً فكنَّ كالتالي:

(شَمُو رَامَات، يَبَا، أَطَالِي، نَقِيَّة) (Naqia, šammu-rāmat, Jabā, Aṭālia)، وربما هؤلاء النسوة كُنَّ قد وصلنَّ إلى البلاط الآشوري عن طريق الزواج السياسي^(٢). ولذلك نرى أنَّ السياسة أدَّت دوراً مُهماً في عملية زواج الملوك الآشوريين من بنات الحُكَّام التابعين لهم^(٣). ونلاحظ خلال فترة القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد أنَّ الأسماء السَّامِيَّة الغريبة كانت شائعة جداً في الدولة الآشورية آنذاك^(٤). كذلك فإننا لا نعرف ما هي الفئات العرقية التي كان يرغبُ الملوك الآشوريون أن تكون زوجاتهم منها أيضاً، أو حتى المعايير التي يجب أن تتمتع بها الزوجة الأساسية ضمن خيارات الملك حينها. ومع ذلك فإنه يبدو لنا بلا شك أنَّ السياسة عندها قد لعبت دوراً كبيراً ضمن خيارات الملك المتعددة. وبالتالي لا يمكن تحديد النساء من صنف (Mi.É.GAL) التي اختارها الملك لتكون قرينةً له (أو كم من النساء حَمَلْنَ هذا اللقب)، إلا أنه غالباً تُدعى وبشكلٍ حرفيٍّ (الزوجة الأولى للملك) أي المرأة التي ستكون عندها مُتزوجَةً قبل أن يُصبح زوجها ملكاً والتي كانت بدورها ستنجبُ أولَ أطفاله. لذا فإنه وبالأحوال العادية ستكوِّن تلك الزوجة أو القرينة إذاً هي أُم ولي العهد، والذي كان بشكلٍ طبيعيٍّ الابن الأكبر سناً للملك.^(٥)

٤ - مكانة الملكة ودورها ضمن القصر وخارجه.

لقد لعبت الملكة دوراً مُهماً في السياسة العامة للدولة الآشورية الحديثة، نظراً لما تتمتع به من مكانةٍ مُتميزةٍ وذلك بصلتها الوثيقة بالملك. فقد كانت دوماً داعمة ومُساندة لزوجها، وكان لها أيضاً

(1) Melville, C. Sarah, "Neo-Assyrian Royal Women and Male Identity: Status as a Social Tool", Journal of the American, Oriental Society, vol. 127, No. 1 (Jan-Mar 2004), p.47.

(2) Dalley. S. "Yaba, Aṭālya and the Foreign Policy of Late Assyrian Kings", SAAB, Vol. 12/2, 1998, p.83-98.

(3) Millard, A. R. "Assyrians and Arameans", in Iraq, vol. 45, 1983, p. 104.

(4) Ibid, p.104.

(5) Melville, C. Sarah, loc. cit. p. 47, 48.

دور فعال في قيادة الدولة، وكثيراً ما تظهر في المنحوتات إلى جوار الملك^(١) وكما ذكرنا آنفاً فقد أُفرد لها جناح خاص بالقصر الملكي، إضافةً إلى وضع الأموال الطائلة حسب تصرفها، هذا إلى جانب مشاركتها في إدارة شؤون الدولة. وفي هذا البحث سنركز على الدور الذي لعبته الملكة في إدارة الدولة ومالها من مركز ثقل في الحاشية الملكية إلى جانب تأثيرها على صناعة القرار الملكي الآشوري باعتبارها زوجة الملك، والذي هو بنفس الوقت يُعدّ "الكاهن الأعلى للإله آشور"، وممثلته على الأرض. لذلك نجد عدداً من الملكات اضطلعن بدور مهم في البلاط الملكي، وهذا الدور المهم لم يكن من سمات نظام الحكم الآشوري فقط بل هو موروث حضاري قديم في بلاد وادي الرافدين. حيث توارثته الآشوريون عن أسلافهم السومريين والأكديين والبابليين.^(٢) إلا أن الوثائق الاقتصادية والقانونية المكتشفة في القصور الآشورية الحديثة لا تزودنا بمعلومات كثيرة حول الممتلكات الممنوحة لزوجات الملك، كما أن جميع الوثائق التي يظهر فيها اللقب (Mi.É.GAL) كانت تظهر أيضاً بدون أسماء شخصية مرتبطة به أو تأتي بعده، لذلك من الناحية العملية فهو من المؤكد أن بعض هذه النصوص كانت تشير إلى قرينة الملك والتي تمتعت بالثروة الكبيرة التي ربما حصلت عليها من الملك. ولا يهمننا هنا أن نعطي تفصيل وتقييم لممتلكاتها العائلية أو كيف يتم تشغيلها؟ ولكن يهمننا أن نشير بأن هذه المرأة التي تحمل اللقب (Mi.É.GAL) كان لها الحق في أن تمتلك ما تشاء من عبيد وإماء، ويمكن أن تمتلك العقارات (أراضي وقرى وبساتين) خارج القصر، وهي قد تمتلك حتى قصرها الخاص^(٣). وتظهر النصوص عدة شخصيات ذوي مناصب مهمة تابعين لها، كما أمكن التعرف على هؤلاء الموظفين من خلال تلك النصوص. كذلك يمكن الإشارة إلى أن هذه المرأة (Mi.É.GAL) كان لها جريات خاصة من النبذ كما جاء في النصوص التي وجدت في مدينة نمرود وداخل قصر الملك، كذلك كانت تلك النسوة من هذا الصنف أي (القرينة أو الزوجة الأساسية) (Mi.É.GAL) مسؤولة وبشكل رمزي عن أقسام النساء الأخرى داخل قسم الحريم الملكي، وكان ينوب عنها أو يمثلها في إدارة هذه الأقسام الخاصة موظفة تُعرف بالآشورية (الشكينتو) (Šakintu) أي (المديرة) والتي ربما تعني (الساكنة داخل قسم الحريم)، وهناك أيضاً مجموعة من الموظفين كانوا يعملون تحت إمرة قرينة الملك، وقد أمكن تمييز العديد من هؤلاء الأشخاص الذين خدموا كموظفين مسؤولين لديها، ومن هؤلاء الموظفين هم:

(١) عبد الكريم حسين القيسي، منى: "مكانة المرأة في المجتمع العراقي القديم"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج (٩)، العدد (٢٦)، جامعة تكريت ٢٠١٧م، ص ٢٨٦.

(٢) عقرابي، ثلماستيان: "المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين"، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد ١٩٧٨م، ص ٨.

(٣) تذكر النصوص إحدى مسؤولي قرينة الملك الذي يحمل لقب (rab ālani) أي (مدير القرية) أنظر: Parker. B. "Administrative Tablets from the N.W. Palace at Nimrud", Iraq 23, (1961), ND 2605, P.19.

(الخصيان، الكتّاب، المشرفات، مدير القرية، مدير القصر، قائد الحرس، الحائكات، الطهاة، الموظفون المحليون، وآخرون).^(١) كما أننا نستنتج من هذا العدد الكبير لهؤلاء الموظفين المعيّنين من قبل (قرينة أو زوجة الملك)، أنها لا تستطيع وحدها أن تُدير كل أقسام النساء في القصور الملكية الآشورية، كما أن بعض زوجات الملك الثانويات ربما قُمنَ بإدارة ما هو موجود داخل قسم الحريم الخاص بهنّ، لذلك تعددت مساكن نساء الملك في المدينة الواحدة، وانتشار القصور في المدن الأخرى. وربما كانت قرينة الملك تُكَلَّفُ أيضاً بوظيفتها من قبل الملك نفسه لإدارة قسم الحريم، وذلك لعدة أسباب:

من أهمها: أن يتجنّب المشاحنات والتنافس بين نساء القصر الواحد، لذلك وضع نظام خاص يتم بموجبه تكليف "أم الملك" أو إحدى زوجاته المُقرّبات بوظيفة إدارة القصر. ومراقبتها للموظفين داخل قسم الحريم، كما لا يجوز لبقية النساء أن يأخذن هذا المنصب إلا إذا حدث وأن تُوفت تلك المرأة أو تغيّرت منزلتها لدى الملك نفسه، حيث يمكن أن تكون إحدى الزوجات الثانويات والتي أنجبت عندها "ولي العهد" أن تأخذ هذه الوظيفة في حالة غياب "أم الملك" أو زوجته الشرعية، وكان يحق لها أن تمتلك ملكية خاصة خارج القصر، أو أن تتمتع بامتيازات خاصة مثل باقي الملكات الأخريات، أو أن تستلم حصّة من الجزية والهدايا العامة التي كان يمنحها الملك لهنّ أو ولي العهد. وعلى الرغم من إدارتها لقسم حريم الملك، فقد أكدت النصوص المسمارية من العصر الآشوري الحديث أنه كان لدى قرينة الملك الرئيسية التزامات رسمية، (كإشرافها على أقسام النساء الأخرى داخل قسم الحريم الملكي، بالإضافة إلى عقد الصفقات التجارية ومنح الهدايا والتبرعات إلى المعابد)، بالإضافة إلى تمتّعها بالثروة، مع العلم أننا لم نجد أي دليل فيما يتعلق بالزوجات الثانويات فيما إذا ما كان لهنّ واجبات رسمية أم لا، ولكن كان لهنّ الحق أيضاً في امتلاك ما يحتاجونه في حياتهنّ العامة. وهذا ما أكّدته التنقيبات العلمية عند اكتشاف ملحقات دفن غنية جداً في القبور الملكية في مدينة نمرود وخاصة تلك المجوهرات الذهبية الرائعة، والمنسوجات الفاخرة، ومواد شخصية أخرى مختلفة مثل الطاسات المنقوشة والتيجان والأكاليل وغيرها. وهذه الملحقات الدفنية وجدت حينها في قبر الملكة (يّا) (Yabā) كان من بينها إكليان ذهبيان، وقد تم الكشف أيضاً على إكليل ذهبي واحد في قبر الملكة (موليسو موكينشات نينوى)، وهناك مواد أخرى تم الكشف عنها في مدينة نمرود وخاصة في قسم الحريم الملكي في القصر الشمالي الغربي منها عدد كبير من الأختام والخرز والأقراص العاجية المنقوشة وأصداف ومواد متنوعة أخرى.^(٢)

ولدينا هنا أحد الأمثلة والذي يوضح المكانة المميزة لقرينة الملك، ففي النص رقم (SAA I 34)، وهو عبارة عن رسالة من ولي العهد سنحريب إلى والده، حيث يُعَدّد جباية الجزية وهدايا سكان المملكة

(1) Melville, C. Sarah, "Neo-Assyrian Royal Women and Male Identity: Status as a Social Tool", op. cit. p. 48.

(2) عبد المالك، منذر علي: "نساء القصر الآشوري"، ص ٥٩، ٦٠.

إلى المُستلمين في مناسبتين اثنتين. وهؤلاء المُستلمين هم: الملك، يليه مباشرة قرينته، ثم ولي العهد، ومسؤولي الملك الرئيسيين. فهذا النص يُدرج القرينة على ما يبدو بالمرتبة الثانية بعد الملك. كما يُظهر عدد المواد المدرجة التي كانت قد وزعت عليهم آنذاك.^(١)

نستنتج مما سبق بأن الملكات الآشوريات كنَّ شكلاً آنذاك إحدى مجموعات النساء اللواتي تمتعن بمكانة ومنزلة عالية في القصور الآشورية في العصر الحديث كما هو موثق على نحو جيد.^(٢) وبالأستناد إلى النصوص والرسائل الآشورية المكتشفة فإنه باستطاعتنا أن نُميز نحو عشر من الملكات في العصر الآشوري الحديث حملن اللقب الآشوري (سيجالو) (Sēgāllu) ويعني: (الملكة)، وباللغة الأكديّة اللقب^(٣) (Mi.ÉGAL) كما أشرنا إلى ذلك سابقاً. إلا أنه ولسوء الحظ فإن المعلومات المتوفرة لدينا تتعلق بثلاث من الملكات فقط هن:

(زاكوتو/ نقيّة) (Naqī'a/Zākūtu)، و(ليبالي - شرت) (Libbāli-šarrat)، و(شمو - رامات) (šammu-ramāt)، وأما الأخريات فإننا لا نعرفُ عنهن إلا القليل، ((أي ليس مجرد أكثر من الاسم فقط))^(٤). وسنعرض فيما يلي المكانة المميزة والدور الهام التي مارسته تلك الملكات الثلاث في حياة الدولة الآشورية الحديثة آنذاك:

أ - (زاكوتو/ نقيّة) (Naqī'a/Zākūtu):

كانت الملكة (زاكوتو/ نقيّة) الزوجة الأساسية للملك الآشوري سنحريب (٧٠٤-٦٨١ ق.م)، و"وكيلة سرجون الثاني، ووالدة أسرحدون وجدة آشوربانيبال". ولا شيء مؤكد يمكن أن يُذكر فيما يتعلق بأصولها، بالرغم من أن اسمها كان سامي غربي^(٥). ولربما كانت (زاكوتو/ نقيّة) قد تزوجت عندها من الملك الآشوري سنحريب بالعقد قبل الأخير من القرن الثامن قبل الميلاد، وأنجبت ولداً، هو أسرحدون في سنة ٧١٣ ق.م. كما أنها لعبت دوراً مهماً فيما يتعلق بولاية العهد حينذاك، حيث يبدو أن تعيين أسرحدون لولاية العهد كان غير متوقعاً ومفاجئاً بعض الشيء. ولكن طبقاً لوجهة نظر أحد الباحثين على سبيل المثال: (Melville) نفتس مايلي:

"فهي ترى بأنه لم يكن هناك دليل على دور (زاكوتو/ نقيّة) بأنها هي المسؤولة عن ترقية ابنها إلى منصب ولاية العهد بأية حال من الأحوال. كما تلمح بأنه ليس من المؤكد أيضاً توصل (زاكوتو/

(1) Melville, C. Sarah, "Neo-Assyrian Royal Women and Male Identity: Status as a Social Tool", op. cit. p. 49.

(2) Melville. Sarah, "The Role of Naqia/ Zakutu in Sargonid Politics", in SAAS 9, Neo-Assyrian Text Corpus Project, Helsinki 1999, pp.105-112.

(3) Parpola. Simo, "The Neo-Assyrian Word for (Queen)" in SAAB II/2, Helsinki 1988, pp.73-76

(4) Teppo. Saana, "Wamen and their Agency in The Neo- Assyrian Empire", Assyriologia Stor 101, Helsinki, 2007, p.35.

(5) Ibid, pp. 35,36.

نقبة) إلى منزلة أو مكانة الزوجة الرئيسية الأولى خلال عهد الملك الآشوري سنحريب.^(١) إضافةً إلى ذلك أنه في العديد من المصادر كانت تُدعى (نقبة) (Naqī'a) أو يُشار إليها باسم (الملكة الأم) بدلاً من لقب الملكة. فأكثر الحوادث والنشاطات (لأم الملك) في النصوص الآشورية الحديثة تُشير إلى الملكة (نقبة)، وتُشير (Melville) إلى أن هناك نصين اثنين في الأرشيف الرسمي الآشوري وهما: (SAA 12, 21-23, SAA 6 143) وهما يُشيران إلى الملكة الأم للملك الآشوري سنحريب، ونص واحد (SAA 6 325) ربما يُشير إلى الملكة الأم لآشور بانيبال. كما يبدو بأن التركيب الأساسي لعائلة الملكة الأم كان مُشابهاً لتركيب عائلة الملكة والمسؤولين الكبار الآخرين^(٢).

وبعد اعتلاء الملك الآشوري (أسرحدون) إلى العرش، ازدادت ونمت سلطة (زاكوتو/ نقبة) بالتأكيد، فقد شيدت قصرًا لابنها في مدينة نينوى، وأعدت نقشاً يُحييه في النص رقم: (ARRIM 6 11 no. 91-5-9, 217)، كما جعلته نُذراً أيضاً إلى الإلهة (بيليت - نينوى) (Bēlet- Ninua) لحياتها الخاصة، وكذلك لابنها أسرحدون. ويحمل الجانب الآخر من هذا اللوح نقشاً يُدون أو يسجل نُذراً آخر جعل من قبل (زاكوتو/ نقبة) إلى الإلهة (موليسو) (Mullissu ADD 645). وكانت الرسائل الموجهة إلى الملكة الأم تتعلق بشكل رئيسي بالأمور الدينية، وعلى سبيل المثال: (الرسائل ذات الأرقام: SAA 10 313, SAA 13 76, SAA 13 77)، ولكن بعضها الآخر يتعلق أيضاً بالشؤون والقضايا السياسية على سبيل المثال: (ABL 917 and SAA 10 154). وفي رسالة إلى الملك فإن أحد المُنجمين واسمه (نابو - ندين - شومي) (Nābû-nadin-šumi)، يسأل فيما إذا هو يجب أن يؤدي بعض المناسك للملكة الأم (SAA 10 274) كذلك هناك الرسالة من الملك إلى الملكة الأم وهي محفوظة أيضاً برقم (ABL 303)^(٣).

وقد امتلكت الملكة الأم (نقبة) أيضاً ملكيات لأراضي في منطقة (ياخيرو) (lāhiru) في بابل، كما يذكر النص رقم (SAA 14 469)، وهناك عددٌ من رسائل العلماء، تُشير إلى حالة صحة الملكة الأم على سبيل المثال: (SAA 10 200-201 and 244). وهناك أيضاً استفسار إلى إله الشمس يتعلق (بزاكوتو/ نقبة)، التي كانت عندها مريضة، النص رقم (SAA 4 190). ويوجد كذلك استفسار آخر إلى إله الشمس يتعلق بتعيين محتمل، حيث يسأل فيما إذا كان الشخص موضع السؤال سوف يحمي أو يصون (زاكوتو/ نقبة) كما يحمي أو يحرس نفسه الخاصة في النص رقم (SAA 4 151).

ب- شمو - رامات (šammu-rāmat):

كانت الملكة (شمو - رامات) (šammu-rāmat) والذي يعني اسمها "محبوبة الحمام" زوجةً للملك الآشوري (شمشي - أد - الخامس) (šamši-Adad v) (٨٢٨-٨١١ ق.م). حيث تولت الحكم

(1) Melville. Sarah, op. cit. pp.29.

(2) Ibid, pp. 105-112.

(3) Teppo. Saana, Op. cit. p37.

لمدة خمس سنوات وصيةً على ابنها القاصر (أدد - نيراري - الثالث) (٨١٠-٧٨٣ ق.م)، وكانت خلال مدة حكمها تلك واحدة من أقوى ملكات بلاد وادي الرافدين، إذ نُسبت إليها العديد من الأعمال والمشاريع العمرانية والحضارية، (فإليها نُسبَ بناء مدينة بابل وإقامة جنانها المُعلّقة، وبناء السدود ومشاريع الري بالإضافة إلى فتح بلاد مصر والهند وغيرها).^(١) وقد اعتبرت شخصيةً غامضةً، ونتيجةً لذلك فقد تسببت في ظهور الكثير من الأساطير بعد وفاتها. وهناك عدد من الآراء والدراسات والتخمينات حول أصل هذه الملكة. هل هي من شرق بلاد وادي الرافدين، أم كانت من الآشوريين، أم البابليين، أم أنها من المدن الآرامية المجاورة لبلاد الرافدين، سواء في شمال سوريا أو بلاد الأناضول مثل:

بيت - أديني (Bīt-Adini)، بيت - جاباري (Bīt-Gabbari)، كركميش (Charchemish)، جورج (Gurgum)، نامري (Namri)، باتينا (Patina)، قوي (Que) شوبريا (šubria)، وقد ألح جميع الباحثين إلى أن أصل هذه الملكة تعود إلى أراضيها المحلية. وفي ظل غياب الدليل الآخر فإن هذه الاقتراحات تظل مجرد احتمالات وتخمينات. وقد تم تمييزها أولاً في نقشٍ على مسلتها الخاصة من آشور والموجودة في النص رقم: (RIMA 3 A.0.104.2001)، كما أنها يُشار إليها أيضاً في نقشٍ آخرٍ وذلك في خروجها في حملةٍ مع ابنها الملك القاصر (أدد - نيراري الثالث) والذي يدعى بنقش (حجارة الحد)^(٢) باسمه في النص:

(Adad-nirari III RIMA3 A.0.104.3)، حيثُ يصفُ هذا النقش هزيمة المدعو (أشبيلولومي) (Ušpilulume)، ملك الكوموخيتيس (Kummuḫites)^(٣). وهذا لم يسبق له مثيل في التاريخ الآشوري حينذاك، أي (خروج الملكة في حملةٍ عسكرية)، ويرى بعض الباحثين ومنهم (Grayson) أن الملكة (شمو - رامات) كانت قد تمتعت من المحتمل ببعض الصلاحيات في الدولة^(٤). كما يبدو من الممكن

(١) Olmstead, A, T. "History of Assyria", Chicago 1980, p.158ff.

(٢) أحجار الحدود: وتسمى أيضاً بالكودورو وهي عبارة عن أشكال مخروطية وقد تكون من الحجر أو من الطين المفخور، والحجرة الواحدة منها غالباً ما تقسم إلى قسمين حيثُ خُصص قسمها الأعلى لرموز الآلهة، وأما قسمها الثاني أي الأسفل فيحتوي على النص الكتابي المدون بالخط المسماري، وكانت الغاية من هذه الحجارة هي توثيق نقل ملكيات الأراضي الممنوحة من الملك إلى بعض الأشخاص أو من شخص إلى آخر. وفي أغلب الأحيان لا يزيد ارتفاع هذه الأحجار على متر واحد، وأقصى قطر لها بحدود نصف متر. أنظر:

حسين علي الحمداني، ياسر هاشم: "وسائط النقل في العراق القديم"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل ٢٠٠٢م، ص ٨٨.

(٣) Teppo. Saana, Op. cit. p35.

(٤) Grayson. Kirk, "Assyrian Officials and Power in the ninth and eighth centuries", State Archives of Assyria Bulletin 7, University of Toronto Press 1993, p. 29.

بأنها تصرفت (كوصية على العرش) بعد وفاة زوجها الملك (شمشي - أد - الخامس)، إلى أن يصبح ابنها أد - نراري الثالث في سن البلوغ.^(١)

وقد أهدى (بيل - تارصي - إلومّا) (Bel-tārši-ilumma) حاكم مدينة كلخو تماثلان مماثلان منقوشان إلى معبد الإله نابو (Nābû) ووضعهما في معبد الإله في مدينة كلخو. حيث يشير هذين التمثالين إلى أن (Bel-tārši-ilumma) أمر بإنجاز هذين التمثالين وإهدائهما لحياة الملك أد نراري الثالث وشمو - رامات (Adad-nirari III) و(šammu-rāmat) كما يرد في النص رقم:

(RIMA 3A.1.4 2002). وفي المصادر اللاحقة بعد نهاية الدولة الآشورية وغيابها عن مسرح الأحداث السياسية فإنّ (شمو - رامات) (šammu-rāmat)، تبرز في روايات المؤلفين اللاحقين مثل: (هيرودوتس) (Herodotos) (في القرن الخامس قبل الميلاد)، و(ديودورس الصقلي) (Diodours) (منتصف القرن الأول قبل الميلاد)، ومؤرخين آخرين غيرهم. وبشكل عام فمن المتفق عليه بأنّ أسطورة (شمو - رامات) تتضمن العديد من المكونات من تقاليد مختلفة^(٢). وقد وصفت هذه الملكة في تلك الأساطير والروايات بأنها كانت شخصية بارزة في البناء والتعمير، كما كانت فائقة الجمال والحكمة وذات قابلية عسكرية وإدارية متميزة، كذلك نسبت تلك القصص والأساطير للملكة شمورامات أعمالاً كثيرة منها بناء مدينة بابل وغيرها من المدن وإقامة جنانها المعلقة وبناء السدود ومشاريع الري وفتح بلاد مصر والهند، حتى إنّ إحدى الأساطير الأرمنية نسبت إليها بناء مدينة عظيمة تطل على بحيرة وان في شرقي تركيا الحالية. ومن خلال تلك الروايات والأساطير نجد أنّ الملكة شمورامات قد أصبحت رمزاً وعنواناً لأمجاد حضارة بلاد وادي الرافدين، كما يبدو من هذه الأساطير بأنها لا بد وأن كانت ذات شخصية بارزة في العصر الآشوري الحديث لكي تحتل هذه المكانة عند الكتاب المتأخرين، وهذا ما تؤكدّه المكتشفات الأثرية في مدينة آشور، حيث تم الكشف فيها عن صفين من المسلات التذكارية المدونة بالكتابة المسمارية تخليداً لذكرى شخصيات آشورية مختلفة، وكانت جميع المسلات في الصف الأول خاصة بكبار الموظفين بينما كانت مسلات الصف الثاني خاصة بالملوك باستثناء الثلاثة الأخيرة حيث خصصت الأولى إلى ملكة الملك آشور بانيبال "سيدة القصر"، والثانية لملكة سنحريب (ولكن لقبها مفقود) وأما الثالثة فقد خصصت إلى الملكة شمورامات. حيث يذكر النص الآتي:

"مسلة شمورامات:

ملكة [حرفياً سيدة القصر] شمشي - أد

ملك الجميع، ملك آشور،

والدة أد - نيراري

(1) Teppo. Saana, loc. cit. p35.

(2) Teppo. Saana, Op. cit. p39.

ملك الجميع، ملك آشور،

زوجة ابن شلمانصر

ملك الجهات الأربعة".

ومن خلال ما أشرنا إليه يمكن لنا أن نلمس حقيقة ذكر الملكة شمورامات في هذه المسلة ووجودها بين مسلات ملكية أخرى، بالإضافة إلى وضعها لوحدها لكونها والددة الملك أن هذه الملكة كانت تتمتع بمكانة مميزة وخاصة في عهد ابنها أدد - نيراري - الثالث^(١).

ت - (ليبالي - شرت) (Libbāli-šarrat):

كانت الملكة (ليبالي - شرت) (Libbāli-šarrat) زوجة الملك الآشوري آشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٧ ق.م)، حيث تأتي العديد من النصوص على ذكرها، وخاصةً عندما كانت (libbāli-šarrat) الزوجة الوحيدة لولي العهد آشوربانيبال (خلال عهد والده أسرحدون)، ولدينا رسالة من شقيقة آشور بانيبال الكبرى والتي تحمل الرقم (SAA 16 28)، تكشف وتوضح درجة التوتر بين سيّدات العائلة الملكية حينها.^(٢) ومثال على ذلك، نجد ابنة الملك الآشوري أسرحدون تكتب رسالة تشتكي فيها على كُتبتها (ليبالي - شرت) بأنها لا تكتب إليها. فهي تُذكر المُستلم للرسالة بأنها تتمتع برتبة أعلى من (libbāli-šarrat). كملكة لآشوربانيبال، وكانت (libbāli-šarrat) معروفة من نقش على نُصب في مدينة آشور يحمل صورتها^(٣). وكانت (ليبالي - شارّت) أيضاً المرأة التي من المفترض أنها صُورت مع الملك الآشوري آشوربانيبال على نقش بارز في مدينة نينوى، يحمل مشهد المأدبة المشهورة المذكورة في السلسلة رقم: (PNA 2/II: 661, Ambos)^(٤).

وفي ختام حديثنا عن الملكة الآشورية وبالأستناد إلى ما تمّ عرضه من نصوصٍ ورسائلٍ أنفأ نجد بأن الملكات كانت لديهنّ العديد من الواجبات لإنجازها، بالإضافة إلى إنجاب وريث للعرش. كما أنّ الأملاك والممتلكات الممنوحة للملكات كانت قد أُديرَت غالباً من قبل أتباعهنّ، ولكن يبدو بأن الملكات كانت لديهنّ أيضاً الرأي والقول النهائي في أمورهم المالية الخاصة. على الأقل لا شيء يُشير أو يدلّ على أنّ الملك كان قد تدخل في شؤون وقضايا عمل زوجته^(٥).

(١) سليمان، عامر: "منطقة الموصل في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد"، ص ٩٢.

(٢) Teppo. Saana, Op. cit. p39.

(٣) Streck. Maximilian, "Assurbanibal und die Letzten Assyrischen Könige bis zum Untergange Nineveh", II Teil: Texte, Leipzig 1916, p. 390.

(٤) Read. Julian, "Assyrian Sculpture", Trustees of the British Museum, London, 1983, p.68.

(٥) Teppo. Saana, Op. cit. pp. 39,40.

رابعاً: نساء القصر الملكي الأخريات:

١ - الملكة الأم (أم لوجال) (AMA LUGAL):

لقد تمتعت والدة الملك والتي يطلق عليها اللقب (أم لوجال) (AMA LUGAL) بمنزلة عالية في القصر الملكي، على الرغم من وجود عدة إشارات منحرفة وخاطئة لدى بعض الباحثين حول والدة الملك الآشوري (سنحريب) ومنها:

أنه وبالأحوال العادية لم يكن لوالدة الملك دوراً رسمياً أو بالأحرى لم تضطلع بدور رسمي حينها، حيث عاشت من المحتمل بشكل هادي على حساب أملاكها الخاصة بعيداً عن القصر. على أية حال في الحقيقة نرى أن الصورة الخاطئة تلك هي مغايرة تماماً للواقع، فلدينا أمثلة حقيقية من النصوص والرسائل الآشورية تؤكد المكانة المميزة والدور الكبير الذي لعبته "أم الملك" في البلاط الآشوري آنذاك. فإذا ما احتاج ملك جديد "يافع" مساعدة لترسيخ ولتنشيط شرعيته السياسية، عندها يمكن للملكة الأم أن تصبح شخصية ضرورية داخل القصر الملكي. ومثال على ذلك:

لدينا (شمو - رامات) (Šammu-ramāt)، أم الملك الآشوري أدد - نراري الثالث (أدد - نيراري - الثالث) (Adad-nirari-III) وأيضاً (زاكوتو/ نقيّة) (Naqia/Zakutu) أم الملك أسرحدون (Esarhaddon)، فقد لعبت كلاهما أدواراً بارزة خلال عهدي ولديهما. كذلك نجد أن "أم الملك" (نقيّة) (Naqia) كانت أفضل المعروفين آنذاك بوصفها "كأم للملك"، فالوثائق المؤرخة التي تعود إلى عهد الملك الآشوري أسرحدون تظهر بأنها كانت قد حظيت بنصيب من الجزية والغنائم والهدايا، كما امتلكت ممتلكات أي: "إقطاعات من الأراضي" في أجزاء مختلفة من الدولة الآشورية، إضافة إلى تزويدها بعدد كبير من الموظفين (أي تم وضع تحت تصرفها عدد كبير من الموظفين لخدمتها). كما أنفقت (نقيّة) (Naqia) الكثير من التبرعات على المعابد، وأعطت الهدايا إلى الخدم، ودفعت الضرائب المترتبة على أملاكها الخاصة على شكل "خيول". كما ظهرت صورتها بجانب ابنها الملك على نقش برونزي بارز وتمثيلها كانت قد وضعت أيضاً في بعض المعابد^(١).

كما أن المنزلة والمكانة العالية (لزاكوتو/ نقيّة) تبدو ظاهرة من خلال العديد من الرسائل آنذاك. وعلى سبيل المثال، ففي رسالة موجهة إلى الملك الآشوري (أسرحدون)، حيث يكتب المنجم الرئيسي للقصر مايلي: "بأن الملكة الأم هي قادرة كأدبا الحكيمة". فهو يشبه قدرة الملكة الأم (زاكوتو/ نقيّة) بقدرة الإلهة أدبا الحكيمة^(٢). وفي رسالة أخرى، يجيب المنجم الرئيسي للقصر أو يرد على استفسار الملكة الأم: حيث يقول:

(1) Melville. Sarah, "The Role of Naqia/ Zakutu in Sargonid Politics", op. cit, p.38.

(2) Svård. Saana, "Women, Power, and Heterarchy in the Neo-Assyrian Palaces", Winona Lake, Indiana Eisenbrauns Helsinki, 2012, p. 510.

"هناك ولايات ومدن والتي كانت محكومة، ويعود قرارها لوالدة الملك، (سيدي) فقرارها نهائي كقرار أو كحكم الآلهة التي تصدر عنها". وهنا نجد بأن هذا التملق أو المديح عادةً ما يُخصص للملك فقط. وهذا ربما يوحي إلى المكانة والأهمية التي تمتعت بها الملكة الأم^(١). إضافةً إلى ذلك كان لدى الملكة الأم مساكن وبيوت إقامة بلا شك في مدن آشورية رئيسية أخرى، بالإضافة إلى نينوى. وكانت غنية جداً، ولربما أغنى حتى من الملكة ذاتها. إضافةً إلى ذلك كان تحت تصرفها عدد كبير من الموظفين، وكانت الملكة الأم تقدم تبرعات عديدة للمعابد. كذلك فإنها تبرعت أيضاً بالخيول إلى القصر. ويبدو من الواضح أن بعض من هذه النفقات كانت عبارة عن التزامات أو واجبات ضريبية في حينها.^(٢)

وإذا ما عدنا لوجهة نظر الباحثة (Melville) في تفسيرها للأهمية التي تمتعت بها (زاكوتو/ نقيّة)، وذلك من خلال دورها في خطط ابنها السياسية البعيدة المدى. وهنا اقتباس لما جاء على لسانها:

"فهو تلمح بأن الحرب الأهلية التي اندلعت بعد وفاة الملك الآشوري سنحريب حينها، جعلت خلفه أي ابنه أسرحدون يرغب وحتى يتمنى صعوداً سهلاً لأبنائه. كما ترى بأن رغبة أسرحدون هذه كانت السبب وراء المركز البارز الذي تمتعت به والدته (زاكوتو/ نقيّة) في قصره آنذاك. وأخيراً تدعي بأن الملك أسرحدون رفع من منزلة ومكانة والدته، لكي يكون بإمكانها أن تضمن وتكفل صعوداً ناعماً وسهلاً لكلا ولديه آنذاك وهما: (آشور بانيبال وشمش - شوم - أوكين) (Aššur banipal and šamaš-šumu-ukin)، وكانت الإشارة الأخيرة للملكة الأم (زاكوتو/ نقيّة) تعود إلى بداية عهد الملك الآشوري آشور بانيبال أي (في نهاية سنة ٦٦٩ ق.م). وذلك عندما تم استخدام اسمها الأكدي زاكوتو (Zākūtu)، حيث كانت إلى جانبها عائلة الملك، والطبقة الأرستقراطية، وعامة الشعب من الدولة الآشورية، والذين أقسموا يمين الولاء إلى حفيدها (SAA 2 8)^(٣)".

((وطبقاً لذلك الرأي فإن تلك المرحلة كانت قد شكّلت عندها الذروة أو المهمة الأخيرة لوظيفتها السياسية، ألا وهي إتمامها وإنجازها لخطط ابنها أسرحدون^(٤). بالإضافة إلى كون (زاكوتو/ نقيّة) كانت قبل كل شيء هي "أم"، أي ساعدت ابنها بشكل غير أناني فقد عملت على مساعدة ابنها بالفطرة لإنجاز هدفه)).

غير أن هناك وجهة نظر مختلفة وهي للباحثة: (Ben-Barak)، والتي كان لها رأي ووجهة نظر مختلفة بالكامل عن سابقتها. وهنا نقتبس رأيها في المقطع التالي:

(1) Parpola. Simo, "Letters from Assyrian Scholars to the Kings Esarhaddon and Assurbanibal", Part II, Winona Lake, in. Eisenbrauns 2007, pp. 176-220.

(2) Ibid, pp. 105-112.

(3) Ibid, pp. 37,38.

(4) Melville. Sarah, op. cit. pp.91,92.

"فهي تنظرُ إليها كأمراة كرّست نفسها بصورة رئيسية لمصلحتها الشخصية الخاصة. كما أنها أي (زاكوتو/ نقيّة) قد توصّلت إلى هذه المكانة المميزة من خلال استغلالها لكل فرصةٍ تسنح لها أو تأتي في طريقها، أي (بشكلٍ أناني) بضمن ذلك زوجها وابنها".^(١)

نستنتج مما ذكر آنفاً أنه ليس هناك شكٌ حول الاحترام العظيم والمنزلة العالية المُعطاة لنقيا (Naqia) من قبل ابنها ومسؤوليه. ولكننا نجد أنفسنا أمام السؤال التالي: لماذا أُعطت "أم الملك" تلك المكانة المرموقة والاحترام الكبير من جانب ابنها الملك ومسؤوليه؟

يُمكننا الإجابة على هذا التساؤل بسردِ المثال التالي:

تتبع أهمية "أم الملك" (نقيّة) (Naqia) نتيجةً للمشقة وللجهد المُقدّم من جانبها لتحسين إدعاءات ابنها أَسَرحدون لشرعيته في الحكم آنذاك، ولمُساعدته على فرض النظام في القصر. أي حسب تصورنا فقد كان دور "أم الملك" نقيّة (Naqia) رمزياً، ودليلنا على ذلك هو عدم وجود أدلة تُشير إلى أنها لعبت دوراً نشيطاً في قرارات ابنها الملك، أو أنها تدخلت في السياسة العامة المرسومة للدولة الآشورية. (أي الأحداث السياسية الجرية وقتذاك). ونلاحظ بأنّ كلاً من "نقيّة"، وشمّو - رامات (šammu- Naqia) ramāt، قد حظيتا بالشهرة الأكثر من غيرهما في تاريخ الدولة الآشورية الحديثة. وبناءً عليه فهما وصلتا إلى تلك الأهمية فقط كأمهات للملوك، من خلال ردهما على الأخطار والتهديدات السياسية المُحتملة، والتي ترتّب عليها أنه أصبح من الضروري عندها تأكيد علاقة الأم بابنها. وهو من المهم أن نُشير إلى أنه على الرغم من أن (نقيّة) و (شمّو - رامات) كانتا مشهورتين تحت لقب "الملكة الأم"، غير أنهما لم تحظيا بهذه المنزلة الرفيعة إلا بعد أن أصبح ابنيهما ملوكاً آنذاك. وليس هناك دليل على الإطلاق بأنهما تصرفتا بشكلٍ شخصي أي (أناني) نيابةً عن ابنيهما أو من خلالها أبداً.^(٢) وفي نهاية حديثنا عن "الملكة الأم" نخلص إلى الاستنتاجات التالية وهي:

- إن سُلطة "الملكة الأم" كأمثال: "نقيّة وشمّو - رامات"، لربما برزت آنذاك لمجرد كونها تتبع في علاقتهما مع الرجال أي (الملوك).

- كذلك فإنّ المجالات التي يمكن "الملكة الأم" أن تُثبت نفسها فيها عادةً ما تكون محدودةً ((وهنا لدينا مثال وحيد "لنقيّة" لتزويدنا بالدليل المناسب))، حيث تذكر بعض النصوص النشاطات الجارية غير العلنية "لنقيّة" في القصر الملكي آنذاك مثل:

"مُناشدة العرافين، التماس الطوالع، تكريس المعابد وكتابة رسائل الالتماس، وحتى عندما قامت ببناء القصر بشكلٍ علني لابنها، أو فرض قسم يمين الولاء نيابةً عن حفيدها. نجد بأنّ "نقيّة" كانت حذرةً عندها ليكون دورها مُساند وداعم بدلاً من أن يكون حازماً ومُستبداً.

(1) Ben-Barak. Zafira, op. cit. pp.35-40.

(2) Melville, C. Sarah, "Neo-Assyrian Royal Women and Male Identity: Status as a Social Tool", op. cit. p. 52, 53.

- كما أنها لم تتصرف لمصلحتها الشخصية بشكلٍ انفراديٍّ، حيث لم تبني قصرًا لنفسها أو تحاول جعل الآشوريين يُقسمونَ يمينَ الولاء لها، وإنما عملت على مُساندة ودعم وتأييد ابنها الملك دائمًا.
- وأخيرًا نرى بأنه يصعبُ على امرأةٍ ملكيةٍ ما وخاصةً "الملكة الأم" أن تبقى مُستقلةً ومنعزلةً بشكلٍ كاملٍ عن الرجال^(١).

وفي النهاية فإذا نظرنا إلى ذلك الموضوع من وجهةٍ نظرٍ أخرى تتعلق (بالتسلسل الهرمي للسلطة)، أولاً: نرى بأنَّ الملكة (زاكوتو/ نقيّة) لم تكن دُميّةً في لعبةِ ابنها السياسية، أو أنها أمٌ مُستبدّة، وإنما كانت بالأحرى طرف نشيط في مُناقشةٍ مفيدةٍ مع ابنها بشكلٍ متبادلٍ لعلاقات السلطة آنذاك. وفيما يتعلق بمسألةٍ شرعيةٍ سلطتها، نرى بأنَّ كلاً من الباحثين (Melville) و (Ben-Barak) تتفقان ضمناً بأنَّ الملكة الأم (زاكوتو/ نقيّة) لم يكن لديها شرعيةٌ أي (لا تأخذ شرعيةً سلطتها من ملكها الخاص). كذلك تفترضُ هاتينِ الباحثتينِ على أنَّ الملكة الأم يمكن لها أن تكون شخصيةً قويةً بارزةً عموماً فقط لكون أراد أو طلب الملك منها ذلك، أو بسبب كون الملك كان من السهل أن تؤثر عليه أمّه. وثانياً: كان ممكناً عندها للملك وأمّه أن يُشرعانِ امساكهما بزمam السلطة، فكلاهما كانا قد اكتسبَ مكانةً ومنزلةً من بعضهم البعض^(٢). وخيرُ مثالٍ على ذلك، الرسالة المعروفة جيداً من الملك الآشوري (أسرحدون) إلى والدته (زاكوتو/ نقيّة)، والتي توضح على نحوٍ جيدٍ وجود المُناقشة المُتبادلة لعلاقات السلطة الهرمية. حيث في هذه الرسالة نجد الملك الآشوري أسرحدون يُخبر والدته ذلك:

"فيما يتعلق بالموظف المدعو (أموس) (Amos)، والذي حوله كتبت لي. فقط كما أمرت والدة الملك، وبالطريقة نفسها التي أنا أمرت. إنه بخير في الحقيقة، كما قلتي".^(٣)

٢- بنات الملك: دومو. مي. لوجال (Dumu.Mi.LUGAL) وأخواته: مي. نين. لوجال (Mi.NIN.LUGAL).

تظهرُ بضعةُ إشاراتٍ عابرةٍ إلى بنات الملك وأخواته في النصوص الآشورية، وهذه الإشارات لا تزودنا إلا بمعلوماتٍ قليلةٍ حول الإتفاقيات والمعاهدات التي حددت آنذاك مصيرهنَّ. ومثال على ذلك، قيام الملك الآشوري سرجون الثاني بتزويج ابنته والمدعوة (أخت - أبيش) (Ahat-abiša) لملك مدينة تابال (Tabal) المدعو (أمبريس) (Ambaris)، والغاية من وراء ذلك الزواج كان لضمان ولاء وإخلاص ذلك الملك للآشوريين. كذلك نجد الملك الآشوري أسرحدون (أسرحدون) (Esarhaddon) يطلب المشورة من إله الشمس (أي يستفسر منه) فيما إذا كان ينبغي عليه أن يزوج إحدى بناته إلى (بَرَتاتوا)

(1) Ibid, p.53.

(2) Svärd. Saana, op. cit. p. 511.

(3) Luukko, Mikko and Van Buylaera. Greta, "The Political Correspondence of Esarhaddon", text 2, in SAA 16, Helsinki University press. 2002, pp.15-20.

(Bartātua) زعيم قبائل السكيثيين. وبناءً عليه يُمكننا القول بأن تلك الأميرات كُنَّ قد تزوجن أحياناً لأجل أهداف دبلوماسية ومصالح سياسية تخدم الدولة الآشورية.

وأما بالنسبة لأخوات الملك فتذكر النصوص الآشورية المثال التالي:

فإن شقيقة الملك الآشوري أسرحدون الوحيدة المعروفة باسم (شديتو) (Šadditu)، والتي يبدو من الواضح بأنها لم تشترك في زواج دبلوماسي آنذاك، وذلك لوجود نصين يشهدان على مشاركتها المستمرة بالقصر الملكي:

فالأول: هو عبارة عن رسالة كتبت في أواخر عهد الملك الآشوري أسرحدون تطلب من أحد المنجمين القيام بطقوس نيابة عنها، والثاني يدون أو يسجل شرائها لقطعة من الأرض. كما أن كلاً من بنات الملك وأخواته كُنَّ يتمتعن بالمنزلة العالية للمشاركة في الصفقات التجارية، كما يشير إلى ذلك أحد الألواح المهشمة بشدة والذي ربما كان عبارة عن قطعة أرض ممنوحة إلى ابنة الملك الآشوري (أدد - نراري - الثالث).^(١)

ويبدو أن مصير الأميرة المدعوة (شيرو - إيطيرت) (Šerua-eṭirat) ابنة الملك الآشوري أسرحدون، يبقى مجهولاً على الرغم من أنها كانت لا تزال تعيش بالقصر بين عامي (٦٧٢-٦٦٩ ق.م) عندما كتبت إلى كينتها (لييالي - شرت) (Libāli-šarrat) زوجة أخيها ولي العهد، آشور بانيبال. حيث إن (شيرو - إيطيرت) (Šerua-eṭirat) لم تتجاوز بالمنزلة والمرتبة كينتها فقط، وإنما حملت المرتبة الثالثة على ما يبدو أيضاً بين الأطفال الملكيين، من ضمن ذلك الذكور أيضاً، حيث يشير النص رقم (SAA 56) X III إلى أنها أدرجت بعد ولي العهد آنذاك آشور بانيبال وشمش - شوم - أوكين (šamaš-šum-ukin, Ashurbanipal) وقبل الأميران المدعوان:

(Aššur-eṭtel-šame-mubališšu, Aššur-mukin-paleya)، حيث يظهر هذا النص تصنيف المراتب لمكانة هؤلاء الأمراء، كما أنه يُدرج فقط أطفال قرينة الملك أسرحدون المدعوة (إشتر - خمت) (Ešarra-ḫamat)، ولكن نجد في الحقيقة أنه لم يتم تسمية جميع أبناء الملك أسرحدون من بقية زوجاته الأخريات ليكونوا خلفاء لوالدهم. ولربما كان هؤلاء الأبناء الثلاثة لأسرحدون قد تجاوزوا بالرتبة والمنزلة أطفالاً ملكيين آخرين، ومن المحتمل أمهاتهم أيضاً^(٢). وعلى الرغم من عدم وجود دليل معاصر للدور الذي لعبته (شيرو - إيطيرت) (Šerua-eṭirat) في قصر أخيها آشور بانيبال، إلا أننا نجد في نص آرامي متأخر يتضمن أحداثاً عن التمرد الذي قام به:

(1) Melville, C. Sarah, "Neo-Assyrian Royal Women and Male Identity: Status as a Social Tool", op. cit. p. 42.

(2) Papola. S. "Letters from Assyrian Scholars", pp. 117,118.

(šamaš-šum-ukin) ضد أخيه الملك آشور بانيبال، حيث يُعطي هذا النص دوراً مركزياً لشقيقة الملك (شيرو - إيطيرت) (Šerua-eṭirat) في المفاوضات الدبلوماسية التي حدثت مباشرة قبل انتشار واندلاع العداوات بين الأخوين^(١).

وفي نهاية حديثنا عن الأميرات الآشوريات نجد بأن قلة المعلومات العامة عنهن يشير إلى أن معظمهن لم يبقين مرتبطات بالقصر على الأغلب، وإنما كن قد تزوجن من المحتمل إما لمسؤول كبير في الدولة الآشورية نفسها أو إلى ملوك أجانب. ولذلك فمن الطبيعي أن يتوقف ظهورهن في نصوص القصر الأرشيفية^(٢).

٣- محظيات الملك (الزوجات الثانويات) (مي. إريم. إ. جال) (Mì.ERIM.É.GAL).

إن النساء اللواتي حملن اللقب (مي - إريم - إ. جال) (Mì.ERIM.É.GAL) (المحظية) أي: (الزوجة الثانوية) كن قد شكلن من حيث المنزلة والمرتبة حينها المستوى الأدنى أو الأقل للنساء الملكيات. ويظهر هذا اللقب بشكل نادر نسبياً في السجلات الآشورية الحديثة، ولكن بما لا يدعو للشك فهو يشير إلى النساء اللواتي كن جزءاً من عائلة الملك. يعني تلك النسوة الثانويات اللواتي ارتبطن بشخص الملك وتم تحديدهن بدقة بالغة كمحظيات^(٣). حيث أقمن في الأقسام الخاصة بنساء القصر الملكي، كما أن هذا الصنف من المحظيات كن مكرسات للملك كزوجات غير شرعيات يتم اتخاذهن في حالات نادرة كأن تكون الزوجة الشرعية غير قادرة على الإنجاب أو لأسباب أخرى غير معروفة، وقد يتخذهن الملك كزوجات ثانويات مُعترف بهن من قبل الملك نفسه، لأن الملك كان يفضلها على باقي نساء القصر بسبب نومها مع الملك يومياً في مخدعه الخاص، وأن هذه المرأة تحظى بمنزلة أعلى من بقية النساء الأخريات، فعلى سبيل المثال ورد اللقب (مي. إ. جال) (Mì.É.GAL) على نقش جنائزي وجد على قبر الملكة (يابا) زوجة الملك الآشوري (تجلات بلاصر الثالث) (٧٤٤-٧٢٧ ق.م)، وهذا اللقب يشير بشكل واضح إلى أن هذه المرأة كانت من المفضلات لدى الملك وذلك لورود اللقب (نرنتي مان) (narante MAN) والذي يعني حرفياً:

(المفضلة لدى الملك). وأكدت النصوص المسمارية أن بعض المحظيات كان لهن الحق بالاشتراك في بعض الصفقات التجارية من الناحية القانونية كما نراه واضحاً في أحد النصوص (SAA vi 91)، الذي يصف عملية شراء سبعة وعشرين شخصاً تعود ملكيتهم إلى أحد الأشخاص المعيين المكلفين من قبل إحدى المحظيات (Mì.ERIM.É.GAL) عندها. وهذا دليل على أن بعض

(1) Steiner. R. C. and Nims. C. F. "Ashur banipal and Shamash-shum-ukin: Atale of Two Brothers from the Aramaic Text in Demonic Script", part I, in Revue Biblique 92, (1985), pp. 60-81.

(2) Melville, C. Sarah, "Neo-Assyrian Royal Women and Male Identity: Status as a Social Tool", op. cit. p. 43.

(3) Ibid, p. 40.

المحظيات تمتعت بدرجة اقتصادية مستقلة، مع العلم أن مصدر ثرواتهم كانت من العائلة الملكية أو من عطايا الملك، وقد يعلو شأن تلك المحظيات عندما تُتجب الأطفال لذلك تنتقل من مرتبة إلى أخرى أو تتأثر منزلتهن سلباً وفقاً لأفعالهن، وقد تمتلك هذه المحظيات العديد من المصنوعات الذهبية، أو مواد أخرى تم العثور عليها في قبورهن.^(١) ويندرج تحت مصطلح (المحظية) (Mi.ERIM.É.GAL)، النساء المعمارّات اللواتي أقمّن مع أحد الملوك السابقين، النساء اللواتي كنّ قد ارتبطن بعلاقات قرابة مع الملك أي اللواتي بقين بدون حماية رجل آخر لهن: ((عمّات، خالات، أو شقيقات أي (الآرامل)). على سبيل المثال، نساء من عائلة ملك مهزوم، والنساء اللواتي ينتمين إلى حاشية بعض الأميرات الأجنبية اللواتي أرسلن إلى الدولة الآشورية للزواج الدبلوماسي، الرهائن الأجانب ورفاقهن، إضافة إلى النساء الآشوريات اللواتي أرسلن للعيش في القصر من قبل عوائلهم آملين عندها بالحصول على بعض المكاسب والترقية.^(٢)

خامساً: منصب ولاية العهد:

١ - لقب ولي العهد (مار - شري) (mār-šarri):

يرد في النصوص الآشورية المصطلح (مار - شري) (mār-šarri) وهو يُشير إلى ولي العهد، على الرغم من اختلاف الباحثين حول معناه، إلا أن التعريف المقبول بشكل عام لهذا المصطلح هو أنه قد يُشير إما إلى (واحد من أبناء الملك)، أو بشكل خاص إلى (ولي العهد). ونتيجة لذلك فعندما يرد هذا المصطلح لوحده فقط فهو يُشير إلى ولي العهد، ولكن عندما يرافق هذا المصطلح اسم شخصي فإنه يمكن أن يشير إلى ابن الملك. وفي الآونة الأخيرة نجد بعض الباحثين ومنهم (باريولا وكواسمان) (Kwasman, Parpola) فضلاً لقب (ولي العهد) كمعنى مناسب للمصطلح (mār-šarri).^(٣)

٢ - طريقة اختيار ولي العهد:

كانت الملكية في بلاد الرافدين وراثية كما أسلفنا سابقاً، حيث يخلف الملك أحد أولاده وخاصةً البكر، وقد يخلف الملك الحاكم أخاه. ولأسباب قد لا يُعين الملك ولده البكر، أو أن يُغيّر رأيه خلال حياته.^(٤) كذلك نجد أن الدولة الآشورية الحديثة قد حذت حذو الممالك والدويلات التي سبقتها في بلاد الرافدين في ذلك أيضاً، فكانت وراثية العرش الآشوري تتم بالتسمية، فالولد البكر ليس من الضروري أن

(١) عبد المالك، منذر علي: "نساء القصر الآشوري"، ص ٥٥، ٥٦.

(٢) Melville, C. Sarah, "Neo-Assyrian Royal Women and Male Identity: Status as a Social Tool", op. cit. p. 40.

(٣) الفتلاوي، أحمد حبيب سنيد: "مشكلة ولاية العهد في عهدي الملكين سنحاريب وأسرحدون (٧٠٤-٦٦٩ ق.م)"، مجلة بابل للدراسات الإنسانية، مج (٥)، العدد: (١)، جامعة بابل ٢٠١٥م، ص ٢٣٢، ٢٣٣.

(٤) الأحمد، سامي سعيد: "الإدارة ونظام الحكم"، ص ١٨.

يُصبح عندها ملكاً، ومثال على ذلك أن الملك الآشوري (سنحريب) كان قد عين ابنه البكر خليفة له ثم عدل عن رأيه السابق، ونصب ابنه الأصغر (أسرحدون) بدلاً منه^(١). وأما في مسألة اختيار ولي العهد فعادةً ما يستشير الملك الآلهة، ويستحصل على موافقتها عن طريق الكهنة (وهذا يعني في الواقع قرار الكهنة وقبولهم لولي العهد المختار). وقد تُبين الآلهة رغبتها في شخص ولي العهد بالأحلام، أو الفؤول، أو بعلامات سماوية أو أرضية، يُفسرها الكهنة آنذاك^(٢). وكما مر معنا سابقاً أن الاعتقاد السائد لدى سكان بلاد الرافدين آنذاك في أن الملك يستمد سلطته من الاختيار الإلهي، وهذا ما تؤكدُه النصوص الملكية الآشورية، وبصورة خاصة النصوص الخاصة بولاية العهد. ويلاحظ أن الملوك الآشوريين من السلالة السرجونية حاولوا تجنب المشكلات والفتن عند نقل ولاية العهد إلى أبنائهم، وذلك بأن وضعوا الترتيبات اللازمة لذلك سلفاً، فكان الملك يستفسر من الآلهة عن رغبتها في اختيار أحد أبنائه خليفة له بالطرق المعتادة لديهم ومن خلال الكهنة، وليس من الضروري أن يكون الابن البكر. وبالرغم من قسم الأخوة الآخرين باسم الإله عند تعيين أحد الأخوة ولياً للعهد وإعلان تأييدهم له، إلا أن هذا لم يمنع بعضهم من المعارضة بعد وفاة الأب. حيث يوضح الملك الآشوري (أسرحدون) في نقش له لنا بالتفصيل مجريات الأحداث التي رافقت توليه العرش قائلاً:

"لقد كنت أصغر اخوتي البالغين إلا أن أبي الذي أنجبني (رفع) اسمي بين اخوتي بأمر من الآلهة، آشور، شمش، مردوخ، نابو، وعشتار نينوى، وعشتار أربيل قائلاً "هذا هو خليفتي" واستفسر من الآلهة شمش وأدد عن طريق الفأل، وأجابوه مؤكدين: "إنه هو الذي يجب أن يخلفك". وبهذه المناسبة المهمة والكريمة دعوت الآشوريين كبيراً وصغيراً، فضلاً عن اخوتي الذين ولدوا في بيت الأبوة وأمام الآلهة وآشور وسين، وشمس ونابو ومردوخ والآلهة الآشورية، وآلهة السماء والأرض، جعلتهم يقسمون وليحترموا أولويتي (منزلتي الأولى)، وفي يوم جميل من شهر نيسان وطبقاً للإرادة الإلهية دخلت إلى بيت (قصر) ولاية العهد (bit redûti)".^(٣)

٣- قصر ولي العهد (بيت ريدوتي) (bit- redûti):

وتتم مراسم اختيار ولي العهد بأن يقيم الملك احتفالاً كبيراً يدعو إليه كبار رجال الدولة والقادة العسكريين والأمراء والنبلاء وحتى بعض العوام من أبناء الشعب، ثم يعلن بصفة شكلية بأن هذا الأمير هو وريثه، ويُقسم الجميع بأنهم سيقبلون به، ووسط مشاهد الحماسة يدخل الوريث المرتقب، حيث يُقسم الحاضرون "يمين الولاء له". وبعد أن يُعلن عن اختيار ولي العهد، في احتفال كبير يحضره عادةً

(١) ساكز، هاري: "عظمة آشور"، ترجمة: خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو، دار رسلان للطباعة والنشر،

دمشق ٢٠١١م، ص ١٤١.

(٢) الأحمد، سامي سعيد: "الإدارة ونظام الحكم"، ص ١٨.

(٣) الجبوري، علي ياسين: "نظام الحكم"، ص ٢٣٢، ٢٣٣.

كبار القادة والحكام والأمراء كما ذكرنا آنفاً، يتم منح خلالها الأمير المعين الاسم الملكي المخصص له مع تقليده الشارات التي ترمز إلى سلطة الآلهة، وكدليل على قدسية هذا التعيين فإن هذه الاحتفالات كانت تُقام في مدينة آشور على اعتبارها المدينة المقدسة للدولة الآشورية كونها مركزاً لعبادة الإله آشور.^(١) وبعد ذلك يتم إرسال ولي العهد عندها إلى قصر ولاية العهد والذي يُدعى (بيت ريدوتي) (bit-ridûti) أي:

"قصر الخلافة" وهو يقع على نهر الفرات في مكان (شريف خان حالياً) بالقرب من نينوى، وفي هذا القصر كان يتم إعداد ولي العهد لمهامه الملكية المستقبلية^(٢). حيث يتلقى التدريب والتثقيف اللازمين من قبل عددٍ من العلماء والكتاب والقادة العسكريين لإعداده لأن يكون ملكاً. ويشير الملك الآشوري آشوربانيبال (٦٦٨-٦٣١ ق.م) إلى التدريبات التي تلقاها في قصر الخلافة سواء كانت عسكرية أم تعليمية عندما تم اختياره لولاية العهد وذلك على النحو الآتي:

"لقد اكتسبت وأتقنت فن آدابا، وعرفت كنوز المعارف المكتوبة المخفية، وتعلمت رموز السماء والأرض.... ودرست علوم السماء مع علماء متخصصين وتمكنت من حل المسائل المعقدة في القسمة والضرب والتي لم تكن واضحة، وقرأت النصوص الفنية لسومر وأكد، والتي كان من الصعب معرفتها، وكنت سعيداً وأنا أقرأ ما كتب على الأحجار من قبل الفيضان....".

ثم يقوم بوصف ما يعمل في كل يوم ومنها أنه يذهب للصيد، ويحمل القوس والسهم، ويضرب بالرماح القوية، ويركب العربات الحربية. ويتعلم فن اللياقة الملكية^(٣).

٤ - موظفو ولي العهد:

كان هناك عدداً من الموظفين الملحقين بقصر ولي العهد آنذاك ومنهم على سبيل المثال: موظف أمين الصندوق أو الخزانة والذي يُدعى (ماسينو) (māsennu)، بالإضافة إلى موظفي (شا - قوربوتي) (šā - qurbūti) أي (المساعدون)^(٤)، وأيضاً الخدم العاديين الذين يُطلق عليهم لقب (أردو) (urdû)، حيث كانوا جميعهم تحت سلطة ولي العهد. وقد تم تعيينهم بشكل واضح كأتباع له، كما كانت نشاطاتهم وأعمالهم مقيدةً بالنطاق الخارجي لقصر ولي العهد. فأمين الخزانة لولي العهد كان

(١) Frankfort, H, "Kingship and the Gods", Chicago 1948, p.246.

(٢) سليم، أحمد أمين: "دراسات في تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم"، ج٦، (حضارة العراق القديم)، ص ٢٠١.

(٣) سليم، أحمد أمين: المرجع السابق، ص ٢٠٢.

(٤) يصف أحد الباحثين هذا الموظف أي (شا - قوربوتي) (šā - qurbūti)، كممثل أو كندوب ملكي من الدرجة الأولى أنظر:

Postgate. J. N, "The invisible hierarchy: Assyrian Military and Civilian administration in the 8th and 7th centuries B.c", in the land of Assur and the Yoke of Assur, Studies on Assyria 1971-2005, Oxford: Oxbow Books, 2007, pp341ff.

آنذاك يُديرُ أملاكاً حقيقيةً له^(١)، كما كان موظفو (šā-qurbūti) لولي العهد يختصون غالباً بقضايا الأسرى والشؤون ذات الصبغة العسكرية الأخرى. كذلك هناك الموظف المدعو بلقب (سوساني - شايبي) (sūsāni šā-šēpē) أي (سائس خيول حرس ولي العهد)، والمُشار إليه في رسالة ولي العهد آنذاك سنحريب إلى والده أثناء وجوده في خدمته (حيث كانت تلك الرسالة تتعلق بالجيش) في النص رقم (SAA 1 37 r.7-8). وقبل القرن السابع قبل الميلاد كان هناك عددٌ غير محددٍ من الخدم لولي العهد يظهرون كشهودٍ تارةً، وربما في مُذكرةٍ إداريةٍ قصيرةٍ من عهد الملك الآشوري (أدد - نراري - الثالث) تارةً أخرى.^(٢) ومن نفس عهد ذلك الملك هناك جزء من قطعة أرضٍ ممنوحةٍ تُشير إلى:

"رجال حقول ولي العهد" المدعون باللقب:

(أميلي - شا - بيت - مار - شري) (amēlē šā bēt mār šarri) في بند العقوبة في النص: (SAA 12 9 r.3)^(٣)، وهذا يمكن أن يُشير بشكل خاص إلى تبعيتهم لولي العهد. وهناك المُلقب بلقب (بيل - نئيدي) (Bēl-na'di)، والذي كان عندها بمثابة أمين صندوق آخر لولي العهد، حيث يعمل كشاهد للخصي (أطر - إلي) (Aṭar-ili) وهو خصي ولي العهد لبابل في النص رقم: (SAA 6 287 r.11, 670 B.C)، وهناك الموظف (شا بان - إكلي) (šā-pān-ekalli) أي "مشرف القصر" والذي تم الاستشهاد به تحت إمرة ولي العهد في أواخر عهد الملك الآشوري أسرحدون. وطبقاً للرسالة البابلية رقم (SAA 18 109) فقد يكون عمل "مشرف قصر" ولي العهد المذكور، مُشابهً لنظيره في قصر والده الرئيسي أي (الملك) (SAA 13 80)، والذي كان يتم عن طريقه الدخول والوصول إلى قصر ولي العهد.

كذلك نجد أيضاً الموظف الذي يحمل اللقب التالي: (šā-muḥḥi-bēt-rēdūti) (شا - موخي - بيت - ريدوتي) ويعني: (مراقب دار ولي العهد)، والذي يُستشهد به في مسألة إقراض الفضة إلى المدعو: (Aššur-mudammiq) (آشور - موداميق) في عهد الملك الآشوري آشور باننيال. النص رقم (StAT 2132:3-4, 645b.c). وهناك وظيفة مشابهة (لمراقب دار ولي العهد) وكانت تُدعى باللقب التالي: (šil-Bēl-dalli, a-muḥḥi-bēti ša mār šarri) (شا - موخي - بيت - شا - مار - شري)،

(١) يرى الباحث (يوستغيت) أن مسؤول الخزانة (ماسينو) (Māsennu) كان قد أدار حينها أملاك كلاً من الملك، وولي العهد، والملكة الأم. أنظر:

Postgate. J. N, "Taxation and Conscription in the Assyrian Empire", Studia Poh 1: Series maior 3, Biblical Institute press, Rome, 1974, pp. 104, 109.

(2) Gro ß. Melanie, "Innovation and Tradition in the sphere of Neo-Assyrian Officialdom", version 1, University of Vienna, April 2012, pp.3,4.

(3) Kataja. L, and Whiting. R, "Grants, Decrees and Gifts of the Neo- Assyrian period. State Archives of Assyria 12. Helsinki University press, Helsinki, 1995, p.13.

صيل - بيل - دلي)، حيث يُستشهد به كثيراً كشاهد للخصي المدعو (Šamaš-šarru-ušur) (شمش شرو - أصر) بالفترة بين عامي (٦٦٠-٦٣١ ق.م).^(١)

إضافةً إلى أولئك الموظفين المذكورين هناك أيضاً العديد من الموظفين الذين كانوا أقل مستوى منهم وهم:

(الطباخ الرئيسي) المُلقب (بَرَب - نوخاتيمني) (rab nuhātinni) و(الهلواني الرئيسي) المُلقب (بَرَب - كركاديني) (rab karkādinni)، وهما يشكلان سمةً مميزةً تقريباً وبشكلٍ خاصٍ ضمن عوائل الملك وأقربائه المُقرَّبون حينها، وبضمن ذلك ولي العهد^(٢). حيث نجد الطباخ الرئيسي لولي العهد يظهر كشاهد في وثيقة قانونية مكسورة. (SAA 14 307 r.5)، بينما الحلواني الرئيسي هو مدرج في سجل إداري (SAA 7 4r.ii 4) يعود تأريخه إلى عهد الملك الآشوري آشور بانيبال، وهو أحد الرجال الذين أُشيرَ إليهم باللقب: ((المجموعة التي شملت تسع وأربعين من الأقطاب الكبار لولي العهد)) في النص رقم: (r.ii 6: Lú.GAL-GAL.MEš Dumu-Lu GAL)، والذين كانوا على ما يبدو قد خُصصوا في حينها لولي العهد فقط. بينما في لوح مكسور، نجد خمسة فقط من الموظفين من أصل أولئك الموظفين كانوا عندها مذكورين وهم:

الهلواني الرئيسي، مدير الأدوات (رَب طيلي) (rab tili)، ومسؤول الشحن أو المُكَلَّف بالضريبة (رَب - بَتقي) (rab batqi)، ورئيس الحسابات (رَب - نيكاسي) (rab nikkāssi)، وأخيراً المراقب (شا - موخي) (...)(...)(ša-muḫḫi-)، والذي تم الاستشهاد به في السلسلة (SAA 7 3r.i 13) (باسمه الشخصي). كذلك نجد أنَّ رئيس الحسابات لولي العهد هو أيضاً ذُكر في قائمة موظفي القصر (SAA 7 5r.i 47)، ومن خلال مجموع الشهادات عن هؤلاء الموظفين، نستطيع أن نحكم بأنهم كانوا مسؤولين عن صيانة وتنظيم قضايا الطعام والشراب بشكلٍ خاصٍ. فالطباخ الرئيسي ينشغل بتجهيز وتزويد اللحوم (فيما يتعلق بنذور أو قرابين المعبد) حيث نجده في النص رقم:

(SAA 11 90, SAA 12 77)، والهلواني الرئيسي كان قد ارتبط بالثمار والفواكه في النص.

(SAA 11 36, SAA 12 77)، وعلى الرغم من أنَّ هذه النصوص لم تُسلط الضوء بما فيه الكفاية على واجبات هؤلاء الموظفين التابعين لقصر ولي العهد، إلا أنه يبدو لنا معقولاً الافتراض بأنهم أنجزوا مهامً مشابهةً لنظرائهم الموجودين في القصر الملكي الرئيسي^(٣). وهكذا لربما نجد في عهد الملك الآشوري أسرحدون أو آشور بانيبال أنَّ قصرَ ولي العهد كان مُكتفياً ذاتياً (أي لديه اكتفاء ذاتي) في احتياط المواد الغذائية للعائلة نفسها، ولبعض نذور وقرابين معينة للمعبد. أيضاً هناك المسؤولون عن

(1) Groß. Melanie, loc. cit. pp. 4,5.

(٢) إنَّ الطباخ الرئيسي لمعبد عشتار (Ištar) تم ذكره أيضاً في النص: (StAT 2 102 r.3) أنظر:

Menzel. B, "Assyrische Tempel I", Studia poh 1: Series Maior 10, Editrice Pontificio Istituto Biblico, Rome 1981, p. 240.

(3) Groß. Melanie, op. cit. pp. 6.

إغلاق البوابات (حراس الأبواب)، والذين تم الاستشهاد بهم أولاً لولي العهد في عهد الملك الآشوري أسرحدون في النص:

(SAA 6 299r.7-8)، وكانوا عندها يُديرون أقفال (البوابات) في عهد الملك الآشوري آشوربانيبال.^(١) وهكذا فإن المدعو (طور - دل) (tur-dala) (سيد قفل ولي العهد) الذي يحمل اللقب التالي: (رب سيكاتي شا مار شري) (rab sikkāti ša mār šarri) نجده يشهد على صفقة قانونية للخصي المدعو: (شمش - شرو - أصر) (Šamaš-šarru-ušur) في الرسالة رقم (ND 3426 r.35)^(٢) ومن الملاحظ أن وظيفة (سيد القفل) لا تظهر قبل عهد الملك الآشوري آشوربانيبال. وهكذا فإن هذا الموظف تم إدخاله مؤخراً إلى عائلة ولي العهد حينها فقط، ولكن إلى عائلة الملك الخاصة في ذلك الوقت أيضاً. حيث لم يتم الاستشهاد به بارتباطه مع عوائل أخرى غير عائلة ولي العهد. إضافة إلى هؤلاء الموظفين الملحقين بقصر ولي العهد، هناك مجموعة من العمال المتخصصين أي (الحرفيين) أيضاً، الذين تم الاستشهاد بهم في إدارة قصر ولي العهد. ومن ضمن هؤلاء نجد عدداً منهم قد تم اختياره بشكل واضح من خلال صلة القرية التي تربطه بعائلة ولي العهد.^(٣) حيث تذكر النصوص والرسائل عدداً من هؤلاء الموظفين و(فيما يلي ألقابهم مع الإشارة إلى أرقام نصوصهم):

أ - (صانع الخمر) (سير آ شو شا - بيت مار شري):

(sir ā š u šā bēt mār šarri, StAT 1 23: 9 = StAT 2 243)

ب - (البناء الماهر الرئيسي) (إتينو شا - بيت مار شري):

(etinnu ša bēt mār šarri, SAA 14 1 66r.8, 62 1b.c).

ت - (النجار) (نجارو شا بيت مار شري):

(naggāru ša bēt mār šarri, StAT 1 23:5).

كذلك لدينا موظفون آخرون ومنهم:

ث - (الرعاة) (ريئو):

(rē ' u, SAA 14 415 r. 10).

ح - (المزارع) (إكارو):

(ikkāru, SAAB 5 51r, 35, 620 b.c).^(٤)

ج - (الحارث أو الفلاح) (قاتينو):

(StAT 1 22 r.23, = StAT 2 244, qātinnu).

(1) Ibid, pp. 6,7.

(2) Wismen. D. J, "The Nimrud Tablets", in Iraq 15/2: London 1953, p.141, p1. Xii.

(3) Groß. Melanie, op. cit. p.7.

(4) Fales. F. M, and Jakob-Rast. L, "Neo-Assyrian Texts from Assur", private Archives in the Vorderasiatisches Museum of Berlin 1, state Archives of Assyria Bulletin 5/1-2, Berlin 1991, p.108.

وبالنسبة لكلٍ من (الفلاح)، و(المزارع)، و(الراعي) فكانت نشاطاتهم تبرزُ عندها بشكلٍ واضحٍ خارج سكن بيت ولي العهد، وأمّا صانع الخمر و(الطباخ) فيمكن اعتبارهما من بين الموظفين المحليين لولي العهد. كما أنّ الطابع السائد المُميّز لهؤلاء الموظفين ظهورهم في الوثائق القانونية إمّا كشهود في القضايا القانونية، أو كمالكي بيوتٍ وأراضٍ. ومثال على ذلك: لدينا الموظفان (صانع الخمر)، و(النجار) في الوثيقة القانونية رقم (StAT 1,23)، حيثُ يظهر صانع الخمر كمشتري لبيتٍ، والنجار كمالكٍ للبيت المجاور له طبقاً للوثيقة، بالإضافة إلى (مراقب القبور الملكية) الذي أدرج كمالكٍ لبيتٍ مجاورٍ آخر، إنّ هذه البيوت موضع السؤال، كان قد تم تحديد مكانها في مدينة آشور كما تدل على ذلك الوثيقة القانونية رقم (StAt 2 258:6). كذلك يبدو من الواضح أنّ ولي العهد حينها كان يملك بيتاً في مدينة آشور في عهد الملك الآشوري (أسرحدون) كما يذكر النص رقم: (SAA 14 59:7, 675 B.C)^(١). وهذا قد يُفسر لماذا كان هؤلاء الموظفون المتخصصون (الحرفيون) ملحقين أو تابعين لمقر إقامة ولي العهد في مدينة آشور (وليس في نينوى، حيث يقع مقر إقامة ولي العهد الرئيسي في ذلك الوقت؟)^(٢).

خ- كاتب ولي العهد:

تذكر النصوص والرسائل الآشورية كاتب ولي العهد في الوثائق القانونية غالباً كشاهد وذلك في السلسلة رقم: (SAA 6 57 r. 1, 86 r. 8,328 r.6)، كذلك أيضاً كشريك في دين الفضة في النص: (StAT 3 84:6,641 b.c)، وفي حالة الكاتب الآرامي كبائعٍ مشتركٍ في النص: (SAA 14 205 r.13). ويبدو من المرجح أنّ كُتّاب ولي العهد لربما كانوا قد قاموا (بعمل السكرتارية اليوم)، إلا أنهم كانوا مرتبطين أيضاً بالكُتّاب العلميين، ومن خلال تلك النصوص والرسائل الآشورية نستنتج بأنّه كان لدى أولياء العهد آنذاك كُتّاباً تحت تصرفهم. حيث أُعطي كلاً من وليّ العهد حينها وهما (شلمانصر الخامس) و(سنحريب) كُتّاباً، وقاما بإرسال رسائلهما إلى آبائهما أي لكلٍ من الملك الآشوري (تجلات بلاصر الثالث) و(سرجون الثاني) على التوالي.^(٣)

هـ - التدريب والمهام التي يُكَلَّفُ بها ولي العهد ومدى صلاحياته:

يبدو لنا جلياً أنّ عملية إرسال ولي العهد إلى قصر ولاية العهد، كان الهدف منها حينها تدريبه على تعلّم وممارسة شؤون الحياة المختلفة، أي الثقافية والسياسية والعسكرية، حيث كان ينوب ولي العهد عن والده الملك في إدارة بعض أمور الدولة إلى أن يحين له تسلم السلطة وارتقاء العرش، وكذلك قيادة بعض الحملات العسكرية والإشراف على بعض الأعياد الدينية، وبناءً عليه نجد بأنّ الصفة السياسية لولي العهد جعلته في المرتبة الثانية بالنسبة للهرم الإداري للدولة، لأنه يلي منصب الملك مباشرةً، وهذا بطبيعة الحال ينسحب على المقر الرسمي الذي يتخذهُ ولي العهد لممارسة سلطته

(1) Groß. Melanie, op. cit. pp.7,8.

(2) Ibid, p. 7,8.

(3) Ibid, p. 8.

الإدارية من حيث الفخامة والخدمات القائمة عليه، والموظفين والمشرفين والحاشية والصُّناع وبقية مسؤولي المرافق الأخرى^(١). هذا إلى جانب ما يتمتع به ولي العهد من امتيازات خاصة لم تُمنح لغيره من رجال الدولة حينها، كالحضور في حضرة الملك في أي وقت يشاء بالإضافة إلى حضور المآدب التي يُقيمها الملك في قصره. بالإضافة إلى اطلاعه على شؤون تصريف أمور الحكم لكي يتسنى له معرفة مجريات الأحداث والقضايا التي تحدث في أرجاء الدولة. وهكذا نجد بأن الإعداد والتدريب المسبق لولي العهد في قصره المخصص له هو بدون شك نابع من اهتمام الملوك الآشوريين بتربية أبنائهم وتهيئتهم لتولي رئاسة الدولة مستقبلاً^(٢). ولدينا هنا أحد الأمثلة التي توضح ما سبقت الإشارة إليه، وهو قيام آشور بانبيال بالنيابة عن والده وهو لا يزال حينها ولياً للعهد في الكثير من الأمور، فكُلّف حينها بمهام رسمية، وأشرف على أعياد دينية، فمثلاً يقول الملك الآشوري آشور بانبيال عن نفسه مايلي:

"أنا آشور بانبيال الذي تعلّم الحكمة من نابو وكافة فنون الكتابة، كما مارسها جميع النساخين (الكتّاب) تعلّمت الرماية بالفؤوس وركب الخيول والعربات"^(٣).

وبعد انتهاء فترة التدريب كان يُكَلّف ولي العهد عادةً ببعض الأعمال والنشاطات نيابةً عن والده. ولقد أمدّتنا الرسائل الآشورية بمعلومات مفصّلة عن الدور الذي لعبه الملك الآشوري (سنحريب) عندما كان ولياً للعهد في منطقة الأناضول (أورارتو) (Urartu) حيث لدينا حالياً ثلاث رسائل مُرسلة منه إلى والده سرجون. وكل رسالة من هذه الرسائل عبارة عن تقرير مُفصّل يتضمن مجموعة من المعلومات كان قد أرسلها له موظفون آخرون، وهذه المعلومات تخص الاستخبارات العسكرية الآشورية في بلاد الأناضول وما جاورها. ويتضح من دراسة هذه التقارير أنه يمكن القول بأن الملك الآشوري سنحريب كان يرأس مركزاً لجمع الأخبار العسكرية الخاصة بالتحشّات المعادية وتحركات الجيوش، وطبوغرافية المنطقة والمناخ، فضلاً عن نتائج المعارك السابقة، والتحقّق من صحتها إن كانت سلباً أو إيجاباً من وجهة النظر الآشورية طبعاً. حيث مثل هذه المعلومات الهامة، كانت تفيد الملك الآشوري حينها لرسم الخطط المناسبة، واتّباع أفضل الطرق واختيار الإجراءات الصحيحة عندما تكون لديه دراية كافية لدرء مثل هذه الأخطار والتحديات. كذلك فإن وجود ولي العهد في المناطق الحدودية للدولة الآشورية على جبهات القتال كان لا يخلو من المخاطرة إلى درجة كبيرة، ومع ذلك فقد حرص الملوك الآشوريين إلى إرسال أولادهم لممارسة مثل هذه المهمّات الصعبة، وذلك في سبيل أن تكون لدى ولي العهد صورةً كاملةً عن مجريات الأحداث في مواقعها، والاطلاع على تحركات الأعداء والأحلاف التي تُعقد فيما بينهم، وهذا بالتأكيد سيزيد الخبرة والكفاءة والدراية السياسية والعسكرية لدى ولي العهد آنذاك.^(٤)

(١) Frankfort, H, op.cit, p.244.

(٢) ساكز، هاري: "عظمة بابل"، ص ١٥٠.

(٣) سليم، أحمد أمين: "دراسات في تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم"، ج ٦، (حضارة العراق القديم)، ص ٢٠٢.

(٤) الجبوري، علي ياسين: "نظام الحكم"، ص ٢٣٣.

وفي النهاية يتبين لنا ممّا سبق أنّ مسألة ولاية العهد كانت من المسائل المهمة التي أولاهها الملوك الآشوريون اهتماماً واضحاً في العصر الآشوري الحديث، وذلك من خلال الحرص على اختيار ولي العهد أثناء حياتهم، منعاً للتصارع الذي قد يقع بين أبنائهم من أجل اعتلاء العرش الآشوري بعد وفاتهم. وعلى الرغم مما أولاه أولئك الملوك من أهمية لهذه المسألة، فإنّ الفشل مع ذلك كان حليف بعضهم، كما هو الحال مع كل من الملك (سنحريب) (٧٠٤-٦٨١ ق.م)، والملك (أسرحدون) (٦٨٠-٦٦٩ ق.م)، اللذين قاما بتعيين أبنائهما الصغار في منصب ولاية العهد على حساب أبنائهما الآخرين الأكبر سناً؛ نظراً لما يكنوه لأولادهما الذين اختاروهما في هذا المنصب من مشاعر الحب، ورضوخاً عند رغبة الملكة (نقية/ زاكوتو)، زوجة الأول وأم الثاني. وما تمخض عن هذه المسألة من حروب أقلّ ما يُقال عنها أنها كانت مُدمرةً للبلاد، هذا فضلاً عن ما سببته تلك الحروب من إرباك واضح في الوضع الداخلي للبلاد وتعطيلٍ للتجارة، حيث عُدّت مسألة (ولاية العهد) إحدى العوامل والأسباب الأساسية التي ساهمت في ضعف الدولة الآشورية وسقوطها.^(١)

سادساً: دور الملوك في نهوض الدولة الآشورية الحديثة:

١- الأسس والمبادئ التي اعتمد عليها الملوك في نهوض دولتهم:

لعب الملوك الآشوريون دوراً كبيراً في نهوض وارتقاء الدولة الآشورية الحديثة من جديد ووصولها إلى المركز العالي والأهمية الكبيرة الذي وصلت إليه، فالملك في بلاد الرافدين كما ذكرنا سابقاً كان يمثل أعلى سلطة في المجتمع. وهو يصدر الأوامر والتعليمات ويرسم الخطط ويُعاقب ويُكافئ القادة عن طريق المراسيم التي يصدرها من قصره الملكي والتي كانت واجبة التنفيذ حينها^(٢)، وذلك ليس لأنها صادرة من أعلى مرتبة في الدولة فحسب، بل بسبب العقيدة الدينية لسكان بلاد الرافدين وهو أنّ الملك مُمثل الآلهة على الأرض ونائبها في حكمه للبشر، ولأنّ الآلهة قد اختارتَه بنفسه لكي ينوب عنها في حكم الشعب، لذا فهو مسؤول عن كافة أمور الشعب ويتحمل المسؤولية أمام الآلهة، وهو مُلزم أيضاً بأن يذكر أعماله ومنجزاته وأخبار حملاته العسكرية في وثائق مكتوبة تعرف بالحواليات، والتي تُقرأ على الآلهة لنيل رضاها، مما يضيفي القدسية الدينية على حكم الملك ويجعل الأوامر والتعليمات التي يُصدرها مُلزمة التنفيذ، وإن عدم طاعتها وتنفيذها يعد خروجاً عن أوامر الآلهة ورغباتها ويُعرض المُخالف لها لسخطها ونقمتها آنذاك^(٣).

وهنا لا بُدّ أن نُشير إلى بعض الملاحظات العامة وهي: أنّ الفائدة أو المنفعة التي كانت تحصل عليها الحكومة المطلقة آنذاك، كانت تأتي من القرارات التي يمكن أن تُتخذ وتنفذ بسرعة، لكون

(١) الفتلاوي، أحمد حبيب سنيد: "مشكلة ولاية العهد في عهدي الملكين سنحريب وأسرحدون (٧٠٤-٦٦٩ ق.م)"، ص ٢٣١.

(٢) سليمان، عامر: "العصر الآشوري، العراق في التاريخ القديم (موجز التاريخ الحضاري)"، ص ٥٣، ٥٤.

(٣) مزهر، المهنا، رشا ثامر: "التطورات السياسية للدولة الآشورية (٩١١-٧٤٥ ق.م)"، ص ٦٦.

تلك القرارات تصدر من شخص واحد أي "الملك". وإذا ما تم إصدار تلك القرارات بسرعة وبحكمة فإنها تُثمر عندئذٍ بفائدة ومنفعة للحكومة. لأنها توفر هدر الوقت، وكذلك الكثير من الخلافات والمناقشات المطولة والممتدة حينها. وكانت هذه واضحة للعيان بالتأكيد في الدولة الآشورية، لذلك فإننا نجد أن مثل هذه الشخصيات الحازمة من الملوك الآشوريين كأمثال (آشور ناصر بال الثاني)، و(سرجون الثاني) اللذين أعادا آنذاك المجد العظيم للبلاد. ولكن ليس جميع الملوك الآشوريين كانوا آنذاك يتمتعون بقدر كبير من المسؤولية والكفاءة والخبرة السياسية والشجاعة والنشاط الواجب توافرها فيهم آنذاك. بالإضافة إلى عوامل خارجية أثرت على البعض منهم. وبالنسبة لآخرين مثل الملكين (شمشي أدد الخامس)، و(أدد نراري الثالث)، فال فشل أو النقص ذاته كان بالتأكيد موجوداً بضعف شخصيتيهما وقدراتهما نفسها. وكانت إزالة مثل هذا الملك الضعيف عن العرش ممكناً فقط من خلال محاولة التمرد عليه، لأنه لم يكن هناك وسائل دستورية ((كما في أيامنا هذه من خلال حجب الثقة عنه وعن حكومته)). وفي حالة وفاة الملك يخلفه أحد أبنائه، وهذا ينتج عنه ضعف وراثي في الحكم أيضاً، بالإضافة إلى استمرار وقوف حاشية أبيه بجانبه. أو من خلال عملية صب دم جديد في الطبقة الحاكمة عن طريق الزواج. ولكن نجد بأن هناك فرصة وحيدة تتمثل بمحاولة صب دم جديد بالكامل ألا وهي "اغتيصاب السلطة"، مثل ما فعل الملك الآشوري (سرجون الثاني) بأية حال. وعندما يشيخ الملك ويتقدم بالسن، فإنه لا يستطيع أن يتقاعد أو يتنازل عن عرشه، على الأقل ليس هناك دليل واضح في النصوص على حدوث ذلك التنازل، بالرغم من أن هناك حالة واحدة، ألا وهي في عهد الملك الآشوري (شلمانصر الثالث)، ففي حينها كانت قد أُديرَت شؤون وقضايا الدولة بشكل تدريجي من قبل آخرين كلما ازداد تقدم الملك بالسن. ونتيجة لذلك فإن العبء والثقل لاستمرارية عمل الحكومة يقع بشدة أو أحياناً كثيرة على النظام الإداري الآشوري، حيث كان النظام الإداري في حاجة ماسة آنذاك إلى اليد الثابتة والقوية في القيادة.^(١)

٢- دور الملوك في عملية الإصلاح والتطوير للنظام الإداري الآشوري:

نظراً لاتساع رقعة الدولة الآشورية وامتداد سيطرتها على العديد من المدن والبلدان المجاورة فقد برزت حينها مشكلة جدية بالنظام الإداري الآشوري الإقليمي، وهي تتلخص في كون الحكام توفرت لديهم الحرية التامة في إدارة مقاطعاتهم ومُدنهم، والتي بدورها أغرتهم لكي يصبحوا حُكاماً مستقلين. حيث يلاحظ عندها تغير حالة الولاء والطاعة لحُكام الأقاليم والمقاطعات تجاه مُلوكتهم، والجدير بالذكر أن هؤلاء الحكام هم أنفسهم قد تم تعيينهم وتوصييتهم من قبل ملوك الدولة الآشورية، بهدف إدارة

(١) Grayson. A. K., "Assyrian Civilization, "The Bureaucracy", Chapter 26, in The Cambridge Ancient History, vol. III, part 2, second Edition, 1991, pp. 205,206.

الأقاليم التابعة للدولة وحماتها، إلا أن هؤلاء الحكام لم يستمروا في ولائهم لملوكهم فبدأوا يعملون من أجل تحقيق مصالحهم الشخصية لكسب المنافع والانفصال عن سلطة الدولة المركزية.^(١)

((وسوف نأتي على ذكر الأسباب والدوافع التي دفعت بهؤلاء الحكام وبعض المسؤولين الكبار إلى تحديهم لسلطة الملوك، ومحاولة استقلالهم عن الإدارة المركزية الآشورية في الفصل التالي)).

وإزاء هذه المشكلة الخطيرة والتي شكلت إحدى العوامل الرئيسية في ضعف السيطرة المركزية للدولة الآشورية، وفقدانها السيطرة على أجزاء كثيرة من أراضيها، وانخفاضاً لمواردها الاقتصادية: (خصوصاً فقدان سيطرتها على طرق التجارة الرئيسية، وانعدام الموارد الضرورية مثل المعادن)، والتي كانت تأتيها من تلك المدن والمقاطعات والبلدان المجاورة، وإزاء تلك المصاعب والتحديات التي عصفت بالدولة لآشورية، وخاصة في بداية النصف الثاني من عصر الدولة الآشورية الحديثة، فقد برز دور الملك الآشوري (تجلات بلاصر الثالث) حينها في حل هذه المشاكل والأحوال المضطربة عبر قيامه بسلسلة من الإجراءات الإدارية المهمة، والتي تكمن في تقليل أو تخفيض حجم تلك المقاطعات، كذلك والحد أيضاً من صلاحيات ونفوذ وقوة الحكام آنذاك. مما يؤدي بدوره إلى كبح جماح هؤلاء الحكام وسطوتهم وجعلهم مقيدين ضمن الصلاحيات الممنوحة لهم من قبل الإدارة المركزية في آشور فقط.^(٢)

وكما أسلفنا سابقاً بأن حركة الإصلاح والتجديد الرئيسي لكامل النظام الإداري للدولة الآشورية الحديثة كانت قد أنشأت من قبل الملك الآشوري (تجلات بلاصر الثالث) (٧٤٥-٧٢٣ ق.م)، حيث اعتلى هذا الملك العرش الآشوري، وبلاد آشور أكثر ما تكون تمرقاً واضطراباً، وكان على هذا الملك الذي نصبته الثورة أن يستوعب الأوضاع العامة التي كانت تمر بها البلاد، وأن يبادر إلى معالجتها وفق خطة مدروسة ويضع الحلول الناجحة لها. وقد أثبت تجلات بلاصر الثالث فعلاً أنه كان حقاً سياسياً من الطراز الأول، وإدارياً ناجحاً وقائداً عسكرياً مقتدراً استطاع خلال سني حكمه الذي استمر ما يقرب من عشرين عاماً، أن يقضي على الفوضى السياسية والارتباك الاقتصادي الذي عم بلاد آشور وأن يعيد للدولة سابق هيبتها وسلطانها ويوفر لها الاستقرار ويزيد من نفوذها، ويوسع حدودها إلى مناطق جديدة لم تكن تابعة لها. كما أن العمليات العسكرية التي قام بها تجلات بلاصر الثالث ومن جاء بعده من الملوك الآشوريين لم تكن لتأتي ثمارها وتحقق أهدافها بالشكل المطلوب، لولا تلك الإصلاحات الجذرية في جهاز الدولة الإداري والتنظيمات الجديدة التي أعيد بموجبها تنظيم الجيش والسياسة الواضحة التي اتبعت تجاه الدول والممالك التابعة. وقد عد كثير من الباحثين عهد الملك الآشوري "تجلات بلاصر الثالث" بداية عصر جديد في تاريخ الآشوريين. حيث استهدفت الإصلاحات

(١) المهنا، رشا ثامر: "التطورات السياسية للدولة الآشورية (٩١١-٧٤٥ ق.م)"، ص ١٣٤.

(٢) Grayson. A. Kirk, "Assyrian Rule of conquered Territory in Ancient Western Asia", Civilizations of the Ancient Near East, 1995, p. 964.

التي أدخلها تجلات بلاصر الثالث إلى جهاز الدولة الإداري تقوية السلطة المركزية والتقليل من سلطة حُكَّام المقاطعات وتقليص حدود مقاطعاتهم لمنع تزايد قوتهم واحتمال تمردهم، فأعاد تقسيم المقاطعات الآشورية وزاد من عددها على حساب مساحاتها، وقسم كل مقاطعة إلى وحدات إدارية أصغر وأصغر، وعين لكل وحدة إدارية موظفاً مسؤولاً أقل درجةً من الموظف الذي يليه، وكان النظام يقضي بارتباط بعضهم ببعض، ومع ذلك كان بوسع أي موظف أن يشتكي إلى الملك مباشرة ويمثل أمامه إن اقتضى الأمر دون المرور بالتسلسل الإداري. كما تضمن الإصلاح الإداري تغيير وضع الممالك والدويلات المالية والتابعة على الحدود، والعمل على جعلها مقاطعات آشورية يديرها حُكَّام آشوريون بصورة مباشرة كلما كان ذلك ممكناً ((وذلك للحوّل دون قيامها بأي عمليات للتمرد والعصيان مُستغلةً بعدها عن مركز الدولة الآشورية، ووعورة التضاريس ووجود من يُساندها من الدول المجاورة المعادية للآشوريين بطبيعة الحال)).^(١) وقد يكتفى بتعيين موظف آشوري في بلاط المملكة التابعة للإشراف على شؤونها العسكرية وسياساتها الخارجية وتوجيهها حسبما تُمليه مصلحة الدولة الآشورية مقابل الحماية العسكرية التي تُقدمها الدولة الآشورية لمثل هذه الممالك ضد أي اعتداء خارجي أو تمرد داخلي. (كما سيرد معنا ذلك لاحقاً)، وبتوسع رقعة الدولة كان لا بُدّ من تطوير نظام البريد والمواصلات، وذلك لزيادة دقة الإشراف والمراقبة على المقاطعات وإيصال التعليمات والتوجيهات الملكية في الوقت المناسب، ووصول التقارير الخاصة بالمقاطعات إلى الملك. وفيما يخص تنظيم الجيش يبدو أن الملك الآشوري تجلات بلاصر الثالث وجد أن نظام التجنيد الذي كان مُتبّعاً، والذي اعتمد أساساً على تجنيد المزارعين والعبيد الذين يُقدمهم ملاك الأراضي من الآشوريين، لم يكن مُجدياً ومُلائماً، فاستبدله بنظام جديد كان أساساً لنظام الجيش الدائم، ففرض على كل مقاطعة من المقاطعات الآشورية تقديم عددٍ مُعين من المقاتلين لتكوين فرقة خاصة، ولا بُدّ أنه اختصت كل مقاطعة بصنفٍ مُعين من أصناف الجيش، بما يتلاءم وطبيعتها وطبيعة سكانها فتضاعف حجم القوات العسكرية، وغدا الجيش الذراع القوي الذي يحمي حدود الدولة ويفرض سلطتها على جميع أنحاء الدولة، واتبع تجلات بلاصر الثالث إلى جانب ذلك، وعلى نطاقٍ واسعٍ، سياسة ترحيل السكان المُتمردين إلى مناطق أخرى من المملكة، واستبدلهم بسكان آخرين منعاً لأيّ تمردٍ وقطعاً لأيّ اتصالٍ بينهم وبين سكان المقاطعات المجاورة، وكان من نتائج ذلك مزج سكان الدولة الآشورية، وقد صوّرت لنا المنحوتات الآشورية مشاهد من عمليات الترحيل هذه. وعملاً بالسياسة الإدارية الجديدة فقد كان من أولى نشاطات تجلات بلاصر الثالث الإدارية إعادة تنظيم المنطقة الواقعة إلى الشرق من نهر دجلة، بهدف ضمان حدود الدولة الآشورية الشرقية، فقسم المنطقة إلى مقاطعتين آشوريتين امتدت الأولى، وهي مقاطعة أرباخا (كركوك حالياً) حتى شرقي بغداد في حين امتدت الثانية لتشمل الأراضي الواقعة

(١) سليمان، عامر: "منطقة الموصل في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد (العصر الآشوري الحديث)"، ص ٩٤.

إلى الجنوب منها وكانت تفصل بين بلاد بابل وبلاد عيلام^(١). وبذلك يكون قد أحبط مشاريع طموح التوسع والتمدد للسلطة لدى بعض هؤلاء الحكّام حينها. فتلك المشاريع الطموحة لهؤلاء الحكّام كانت قد أصابت الدولة الآشورية بالضعف والتدهور بشكلٍ مباشرٍ، والتي سبقت ارتفاع تجلات بلاصر الثالث للعرش الآشوري. وهنا لدينا مثال يوضح تلك العلاقات التي تربط بين الآشوريين والمدن والمقاطعات التابعة لها، فبلاد بابل في الجنوب شكّلت إحدى أجزاء الدولة الآشورية العظمى، والتي لا يمكن أن تُعامل مثل بقية الأجزاء الأخرى من الدولة الآشورية، حيث حاول الآشوريون وبطرقٍ مختلفة أن يسيطروا عليها ولكن لم تتكلل بالنجاح. وفي القرن التاسع قبل الميلاد كانت هناك ترتيبات لمعاهدة بين الآشوريين والبابليين، والتي انتهت بإبرام معاهدة صلح خُتمت بزواج سياسي بين الأسرتين الحاكمتين في كل من بابل وآشور، وتعد هذه المعاهدة التي عُقدت بين الجانبين الآشوري والبابلي ذات أهمية تاريخية خاصة حيث تذكر، كأساس لإقرار الصداقة والسلام بينهما، كما تضمنت تلك الترتيبات ضماناتٍ من جانب الآشوريين لموقع أو مركز الملك البابلي (وقد أشرنا إليها فيما سبق). وهناك أيضاً معاهدةٌ مُشابهة ومُماثلة تبدو بأنها كانت عندها موجودة بين الملك الآشوري تجلات بلاصر الثالث والملك البابلي نبو نصر في القرن الثامن قبل الميلاد. وفي مُقابل المصاعب والمشاكل المتكررة التي كان يواجهها الآشوريون ((وهي بشكلٍ خاص من سُكان بلاد بابل والقبائل المجاورة وداعميهم)) نتيجة إبقائهم أو إصرارهم على الملك الذي يحظى بقبولهم وموافقتهم على العرش البابلي. نجد أن الملك الآشوري تجلات بلاصر الثالث قد تخلى أخيراً عن هذه السياسة وصعد واعتلى العرش البابلي بنفسه. وهذه الطريقة الجديدة في مُعاملة بلاد بابل تم تبنيها من قبل الملوك الآشوريين اللاحقين، باستثناء الملك الآشوري سنحريب الذي حاول فرض حكمه من خلال ملوك دُمى يتحكّم بهم كيف يشاء، وهذه الطريقة لم تكن من الوسائل المثالية الناجحة للسيطرة على بلاد بابل، والتي ظلت الجزء الأكثر عناداً ومقاومةً لحكم الدولة الآشورية الحديثة. وفي نهاية حديثنا نستنتج مما سبق بأن الضعف في الحكم الملكي الآشوري واضطراب النظام الإداري فيها أيضاً عُداً من العوامل الأساسية التي ساهمت في سقوط الدولة الآشورية الحديثة.^(٢)

وهكذا نجد أن الملك الآشوري كان يمثل رأس الإدارة في دولته المترامية الأطراف، والمُخطط لسياسة الدولة الداخلية والخارجية، وعلى أية حال فقد شكّلت الحاشية الملكية المحيطة به طبقةً خاصةً ومُنفذةً سياسياً واقتصادياً، حيث اكتسبت قدسيةً واحتراماً هي الأخرى، وهذا متأتٍ بطبيعة الحال من كونها قريبة من مركز الملك الذي يمثل الآلهة على الأرض ونائبها فيها، مع وجود ميزة انفرد بها الملك

(١) سليمان، عامر: "منطقة الموصل في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد (العصر الآشوري الحديث)"، ص ٩٤، ٩٥.

(٢) Grayson. A. K., "Assyrian Civilization," The Bureaucracy", Op. cit. pp. 204.

الآشوري عن غيره من ملوك بلاد وادي الرافدين، فبالإضافة إلى وظيفته الملكية كان يُعتبر الكاهن الأعلى للإله آشور ورئيس الكهنة مما ترتب عليه أن يقوم بإجراء الطقوس والشعائر الدينية والسحرية المقدسة. وكانت الحاشية الملكية والمتكونة من أفراد العائلة الملكية والنبلاء والمسؤولين المساعدين له وحُكَّام المقاطعات وقواد الجيش وغيرهم أي الممثلين للإدارة الآشورية، حيث إنهم جميعاً كانوا مجرد خدماً طيعين له، فكان الملك الآشوري هو الدولة نفسها.

الفصل الثالث

التنظيم الإداري في الدولة الآشورية

أولاً: القصر الملكي:
١ - تسمية القصر الملكي.
٢ - القصور الآشورية في المصادر المسمارية.
٣ - المخطط العام للقصر الملكي.
ثانياً: دور القصر الملكي في الدولة الآشورية كمركز إداري:
١ - أهمية القصر الملكي كمؤسسة إدارية في الحياة اليومية للآشوريين.
٢ - أهمية القصر الملكي كمركز اقتصادي في الدولة الآشورية.
٣ - أهمية القصر الملكي كمركز للأرشيف الرسمي للدولة الآشورية.
ثالثاً: المسؤولون الكبار في الدولة الآشورية:
١ - تورتانو (tûrtanu)
أ - تعريف لقب "تورتانو".
ب - أهمية منصب "تورتانو".
ت - المهام والواجبات التي أسندت إلى "تورتانو".
٢ - رَب شقي (rab-šaḳî).
أ - تعريف لقب "رَب - شقي".
ب - أهمية منصب "رَب - شقي" والمهام المسندة إليه.
٣ - ناجير إكلي (Nāgir-ekalli).
أ - تعريف لقب "ناجير - إكلي".
ب - أهمية منصب "ناجير - إكلي" والمهام المكلف بها.
٤ - أبراكو ربو (abarāḳku rabû).
أ - تعريف لقب "أبراكو".
ب - المهام والواجبات التي أسندت إليه.
٥ - سوكالو ربو (Súkallû rabû).
أ - تعريف لقب "سوكالو ربو".
ب - أهمية منصب "سوكالو ربو" والواجبات المناطة به.
٦ - رَب - شا - ريشي (rab-ša-rēši).
أ - تعريف لقب "رَب - شا - ريشي" (rab-ša-rēši).
ب - الأهمية والمكانة المميزة التي تمتع بها هؤلاء الخصيان داخل القصر الملكي.

ت - المهام والواجبات الموكلة إلى هؤلاء الخصيان.
٧ - سارتينو (Sārtennû).
أ - تعريف لقب "سارتينو".
ب - المهام والواجبات التي يؤديها "سارتينو".
ت - ما هو دور الملك الآشوري في القضاء وما هي واجباته؟.
٨ - ظاهرة تحدي المسؤولين الكبار للسلطة الملكية أثناء الأزمات السياسية.
رابعاً: حُكَّام المقاطعات والأقاليم في الدولة الآشورية الحديثة:
١ - تعريف لقب حاكم المقاطعة "بيل - باخيتي" "bēl-pāḫēti"
٢ - أهمية ومكانة حُكَّام المقاطعات.
٣ - المهام والواجبات المناطة بحُكَّام المقاطعات الآشورية.
خامساً: إدارة المقاطعات والمدن التابعة للدولة الآشورية الحديثة:
١ - اهتمام الملوك الآشوريين بتنظيم المقاطعات والمدن الآشورية.
٢ - الأساليب الإدارية المتبعة في إدارة المقاطعات والبلدان التابعة للدولة.
أ - الأساليب الإدارية الغير مباشرة.
ب - الأساليب الإدارية المباشرة.
سادساً: إدارة المدن الآشورية:
١ - محافظ/ مدير المدينة (خَزَنُو) (ḫazannu)
أ - تعريف لقب محافظ/ مدير المدينة "ḫazannu".
ب - المهام والواجبات الملقاة على عاتق خَزَنُو.
٢ - المشرف على المدينة (شا - موخي - آلي) (šā- muḫḫi- ' āli).
أ - تعريف لقب المشرف على المدينة.
ب - الأعمال والمهام التي كلف بها مشرف المدينة.
٣ - مجلس المدينة (الشِيَاب) (Šibutu).
أ - تعريف مجلس المدينة "الشياب".
ب - واجبات مجلس المدينة.

أولاً: القصر الملكي:

١ - تسمية القصر الملكي:

كان القصر الملكي يُسمى باللغة السومرية "E.GAL" بمعنى "البيت الكبير" وفي اللغة الأكديّة يأتي بصيغة "إكّلو" "ekallu"^(١). وتُشير النصوص المسمارية إلى أنّ هذا المصطلح أو اللقب قد يُستخدم للدلالة على قصر الملك أو الحاكم أو أي مسؤول عن وحدة إدارية مهما كان حجمها^(٢). وفي النصوص الآشورية يرد لقب إكّلو "ekallu" ويعني حرفياً: "المنزل الكبير الذي يكون مكان إقامة الملك"^(٣).

٢ - القصور الآشورية في المصادر المسمارية:

كانت القصور الملكية تحظى باهتمام ورعاية الملوك الآشوريين آنذاك في مختلف العصور، والسبب وراء ذلك في كونها تمثل الركيزة الأساسية لقيام الدولة، والواجهة السياسية والعسكرية لها إذ تُدار منها المعارك وتُقام الأحلاف والمعاهدات بأمر الملك وتوجيهاته. ففي العصر الآشوري الحديث الذي تميّز بجملة مُميزات جعلته واحداً من أبرز العصور في الحضارة العراقية القديمة فضلاً عن أنه كان مُنسباً بالتنظيم الإداري العالي والدقة المُتناهية، فهذا النظام الذي يتمثل بشخص الملك والذي هو على رأس هذا الهرم التنظيمي، ولذلك نجد اهتمام ملوك بلاد الرافدين القديمة، ولاسيما ملوك العصر الآشوري الحديث بعمارة القصر الملكي.^(٤)

وكانت هناك العديد من النصوص النثرية والبنائية القصيرة التي كان الملوك يَدفنونها في أسس البناء وجدرانها وتحت مداخله سواء أكانت هذه الوحدات البنائية معابداً أم قصوراً أم أسواراً أم حتى قنوات مائية وقد دُوّن في تلك النصوص اسم مُشيد البناء والآلهة التي أنجز العمل من أجلها. كما يرد ذكر القصر الملكي في العديد من المصادر المسمارية، حيث يذكر الملوك مُتفاخرين ومُتباهين أنهم بنو قصوراً في مختلف أرجاء الدولة الآشورية الحديثة، ومن ذلك ما ذكره الملك الآشوري آشور - ناصر بال الثاني (٨٨٣-٨٥٩ ق.م) في أحد النصوص التذكارية إذ يقول:

(١) مرعي، عيد: "اللسان الأكادي موجز في تاريخ اللغة الأكادية وقواعدها"، ص ١٤٦.

(٢) ساكز، هاري: "جبروت آشور الذي كان"، ترجمة: آحو يوسف، دار الينابيع للطباعة والنشر، دمشق ١٩٩٥م، ص ٢١١.

(٣) استخدم المصطلح بصيغة هيكِل في اللغة الآرامية أيضاً، مثل: هيكِل سليمان، أنظر:

AHW, pp. 192.193, CAD, p. 67, b.

(٤) خلف سلطان الحديدي، خلف زيدان: "عمارة القصر الملكي في العصر الآشوري الحديث"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل ٢٠٠٥م، ص ٩.

"هنا أقمت قصرًا من خشب البقص والتوت والأرز والفسق والطرفاء والخور. أجل لقد كان هناك ثمانية أجنحة لإقامتي وراحتي الملكية".^(١)

كما يذكر الملك نفسه في إحدى حولياته ما نصه:

"قصر آشور - ناصر - بال الثاني، ملك العالم، ملك بلاد آشور، ابن توكلتي ننورتا ملك بلاد آشور".^(٢) وفي إحدى حوليات الملك سرجون الثاني (٧٢١-٧٠٥ ق.م) الذي يتحدث فيها عن بناء المدينة والمعابد وبناء القصر يقول:

"لقد عملت على تصميم هذه المدينة ليلاً ونهاراً لتشييد المعابد وبناء القصر".^(٣)

كما ورد ذكر القصر الملكي في كتابات الآجر من العصر الآشوري الحديث حيث كان النص غالباً ما يبدأ بكلمة "E.GAL" السومرية و"ekallu" الأكديّة.^(٤)

٣ - المخطط العام للقصر الملكي:

يلاحظ عند إلقاء النظر إلى المخطط العام للقصور الملكية الآشورية آنذاك، بأن ملوك الدولة الآشورية اعتمدوا في تخطيط قصورهم بصورة عامة على الأسلوب التقليدي للمنازل القديمة في بلاد الرافدين وهو ببساطة: ((ساحة ومصطبة مكشوفة تتجمع حولها غرف القصر على شكل إيوان))، حيث نجد أن مخطط قصر الملك الآشوري (آشور - ناصر - بال الثاني) والذي اتخذناه نموذجاً للقصور الملكية في مخططة إذ بقي إلى يومنا هذا من أكثر القصور متعة للنظر فضلاً عن موقعه الرائع وزخارفه الجذابة^(٥)، فقد اعتمد في تخطيطه لقصره، التخطيط الذي اعتمد في قصر الملك الآشوري آنذاك (أدد - نراري - الأول) في آشور من حيث احتوائه على عدة أفنية.^(٦) (وهناك مخطط له في ملحق الأشكال بنهاية الرسالة). كما أنه يظهر من المخطط الذي نشره الباحث (ليارد) ((أن القصر يتكون من قسمين هما:

القسم الأمامي والذي يسمى (بابانو) أي: (جناح الاستقبال)، والقسم الداخلي المسمى (بيتانو) (البيت أو الجناح الخاص)^(٧)، أي أن القصر كما وجدته (ليارد) ونشر خريطته يتكون من ساحة واحدة هي ساحة البوابة (بابانو) (babaun)، ولكنه كان من الواضح وجود ساحة أخرى خارجية في

(1) ARAB, Vol. 1, p. 489.

(2) Wallas Budge. E. A. and King. L. W, "Annals of the Kings of Assyria", Vol. 1, London, 1962, p.155.

(3) خلف سلطان الحديدي، خلف زيدان: "عمارة القصر الملكي في العصر الآشوري الحديث"، ص ١٠.

(4) CAD. E., P. 52, CAD, P. 62: b.

(5) Joan and Oates, D, "Nimrod", London, 2001, p. 36.

(6) عبو، نجم عادل: "فن العمارة"، موسوعة الموصل الحضارية، مج ١، دار الكتب للطباعة والنشر الموصل ١٩٩١م، ص ٤٠٨.

(7) مورتكات، انطوان: "الفن في العراق القديم"، ترجمة: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، بغداد ١٩٧٥م، ص ٣٦٨.

الجانب الشمالي تربط ساحة البوابة (babanu) مع مجمع المعابد حول أسفل الزقورة المخصصة للإله نورتا^(١) في زاوية التل. ويتوزع على جانبي ساحة البابانو في اليمين صفان من الغرف مخصصة "كمكاتب" عمل للموظفين كالكتّاب والأطباء والموظفين والضباط والحجاب، وفضلاً عن قسم الخدم، ومن اليسار صفان آخران من الغرف والقاعات أيضاً، والمخصصة للاستقبال وأماكن انتظار للزوار والوفود القادمة لمقابلة الملك^(٢). ومع هذا فقد شيد قصره طبقاً لما سيكون نموذجاً منتظماً (أي فناء مسوراً تتفتح عليه غرفة العرش وفناء داخلي يشتمل على غرف سكنية وأخرى للاستقبال)^(٣)، وتختلف كذلك مساحات الغرف والقاعات من واحدة لأخرى بشكل واضح وتمتاز القاعات الطويلة بوجود أكثر من مدخل واحد فيها^(٤). والقصر بصورة عامة يتألف من ثلاثة أقسام هي:

"القسم الوسطي وهو الجزء الخاص بالتشريفات الملكية، والقسم الخاص بالحريم الذي يقع في الجزء الجنوبي وأخيراً القسم الإداري الذي يقع في الجزء الشمال"

ثانياً: دور القصر الملكي في الدولة الآشورية كمركز إداري:

١ - أهمية القصر الملكي كمؤسسة إدارية في الحياة اليومية للآشوريين:

يُعدُّ القصر الملكي أو قصر الملك (إكل - مَشَرَاتِي) (ekal mašarrāti) في العاصمة على نحو خاص، العصب الرئيسي للدولة الآشورية الحديثة، حيث لم يكن مجرد رمز، بل كان يُعدُّ المُسيطر المباشر على كافة الأقسام الإدارية والتي كانت جميعها بيد الملك^(٥)، إضافةً لذلك فهو لم يكن بمثابة

(١) (الإله نورتا) (Ninurta): ورد ذكر الإله نورتا في النصوص السومرية بصيغة (d MAS) وتقابلها باللغة الأكديّة الصيغة: "ninurta" ويفهم من مدلول اسم الإله نورتا أن له صلة باختصاصات الإله إنليل فقد كان مسؤولاً عن الاضطرابات الطقسية الشديدة لذا لُقّبَ "بالولد" تصغيراً للإله إنليل، كما كان الإله نورتا بالأصل إلهاً زراعياً أي "إله الطبيعة"، كذلك فقد اقترنت بالإله نورتا صفة أخرى وهي الصفة الحربية، فضلاً عن صفة الصيد فقد عُدَّ =إلهاً للصيد، وقد بنى الملك آشور - ناصر - بال - الثاني في عاصمته التي بناها أي مدينة "كلخو" معبداً للإله نورتا. أنظر:

الشاعر، فاتن موفق فاضل: "رموز أهم الآلهة في العراق القديم"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل ٢٠٠٢م، ص ١٣٩. كذلك ينظر أيضاً: الأحمد، سامي سعيد: "المعتقدات الدينية في العراق القديم"، ص ٣٤.

(٢) إسماعيل، شعلان كامل: "الحياة اليومية في البلاط الملكي الآشوري خلال العصر الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م)"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل ١٩٩١م، ص ١٤.

(٣) Amiet. P and. another, "Art in the Ancient World", London, 1970, p76.

(٤) مهدي، علي محمد: "الآشوريون أصلهم، موطنهم وتاريخهم وعواصمهم"، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد ١٩٦٩م، ص ٨.

(٥) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، موسوعة الموصل الحضارية، ج ١، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ط ١، ١٩٩١م، ص ٢٤٤.

والحبوب، والتين، والمنتجات النباتية، والحيوانية، وتجهيز الجيش، ومن الطبيعي أن القوى البشرية العاملة ضمن هذه الأقسام تتشعب إلى أقسام أخرى كتسجيل الوصولات الخ.... وكل قسم من هذه الأقسام يرأسه موظف إداري ولديه وكيل (نائب) يدعى (شَنو) (šānû) وكاتب. ويمكن إضافة مجموعات الخبازين والطباخين والقصابين والسقا إلى هؤلاء أيضاً. وكان المسؤول عن جميع هؤلاء العاملين في القصر يدعى "المُشرف على القصر" الملقب باللقب:

(رَب. إَكَلِي) (rab ekalli). حيث تذكر نصوص الأرشيف المكتشفة في القصر الملكي في مدينة كلخو هذا المسؤول وأعماله.^(١) (كما سنأتي على ذكره والمهام والواجبات المنوطة به في الفصل التالي). وكان يتم دفع أجور ومُرتبات هؤلاء الموظفين من موارد وثروات السلطة المركزية، بناءً على ما كان يتم توظيفهم واستخدامهم فيه من أعمال ونشاطات. إضافة لذلك نجد أن المكافآت قد أخذت أشكالاً متعددة مثل: علاوات مالية أو منح كميات من الطعام والنياب (خصوصاً لأولئك الموظفين في قصر الملك)، أو دخل مالي لقطع محددة من الأراضي التابعة للحكومة آنذاك. وأحياناً أي في مناسبات معينة يُعطي الملك جائزة أو مكافأة خاصة مثل: (الملابس، والمجوهرات، والإعفاء من الضرائب، أو الإقامة لمدى الحياة في القصر).^(٢)

٣- أهمية القصر الملكي كمركز للأرشيف الرسمي للدولة الآشورية:

لقد تم العثور على الأرشيفات الرسمية للدولة الآشورية في هذه القصور الملكية، والتي كانت تتضمن المراسلات الضخمة والكبيرة جداً مع الملك، والسجلات الإدارية، ويلاحظ غياب مثل هذه الأرشيفات في مدينة دورشروكين، ولربما غيابها لم يكن منسوباً إلى صدفة وحظ أي من خلال (الاكتشاف العابر)، وإنما للحقيقة والتي مفادها أنها لم تكن هناك فرصة لنقل القيادة الإدارية قبل وفاة الملك الآشوري سرجون الثاني المفاجئ.^(٣)

ثالثاً: المسؤولون الكبار في الدولة الآشورية:

يُعد الملك في الدولة الآشورية رأس الحكومة المركزية ويديرها من قصره فهو المسؤول الأول عن إدارة البلاد وقيادة سكانها، وهو الحامي لهم من كل اعتداء خارجي. ولكي يؤدي واجبه بصورة مرضية كان ينبغي عليه أن يجد عدداً من المساعدين الكفوئين لإعانتته في أداء مهامه المتعددة. والتي أملتتها الظروف الجديدة نتيجة توسع الدولة الآشورية والذي أدى بطبيعة الحال إلى توسع مناطق نفوذها لتشمل مدن وأقاليم عديدة. حيث يلي العائلة الملكية كحاشية للملك:

(١) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٥٣.

(٢) Grayson. A. K., "Assyrian Civilization, "The Bureaucracy", Chapter 26, in The Cambridge Ancient History, vol. III, part 2, second Edition, 1991, pp.202,203.

(٣) Ibid, p. 204.

((النبلاء من البيت الآشوري وأصحاب الإقطاعيات الكبيرة الذين تمتعوا بشأنٍ كبيرٍ وحظوة عند الملك، والذين يمثلونَ بنفس الوقت "كبار العائلات"، ثم طبقة الكهنة بالإضافة إلى كبار قواد الجيش الآشوري وأيضاً الحُكَّام وبعض المتنفذين الذين لهم سلطة سياسية مؤثرة، هذا إلى جانب الموظفين الذين يقومونَ على خدمة الملك وما يتطلبه البلاط الملكي من أمورٍ تتطلبها ومكانة الدولة الآشورية باعتباره المقر الملكي لإدارة دفة الحكم في أرجاء الدولة))، خصوصاً بعدما توسعت الدولة الآشورية في عصرها الحديث لتشمل أقاليم جديدة لم تكن تحت حوزتها عند بداية عصرها الحديث كما سبق أن أشرنا إليه سابقاً. وهذا بطبيعة الحال انعكس أيضاً على أهمية الحاشية الملكية لكي تؤدي دورها إلى جانب الملك، كما أنه انعكس بنفس الوقت على القصر الملكي لذلك نرى بأن الملوك الآشوريين ينتقلونَ إلى أكثر من عاصمة، وإلى بناء أكثر من قصر ليتماشى والظروف المستجدة للدولة^(١). ويلاحظ بأن التنظيم الهرمي للإدارة الآشورية الحديثة كان قد نشأ وتطور آنذاك خلال فترة قرنين من الزمن تقريباً (٩٠٠-٧٠٠ ق.م). وفي شكله النهائي كان لا يزال وثيق الصلة جداً بالجيش. وكان مسؤولو الإدارة الآشورية الكبار عادةً من ضباط الجيش في نفس الوقت. وإنَّ أفضل الايضاحات لهذا الدور الثنائي هو الملك نفسه، الذي كان يمثل كلاً من رئيس الدولة والقائد الأعلى للجيش. ويأتي تحت الملك عدّة مستويات أو طبقات من المسؤولين لهذا الهرم أو التركيب الإداري. حيث كل طبقة من هذه الطبقات تتدرج تحت بعضها البعض من الأعلى إلى الأسفل (حسب أهميتها ومكانتها ونفوذها والأعمال المُسندة لها)، وكان هذا الهرم الإداري يشتمل ويتضمن الكثير من المسؤولين آنذاك^(٢). وبالرغم من المركزية التي كان يمتلكها الملك الآشوري، إلا أنَّ القائمين على إدارة القصر هم فعلياً مجموعة من المسؤولين الإداريين ويأتي على رأسهم سبعة من الموظفين الكبار وهم:

١- ثورتانو (tûrtānu):

أ- تعريف لقب ثورتانو (tûrtānu):

يرد في نصوص الأرشيف الرسمي الآشوري مصطلح أو لقب (تورتانو) (tûrtānu)، وهو يُشير إلى منصب القائد العام للجيش الآشوري آنذاك، والذي تمَّ الاستشهاد به على نحو واسع في النصوص الآشورية، حيث ذُكر كقائد عام للجيش لأول مرة في عام (٨٨١ ق.م) خلال عهد الملك الآشوري (أشور ناصر بال الثاني)، وشغل منصب موظف الحولية (الليمو) (limmu)^(٣) بحدود عام

(١) الأحمد، سامي سعيد: "الإدارة ونظام الحكم"، ص ٢٧.

(٢) Grayson. A. Kirk, "Assyrian Rule of conquered Territory in Ancient Western Asia", Civilizations of the Ancient Near East, Toronto 1995, pp.962,963.

(٣) قوائم (الليمو) (limmu): استخدم الآشوريون طريقة في تأريخ السنين، حيث كانت السنة تُسمى باسم الموظف الذي يرعى الاحتفالات الدينية الرسمية في مدينة آشور، وهذه الوظيفة كانت تُسمى حينها (الليمو)، تميزت بكونها دورية يتناوب عليها كبار موظفي الدولة من قادة وحُكَّام مقاطعات وأيضاً كبار مسؤولي القصر حسب تسلسلهم =

(٨٥٦ ق.م). كما أنَّ القائد العام الأخير للجيش في الأيام الأخيرة للدولة يعود تأريخه من المحتمل إلى عام (٦١١ ق.م)، حيث انقسمت هذه الوظيفة إلى اثنتين في عام (٧٠٨ ق.م) عندما أسس الملك الآشوري (سرجون الثاني) منصب "القائد العام لميسرة الجيش". والذي عيّنه في مقاطعة: (كوموخي) (Kûmmuḫi).^(١)

وأما مركز مقاطعة "القائد العام لميمنة الجيش" أي (الجناح الأيمن) فقد بقي من المحتمل في مدينة تل برسيب (Til-Barsip)^(٢).

ب- أهمية منصب تورتانو (tûrtānu):

يُمثل منصب القائد العام للجيش أعلى وظيفة إدارية آشورية في القصر الملكي، بالإضافة إلى كونه حاكم مقاطعة، حيث يُطلق على مقاطعته اللقب (باخوت شا لو تورتانو) (Pāḫût ša Lu tûrtānu)،

الوظيفي، فضلاً عن شغل الملك الآشوري شخصياً لهذه الوظيفة ورعايته للاحتفال وذلك في السنة الأولى من حكمه، أي بعد اعتلائه للعرش، ومن ثم يُتابع كبار موظفي الدولة شغل تلك الوظيفة حسب التسلسل، كما يحمل كل من يشغل هذه الوظيفة لقب (ليمو) لتلك السنة، ونتيجةً لذلك كانت تُسمى السنة باسم من يشغل تلك الوظيفة. وقد قام الآشوريون بتثبيت قائمة بأسماء جميع كبار موظفي الدولة آنذاك والذين يمكن لهم أن يشغلوا هذه الوظيفة مرتبةً حسب التسلسل، فما أن يحل رأس السنة حتى يعلن عن اسم الموظف الجديد وتُسمى السنة باسمه دون أي تأخير أو انتظار. وقد يحمل موظف معين هذا اللقب ويشغل الوظيفة أكثر من مرة حسب رغبة الملك، بالإضافة إلى شغل الملك نفسه لهذه الوظيفة لمرّة أخرى، ربما يفسر ذلك لكي يبدأ الملك بدورة جديدة من الموظفين. أنظر: سليمان، عامر: "العراق في التاريخ القديم، موجز التاريخ السياسي"، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٩٢م، ص ٦٠.

(١) (كوموخي) (Kûmmuḫi): ورد هذا الاسم باللغة الآشورية "بكوموخي" - (KUR/URU Kum/ku (-um) " (كوموخي) muḫ/mu (-uh)-ḫ/uhī" وفي المصادر الأورارتية فقد عُرف الموقع بالصيغة "KUR qu-ma-ḫa"، كما عُرفت المملكة فيما بعد باسم "كوماجيين" "kommagene". وأما عن موقعها فتقع هذه المملكة في أعلى مجرى نهر الفرات من مملكة كركميش، وربما كانت تشمل السهل المحيط بالبلدة الحالية، وقد اختلفت الآراء حول تحديد موقعها فالبعض يرى بأنها تجاوز مملكة ملاطية "ميليد" من الشمال، وفي الغرب والجنوب الغربي مملكة كركم ومن المحتمل مملكتي شمال وأرباد، ومن الجنوب مملكة كركميش. أنظر:

خلف صالح الحديدي، أحمد زيدان: "علاقة بلاد آشور مع الممالك الحثية في شمال سوريا ٩١١-٦١٢ ق.م"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، ص ٣٦.

تل برسيب (Til-Barsip): تقع مملكة "تل برسيب" على الضفة الشرقية لنهر الفرات على بعد نحو (٢٠ كم) جنوب مملكة كركميش و(١٠٠ كم) شمال مملكة حلب، وهي كانت عاصمةً لمملكة بيت - إديني الآرامية التي كانت تسيطر على الأراضي الواقعة إلى الجنوب والشرق من مجرى نهر الفرات. كما تُعرف حالياً "بتل أحمر" أنظر أيضاً: خلف صالح الحديدي، أحمد زيدان: "علاقة بلاد آشور مع الممالك الحثية في شمال سوريا ٩١١-٦١٢ ق.م"، ص ٢١.

(2) Mattila. Raija, "The King's Magnates a study of the highest officials of the Neo-Assyrian Empire", in SAA No.11, The Neo-Assyrian Text Corpus Project, Helsinki, 2000, pp.108,109.

وفي عهد الملك الآشوري (تجلات بلاصر الثالث) قام بتوسيعها على حساب بلاد الأناضول^(١). كذلك نجد أن (التورتانو) يأتي ترتيبه الأول في تسلسل قوائم (الليمو) (limmu) الآشورية بعد الملك مباشرة، مما يدل على المنزلة والمكانة العالية التي تمتع بها^(٢). كذلك تذكر أحد النصوص الآشورية المدعو: (آشور - نيرك - دآن) (Aššur-nirka-da'n) حاكم آشور الذي بعث برسالة إلى زميله المدعو (نابو - نيميري) (Nābû-nammiri) يُلغِه فيها "بأن عائلته الخاصة هي من العائلة (الملكية)، وهي تظهر جَنباً إلى جنب مع العائلة الملكية". ويمكن أن نستنتج من المثال السابق، على أنه ربما كان أحد الأدلة على علاقة الدم بين الملك والتورتانو (نائبه).^(٣) كما أن معظم من حمل لقب التورتانو احتل حينها منصب موظف الحولية (الليمو) لأكثر من مرة، وهذا دليل آخر على أهميته الإدارية، فمثلاً تذكر النصوص الآشورية (التورتانو) المدعو (شمشي إيلو) (šamši-ilu) والذي شغل منصب (الليمو) خلال السنوات التالية (٧٨٠ و ٧٧٠ و ٧٥٢ ق.م)، وكان حاكماً آنذاك في مقاطعة تل برسيب.^(٤)

ولدينا أمثلة عديدة ترد في النصوص الآشورية تأتي على ذكر المسؤول (التورتانو)، والذي كان قد اكتسب القوة والثروة الاستثنائية في الفترة الآشورية الحديثة، حيث نجد (التورتانو) المدعو: (ديان آشور) (Daiian Aššur) (٨٥٣-٨٢٦ ق.م). الذي كان مُسجلاً في قوائم (الليمو)، ويشغل (منصب القائد العام للجيش) في عام (٨٥٣ ق.م)، وذلك في بداية عهد الملك الآشوري (شلمانصر الثالث)، كما يظهر في أواخر السجلات الملكية لنفس عهد هذا الملك للسنوات (٨٣٢-٨٢٨ ق.م)، وبناءً عليه فإن (التورتانو) (Daiian-Aššur) كان قد قاد الحملات العسكرية بنفسه بدلاً من الملك. ثم بعد ذلك في عام (٨٢٦ ق.م) (أي في عهد الملك شلمانصر الثالث أيضاً) هو كان مُسجلاً في قوائم الليمو مرة ثانية، نستنتج مما سبق أن التورتانو (Daiian-Aššur) تقلد منصبه على الأقل خلال الفترة الممتدة بين (٨٥٣-٨٢٨ ق.م)، ومن المحتمل إلى (٨٢٦ ق.م). أو حتى بعد ذلك أي طوال فترة عهد الملك الآشوري (شلمانصر الثالث). وكان حينها يتمتع بسمعة وشهرة استثنائية، حتى كقائد عام للجيش، منذ أن ذكره الملك الآشوري (شلمانصر الثالث) في حولياته في قيادة الحملات العسكرية خلال السنوات الأخيرة لهذا الملك على العرش. وقد أرجع عدد من الباحثين ومنهم (أولمستد) التمرد الرئيسي الذي حدث في أواخر عهد الملك الآشوري شلمانصر الثالث، للمكانة والأهمية الكبيرة التي تمتع بها (Daiian-Aššur)، حيث كان أبناء هذا الملك غيورين منه، فقاموا حينها بمحاولة لكسر قبضته وسيطرته. وهناك تورتانو آخر، والمعروف بالاسم (شمشي-إيلو) (šamši-ilu) وكان حاكماً في مقاطعة تل برسيب، وهو يعد أحد أشهر هؤلاء المسؤولين المعروفين آنذاك،

(١) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٤٤، ٢٤٥.

(٢) Grayson. A. K., "Assyrian Civilization, "The Bureaucracy", Op.cit ,pp.200,201

(٣) Luukko, Mikko. "The Correspondence of TIGLATH-PILESER III And SARGONII from CALAH/NIMRUD", The Neo-Assyrian Text Corpus project Helsinki 2012, p.50.

(٤) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٤٤، ٢٤٥.

حيث يعود الفضل في معرفته، للاكتشاف الذي جرى مؤخراً لاثنتين من الأختام الأسطونية في (تركيا الحالية)^(١). وقد شغل التورتانو (شَمشي - إيلو) (šamši-ilu) منصبه خلال السنوات (٨٠٠-٧٥٢ ق.م)، وكانت لديه سيطرة شاملة على الإقليم، وقاد أحياناً حملات عسكرية سوية مع الملك، وأحياناً أخرى قادها بنفسه. فقد تم تعيينه مؤقتاً كقائد عام للجيش في عهد الملك الآشوري (أدد - نراري الثالث) ((ولكن ليس لفترة طويلة، وذلك لسد الفراغ الذي حدث بعد التورتانو (Daiian-Aššur)). وبالنسبة للختم (المكتشف في مدينة انطاكية)، يذكر الملك الآشوري (أدد - نراري الثالث) اسم (شَمشي - إيلو) (šamši-ilu) بصلته للخط الحدودي الفاصل المرسوم بين مدينتي حماة وأرياد^(٢) (Hamath and Arpad)، حيث وضع هذا الحد الفاصل من المفترض مباشرة بعد مدينة (أرياد) التي كانت قد أُعيد إخضاعها في سنة (٨٠٠ ق.م).

ويبدو أن (شَمشي - إيلو) (šamši-ilu) قد استمر في شغل منصب (القائد العام للجيش)، على ما يبدو بدون توقف، خلال عهود الملوك الآشوريين الثلاثة التاليين: (شلمانصر الرابع)^(٣)، آشور - دان الثالث^(٤)، وآشور نيراري الخامس^(١) كما يظهر في قوائم اللِّيمو مع لقب (القائد العام للجيش) في كل

(١) Grayson. A. Kirk, "Assyrian Officials and Power in the Ninth and Eighth Centuries", in SAAB VII /1, Toronto 1993, pp.26.

(٢) مدينة (أرياد) (Arpad): أطلق هذا الاسم على أكبر مدينة في شمال سوريا وهي تقع نواحي مدينة الاسكندرون الحالية. كما سماها الآشوريون بذلك الاسم منذ عام (٨٧٠ ق.م) وتقع إلى الغرب من مدينة كركميش، وإلى الغرب من نهر الفرات في مكان يُعرف الآن "بتل رفعت" وهو يشكل الآن قرية تعرف بالاسم نفسه على بعد نحو (٣٥ كم) شمال مدينة حلب السورية. أنظر: إسماعيل، خالد سالم: "الكنعانيون من الأقوام العربية القديمة في بلاد الشام"، ندوة الوطن العربي "النواة والامتدادات عبر التاريخ"، المجمع العلمي، بغداد ٢٠٠٠م، ص ٤٥. كذلك ينظر أيضاً: خلف صالح الحديدي، أحمد زيدان: "علاقة بلاد آشور مع الممالك الحثية في شمال سوريا ٩١١-٦١٢ ق.م"، ص ١٧.

(٣) (شلمانصر الرابع) (٧٨٢-٧٧٣ ق.م): تولى الحكم بعد الملك أدد - نيراري - الثالث ابنه وخليفته شلمانصر الرابع وكانت من أهم منجزات هذا الملك هو تجهيز نحو ست حملات عسكرية ضد مملكة أورارتو، خلال ثماني سنوات ضمت مدة حكمه إلا أن الدلائل تشير إلى أن هذه الحملات كانت إما دفاعية من حكام المقاطعات الآشورية أو كانت عبارة عن مناوشات حدودية لدرء الأخطار عن البلاد وتأمين الطرق التجارية، وقد شهد حكم هذا الملك تزايداً كبيراً في قوة مملكة أورارتو، كما لم يتمكن الملك شلمانصر الرابع من مواجهة التحديات في الشمال (مملكة أورارتو)، إضافة إلى القبائل الكلدانية الجنوب والحلف السوري في الغرب، فضلاً عن التمزق الإداري داخل هيكلية إدارة الدولة الآشورية مما أدى إلى انكماش سلطته ونفوذه. أنظر: ساكز، هاري: "قوة آشور"، ص ١٢٣. وأيضاً كلاً من: ساكز، هاري: "عظمة بابل"، ص ١١٩. وسليمان، عامر: "العراق في التاريخ القديم، موجز التاريخ الحضاري"، ج ٢، الموصل ١٩٩٣م، ص ١٥١.

(٤) (آشور - دان - الثالث) (٧٧٢-٧٥٥ ق.م): حكم بعد الملك شلمانصر الرابع شقيقه الملك آشور - دان - الثالث، وقد استمرت أحوال الدولة الآشورية في عهده بالتدهور كما ازدادت الأخطار التي تهدد بلاد آشور، واتسعت رقعة الاضطرابات والعنف، يضاف إلى ذلك نقشي وباء الطاعون في عهده الذي فتك بالسكان. كما أعلنت العديد من المقاطعات الآشورية والقبائل العصيان ومنها قبيلة (إتووا) الآرامية، التي كانت تقطن إلى الجنوب من بلاد آشور

مرةً للسنوات التالية (٧٨٠، ٧٧٠، ٧٥٢ ق.م). وفي سنة (٧٧٣ ق.م) تمت الإشارة إليه على نُصب للملك الآشوري (شلمانصر الرابع)، لقيادته عندها حملةً عسكريةً ضدَّ مدينة دمشق. وإنَّ الفترة الزمنية القصوى التي يمكن له أن يكون عندها قائداً عاماً للجيش تُقدَّر بنحو (٦٦ عاماً) وهي تُعدُّ طويلةً أيضاً. ومن المحتمل إذا أخذنا بعين الاعتبار الحدود القصوى والدنيا لفترة بقائه في منصبه هذا، نجد أنه قد بقي في منصبه لمدة أربعين عاماً. وخلال هذه الفترة الطويلة هو لم يُرافق الملك شخصياً في الحملات العسكرية، إضافةً لذلك كان يظهر في نقوشه الخاصة وهو يتفاخر بأعماله حتى بدون الإشارة إلى الملك. وذلك بعد قيادته الحملة العسكرية الناجحة ضدَّ مدينة (أرجيشتو) (Argištu) التابعة لدولة أورارتو. وفي نقش مُهمَّشٍ آخر هو يُخبرنا عن إقامة مدينة جديدة بالقرب من مدينة آشور والتي دعاها أو سماها عندئذ:

"الملك أعطاني ياها" "šarru-iddina".

كذلك يظهر في نقوشه الخاصة بأنَّ لديه قائمة من الألقاب الفخمة:

"قائد الجيش العام، المنادي العظيم، مدير المعبد، رئيس الجيش الشامل، حاكم أراضي خاتي، غوتي، ونامري". كما يدَّعي بأنه حكم الأراضي الممتدة على طول الطريق من وسط الأناضول، حتى أرمينيا، بالإضافة إلى منطقة دجلة الشرقية حول نهر ديالى. وهكذا فإنه يتبيَّن لنا بأنَّ هذه حالة غير عادية لشخصيةٍ باقيةٍ في ذلك المنصب.^(٢)

ويمكننا أن نستنتج أيضاً من خلال تلك النقوش والكتابات التي خلَّدت النشاطات العسكرية للتورتانو (شَمْشي - إيلو) (šamši-ilu) ضدَّ بلاد الأناضول، بأنَّه لم يذكر اسم الملك الآشوري الذي

وثارت في سنة ٧٦٩ ق.م، كذلك ثارت بعض المدن الآشورية والتي لم يتمكن هذا الملك من إخضاعها حتى عام ٧٥٨ ق.م. أنظر: برنكمان، جي. أي: ص ٤٦١. وكذلك كلاً من باقر، طه: "مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة"، ج ١، ص ٥٠٧، ومنصور، ماجدة حسو: "الصلات الآشورية الآرامية"، ص ١٢٢.

(١) (آشور - نيراري - الخامس) (٧٥٤-٧٤٥ ق.م): وهو شقيق الملك آشور - دان - الثالث، أمّا عن أوضاع الدولة الآشورية في عهد هذا الملك فقد تدهورت إلى حدٍ كبير نتيجة ضعف الحكومة المركزية والمشاكل الاقتصادية الناتجة عن فقدان السيطرة على الطرق التجارية وبالتالي نقص في البضائع التي اعتادت بلاد آشور الحصول عليها من سوريا أو الشمال، وحدثت تمردات في مدن عدة، إضافةً إلى ذلك استغلال مملكة أورارتو ضعف الدولة الآشورية وتحقيقها انتصاراً سياسياً وعسكرياً حيث قام الملك الأورارتي (ساردوري الأول) بغزو شمال سوريا والسيطرة على مقاطعات آشورية. كذلك أدت القوة المتزايدة للآراميين إلى اندلاع الثورات والتمردات في مدنٍ عديدة كان آخرها تلك التي حدثت في العاصمة "كلخو" وأدت إلى الإطاحة بالملك آشور - نيراري - الخامس وانتهت بمقتله، حيث اغتيل في عام ٧٤٦ ق.م، مع أفراد أسرته جميعاً. أنظر: ساكز، هاري: "قوة آشور"، ص ١٢٤، وأيضاً سليمان، عامر: "منطقة الموصل في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد، العصر الآشوري الحديث، ص ٩٣، ٩٤.

(٢) Ibid, pp. 26-27.

عاصره وقتذاك. ولذلك نجده قادراً على تمثيل نفسه ركباً على عربة ملكية، وهذا دليل آخر على محاولته الاستقلال عن السلطة المركزية الآشورية. مُستغلاً ضعف السلطة الملكية آنذاك، ومن المحتمل أن مثل هذا الإجراء لم يرض عنه الملك الآشوري (تجلات بلاصر الثالث) (٧٤٥-٧٢٧ ق.م) مما اضطره لمحاولة إزالة هذه النقوش والكتابات عندما أصبح ملكاً على بلاد آشور، (وسوف نأتي على ذكر الأسباب والدوافع التي دفعت بأولئك المسؤولين للتمرد ضد السلطة المركزية لاحقاً). وأما في النقوش الجدارية الآشورية يظهر التورتانو بالزّي الرسمي مُرتدياً إلى الرُكبة مع أو بدون الشّال القصير وقد تقلّد السيف ولكنّه لا يحمل صولجاناً، فمثلاً نجد في نقش تل برسيب العائد إلى (شمشي إيلو) حيث يظهر مُلتحياً ومُرتدياً شريط الرأس وهو عريض نسبياً من الخلف عنه في الأمام، وأما في نقوش مدينة دورشروكين (خُرسباد) فإن شريط الرأس يظهر أعرض نسبياً، ويتكرر استخدام هذا الشريط في المشاهد الحديثة للملك الآشوري (آشور بانيبال)، وهذا يدل على أن شريط الرأس كان يُستخدم من قبل الموظفين الكبار في الدولة الآشورية. كذلك فإن المركز المرموق الذي يتمتع به التورتانو يمكن تشخيصه من خلال التكريم والامتيازات الممنوحة له، على سبيل المثال في إحدى الرسائل والتي تُشير إلى توزيع الجزية على الموظفين الكبار نجد بأن التورتانو يتسلم نفس الكمية من الفضة والحاجيات الأخرى التي مُنحت إلى ولي العهد. وهناك وثيقة تؤكد هذا المركز المهم حيث يظهر بعض الموظفين التابعين للتورتانو وهم الطبّاخ والمزارع والخبّاز. كما يبدو أن زوجة أحد التورتانو كان لديها أملاك خاصة بها^(١).

ت- المهام والواجبات التي أُسندت إلى تورتانو (tûrtānu):

لقد تزعم القائد العام للجيش حُكام الأقاليم والمسؤولين الآخرين في الحملات العسكرية، وخصوصاً في حالة غياب الملك. ونتيجة لذلك فهو كان يُمثل المظاهر العسكرية للسلطة الملكية الآشورية.^(٢) وكدليل على أعمال التورتانو العسكرية نجد أن الملك الآشوري (أدد نيراري الثاني) قد أمر المدعو (آشور - ديني - أمر) (Aššur-dini-amur) والذي يحمل لقب تورتانو بالبقاء خارج حدود بلاد آشور: "أبقيت في مدينة نصيبين آشور - ديني - أمر التورتانو". وكذلك بعث الملك الآشوري (شلمانصر الثالث) التورتانو (ديان - آشور) (Dayan-Aššur) ضد مدينة بيت زمان في سنة ٨٣١ ق.م، كما أمره ثانية بالتقدّم ضد مدن (خوبشيك وماراشي وبارسوا). ولأهمية هذا التورتانو فقد تقلّد منصب (الليمو) مرتين خلال العاميّين (٨٥٣ و٨٢٦ ق.م)، وتأكيداً على دوره العسكري فلدينا رسالة موجهة إلى حاكم مقاطعة النمّرد بخصوص (أربعين أسيراً) من بلاد بابل، فالكاتب يترجى الحاكم بأن

(١) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٤٤، ٢٤٥.

(٢) Mattila. Raija, Op. cit. p. 109.

يتكلم مع التورتانو عن عشرة أسرى من مدينة رابيق، حيث يتضح من تلك الرسالة بأن التورتانو لم يكن مُرتاحاً من ناحيتهم.^(١)

إضافةً إلى ذلك كان (التورتانو) (tûrtānu) يعمل على تنفيذ أوامر الملك بالنسبة للجيش،^(٢) حيث امتلك عندها قوات رئيسية وكبيرة تحت تصرفه، وخاض العديد من الحملات العسكرية على مختلف الجبهات.^(٣) وعلى نحو خاص على الحدود الشمالية الشرقية والغربية للدولة الآشورية التي شكّلت عندها الجبهات الأكثر خطورة نتيجة لهجمات القبائل الجبلية المتدفقة عندها) وإلى جانب أعماله العسكرية تلك يظهر دوره السياسي أيضاً من خلال التقرير المُقدم من قبل المدعو (عشتار شَم - إقيشا) إلى الملك الآشوري بخصوص حاكم المقاطعة المجاورة لقبائل (الزكرتو) حيث أن سفيرهم الذي حضر لدى كاتب التقرير يتهم حاكم المقاطعة بعدم إخبارهم بخصوص هجوم الأناضوليين على أراضيهم. فالكاتب في تقريره يحاول إيضاح اللبس بأن الحاكم بريء من هذا الاتهام راجياً من الملك الاستفسار من السفير الثاني لأنه كان حاضراً عندما قدّم وفد (الزكرتيون) تقريرهم إلى القائد العام التورتانو. وهذا يُشير إلى دوره كممثل عن الحكومة المركزية، وتلقّيه للمعلومات العسكرية من البلاد المجاورة، ومن المحتمل أن تقديم التورتانو مجموعة من الخيول إلى القصر الملكي سنوياً، وربما له علاقة بأعماله العسكرية أو كضريبة مالية عن مقاطعته.^(٤)

٢- رَب شَقِي (rab-šaqî):

أ- تعريف لقب رَب شَقِي (rab-šaqî):

يرد في النصوص الآشورية الحديثة لقب (رَب شَقِي) (rab-šaqî)^(٥)، ويعني حرفياً: (كبير السقاة أو الساقى الرئيسي)، ومن المحتمل أنه كان سابقاً يُشرف إدارياً على الأعمال الخاصة بالرّي والقنوت، إلا أن أهميته ازدادت في العصر الآشوري الحديث وأصبح ثاني أهم وظيفة إدارية في القصر الآشوري، وفي قوائم الليمو يأتي بعد منصب التورتانو أيضاً، فضلاً عن كونه حاكم مقاطعة^(٦). وهذه المقاطعة الخاصة بوظيفته دُعيت باسم (باخوت لو رَب شاقى) (Pāhūt lu rab šāqî) أي (مقاطعة الرب شقي)، كما يرد ذلك في حوليات الملك الآشوري (تجلت بلاصر الثالث)^(٧).

(١) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٤٤، ٢٤٥.

(٢) Grayson. A. Kirk, "Assyrian Rule of conquered Territory in Ancient Western Asia", Op. cit. p. 963.

(٣) Betina. Faist, "Kingship and Institutional Development in the Middle Assyrian period", Padova, 2010, p.20.

(٤) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٤٤، ٢٤٥.

(٥) (شاقو تو) (šāqātu (m), šāqātu (m)) وهي كلمة أكديّة وتعني: سقاية، للمزيد أنظر:

مرعي، عيد: "اللسان الأكادي موجز في تاريخ اللغة الأكادية وقواعدها"، ص ٢٧٨.

(٦) مزهر، المهنا، رشا ثامر: التطورات السياسية للدولة الآشورية (٩١١-٧٤٥ ق.م)، ص ٧٤.

(٧) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٤٤، ٢٤٥.

ب- أهمية منصب رَب شَقِي (rab-šaḳī) والمهام المُسندة إليه:

لقد كان الساقى الرئيسى رَب شَقِي (rab-šaḳī) على سبيل المثال، أحد الضباط الكبار العالين في الجيش الآشورى آنذاك. حيث تذكر نصوص الأرشيف ورسائل من نمرود مجموعة من هؤلاء المسؤولين والذين كُفوا بقيادة جزء من الجيش الآشورى، فقد ورد في تلك النصوص اسم لأحد هؤلاء المسؤولين ويدعى عندها (نابو - إيطيرني) (Nābû-eṭiranni)^(١). وكان هؤلاء المسؤولون حملوا الألقاب التي تتعلق أصلاً بالخدمة المحلية في القصر، ولربما كانوا قد أنجزوا هذه الخدمات بمناسبات رسمية، وأثناء هذه الممارسات وتأدية هذه الخدمات هم كانوا مُؤتمنين على واجبات الدولة بدرجة عالية جداً. حيث كان يعمل (كبير السقا أو الساقى الرئيسى) كمفوض أو كمندوب للملك في المناسبات العظيمة، ومثال على ذلك (ما ذكر في حصار مدينة القدس في عهد الملك الآشورى سنحريب). إضافة إلى ذلك كانت توكل إليه أعمال ومهام اللجان الملكية الخاصة (مثل تعليمات نقل المواد الثمينة).^(٢) وبالنسبة لنشاطاته العسكرية، نجد بأن الملك الآشورى (تجلات بلاصر الثالث) قد أمر عندها: (رب شَقِي) (rab-šaḳī) التابع له بتجهيز حملة ضد بلاد (تابال) (فريجيا) ومرة ثانية ضد مدينة صور. وأما الملك الآشورى (شمشى أدد الخامس) فقد أمر (رَب شَقِي) المدعو حينها (موناغن - آشور) بالتوجه إلى بلاد (نائيري) أثناء حملة الملك الثانية إلى تلك البلاد. وهذه الشواهد تؤكد دوره العسكرى في الدفاع عن الدولة الآشورية، وتأكيداً على مرافقته للحملات العسكرية الملكية، تذكر أحد النصوص أن الملك الآشورى (سنحريب) بعث مع رب شَقِي برسالة للتفاوض مع أهالي مدينة القدس أثناء حملته على مملكة يهوذا حيث يطلب منهم الاستسلام كما يرد ذلك في التوراة. وهذا يبين دوره السياسى والعسكرى في آن واحد، وهناك منظر لنقش من نقوش الملك الآشورى (سرجون الثانى) يظهر منه رأس وكتف وقبعة لرجل في مشهد حصار مدينة من المحتمل أنها تمثل كبير السقا (رَب شَقِي). وهنالك الرسائل الآشورية المكتشفة من مدينة نينوى، والتي تبين السلطة الإدارية ضمن المقاطعات لبعض منهم، كما هو الحال بالنسبة إلى المدعو (نائد - إيلو) (رَب شَقِي) (rab-šaḳī) من خلال رسائله العديدة والموجهة إلى القصر. كذلك تذكر النصوص الآشورية الكاهن المدعو (بلاسى) في إحدى رسائله وهو يشكو فيها المسؤول (رب شَقِي) إلى الملك الآشورى (أسرحدون) حينها بخصوص مُصادرة هذا المسؤول للحقول والبساتين العائدة للكاهن نفسه، وهذا تأكيد آخر على سلطته الإدارية. على الرغم من الأهمية التي كان يحظى بها هذا الكاهن لدى الملك (أسرحدون) من خلال عدد الرسائل المُرسلة والبالغ عددها (١٧)، إلا أن (رب شَقِي) لم يتوقف عن اتخاذ قراره، كما أنه من المحتمل أن أملاك هذا الكاهن أي

(1) Luukko, Mikko. "The Correspondence of TIGLATH-PILESER III And SARGONII from CALAH/NIMRUD", The Neo-Assyrian Text Corpus project Helsinki 2012, p. 49, 50.

(2) Grayson. A. K., "Assyrian Civilization," "The Bureaucracy", Op. cit. p.200.

(بلاسي) تقع ضمن مقاطعة (رب شقي) المذكور. إضافةً إلى ذلك فإنَّ قوائم الليمو الآشورية والرسائل زودتنا بأسماء بعضٍ منهم أيضاً.^(١)

٣- ناجير إكلي (Nāgir ekalli):

أ- تعريف لقب ناجير إكلي (Nāgir ekalli):

يرد في النصوص الآشورية لقب (ناجير إكلي) (Nāgir ekalli) ويعني حرفياً: (مُنادي القصر)، وتُعد هذه الوظيفة من الوظائف القديمة في وادي الرافدين، وهي مُتصلةً بالقصر مباشرةً، وكانت مهمتهُ آنذاك تقديمُ الوفود والزوّار إلى الملك، فضلاً عن تصريحاته نيابةً عن الملك كاستدعاء الجُند أو مجلس المدينة للحرب مثلاً، كما أنه المسؤول عن كل ما يجب أن يسمعه العامة من الناس أيضاً.^(٢)

ب- أهمية منصب (ناجير إكلي) (Nāgir ekalli) والمهام المُكلف بها:

لقد أشرنا فوق بعضاً من المهام التي كانت قد أُكلت لمُنادي القصر (ناجير إكلي) سابقاً، ولكن ومع بداية العصر الآشوري الحديث، نجد عدداً من المهام والواجبات الأخرى التي تولّاها منها: قيادةُ الجيش مثلاً للدفاع عن الدولة الآشورية، والذي أدّى بدوره إلى زيادة صلاحياته، كذلك كان بإمكانه امتلاك المقاطعات والتي حملت اسمه الشخصي، الأمر الذي دفع بهؤلاء أي: (ناجير إكلي) إلى محاولة الاستقلال الذاتي عن الإدارة المركزية، خاصةً خلال الفترة الأولى من العصر الآشوري الحديث (٩١١-٧٤٥ ق.م)، وفي فترات ضعف السلطة المركزية أيضاً.^(٣) كما تُشير بعض الرسائل الآشورية الحديثة إلى أنَّ (الناجير إكلي) كان يُدير عندها الكثير من الأعمال التي تخصُّ الشؤون العسكرية نيابةً عن الملك، حيثُ نجد في فترة حكم الملك الآشوري (سرجون الثاني) بأنَّ (الناجير إكلي) المدعو (زير - ابني)، والذي تقلّد منصب الليمو سنة (٧١٨ ق.م) يقوم بجمع المعلومات العسكرية، وإعطاء أوامر إلى حُكّام المقاطعات المحليين في بلاد الأناضول، كما هو موضَّح في الرسالة المُرقّمة (٤٠٩) والمرسلة من (أوزرانا) حاكم مدينة (موصاصر) إجابةً على الاستفسار المُوجّه إليه من (الناجير إكلي) عن مكان ملك بلاد الأناضول، فكانت الإجابة بأنّه في مدينة أوبسي الأناضولية. وقد حصل (أوزرانا) على هذه المعلومات من الحُكّام المحليين لكلِّ من مدينة (أوبسي) ومن (بلاد الأوكيين) أثناء زيارتهم له عندما قدموا للمشاركة بالاحتفالات الدينية في مدينة (موصاصر)، وطبعاً هذه المعلومات قُدّمت إلى الملك الآشوري سرجون الثاني للاطلاع عليها واتخاذ ما يلزم، كما أنَّ هذه الرسالة تُعطينا أيضاً صورةً أوضح عن صلاحيات (الناجير إكلي) الإدارية نيابةً عن الملك سرجون الثاني حيثُ نجد بأنّه يُصدر أمراً إلى (أوزرانا)

(١) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٤٥، ٢٤٦.

(٢) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٤٦.

(٣) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٤٦.

يُحذَرُ قائلاً: "من دون أمر الملك ولا واحد منكم يجب أن يضع يده في هذه الاحتفالات". وهذا النص يبين فعلاً أن الحكّام المحليين في بلاد الأناضول لم تكن لديهم حُرّيّة التصرف في الأمور التي لها علاقة بملك الأناضول نفسه، وفي رسائل أخرى نجد أن (الناجير إكلّي) يبعث بتقرير إلى الملك الآشوري بخصوص المهمة التي كُلِّفَ بها. وهي مُفَاتِحَةُ أهالي بلاد (قوي) (Que)^(١) حيث يصفهم بالعناد ورفضهم النزول من الجبال للتحدّث معهم كما أنّه يحاول تذكير الملك بتصرفهم المشابه عندما كانوا في مدينة نينوى في حضرة الملك قائلاً:

"عندما كنت في نينوى قلت: إنّه من غير المفيد التحدّث معهم إنهم لا يُطيعون ويرفضون تقديم المُقاتلين، في حينها الملك أمر قائلاً: خذ اثنين أو ثلاثة من مدّتهم والتي أعطيتها إلى (بيل دور) (Bel-dûr). الآن وضعتها تحت تصرفك" سوف أذهب وأتصل بهم وإن لم يستمعوا لي سأكتب إلى الملك سيدي".^(٢)

ومن خلال هذه الرسالة ورسائل أخرى، يمكن لنا أن نستنتج على أن (مُنادي القصر) (الناجير إكلّي) خلال فترة العصر الآشوري الحديث، وبالرغم من إقامته في القصر الملكي، إلا أنّه كان يُكَلِّفُ ببعض الأعمال خاصّةً العسكرية منها خارج حدود الدولة الآشورية، أو يُرسل كمندوب عن الملك للتفاوض مع سكان البلاد الحدودية. وهكذا فإنّ سُلطة (الناجير إكلّي) لا تقتصر على داخل القصر فقط وإنّما خارجة، ولديه موظفون تابعون له، وبإمكانه الكتابة إلى الملك مباشرةً، وهو أيضاً يستلم الرسائل من المقاطعات، وخاصّةً التابعة أو المجاورة لمقاطعته الخاصة كما كان يبت في بعض القضايا الإدارية، فمثلاً، نجد أن (الناجير إكلّي) (زير - إبنّي) المذكور آنفاً يتهم من قبل المدعو (مردوخ إريبّا) بأنّه سجنه ووضع الأغلال في يديه، ويدافع (زير - إبنّي) عن هذا الاتهام وذلك في الرسالة ذات الرقم (١٥٤)^(٣).

ونمّ العثور على عددٍ من الكتابات والنقوش التي تعود إلى بعض (مُنادي القصر) ومنهم:

(مُنادي القصر) المدعو (بيل - خرّان - بيلي - أُصر) (Bel-Harrân-beli-uşur)

(١) (قوي) (Que): وهي مملكة صغيرة يعد سهل كيليكيا الموقع الجغرافي لها يحدها البحر المتوسط من الجنوب وجبال طوروس من الشمال والغرب، وسلسلة جبال الأمانوس من جهة الشرق، كذلك تعد حلقة وصل بين سوريا والأناضول وهي ضمن الأراضي التركية في الوقت الحاضر. وتأتي اسم المملكة بصيغة (Que) قوي أو كوي أو خيليكو (hilikku). أنظر: خلف صالح الحديدي، أحمد زيدان: علاقة بلاد آشور مع الممالك الحثية في شمال سوريا، ص ٢٨.

(٢) Pfeifer. R. H, "State Letters of Assyria", No. 101, (New -Haven, 1935), p.113.

(٣) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٤٧.

الذي شغل منصبه هذا للفترة (٧٨٢-٧٢٧ ق.م)، حيث استشهد به كمنادي للقصر على نحو استثنائي لفترة طويلة. وربما تقلد هذا المنصب في بداية عهد الملك الآشوري (أدد-نراري الثالث)^(١). كما يرد ذكره أيضاً (كمنادي للقصر) في عهد الملك الآشوري شلمانصر الرابع، ومرة ثانية في عام ٧٤١ ق.م، في منصب الليمو في عهد الملك الآشوري (تجلات بلانصر الثالث). إضافة لذلك هو كان معروفاً أيضاً بأنه تقلد منصب الليمو وحاكماً أيضاً لمقاطعة جوزانا في عام ٧٢٧ ق.م. وقد ترك لنا (منادي القصر) المدعو (بيل - خزان - بيلي - أصر)، مسلة تسجل أعماله العمرانية في مدينة (دور بيل خزان بيل أوصر) (Dûr-Bêl-ḥarran-bêl-ušur) (تل عبطة حالياً)، المكتشفة في (وادي الثرثار حالياً) حيث يظهر اسمه أولاً، قبل الملك^(٢).

٤ - أبرأكو ريو (abarāḱku rabû):

أ- تعريف لقب أبرأكو ريو (abarāḱku rabû):

يرد في نصوص الأرشيف الآشوري لقب (ريو أبرأكو) (abarāḱku rabû) ويعني حرفياً: (الوكيل المالي الكبير أو مسؤول المالية)، وتعد هذه الوظيفة رابع أكبر الوظائف بالنسبة للدولة الآشورية الحديثة حسب ما يرد ذلك في قوائم (الليمو) الآشورية، وعلى ما يبدو فإن (abarāḱku rabû) (ريو أبرأكو) هو المسؤول عن هذه الوظيفة، وكان تحت تصرفه مقاطعة خاصة به، وموظفين موزعين في المقاطعات تحت إشرافه^(٣).

ب- المهام والواجبات التي أسندت إلى (أبرأكو ريو) (abarāḱku rabû):

كانت المهام الرئيسية الموكلة إلى (ريو أبرأكو) (abarāḱku rabû) تتعلق بالقضايا الاقتصادية بالدرجة الأولى، ومنها الإشراف بشكل خاص على توزيع الجزية والضرائب التي تصل إلى العاصمة، وكانت لهذه الوظيفة مقاطعة خاصة بها وهي تحت تصرف الشخص الذي يشغل هذا المنصب (أبرأكو). وتذكر بعض الرسائل الآشورية قيادة (ريو أبرأكو) (abarāḱku rabû) للجيش في أوقات الأزمات. وتذكر النصوص أحد هؤلاء (abarāḱku rabû) خلال الفترة السرجونية المدعو (طاب - شار - آشور)، والذي شغل هذه الوظيفة (abarāḱku-rabû)، وأصبح موظفاً للحولية أي (الليمو) لعام (٧١٧ ق.م). كما أن هناك العديد من الرسائل التي توضح مركز (طاب - شار - آشور) المالي فمثلاً نجده يكتب إلى الملك الآشوري سرجون الثاني عن استلامه لكمية من الفضة في (الرسالة ١٧٣)، كذلك نجد أنه قد أوكلت إليه مهمتان:

(1) Postgate. J. N, "Neo-Assyrian Royal Grants and Decrees", (Studia Poh1 S.M. 1), Roma 1969, pp.115-117.

(2) Grayson. A. Kirk, "Assyrian Officials and Power in the Ninth and Eighth Centuries", Op. cit. p.28.

(3) مزهر، المهنا، رشا ثامر: "التطورات السياسية للدولة الآشورية (٩١١-٧٤٥ ق.م)"، ص ٧٤.

الأولى بخصوص معبد الإله آشور (الرسالة ٤٣٣)، والثانية تتعلق بمعبد الإله سين في حرّان (الرسالة ٤٨٩). هذا بالإضافة إلى إشرافه الشخصي على تقسيم الأعمال المُناطة بكل من حاكم مقاطعة كلخو (نمرود)، وحاكم مقاطعة أزابخا (كركوك) بخصوص بناء سور مدينة دور شروكين، وتحديد مسؤولية كل منهما (الرسالة ٤٨٦). وأمّا أبرّاكو مدينة دورشروكين (خُرسباد) والمدعو (ina-šar-bēli-allak) (إن - شر - بيلي - ألاك) فيُعطينا صورةً أوضح بخصوص واجباته المالية في رسالته (١٦٧)، والموجهة إلى الملك الآشوري سرجون الثاني حينها، وهي تخصّ ذهابه إلى مدينة (شاباريشو) لاستقبال الأشخاص والثيران التي بحوزتهم من مدينة (جوزانا) (تل حلف) ولقائه بهم، ثم إعطاءه تقريراً عن المفقودات وكيف أرسل شخصياً إلى جوزانا للبحث عنها، ثم يُعطينا موقفاً عن المأكولات والمشروبات التي قدّمها إلى معبد الإله نابو.^(١)

٥ - سوكالو ريو (sùkallû rabû) :

أ - تعريف لقب سوكالو ريو (sùkallû rabû) :

يرد في النصوص الآشورية لقب (سوكالو ريو) (sùkallû rabû) ويعني حرفياً: (الوزير الكبير). وكانت هذه الوظيفة معروفة في بلاد وادي الرافدين قبل مجيء الآشوريين وكان شاغلها يُعتبر ثاني أهم شخصية بعد الملك آنذاك. وقد عمل الملك الآشوري (أسرحدون) على إعادة هذه الوظيفة إلى النظام الإداري الآشوري.^(٢)

ب - أهمية منصب سوكالو ريو (sùkallû rabû) والواجبات المُناطة به:

كان مركز هؤلاء المسؤولين رفيع المستوى بحيث من حينٍ لآخر نجد بأنهم يشغلون منصب موظف الحولية في قوائم (الليمو). كما أنهم يظهرون بمستوى عالٍ عموماً في قوائم الشهود في الوثائق القانونية، ويرى بعض الباحثين أنه نظراً لاسم المنصب، فإن إحدى تلك الاحتمالات تقول: (بأنهم ربما كانوا مُستشارين قانونيين للملك الآشوري، حيث يُشرفون على تنفيذ القضايا القانونية آنذاك).^(٣)

كذلك كان لدى (سوكالو ريو) (sùkallû rabû) مقاطعة خاصة به، بالإضافة إلى مُساعد ينوب عنه يدعى (سوكالو شَنُو) (sukallu šanû) أي (نائب السوكالو) ينوب عنه في حالة غياب سيده.^(٤) وكان أول من شغل موظف الحولية (الليمو) في هذا المنصب هو المدعو (أبي - رام) حاكم مقاطعة (خانيجلبات) عام (٦٧٦ ق.م). ومثال على الواجبات التي أوكلت إلى (سوكالو ريو) (sùkallû rabû) تذكر إحدى النصوص الحادثة التالية:

(١) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٤٧، ٢٤٨.

(٢) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٤٨.

(٣) Mattila. Raija, Op. cit. p. 5.

(٤) Radner. Karen, "The Reciprocal Relationship between Judge and society in the Neo Assyrian period", University College London, in MAARAV 12.1-2, 2005, p.55.

"شكوى من مواطن أكدي ضد أحد الموظفين الآشوريين مدّعيًا بأنه أخذ بعض الأفراد التابعين لعائلة والده وبعض من أراضيهم، حيث عين الملك الآشوري قاضيين لهذه المسألة، هما المسؤولان (سوكالو وسارتينو) وأمرهم بما يلي: "احكموا في القضية بعدالةٍ وحق في بلادي بنص".^(١) وفعلاً قضى هذين القاضيين (السوكالو والسارتينو) في شكواه وأفرجوا عن أتباع والده المدّعي، ولكن على ما يبدو فإن نفس الموظف الآشوري المُشتكى عليه قام بالاستيلاء عليهم مرةً ثانيةً. فهذا المثال خير دليل على عمل السوكالو كما أُشير إليه في القضايا القانونية، وهناك العديد من الرسائل المُعنونة أيضاً إلى دائرة السوكالو.^(٢)

٦- رب - شا - ريشي (rab- šā- rēši):

أ- تعريف لقب رب - شا - ريشي (rab- šā -rēši):

يرد في النصوص الآشورية لقب (رب شا ريشي) (rabŠā rēši) ويعني حرفياً: (كبير الخصيان أو الخصي الرئيسي) أي (الخادم الشخصي للملك). ويتكون هذا اللقب من مقطعين هما: الأول "رب" وتعني: "كبير أو رئيس أو سيد" والآخر "شا ريشي" ويعني:

"الخصي"، وبهذا يكون اللقب "رب شا ريشي" يعني: "كبير أو رئيس أو سيد الخصيان"^(٣). كذلك يعدُّ "قائد الهيئة أو المجموعة الملكية".^(٤) وتُعد ثاني أهم الوظائف بعد مجموعة الأمراء والنبلاء الآشوريين، وكان هذا المسؤول الكبير مُلحقاً بقصر الملك وقصر ولي العهد أيضاً، ويوحى هذا اللقب بأنه كانت لديه السيطرة على جميع الخصيان الذين أقاموا وجأؤوا إلى القصر والإدارة الآشورية.^(٥)

ب- الأهمية والمكانة المميزة التي تمتع بها هؤلاء الخصيان داخل القصر الملكي:

تمتعت هذه المجموعة بأهمية خاصة بين الرجال المُفَرَّدين من الملك، وكذلك حريم الملك وذلك خلال العصر الآشوري الوسيط وبشكل أكثر خلال العصر الآشوري الحديث، وكان من أبرز مهامهم المتعددة رعاية شؤون جناح النساء الملكي (الحرملك)، وقد شكلوا خلال الألف الأول ق.م مجموعة خاصة متميزة ضمن البلاط الملكي^(٦)، ومن المؤكد أنهم كانوا يُكنون ولاءً خاصاً ومُميّزاً للملك، والسبب وراء ذلك يعود إلى كونهم يفتقرون إلى أسرة خاصة يمكن أن يعملوا لتحقيق مصالحها الخاصة. فالغاية من عدم قدرة (الخصي) (الجسدية) على إنجاب الأطفال ليكون "رب أسرة"، هو لضمان ولاء الخصيان

(1) ABL 716= Pfeifer, Ibid, p.194.

(2) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٤٨.

(3) كاظم جفيل الشمري، يوسف، وعجاج حميد الجنابي، عامر: "ظاهرة الخصاء خلال العصور القديمة"، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج (٥)، العدد (١)، جامعة بابل ٢٠١٥م، ص ١٦٠.

(4) Betina. Faist, Op. cit. p.21

(5) Mattila. Raija, Op. cit. p.5

(6) Bienkowski, P. and Millard, A. "Dictionary of the Ancient Near East", British 2000, p.139.

لسيدهم الملك فقط. يُضاف إلى ذلك، فإنَّ الرجال الذين يُصبحون خَصِيَانًا يتخلَّونَ عن جميع ارتباطاتهم الأسرية بالترتيب لصالح خدمة الملك. وغالباً ما يأخذ ذلك الرجل (الخصي) اسماً جديداً في عمله الجديد. وأمَّا الخلفيات الأصلية للخصيان الآشوريين تظلُّ غامضةً ومُبْهمةً بالكامل. وهذا ليس فقط نتيجة عرضية لوجود المصادر المتوفرة عنهم بشكل عابر، فالخصيان ليس لهم عائلة يعترفون بها، حيث كان ولاؤهم وإخلاصهم يعود أولاً وقبل كل شيء إلى الملك والذي يبدو أنه اعتبرهم تقريباً مثل الأطفال المُتَبَنِّون. والأكثر أهميةً أنه كان على ورثة الملك مسؤولية الاعتناء ورعاية الخصيان بعد وفاته.^(١) كذلك يبدو من النصوص أنَّ الهبات وقطع الأراضي الممنوحة لهم من الملك كانت تعود للحكومة بعد وفاتهم.^(٢) وقد جرى تصوير هؤلاء الخصيان في المنحوتات والنقوش الفنية بشكلٍ مختلفٍ ومتميزٍ عن الآخرين، من خلال تصويرهم بلا لحية، وكانوا يحملون غالباً أسماءً تُعبر عن ارتباطهم الخاص بالحاكم. وقد تم تكليفهم بوظائف عالية المستوى، ونالوا ثقة الملك، على الرغم من أنَّ أصولهم كانت غير واضحة كما أشرنا سابقاً.^(٣)

ت- المهام والواجبات الموكلة إلى هؤلاء الخَصِيَان:

لقد شكَّل هؤلاء (الخَصِيَان) (Šā-reši) أي (رجال البلاط الآشوري) أكبر مجموعة من موظفي القصر عندها، كما أنَّ عملهم داخل القصر يكون مُقتصرًا على خدمة الملك ويكون مقرُّ تواجدهم في القاعة الداخلية التي تُدعى (بيتانو) (bitānu) والتي تضمُّ الجناح الخاص بالملك وفيها موظف مسؤول يُدعى (رَب بيتانو) (rab bitānu) أو يُلقب أحياناً باللقب:

(شا موخي بيتانو) (Šā muḫhi bitāni) وهو المسؤول عن خدمة جناح المعيشة في القصر وتُعتبر من الوظائف الإدارية المُهمّة داخل القصر كما تُبين ذلك رسالة توزيع الغنائم (٥٦٨)، كما كانت من أبرز مهامهم المتعددة رعاية شؤون جناح النساء الملكي (الحرملك). كذلك يتواجد (ša rēši) في القاعة الخارجية المدعوة (bābānu)، والتي تضمُّ مجلس القصر وكان على رأس هؤلاء الخَصِيَان العاملين في هذه القاعة كبيرهم المدعو:

(rab ša rēši) (رئيس رجال البلاط)^(٤)، وتذكر النصوص أمثلةً على هؤلاء الخَصِيَان منها: هناك ختم لحاكم مدينة (كلخو) المدعو (بيل - تارصي - إيلوما) وكذلك ختم آخر للمدعو (نرگال إيرش) وهما غير مُلتحيين، علماً بأنَّ الأول كان يحمل لقب (Ša rēši) بالإضافة إلى كونه حاكم المدينة. وكان يتم تعيين حُكَّام المقاطعات من بين هذه المجموعة، وخاصةً منذ عصر الملك الآشوري (تجلات بلاصر

(1) Radner. Karen, "Royal Decision- Making: Kings, Magnates, and Scholars", chapter 17, The Oxford Handbook of Cuneiform Culture, Oxford 2011, pp. 359-360.

(2) كيرشباوم، ايفا كانجيك: "تاريخ الآشوريين القديم"، ص ١١٢.

(3) كيرشباوم، ايفا كانجيك: المرجع السابق، ص ١١٢.

(4) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٥٠.

الثالث) (٧٤٥ ق.م)، حيث بدأ الملوك يذكرون الفقرة التالية عند تعيينهم للحكام: "عَيَّنْتُ عَلَيْهِمْ أَحَدَ مُوظَّفِي الْبِلَاطِ كَحَاكِمٍ مَقَاطِعَةٍ".^(١) ومن وجهة نظر الملك آنذاك ليس من الضروري أن يكون هؤلاء الحكام ينحدرون من عوائل معينة أو غنية بقدر ما يكون ولائهم وطاعتهم له. ومن المحتمل أن الملك الآشوري (تجلات بلاصر الثالث) استخدمهم حينها كأداة لتقليص نفوذ طبقة (الأمراء والنبلاء) (زبانو) (rabânu)، حيث كانت معظم الثورات التي هزّت الدولة الآشورية الحديثة، نتيجة تأمر مثل هذه العوائل المنتفذة وخاصة المقرّبين من الملك شخصياً ورغبتهم بالاستحواذ على السلطة^(٢). ولدينا مثال آخر يوضح طبيعة وظيفة (rab-ša rēši) (رئيس رجال البلاط) فهناك المدعو (سين - شُم - أُشُر) الذي كان رئيساً لرجال البلاط في عهد الملك الآشوري (آشور - إبطلي - إيلاني) حيث يظهر لنا من خلال النصوص الملكية المكتشفة في مدينة كلخو (نمرود) وبشكل جلي وواضح بما لا يدع مجالاً للشك فيه أهمية منصب رئيس أو كبير الخصيان المذكور آنفاً وتدخله بتتصيب الملك نفسه. فقد كان لدى (سين - شُم - أُشُر) قواتاً عسكرية خاصة به. كما أن هناك نصوصاً أخرى أعطتنا صورة أوضح عن (سين - شُم - أُشُر) والتي كانت بالدرجة الأولى نصوص الهدايا والأمالك والامتيازات الممنوحة له من الملك الآشوري (آشور - إبطلي - إيلاني)^(٣) تقديراً لجهوده الخاصة التي قدّمها للملك، نذكر على سبيل المثال واحداً من النصوص والذي يقول:

"آشور - إبطلي - إيلاني.... المشرف، ابن آشور بانبيال.... المشرف، ابن أسرحدون.... أيضاً المشرف، بعدما أنجبني والدي ورحل لم يبق والدي بتربيّتي أو علّمني لأمدّ أجنحتي ولم تعتن بي والدتي أو ترعني في تربيّتي. سين - شُم - أُشُر، رئيس الخصيان الذي استحق استحسان والدي قادني بشكل ثابت مثل والدي ونصّبني بأمان على عرش أبي، وجعل شعب آشور الكبير والصغير يواصلوا مراقبة ملوكيتي أثناء صغري واحترام ملوكيتي. فيما بعد نابو - رختو - أصر... الذي قام بعمل ثورة وتمرد.... حشد شعب آشور والمدينة.... معاهدة قسم.... لسين - شُم - أُشُر

(١) Dreil, Van, "Land and people in Assyria: some remarks", in Bi. or, XX VII (1970), P.169.

(٢) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٥١.

(٣) (آشور - إبطلي - إيلاني): حدثت اضطرابات داخلية في السنوات الأخيرة من حكم الملك آشور بانبيال، حيث انتقل الحكم فعلياً إلى ابنه آشور - إبطلي - إيلاني في حدود عام ٦٣٠ ق.م، ربما بسبب تقدم آشور بانبيال بالسن، أو محاولة ابنه تجنيبه المشكلات الداخلية أو لأسباب أخرى غير معروفة، وفي عام ٦٢٧ أو ٦٢٦ ق.م توفي الملك آشور بانبيال وتحولت تلك الاضطرابات الداخلية إلى ثورات فعلية، واستمر آشور - إبطلي - إيلاني في الحكم حتى عام ٦٢٣ ق.م أنظر: الجبوري، علي ياسين: "منطقة الموصل في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد العصر الآشوري الحديث"، ص ١٠٥.

الخصي.... الذي نصب حاكم مدينة كار.... معهم.... تبعاً لأمر بيل ونابو الآلهة العظيمة سادتي.... سين-شم-أشّر قاندي الخصي.... الذي وقف معه الشعب....^(١).

يوضح هذا النص أهمية رئيس الخصيان سين-شم-أشّر في الحوادث التي جرت في المملكة الآشورية الحديثة وخاصة في مسألة تربية ولي العهد إذ إنه حسب النص فإن رئيس الخصيان أوكلت إليه تربية ابن الملك وتدريبه على طقوس الملكية، وما يتوجب على الناس والرعية من واجبات تجاه ملوكهم، كما يشير النص إلى الدور الذي قام به رئيس الخصيان في تنصيب ولي العهد ملكاً، واهتمام رئيس الخصيان والذي كوفاً من قبل الملك آشور - إطلي - إيلاني بأن أقطع الأراضي المَغفأة من الضرائب ونصبه مُستشاراً ملكياً له^(٢)، بالإضافة إلى تعيينه نائباً له على بلاد بابل وذلك لدوره في إخماد التمرد ضد الملك آشور - إطلي - إيلاني، إذ ورد اسمه في قائمة حُكام بابل أثناء فترة خضوعها للآشوريين. إلا أن فترة حكمه لبابل لم تدم طويلاً فقد ثبت في لوائح حُكام بابل بأنه حكمها لبضعة أشهر فقط^(٣). وهكذا أصبح رئيس الخصيان في القصر مُستشاراً ومُتَنَفِّذاً داخل القصر الملكي الآشوري، ونظراً لضعف الملك الآشوري آشور -إطلي-إيلاني المذكور في إدارة البلاد واعتماده بذلك على الغير فقد شجع رئيس الخصيان على قيادة تمرد ضد ملكه ونجح خلال ذلك التمرد وبتأييد من أتباعه في إزاحة ملك آشور وتنصيب نفسه ملكاً في عام ٦٢٧ ق.م. وبعد تولي الملك الجديد أي رئيس الخصيان سين-شم-أشّر سابقة جديدة في تاريخ الدولة الآشورية الحديثة، إذ لم يكن قبل هذا التاريخ بحسب النصوص والمعلومات المكتشفة أن تولى العرش الآشوري واحداً من الخصيان، بل خلال المدة السابقة لهذا التاريخ كان قد اقتصر دور الخصيان على خدمة أسيادهم وملوكهم، كذلك لم يكن لأحد منهم طموح في الوصول إلى العرش منذ قيام الدولة الآشورية حتى حكم آشور بانيبال، بالإضافة إلى أنه لم يكن لهم دور في مجريات الأحداث حتى حكم الملك آشور - إطلي - إيلاني، ونجاح سين - شم - أشّر بالسيطرة على العرش الآشوري، إلا أنه لم يدم حكمه للدولة الآشورية سوى بضعة أشهر^(٤).

ولدينا مثال آخر على الدور الهام الذي لعبه رئيس الخصيان في إدارة القصر، حيث يذكر أحد النصوص (الخصي الرئيسي) المدعو المدعو (نَبِيل - جَرُو - أُصُر) (Nabil-garrû-uşur) الذي تمّ اختياره من قبل الملك لهذا المنصب بعد أخذ موافقة إله الشمس (šamaš)، والذي يُعطي النتيجة المناسبة أو المثلى على الشخص المُختار، وكان الملك يعتمد على اقتراحات مسؤوليه الإداريين فيما

(1) Kataja, L. and Whiting, R, "Grants, Decrees and Gifts of the Neo- Assyrian period", SAA, Vol XII, Helsinki University 1995, p.36 -39.

(2) Oates, J. "The Fall of Assyrian (635-609 B.C)", Chapter 25, in CAH III, 2 ed ,1991, p.672.

(3) Opnheim, Leo, "Babylonian and Assyrian Historical Text", in ANET, Chicago 1960 ,p.566.

(4) Oates, J. loc. cit. p.172.

يتعلق بشؤون تصريف الدولة. وكان المسؤول الكبير على أية حال أي: (الخصي الرئيسي) لا بد له أن يبقى الملك على اطلاع بشكل دائم فيما يخص (أعمال ونشاطات المسؤولين الآخرين)، ويسأله عن موافقته بشأن تلك الأعمال، كما هو واضح من المثال التالي:

"ففي رسالة من المدعو (بيل - ليقيبي) (Bel-liqbi) والذي كان يشغل من المحتمل منصب حاكم مقاطعة (صوبت) (šupat) إلى الملك الآشوري سرجون الثاني، والذي يستفسر منه فيما إذا كان الرجلان قد تم قبولهما (أي الموافقة عليهما) كمراقبين لمحطتي البريد في ذلك الوقت".^(١)

٧- سارتينو (sārtennû):

إن كلمة "القضاء" في اللغة تعني "الحكم" وأصل هذه الكلمة في العربية "قضاي" لأنه من قضيت والقضاء جمعه أقضية، وفي مختار الصحاح^٢ نجد أن كلمة القضاء تعني الحكم وجمعها أقضية والقضية مثله والجمع قضايا وقضى يقضي بالكسر أي حكم، كما أن كلمة "قضاء" مصدر وفعله قضى ومعاني كلمة قضى كثيرة منها: قضى بين الخصمين أي حكم، وقضى دينه أي أداه وتأتي كلمة قضاء بمعنى إحكام الشيء.^(٣) وأما في لغات بلاد الرافدين القديمة فقد دلت النصوص المسمارية على استخدام كلمة القضاء وورودها في تلك النصوص باللغتين السومرية والأكدية ففي اللغة السومرية نجد أن كلمة "Di" تعني: "قضاء وحكم وقضية" ويقابلها باللغة الأكدية "دينو" "Dinu"^(٤) والتي تُعطي نفس المعاني (القضاء، الحكم، القضية)^(٥). وأما معنى القضاء اصطلاحاً فهو الفصل في النزاع القائم بين المتخاصمين وفقاً لأحكام القانون وإنه تمثيل لسيادة الدولة، والغاية منه حفظ الحقوق وإشاعة الأمن والطمأنينة في المجتمعات البشرية عقب الحقب الزمنية التي عاشتها، وعلى هذا الأساس شرعت القوانين في بلاد الرافدين القديمة منذ أن اهتدى الإنسان إلى الكتابة والتدوين وظهور الكيانات السياسية في حدود الألف الثالث قبل الميلاد.^(٦)

(١) Radner. Karen, "Mesopotamia –Neo-Assyrian period", A history of Ancient Near Eastern Law, Vol. II, Brill –Leiden. Boston, 2003, p.888.

(٢) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: "مختار الصحاح"، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٩م، ص ٢٢٦.

(٣) حبيب الشمري، طالب منعم: "القضاء والتنظيم القضائي في الحضارة العراقية القديمة"، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، المجلد ١، العدد ١، ٢٠٠٧م، ص ١٠٣، ١٠٤.

(٤) (ديانو، دانو) (diānu(m), dānu) وهي كلمة أكدية تعني: "يقضي، يحكم" وهي مشتركة بين جميع لغات المشرق العربي القديم، وأما (ديانو) (dayyānu(m) فتعني: "قاضي". للمزيد أنظر: مرعي، عيد: "اللسان الأكادي موجز في تاريخ اللغة الأكادية وقواعدها"، ص ١٣٨، ١٣٩.

(٥) سليمان، عامر، وآخرون: "المعجم الأكدي - معجم اللغة الأكدية (البابلية - الآشورية)"، منشورات مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٩٩م، ص ٢١٦.

(٦) باقر، طه: "مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة"، ج ١، ص ٩٤-١٠١.

أ- تعريف لقب سارتينو (Sārtenu):

يرد في نصوص الأرشيف الرسمي للدولة الآشورية الحديثة مصطلح (سارتينو) (Sārtenu) ويعني القاضي الرئيسي (Sārtenu) أي: ((المسؤول الذي تضمنت واجباته التصرف أو العمل كقاضي في العديد من القضايا))^(١)، ويرى بعض الباحثين أنَّ النهاية المميزة لهذا المصطلح ربما قد تكون كلمة مُستعارة أو مأخوذة من الحوريين^(٢). كما أنَّ الاقتراح بارتباطها بالكلمة الأكديّة (شَرَتو) (šartu) والتي تعني "عقوبة الجريمة" لا يمكن أن تكون مؤكدة أو مبرهنة.^(٣)

ب- المهام والواجبات التي يؤديها سارتينو (Sārtenu):

كان سارتينو (sārtenu) على عكس المسؤول الذي سبق وأن أشرنا إليه أي (السوكالو) (sūkallu) أي أنه لم يكن لديه مقاطعة، كما لم يكن له نائبٌ ينوب عنه. واشتراكه في الأمور العسكرية لم يكن بارزاً. وطبقاً لنصوص الأرشيف الرسمي، نجد أنَّ هذا الموظف هو المسؤول عن تطبيق العدالة غالباً في كثير من القضايا وعلاوةً على ذلك، فإنه كان يتولى وظائف قضائية أكثر من أي موظف حكومي آخر، بالإضافة إلى أنه كان يسافر باستمرار داخل الدولة الآشورية لتأدية واجباته القضائية ولتصرف كقاضي. وهناك نصان أحدهما من مدينة: (Dur-katlimmu) (حديثاً تل الشيخ حمد) (Shikh Hamad) في سوريا، والآخر عبارة عن رسالة من بابل. حيث يتبين لنا من خلالهما أنَّ كلا من المسؤولين (sūkallu) و (sārtenu) كانا يقضيان أو يحكمان بقضايا قانونيةٍ سوية آنذاك. وهناك حالات أكثر لمثل هذا التعاون كانت قد استشهد بها أو تم التثبت منها، حيث هناك رسالتان كلاهما من مدينة نينوى ذات الأرقام (7 and no.3)، وحالة أو قضية واحدة من مدينة آشور، حيث تتساوى الميزات التي يتميز بها المسؤول (sārtenu) مع المسؤول (sūkallu) كقاضين في الرسالة (no2)^(٤). وهو ليس من السهل التثبت من درجة أو مستوى كلٍ منهما في النظام المرتبي الآشوري، كذلك تشير نصوص مختلفة لتعاقب هذين المسؤولين ومنها:

حيث يرد أحياناً ذكر المسؤول (السوكالو) (sūkallu) أولاً في النص (11 and 7, no.3)، وأحياناً أخرى المسؤول (السارتينو) (sārtenu) في النص (9 and no.2)، وبشكل عام هما يظهران ليكونا زملاء في منزلة متساوية، ويُلاحظ ذلك من خلال قائمتي الشهود في الوثائق القانونية. حيث يتعاقب كل من المسؤولين:

- (1) Mattila. Raija, "The King's Magnates a study of the highest officials of the Neo-Assyrian Empire", in SAA No. 11, The Neo-Assyrian Text Corpus Project 2000. p.5.
- (2) Radner. Karen, "The Reciprocal Relationship between Judge and society in the Neo Assyrian period", University College London, in MAARAV 12.1-2 2005, p.55.
- (3) Deller. K, "Die Rolle des Richters im neuassyrischen Prozeßrecht", Studi in onore di E. Volterra 6, (1971), pp. 650-652.
- (4) Radner. Karen, op. cit. pp. 55.

(السارتنو) (sārtennu)، (السوكالو دَنُو) (sûkāllu dannu)، (السوكالو شَنُو) (sûkāllu šaniu) اللذين تم الاستشهاد بهم في تلك الوثائق. ويلاحظ أيضاً أن مناصب هؤلاء المسؤولين الثلاثة (sārtennu)، (sûkāllu dannu)، و (sûkāllu šaniu) لم تُمنح لهم لمدى الحياة، ومن المُثير للانتباه كذلك أن هذه المناصب الثلاث قد وُزعت فيما بين هؤلاء المسؤولين حيث تُظهر المصادر أن المسؤول (sûkāllu dannu) يمكن أن يشغل لاحقاً منصب (sûkāllu šaniu)، و (sārtennu) المُستشهد به (كسوكالو) (sukallu). وبالعودة إلى واجباتهما القضائية، فمن المُستحيل معرفتها بدقة بسبب الأسلوب المختصر للمصادر التي جاءت على ذكرهما، لكي يتسنى لنا معرفة تلك الواجبات وذلك من خلال إحدى القضايا المؤكدة والتي صدر فيها حكم أو قرار من قبل أحد المسؤولين (sārtennu) أو (sûkāllu). إلا أنه يبدو من الواضح بأن كلا من هذين المسؤولين (sārtennu) و (sukallu) قد تم اعتبارهما من السلطات أو الهيئات القضائية الأعلى في الدولة الآشورية الحديثة، وأنهما كانا المُمثلين المباشرين عن الملك الآشوري في هذا المنصب. ولذلك فإن القضايا القانونية كانت قد انتقلت إلى صلاحيتهما، ومثال على ذلك هناك قضية لرجل من مدينة (تل - برسيب) (Til-Barsip) والذي اتهم والده حينها، وفيما بعد سحب أو تراجع عن الشكوى.^(١)

وهذه القضية وقعت أصلاً تحت سلطة (نابو - بشير) (Nābû-pašir) حاكم مدينة (حران)^(٢) (Harran) خلال عهد الملك الآشوري سرجون الثاني، والتي نقلها إلى المسؤول (السوكالو) (sûkāllu)، وكذلك زوده أيضاً بكل المعلومات ذات الصلة من خلال إرساله إليه برسالة بالإضافة إلى شاهد.^(٣) ويلاحظ أيضاً تلك القضية المهمة (التي أثارت اهتمام مسؤولي الجيش الثلاثة)، والذين رفضوا إصدار الحكم في قضية "السرقعة" والبت فيها، والسبب وراء ذلك في ((كونها قد أوصي بها وتمت تركيتها)) حيث نُقلت لينظر فيها كلاً من المسؤولين (sûkāllu) و (sārtennu) في مدينة نينوى، وعندئذ نجد أن المجرمين المتورطين بتلك القضية اعترفوا فوراً بجرمهم، وكانت المحاكمة على ما يبدو لم تعد ضرورية (no.3). وبإمكاننا أن نستنتج من هذه القضية إلى أن الضباط الذين يخدمون في الجيش الآشوري ليس بإمكانهم تأدية تلك الواجبات القضائية. وربما توحى هذه القضية أيضاً بأن كلاً من (sûkāllu)

(١) Radner. Karen, op. cit. pp. 55, 56.

(٢) (حران) (Harran): وهي مدينة تقع شمال شرق سوريا على بعد (٤٠ كم) جنوب شرق مدينة أورفا التركية الحالية، وقد وردت في النصوص العراقية القديمة بصيغة (حرانو) (Harranu) ومعناها "طريق القوافل" وتأتي أهميتها في كونها تقع عند ملتقى طرق القوافل التجارية المتوجهة نحو العراق وسوريا وآسيا الصغرى. كما أنها تعد مركزاً لعبادة إله القمر (سين). أنظر:

Gadd, G. J., "The Harran Inscriptions of Nabonidous" Anst, vol. 8, London, 1958, p.35.

(٣) نلاحظ في النصوص والرسائل الآشورية المكتشفة وخاصة في السلسلتين: (ABL 132) و (SAA 1 191) بأن حاكم المقاطعة كان يُخاطب حينها المسؤول الكبير (سوكالو) (Sukallu): "بسيدي" وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن المسؤولين الحكوميين كانوا قد تجاوزوا بالرتبة حُكَّام الأقاليم.

و(sārtennu) كانا يتمتّعان وحدهما بالصلاحية التي تُخولانها البتّ في مثل هذه القضايا. كذلك هناك أيضاً أربع قضايا قانونية استشهد بها من خلال فرض هؤلاء المسؤولين الحكوميين حكمهم على الأطراف المعارضة في القضية. (no. 4, no. 7, 10 and 14).

وبالإضافة إلى ذلك هناك أيضاً مسؤولون حكوميون آخرون يمكن لهم أن يؤديوا واجبات قضائية. ولكن المستشهد بهم في مثل هذه القضايا كانوا أقل بكثير من (sūkāllu) و(sārtennu).^(١) وأما عن تفاصيل بدء المحاكمة، نجد بأن حضور الأطراف المتخاصمين أمام المحكمة كان ضرورياً عندها، حيث يبدو بأن المدعي الذي بدأ المحاكمة كان لا بدّ له أن يقدم المُتهم شخصياً في المحكمة. كما أن الرجال، والنساء، والخصيان كان بإمكانهم أن يمثلوا أثناء المحاكمة. وكانت تصدر الأحكام أو القرارات فقط ومباشرة في حضور المسؤول الذي يُمثّل دور القاضي.^(٢)

ت- ما هو دور الملك الآشوري في القضاء وما هي واجباته؟:

يُعدّ الملك الآشوري القاضي الأعلى في الدولة الآشورية، وكان يُمارس مهنة القضاء بنفسه وكان يعهد بالقضاء إلى موظفين أو قضاة يعينهم لهذا الغرض. وقد يكونون من أي فئة من المجتمع بمن فيهم الكهنة وكان اسم الملك يظهر مع أسماء القضاة الذين يقضون في القضية^(٣). وكانت واجبات الملك في القضاء أو قضاة الملك محددة ببعض القضايا المعروضة مثل إنكار العدالة أو اقتسام التركة أو قبول الرشوة أو استغلال المنصب الرسمي^(٤)، كما أن القضايا التي تُرفع إلى الملك أو توضع أمام قضاة الملك هي تلك القضايا التي يصعب على الحاكم البتّ فيها أو أن الشخص المدعي نفسه يطلب عرض قضيته أمام الملك ليضمن تحقيق العدالة والحصول على حقوقه كاملة. كما أن واجبات الملك في هذه المحاكم لا تقتصر على النظر في الدعوى المرفوعة والتحقيق فيها وإصدار القرار القضائي، بل نجد في كثير من الأحيان أن الملك يطلب إحضار الحاكم الذي رفعت ضده الدعوى وبشكل سريع، وفي مجال موضع الرشوة والتحقيق فيها من قبل الملك نجد أن هذا الموضوع قد أُعطي أهمية قصوى لغرض القضاء على الفساد الإداري (حيث كان يُطرد من منصبه إذا ثبت تورطه).^(٥)

وكانت قرارات الملك، ومن يُنبههم عنه نهائية، ومع ذلك فقد كان بإمكان الناس تقديم التماس للملك للنظر في شكاويهم ورفض المحاكمة في حال عدم قبول الحكم، وكانت توجد محاكم الاستئناف ولكنها لا تُعقد

(1) Radner. Karen, op. cit. pp. 56,57.

(2) Radner. Karen, "Mesopotamia –Neo-Assyrian period", A history of Ancient Near Eastern Law, Vol. II, Brill –Leiden.Boston, 2003, p.891.

(3) كريم، صومويل نوح: "السومريون (تاريخهم، وحضارتهم، وخصائصهم)"، ترجمة: فيصل الوائلي، وكالة المطبوعات الكويتية، الكويت ١٩٦٣م، ص ١١٥.

(4) Driver, G. R, and Miles, J. C, "Babylonian Laws", No.1, Oxford, 1952, p.490.

(5) حبيب الشمري، طالب منعم: "القضاء والتنظيم القضائي في الحضارة العراقية القديمة"، ص ١١٦.

بصورةٍ مُنتظمةٍ، ولكن كان يأمر الملك بتشكيلها في بعض القضايا الخاصة (أي القضايا التي يرفض أصحابها قبول حكم القاضي فيها لكون حكمه لم يُصِف لهم حقهم ومثال على ذلك تعدي بعض المسؤولين والمتنفذين على ممتلكات العامة من أراضي وبساتين، وأحياناً استغلال بعض موظفي الحكومة لصلاحياتهم وقيامهم باختلاس أموال الضرائب وغيرها).^(١) وتظهر في النصوص الآشورية العديد من الرسائل، والتي تُشير إلى دور الملك الآشوري بصفته القاضي الأعلى للبلاد، من خلال نظره في العديد من القضايا المرفوعة إليه، حيث جاء في النص رقم (ABL 152):

"إلى سيدي ولي العهد (أسرحدون) (Esarhaddon)، من خادمك (Šarruna'id) ابن (Bēl-rimanni)، المدير الرئيسي لمعبد (Bīt-kidmuri):

ربما الإله آشور (Aššur)، والإلهة (Ištar) يُباركان سيدي ولي العهد.
إنّ مُضيف أو وكيل النبيذ (الشراب) الرئيسي إعتقلني بدون سلطة أو صلاحية أُعطيت إليه (أو مُنحت إليه) من قبل الملك أو ولي العهد، هو أبقاني مسجوناً عندهً وسلبَ منزل والدي.
هو نفذ ذلك سريعاً وقام بشكلٍ غير قانوني على الرغم من أن والدي يحظى بحماية ورعاية الملك. هو أخذ تالنت واحد (وحدة وزن) من الفضة في قوالب بالإضافة إلى عشرين مثقال (مينة) من الفضة من الأدوات البيتية، أُعطيت الهدايا إلى والدي من قبل الملك ووالدة الملك.
أنا كنتُ تلقيتُ أو استلمتُ حصص من الطعام كمستحقات (كأتعاب) لوالدي، لكن الآن أنا طُردتُ من البيت.

أرجو من ولي العهد أن يعتني بهذه المسألة!
دعني لا أموتُ بدون معرفة أو دراية الملك أو ولي العهد بهذه المسألة!^(٢)
وكذلك النص رقم (ABL 498):

"إلى سيدي الملك (أسرحدون) (Esarhaddon)، من خادمك (Ibašši-ilu):
أتمنى الصحة الجيدة لفخامتك! ربما الإلهين مردوك (Marduk) وصار بانيتو (šarpānitu) يُباركان فخامتك.

الكل جيد أو على نحو حسن في معابدك.
أنا جعلتُ الصور أو الرموز كما فخامتكُ أخبرتني.
أنا أيضاً عملتُ تاجاً للإله أنو (Anu) كما فخامتكُ أخبرتني.

(١) سليم، أحمد أمين: "دراسات في تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم، ج٦، (حضارة العراق القديم)"، ص٣١٥، ٣١٦.

(٢) Oppenheim, A. Leo. "Letters from Mesopotamia", The University of Chicago press Publication, 1967, p.182.

إنَّ مقاييس أو معايير تشييد قرص الشمس حول الذي تكلمت به مع الملك وأشياء (أدوات زينة) (ašanu) كانت قد صُنعت أو عملت.

بالنسبة إلى الذي أخبرت به الملك، "أنا أملكُ تحت تصرفي اثنا عشرة مينة أو قطعة من الذهب والتي جاءت إلى الإله بيل (Bel) كهدية".

أنا استخدمتُ تلك (الزينة) (tenšû) (كحلي للزينة) للالهة (šarpānitu).

أنا الآن سأستعمل الأختام الأسطوانية التي أعطيتني إياها فخامتكَ، هم مناسيون أو ملائمون كمجوهرات لتاج الإله أنو، ومجوهراتكَ مناسبة أيضاً لمقاييس صنع قرص الشمس.

لكنهم مُودعون في خزينة معبد الإله آشور، ولا أحد يستطيع باستطاعته أن يفتحها بدون إذن أو موافقة المدير الرئيسي و(Nabû-ēfir-napšāte).^(١)

ولذلك أكتبُ هذا لفخامتكَ، ربما يُرسل الملك شخصاً ما من اختياره الخاص ليفتح الخزينة ولذلك بإمكانني أن أعطي (أو أنجزَ العمل المطلوب مني بشكل كامل) إلى فخامتكَ.

أنا واحد ممن يُباركون فخامتكَ دائماً، أنا أضعُ ثقتي في فخامتكَ.

أنا أصلي لمردوك Marduk وصاربانيتو (šarpānitu) للحالة أو للوجود الجيد، السعادة، الصحة، و(البقاء الطويل) لفخامتكَ.

(أنا متأكد بأنه) بأن (Marduk-zēra-ibni) يعمل ضدَّ إرادة فخامتكَ وذلك غير جيد فهو يقول

أشياءً فظيعةً عني، لأنه يستند على أقوال كلاً من (Arad-Nabû) و(Nādinu).

لكني وضعتُ ثقتي في فخامتكَ، ربما عينا الملك تكونان فوق (أي الملك يُراقبني).

إنَّ (Marduk-zēra-ibni) كان قد فتح عندها الصناديق المختومة بواسطة المدعو:

(šum-iddin) وكان قد أخرج الأحجار الكريمة (الثمينة) منها.

الملك يجب أن يعرف أو يعلم هذا.^(٢)

نستنتج مما سبق أنَّ تطور القضاء ونُضجه في بلاد الرافدين القديمة عامةً وبلاد آشور خاصةً كان يقف وراءه اهتمام الملوك والحُكَّام بالقضاء وتنظيماته. فطالما أنَّ هدف الملوك هو نشر العدالة في أرجاء البلاد وإحقاق الحق فلا بُدَّ لهذا الهدف أن دفعهم إلى بذل المزيد من الاهتمام بتشريع القوانين وتنظيم القضاء، فأوجدوا المحاكم في كل المدن والأقاليم التابعة لهم وعملوا على إيجاد موظفين أكفاء للعمل في سلك القضاء. وبالتالي نجد من خلال القواميس اللغوية أعداداً كبيرة من الألقاب الوظيفية التي تخص القضاء. كما أننا نجد الملك قاضياً في كثيرٍ من الدعاوى التي تُرفع إليه، وكان يحضر جلسات المحاكم ويستمع إلى أصحاب الشكوى وهدفه من ذلك إحقاق الحق وبسط العدالة في ربوع مملكته. بالإضافة إلى أنَّ مسألة تعيين العاملين في سلك القضاء كان من اختصاص الملك

(1) Ibid, p. 181,182.

(2) Ibid, p. 182.

حصراً، وهذا يؤكد لنا أهمية القضاء في حياة المجتمع. وبُغية تحقيق العدالة في المجتمع عمد الملوك الآشوريون إلى حصر تعيين القضاة من قبلهم حصراً لكي يكون اختيار هؤلاء العاملين محصوراً بالناس الأكفأ العادلين.^(١)

كذلك لدينا بعض الرسائل المكتوبة من قبل عددٍ من مسؤولي القصر والموجهة إلى الملك آنذاك والتي توضح لنا طبيعة العلاقة التي تربطهم بالملك، ودورهم في تسيير الشؤون الإدارية للدولة، وقد اخترنا بعضاً لعرضها هنا على سبيل المثال لا الحصر، وهي كالتالي:

الرسالة رقم (ABL 85):

"إلى الملك، سيدي (آشور بانيبال) (Assurbanipal)، من خادمك:

(بيل - إقيشا) (Bēl-iqiša):

ربما الآلهة نابو (Nabû) ومردوك (Marduk) يباركان فخامتكم.

إن موظفو قصر سيدي اللذين أعطيت إليهم فخامتكم مهام وواجبات جديدة في هذا اليوم بالذات، ليعلم سيدي:

فإن تابالاي (Tabalay) ابن (بيل - خران - أخ - أوصر) (Bēl-harrān-aḫa ušur) والذي فخامتكم رقيت رتبته إلى رتبة قائد مجموعة من الفرسان، ونابو - ساكيب (Nābû-sākip) والذي فخامتكم رقيته إلى رتبة الرجل الثالث الدائمة على العربة الحربية، وأمري - مردوك (Amri-Marduk) والذي فخامتكم رقيته إلى رتبة المرافق أو الحارس الملكي، هؤلاء الرجال الثلاثة كانوا جميعاً سُكاري! وبالتالي عندما يكونوا سُكاري أي (فاقدين لوعيهم) لا أحد باستطاعته أن يُبعدهم عن خناجرهم الحديدية بعيداً عن الخصم.

أنا كتبتُ هنا إلى فخامتكم ما أعرفه حول هذه المسألة.

فخامتكم يجب أن تتصرف بالحال كما ينبغي.^(٢)

وأما الرسالة رقم (ABL 157) فقد جاء فيها:

"إلى الملك، سيدي (سرجون الثاني) (Sargon II)، من خادمك (إشتر - دوري) (Ištar-dūri):

أتمنى الصحة الجيدة لفخامتكم!

أنا سأرسل الآن الطبيب (نابو - شوما - إدين) (Nābû-šuma-iddin)، و(نابو - إريبا) (Nābû-eriba)، اللذين كنتُ قد تكلمتُ بشأنهما مع رسولي هذا إلى فخامتكم. دعهما يدخلون على حضرتك، وعندها بإمكان فخامتكم أن تتكلم معهما. في الحقيقة، أنا لم أخبرهم بذلك، وحتى إنني لم يسبق لي وأن تكلمتُ معهما (قبل ذلك).

(١) حبيب الشمري، طالب منعم: "القضاء والتنظيم القضائي في الحضارة العراقية القديمة"، ص ١٢٠، ١٢٤.

(٢) Oppenheim, A. Leo. op. cit. p.151.

حيثُ قمتُ بإجراء الترتيبات اللازمة التي أمرتُ فخامتكَ بها.
فخامتكَ يجب أن يكون سعيداً أو مسروراً (حيال ذلك)^(١).

كذلك نجد في الرسالة رقم (ABL 288):

والتي تتعلق بالتعليمات الموجهة من الملك (آشوربانيبال) إلى المدعو بيل - إيني (Bēl-ibni):
"أنا بخير، أرجو أن تكون في حالة نفسية جيدة.

فيما يتعلق بالذي كتبتُ إليّ والذي يخص قبيلة (puqudu)

والتي تقطنُ على طول القناة، (الحقيقة)، إنَّ المعلومات التي أخبرتني بها كانت ممتازة.

فقط كشخصٍ ما والذي يحبُ (بلاط سيده) عليه حينها أن يُبلغهُ عن أي شيء يراه أو يسمعه، ولهذا بالضبط عليك إبلاغي".^(٢)

وهناك الرسالة رقم (ABL 920):

والموجهة من أحد المسؤولين إلى الملك آشور بانيبال (Assurbanipal) حيث جاء فيها:

"إلى ملك كل البلاد أو البلدان، سيدي (آشوربانيبال) (Assurbanipal):
خادمك سين (Sin) (....).

ربما الإله سين والإلهة نينجال (Ningal) يُباركان فخامتكَ.

أنا أصليّ أو أتضرع كل يوم إلى الإلهين سين Sin ونينجال Ningal لينعما بالصحة الجيدة
لملك كل البلاد، سيدي.

من بين أسرى الحرب الذين أخذناهم من أرض بلاد البحر وجلبناهم إلى هنا، كان من بينهم
قاطني مدينة (إكوش) (Ekuš) والذين كانوا خدماً تقليديين للأراضي الملكية التي أخدم فيها، تحت
أسلافك الملوك السابقين، هناك، على أية حال، عدد من بين الأسرى الذين طلبوا المأوى واللجوء
فقط إلى مدينة (Ekuš) مع الأصدقاء. وبعد ذلك فعلى فخامتكَ إبلاغ حاكم المدينة بأنه يجب عليه
أن يمنحهم (أي أولئك الخدم) حماية فخامتكَ ويريحهم؟. فإنهم حالما يسمعون بذلك عندها
سيُكرسون أنفسهم لخدمة فخامتكَ".^(٣)

(نستنتج من تلك الرسائل الموجهة من مسؤولي القصر إلى الملك على العلاقة الوطيدة والملتزمة التي
تربطهم به، بالإضافة إلى تحملهم للمسؤولية والثقة التي منحها لهم ملكهم عندها، كذلك اخلاصهم
وتفانيهم في إبلاغه عن أي خللٍ أو حادثة تضرُّ بالدولة وبمصالحتها العليا والتنبه لها والعمل على
اصلاح تلك المشاكل وإيجاد الحلول المناسبة لها).

(1) Ibid, p.159.

(2) Ibid, p. 170.

(3) Ibid, p. 177.

٨- ظاهرة تحدي المسؤولين الكبار للسلطة الملكية أثناء الأزمات السياسية:

برزت هذه الظاهرة في عصر الدولة الآشورية الحديثة وبشكل خاص في فترات حدوث الأزمات السياسية. حيث نلاحظ من خلال تتبع الأحداث السياسية آنذاك تحدي مجموعة من المسؤولين الآشوريين المتنفذين لسلطة الملك الآشوري. فمع نهاية القرن التاسع قبل الميلاد وبداية القرن الثامن قبل الميلاد، أصبح الملك الآشوري يحكم من خلال قلة من المسؤولين المختارين، اللذين ربما يبقون في وظائفهم الموكلة إليهم لفترة طويلة من الزمن، إضافة إلى تمتعهم بالقوة والثروة الهائلة. وتبدو هذه الظاهرة واضحة للعيان في الأحداث التي نشبت في السنوات الأخيرة من عهد الملك الآشوري شلمانصر الثالث (٨٢٧ ق.م)، والذي دام حكمه (٣٤) سنة حيث فقدت الدولة الآشورية السيطرة على البلاد داخلياً وخارجياً، وبدأت حركات التمرد والعصيان وعندئذ استغل بعض المسؤولين الآشوريين الكبار الفرصة لتوسيع صلاحياتهم ونفوذهم على حساب الملك الآشوري^(١)، ومثال على هؤلاء:

(ديان - آشور) الذي مرّ معنا فيما سبق فقد شغل منصب التورتانو للفترة (٨٥٣-٨٢٦ ق.م)، كما تشير الكتابات الملكية إلى تسلّم ديان - آشور زمام الشؤون العسكرية منذ عام ٨٣٢ ق.م، بينما الملك باق في مدينة كلخو. كذلك هناك (شمشي - إيلو) والذي شغل أيضاً منصب التورتانو للفترة (٨٠٠-٧٥٢ ق.م)^(٢)، إضافة إلى (نرغال - إريش) حاكم مقاطعة رصابا للفترة (٨٠٣-٧٧٥ ق.م)^(٣)،

(١) لجبوري، علي ياسين: "المؤامرات والثورات ضد الدولة الآشورية"، مجلة آثار الرافدين، مج ٢، كلية الآثار، جامعة الموصل ٢٠١٣م، ص ٤٢، ٤٤.

(٢) (شمشي - إيلو) (Šamši-ilu): والذي كان يشغل منصب الترتانو منذ بداية حكم الملك أدد - نيراري الثالث (٨١٠ ق.م)، وحتى نهاية حكم الملك آشور - نيراري الخامس (٧٤٥ ق.م). كما يعد واحد من أقوى حكام المقاطعات، وقد تمتع بصلاحيات إدارية وسلطات واسعة، وعلى الرغم من إشارته في رسائله إلى تبعيته للملك الآشوري إلا أنه أרך أعماله ومنجزاته بسنوات حكمه. وقد تركزت معظم نشاطاته في سوريا، ونذكر من أعماله المهمة آنذاك: تثبيت الحدود بين مقاطعتي أرباد وحماة في زمن الملك أدد - نيراري الثالث ومرة ثانية في فترة حكم الملك شلمانصر الرابع. بالإضافة إلى قيادته لحملة عسكرية ضد مدينة دمشق في ٧٧٣ ق.م، وهناك نص لهث يشير فيه إلى قيادته لحملة عسكرية ضد (إركشني) (Irgišti) ملك دولة أورارتو، ويلاحظ من هذا النص أنه مكتوب بأسلوب الكتابات الملكية الآشورية، إلا أنه لم يذكر اسم أي ملك آشوري، وهذا ما يدعونا للاعتقاد بأنه كان مستقلاً بحكم ذاتي في مقاطعته خلال هذه الفترة المضطربة سياسياً. أنظر: الجبوري، علي ياسين: "المؤامرات والثورات ضد الدولة الآشورية"، ص ٥٩، ٦٠.

(٣) (نرغال - إريش) (Nergal-ereš): شغل منصب حاكم مقاطعة رصابا (Rašaba) في عام (٧٩٧ ق.م)، كما عاصر كلاً من الملكين الآشوريين أدد - نيراري الثالث وشلمانصر الرابع. كذلك فقد منح لقب (لمو) في سنة (٨٠٣ ق.م) وللمرة الثانية أيضاً سنة (٧٧٥ ق.م)، وتمت إضافة مقاطعة (خندانو) إلى مقاطعته بمرسوم ملكي حيث أصبح يمتد نفوذه ليشمل حينها جزيرة الترار والخابور ووسط الفرات، وتعود معلوماتنا عن هذا الحاكم إلى

وهناك بيل - خران - بيل - أصر الذي شغل منصب ناجير - إكلي للفترة (٧٨٢-٧٢٧ ق.م) وآخرون^(١). وكان هؤلاء المسؤولون المنتفدون إضافةً إلى سيطرتهم على مناطق واسعة، إلا أن نفوذهم الشخصي والإداري يبرز من خلال عدم اكتفائهم بذكرهم في الكتابات الملكية، حتى إن بعضاً منهم خلّد نفسه بكتابه الشخصية، وهذا دليل على عدم الاكتراث بالملك الآشوري نفسه^(٢)، حتى إن مُنادي القصر (بيل - خران - بيل - أصر) ذهب أبعد من ذلك ليُسَمِّي المدينة الجديدة باسمه (دور - بيل - خران - بيل - أصر) (Dur-Bel-ḫarran-Bel-ušur) ويُعفيها من الضرائب أيضاً. والمعروف آنذاك أن تلك الإعفاءات الضريبية هي بيد الملك الآشوري حصراً. كذلك فقد كانت هناك روابط عائلية، إما بالدم أو بالزواج بين العائلة الملكية وبعض من هؤلاء المسؤولين الكبار المنتفدين^(٣). وأخيراً نجد أنفسنا أمام السؤال التالي:

ما هي الأسباب التي دفعت بهؤلاء المسؤولين الكبار إلى تحدي السلطة الملكية آنذاك؟ وللإجابة عليه علينا أن نجيب على التساؤلات التالية: من هو الشخص المُتحدّي؟ وما هي طبيعة ذلك التحدي؟ ولماذا حصل هذا التحدي في هذه الفترة بالذات؟

نصّين اثنين يُخلدان أعمال الملك الآشوري أدد - نيراري الثالث العسكرية في سوريا. أنظر: الجبوري، علي ياسين: "المؤامرات والثورات ضد الدولة الآشورية"، ص ٦٠، ٦١.

(١) (بيل - خران - بيل - أصر) (Bel-ḫarran-bel-ušur): شغل منصب ناجير - إكلي (nāgir-ekalli) خلال حكم كلاً من شلمانصر الرابع وتجلات - بلاصر - الثالث، كما عُثر على مسلة هذا الحاكم في تل عبطة (شمال مدينة الحضر)، حيث تضمنت هذه المسلة كتابات ملكية إلا أن اسمه لا يظهر قبل اسم الملك، كما يلاحظ من هذه المسلة تحريف اسم الملك شلمانصر الرابع ليكتب اسم الملك تجلات - بلاصر - الثالث فوقه. وهذه الكتابة تضمنت وصف لبناء مدينة هذا الحاكم والتي سُميت باسمه "دور - بيل - خران - بيل - أصر" ويذكر بأنها مدينة حرة. لذلك فقد اعتُبر هذا الإجراء خروج عن سياسة الملوك الآشوريين، لأن تسمية المدن باسم الملوك الآشوريين معروف منذ زمن سابق فضلاً عن كونه حكراً عليهم. وهذا يؤكد لنا على مدى الضعف الذي أصاب الدولة الآشورية خلال هذه الفترة والخروج عن المألوف حينها أيضاً. كذلك فإن الإشارة على أن هذه المدينة هي حرة دليل آخر على هذا التدهور، وأخيراً فإننا نعلم بأن الإعفاءات الممنوحة للمدن الآشورية وغيرها كانت تصدر من الملك شخصياً من خلال مرسوم ملكي يُصدره بهذا الخصوص، وهنا نجد أنفسنا أمام تجاوز آخر لهذا الحاكم على الصلاحيات الملكية. ينظر كذلك أيضاً: الجبوري، علي ياسين: "المؤامرات والثورات ضد الدولة الآشورية"، ص ٦٠، ٦١.

(٢) الجبوري، علي ياسين: "المؤامرات والثورات ضد الدولة الآشورية"، ص ٤٤.

(٣) لقد كانت هناك روابط عائلية إما بالدم أو بالزواج بين العائلة الملكية وبعض من هؤلاء المسؤولين المنتفدين، حيث وردت في النصوص أمثلة عديدة على تلك الروابط والعلاقات التي جمعت بينهما، ومنها: زواج المدعوة (موليسو - موكينشات - نينوى) (Mulissu-mukanišat-Ninua) ابنة (أشور - نركا - دائن) (Aššur-nirka-da"ini) رئيس السقاة في عهد الملك آشور - ناصربال الثاني، ومن ثم تزوجت من ابنه شلمانصر الثالث. وبالمقابل نجد أن المدعو (بيل - دان)، رئيس السقاة وحاكم مدينة كلخو للفترة (٧٥٠-٧٣٤ ق.م) قد تزوج من العائلة الحاكمة.

إذا أردنا أن نعرف الإجابة الحقيقية وراء تلك الأسباب والدوافع التي شجعت هؤلاء المسؤولين على تحدي سلطة الملوك، فإنه لا بد لنا من أخذ الفترة الزمنية بعين الاعتبار فقد بدأت حركات التمرد والعصيان قبل هذه الفترة وبالتحديد منذ زمن الملك الآشوري (توكولتي - ننورتا - الأول) (١٢٤٤-١٢٠٨ ق.م) وعادت للظهور من جديد في نهاية حكم الملك شلمانصر الثالث (٨٢٦-٨٢٠ ق.م) وفي النهاية سلسلة من التمردات في الفترة (٧٦٣-٧٥٩ ق.م)، وأخيراً تمرد مدينة كلخو (٧٤٦ ق.م) والتي جاءت بالملك الآشوري تجلات بلاصر الثالث إلى الحكم^(١).

وللإجابة على التساؤل الأول والثاني نجد أن المؤامرات السابقة والتي حدثت ضد كل من الملكين توكولتي - ننورتا - الأول وشلمانصر الثالث كان يقودها أبناء الملك نفسه آنذاك وليس المسؤولين المتنفذين. ولكن نلاحظ أن حركات التمرد والعصيان إبان منتصف القرن الثامن قبل الميلاد كانت مختلفة عندها تماماً، فبدلاً من الأبناء كان المسؤولون الكبار هم المتآمرين والثائرين، حتى إن (شمشي - إيلو) ذهب أبعد من ذلك من خلال عدم تدوين اسم الملك الآشوري في نقشه. وأما (بيل - خران - بيل - أصر) المذكور آنفاً فقد تجاوز على الامتيازات الملكية الخاصة بالإعفاءات الضريبية، والتي هي من اختصاص الملك حصراً. كما أن تحديهم للسلطة الملكية دفع بالملك أدد - نيراري الثالث (٨١٠-٧٨٣ ق.م) إلى أن يرجع سلسلة نسبهِ الملكي إلى ألف سنة (ليذكر السكان بأصلهِ الملكي المتوارث عن آبائهِ وأجداده من الملوك الآشوريين وأحققته بالحكم كملك للدولة الآشورية). وهنا أمر هام يجب ملاحظته وهو على الرغم من تحدي هؤلاء الحكام والمسؤولين الكبار للملك الآشوري، إلا أننا لا نجد أيّاً منهم قد تجرأ حينها وتحدي مبادئ الدين حيث لم يُسمي أيّاً منهم نفسه:

"بنائب الإله آشور". وأما بخصوص التساؤل الثالث، أي لماذا هذا التحدي في هذه الفترة؟ فلدينا حقيقتان في غاية الأهمية الأولى هي شخصية الملوك الذين حكموا في هذه الفترة، والثانية تتمثل في طول فترة حكم هؤلاء المسؤولين في مناصبهم. وهاتان الحقيقتان مرتبطتان ببعضهما بالآخر. فعادةً فإن مسؤولوا الدولة الآشورية يعملون لفترة قصيرة من الزمن، ولكننا نجد تلك الشخصيات الأربعة المذكورة أعلاه قد حكمت لفترات طويلة خلال هذه الفترة من الزمن، إذن فكيف يُسمح لهم بالبقاء حينها؟ وإذا أردنا الإجابة فعلينا أن نعود إلى الحقيقة الأولى والتي تتمثل في شخصية الملوك والتي يجب أن تتحلى أو تتمتع بالمواصفات التالية:

الملكية المطلقة، بالإضافة إلى إحاطته بكل المسائل العامة ويكون ناجحاً، كذلك امتلاكه للمهارات المتعددة للسيطرة على موظفيه، كما يجب أن يكون يقظاً وحذراً من نبلائه من حيث أفكارهم ورغباتهم، ومن أجل ضمان ذلك يجب أن يحتفظ بهم في بلاطه أو في العاصمة، وهكذا فإن القانون يلزم توفر هذه الصفات في شخص الملك، إلا أننا نلاحظ أن هناك أكثر من ملك آشوري خلال هذه

(١) الجبوري، علي ياسين: "المؤامرات والثورات ضد الدولة الآشورية"، ص ٤٤.

الفترة لا يتمتع بتلك الصفات وخاصةً الأولاد الثلاثة الذين خلفوا أدد - نيراري - الثالث وحكموا خلال فترة الإضطرابات، وإننا نجد حتى الأب نفسه كان يفتقد حينها للحكم بشكل فعال. حيثُ سمح لـكلاً من التورتانو (شمشي - إيلو) ولوالدته شمو - رامات بكتابة أسمائهم علانيةً إلى جانب اسمه في كتاباته الملكية. وهكذا يتضح لنا أن شخصية الملك أدد-نيراري الثالث وأولاده الضعيفة كانت العامل الفعال وراء ظاهرة التحدي للملك في هذه الفترة^(١).

كذلك نجد أنفسنا أمام عددٍ من الملاحظات المهمة تظهر في قوائم (الليمو) لهذه الفترة، ومنها الإشارة إلى بقاء الملك في البلاد وعدم قيادته لأيّة حملة عسكرية، إضافةً إلى ذلك الإشارة الصريحة إلى قيام حركات تمرد وعصيان، حيثُ شهدت فترة الأربعين سنةً بعد عهد الملك الآشوري أدد-نيراري الثالث ضعف كبير للدولة الآشورية وخاصةً في السنوات (٧٦٣-٧٥٩ ق.م) وذلك نتيجة لحدوث العديد من حركات التمرد والعصيان الداخلية، وبشكلٍ خاص في المدن الآشورية الرئيسية مثل: ((آشور، أرابخا، كوزانا (تل حلف))، فقد دُونَ الكتبة الآشوريون في قوائم الليمو الخاصة بالتدوين الآشوري حركات التمرد والعصيان، ولكن لا يوجد أي تبرير لها من قبل هؤلاء الكتبة، كما أن مدونات الملوك الآشوريين هي الأخرى لا تشير إليها حيثُ نقرأ في النص التالي:

"في لمو بر - ساكالي، حاكم مدينة كوزانا، ثورة في مدينة آشور وفي شهر سيمانو حدث كسوف للشمس (٧٦٣ ق.م)

في لمو طاب - بالي، حاكم مدينة أميدي، ثورة في مدينة آشور (٧٦٢ ق.م)
في لمو نابو - موكن - أ (خي - حا) كم مدينة نينوى، ثورة في مدينة أرابخا (٧٦١ ق.م)
في لمو لا (قبيو - حا) كم مدينة كالزي، ثورة في أرابخا (٧٦٠ ق.م)
في لمو با (ني - آشور) - (لامور)، حاكم مدينة أربائيلو ثورة في كوزانا وموت (مذبحة) (٦٥٩ ق.م)."^(٢)

يمكن أن نستنتج من النص السابق أن حركات التمرد والعصيان وعدم الاستقرار استمرت آنذاك لمدة خمسة سنوات، كما شاركت فيها كل من آشور وأربيل وأرابخا ونينوى أي (المدن الرئيسية في بلاد آشور). إلا أننا لم نلاحظ مشاركة مدينة كلخو هنا في هذا النص، فهي لم تُشارك في حركات التمرد والعصيان باعتبارها العاصمة للدولة الآشورية حيث يتواجد مقر حكم الملك وحرسه الشخصي. ومن الملاحظات المهمة والتي يُشير إليها هذا النص هو حدوث خسوف للشمس سنة ٧٦٣ ق.م، فقد اعتمد هذا الحدث لتحديد تأريخ ثابت في تاريخ بلاد الرافدين القديمة، ولولا هذه الإشارة لما تمكن عندها

(١) الجبوري، علي ياسين: "المؤامرات والثورات ضد الدولة الآشورية"، ص ٤٤، ٤٥.

(٢) Ebiling & Miessner, in RA, 2, 1948, p.195.

المؤرخون من تحديد سنوات حكم الملوك السومريون والأكديون والبابليون بعد مقارنة سنة هذا الكسوف مع جداول الملوك والتي تحدد تتابع الملوك وسنوات حكمهم فقط^(١).

وفي ختام حديثنا عن هذه الظاهرة نجد أن ضعف بعض الملوك الآشوريين خلال العصر الآشوري الحديث كان قد شجع حينها بعض المسؤولين الكبار المتنفذين وبعض الحكام على التمادي وتوسيع صلاحياتهم الإدارية والسياسية والاعتبارية، وفي حالات أخرى ربما يشتركون في نسج مؤامرات للاستحواذ على السلطة.

رابعاً: حُكَّامُ المُقاطعات والأقاليم في الدولة الآشورية الحديثة:

١ - تعريف لقب حاكم المُقاطعة (بيل - باخيتي) (bēl-pāhēti):

يرد في النصوص والرسائل الآشورية لقب (بيل - باخيتي) (bēl-pāhēti) ويعني حرفياً: "سيد المُقاطعة". وكان هؤلاء أي حُكَّام المُقاطعات والأقاليم، ينوبون عن الملك في الإشراف على إدارة تلك المُقاطعات، كذلك فإن هؤلاء الحُكَّام يُمثلون آنذاك المستوى الأعلى الثاني من الإدارة الآشورية في العصر الحديث بعد مجموعة المسؤولين الكبار السبعة السالف ذكرهم.^(٢)

٢ - أهمية ومكانة حُكَّام المُقاطعات (بيل - باخيتي) (bēl-pāhēti):

كان يتم إدارة المُقاطعات الآشورية بواسطة هؤلاء الحُكَّام (بيل - باخيتي) (bēl-pāhēti)، والذين يجري تعيينهم من قبل الملك. حيث كانوا عندها المُمثلين المُختارين عن الملك في تلك المُقاطعات، إضافةً لذلك، هم كانوا أقوىاء جداً على المستوى المحلي، لأنه يرجع إليهم التماسك الهام والأساسي للدولة الآشورية حينها، لكون الملك يمكن له أن يعتمد على ولائهم والثقة بهم بالتأكيد. وفي نهاية القرن الثامن قبل الميلاد كانت معظم الدويلات والمدن المجاورة للدولة الآشورية آنذاك قد تحالفت معها، وعلى الرغم من أن هذه المدن المُتحالفة مع الدولة الآشورية كانوا مُستقلين اسمياً (أي لديهم استقلالهم الذاتي)، إلا أنهم كان عليهم أن يأخذوا في حُسابهم السياسة الآشورية على محمل الجد كأمر طبيعي أو مفروغ منه.^(٣) وكان كل واحد من هؤلاء المسؤولين لديه قصره الخاص به، محكمته، وجيش ثابت أو دائم يتمركز في العاصمة الإقليمية للمقاطعة، على الرغم من أن حاكم هذه المقاطعة قد لا يُقيم أو يستقر هناك بشكل دائم.^(٤)

(١) الجبوري، علي ياسين: "المؤامرات والثورات ضد الدولة الآشورية"، ص ٤٥.

(٢) Radner. Karen, "Mesopotamia –Neo-Assyrian period", Op. cit. p. 888.

(٣) Radner. Karen, "Royal Decision- Making: Kings, Magnates, and Scholars", op. cit. pp.359

(٤) Grayson. A. Kirk, "Assyrian Rule of conquered Territory in Ancient Western Asia", Op. cit. p.963,964.

كذلك كان حُكَّام المقاطعات (bēl-pāhētī) ومن ضمنهم حُكَّام المدن الآشورية الرئيسية، مُنظَّمين في سُلَّم السُّلطة، كما هو واضح من قوائم (الليمو) مع حاكم مدينة آشور، (وبمعنى آخر يأتي هؤلاء الحُكَّام بالترتيب بعد حاكم مدينة آشور في قوائم اللُّمو).^(١)

ويظهر إلى جانب حاكم المقاطعة (bēl-pāhētī) الموظف الإداري الكبير الذي يحمل لقب (شكين - ماتِي) (šakin-māti). وهو بمثابة المسؤول المباشر أمام الملك، ويمثِّل السلطة المركزية كما يتمتَّع بمركزٍ مرموقٍ ضمن الإدارة الآشورية، حيث يُشار إلى وظيفته كحاكم لمقاطعة آشور في قوائم (الليمو) الآشورية، ويأتي مباشرةً بعد مسؤولي القصر (الأقطاب) السبعة السالف ذكرهم.^(٢)

وأما عن دوره الأساسي في المقاطعات الآشورية فهو مُشابه إلى حدٍ كبيرٍ (البيل - باخيتي)، إلا أنَّه يظهر من خلال الرسائل الملكية والمرسلة منه إلى الملك، بأنَّه كان يُمثِّل نطاقاً إدارياً سياسياً وعسكرياً أوسع من (بيل - باخيتي)، حيث يُعد (شكين - ماتِي) المسؤول الرئيسي للمقاطعة، ويُعيِّن من قبل الملك مباشرةً، والذي بدوره يُصدِّر إليه أوامره مباشرةً، وباستطاعة الملك عزله ونقله أيضاً. وكان يعمل حينها على تطبيق أوامر الملك، والحفاظ على الأمن والتوقيع على معاملات انتقال الأراضي.^(٣)

ومنذ العصر الآشوري الوسيط والحديث، نجد أنَّ بعض المقاطعات الآشورية يمكن أن يكون فيها (شكين - ماتِي - باخيتي) في آنٍ واحدٍ ما عدا مقاطعة آشور التي كانت مُخصصةً (لشكين - ماتِي)، حتى إنَّ قسماً من حُكَّام المقاطعات الآشورية كان يتمتَّع بصلاحيات هذين الموظفين بآنٍ واحد. ويلاحظ أنَّ الموظف (شكين - ماتِي) كان وحده من بين حُكَّام المقاطعات، الذي ترك لنا مسَلَّات تذكارية باسمهم أُودعت في معبد الإله آشور آنذاك، كما تُشير الرسائل الملكية إلى أنَّ صلاحيات (شكين - ماتِي) في المقاطعة كانت أكثر من زميله، (بيل - باخيتي).^(٤)

٣ - المهام والواجبات المناطة بحُكَّام المقاطعات الآشورية:

اهتم الآشوريون كثيراً بالتنظيمات الإدارية لدولتهم نتيجة لإتساع رقعتها وضمِّها لمناطق كثيرة، فكان القصر كما ذكرنا سابقاً مركزاً للأوامر والتعليمات التي يُصدرها الملك للموظفين التابعين له في إدارة المناطق الخاضعة للدولة، حيث قُسمت تلك المناطق إلى عددٍ من المقاطعات والأقاليم، يُشرف على إدارة كل منها مُمثِّلون ينوبون عن الملك وهم حُكَّام المقاطعات أي:

(١) Grayson. A. K., "Assyrian Civilization," The Bureaucracy", Op. cit. p.200,201.

(٢) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٩.

(٣) الأحمد، سامي سعيد: "الإدارة ونظام الحكم"، ص ٢٩.

(٤) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٥٩.

(بيل - باخيتي) (bēl-pāhētī) المذكورين آنفاً، فقد كانت واجباتهم تتمثل في تنفيذ أوامر الملك والخضوع للسلطة المركزية، فضلاً عن الواجبات الإدارية المنوطة بهم، إضافةً إلى عددٍ من المهام العسكرية والاقتصادية والدينية التي أوكلت إليهم حينها^(١).

ويضم قصر (بيل-باخيتي) (bēl-pāhētī) الموجود في عاصمة المقاطعة العديد من الموظفين والكتبة وشتى صنوف الإدارة التي تهتم بالتجنيد والري والضرائب. ومن واجباته أيضاً مراسلة الملك وإطلاعه على شؤون مقاطعته أو الذهاب إلى قصر الملك بنفسه أحياناً، وترك نائب عنه وذلك للتشاور مع الملك، هذا بالإضافة إلى قيادته الحملات العسكرية في الظروف الطارئة التي تحدث في المقاطعة. وسواء أكانت المقاطعة كبيرة أم صغيرة نجد بأن أهم واجبات حاكمها هي جباية الضرائب والحفاظ على الأمن والنظام فيها، واتخاذ الإجراءات العسكرية المناسبة لرصد وردع تحركات الأعداء على الحدود بما يضمن سلامة وأمن الدولة الآشورية^(٢).

وتذكر الرسائل الملكية وخاصةً في أرشيفات مدينتي نينوى وكلخو المكتشفة، العديد من الواجبات المهمة المناطة بحاكم المقاطعة (بيل - باخيتي) (bēl-pāhētī) فيما يخص الشؤون العامة والخاصة لمواطني المقاطعة، فمثلاً نجد الرسالة رقم (٩٢٠)، وهي عبارة عن شكوى ضد حاكم مقاطعة في جنوب بلاد وادي الرافدين، بخصوص أسرى من أرض البحر^(٣)، وفي حالة مشابهة أخرى نرى الكاتب يترجى حاكم المقاطعة أي (بيل - باخيتي) للتوسط له لدى (التورتانو) بخصوص أسرى بابليين. كذلك هناك المدعو (بيل - إقبتي) (bēl-iqqbi) كاتب الرسالة رقم (٧٧١)، حيث يكتب إلى الملك نيابةً عن قبائل (الكامبولو)، بخصوص أحد المجرمين الذي قتل أحد أبناء عشيرتهم، وجلبوه إلى (بيل - باخيتي) لمحاكمته أو لسجنه لحين المحاكمة، وعلى ما يبدو، فإن (بيل - باخيتي) لم يُقدّر المسؤولية عندها، مما اضطرهم إلى رفع شكواهم إلى الملك. وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على

(١) مزهر، المهنا، رشا ثامر: "التطورات السياسية للدولة الآشورية (٩١١-٧٤٥ ق.م)"، ص ٧٢.

(٢) ساكز، هاري: "عظمة بابل"، ص ٢٧٨، ٢٨٩.

(٣) (أرض البحر): ويُقصد بها المنطقة الواقعة عند التقاء نهري دجلة والفرات ومصبهما في الخليج العربي، وقد عرفت في المصادر التاريخية القديمة بعدة أسماء، حيث وردت في نصوص العهد الأكدي بصيغة "مَت - تَم - تيم" "Mat-tam-tim"، ويذكر الملك الأكدي سرجون أنه جلب غنائم من هناك أي "أرض البحر". وأما الآشوريون فقد أطلقوا على منطقة الخليج العربي عدة أسماء منها: "البحر المُر، بحر الشروق، بحر الكلبيين، والبحر الأسفل". أنظر:

أوبنهايم، ليو: "بلاد ما بين النهرين"، ترجمة: سعدي فيضي عبد الرزاق، دار الرشيد للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨١م، ص ٥٠٥. كذلك ينظر أيضاً: يوسف طه، منير: "النشاطات الآشورية في الخليج العربي"، موسوعة الموصل الحضارية، ج ١، دار الكتب للطباعة والنشر، ط ١، جامعة الموصل ١٩٩١م، ص ١٢٢.

عمله الإداري، وتدخله في الشؤون الاجتماعية كممثل للملك في المقاطعة. ولدينا أدلة أخرى تظهر دوره الإداري كممثل للحكومة المركزية، منها:

حيث تقع عليه مسؤولية توقيع المعاهدات مع أبناء المقاطعة أو المقاطعات المجاورة. كما أن وجود لقبه الإداري في المعاملات التجارية في الفقرات الخاصة بالمطالبة أو الشكوى المؤقتة، وأيضاً استلامه للتعويض المتفق عليه في الصفقة التجارية في حالة فشل هذه الصفقة. ومن بين أعماله الأخرى في المقاطعة هو جمع الضرائب، حيث نجد أن قسماً من هذه الضرائب يُرسل مباشرة إلى العاصمة، وقسم آخر يبقى في عاصمة المقاطعة لكي يستفيد منها حاكم المقاطعة في تصريف أموره المالية، أو قد يُستفاد منها لتجهيز الجيش الآشوري في حالة مروره في تلك المقاطعة، فالرسالة رقم (ND413) توضح هذا العمل، بينما في رسالة أخرى نجده يتدخل في جمع الضرائب المترتبة على التبن والطعام من بلاد (دائاني) (Da'unanni)، كذلك تذكر النصوص إرساله كميات من الطعام إلى القصر. كما أن جمع الخيول وإرسالها إلى العاصمة الآشورية كانت أيضاً من الواجبات الرئيسية التي يقوم بها حاكم المقاطعة.^(١)

ومن الأعمال والمهام المهمة الأخرى التي كان يشرف عليها حاكم المقاطعة (بيل - باخيتي) هي: الأعمال العمرانية الملكية والرسمية التي تقع ضمن مقاطعته، هذا بالإضافة إلى تقديم العمال لمثل هذه المشاريع، ومثال على ذلك نجد أنذاك حاكم مقاطعة كلخو، قد أشرف بنفسه على العمل الجاري في بوابة (خالزي) (halzi). ونتيجة لهذه المسؤولية فقد يحدث أحياناً سوء فهم من قبل بعض الحكام بخصوص تحديد العمل الاعماري المطلوب منهم، حيث تذكر الرسالة رقم (٤٨٦) أن أحد الملوك الآشوريين قام بتكليف أحد موظفيه بخصوص تحديد مسؤولية العمل المطلوب لكلاً من حاكم مقاطعة (أرابخا) وحاكم مقاطعة كلخو، بخصوص بناء سور مدينة دورشروكين. كذلك فقد كانت مسؤولية تقديم العمال لأعمال السخرة الخاصة لحفر قنوات الري آنذاك هي أيضاً من مهام حاكم المقاطعة، حيث يبدو ذلك واضحاً من الرسالة رقم (١٠٢)، والتي جاء فيها أن المدعو (طاب - شار - آشور) حاكم مقاطعة (تل موسى) قد اعتذر من الملك عن إخفاقه بتجهيز المهندس المشرف على حفر القناة بالعمال الإضافيين. وكممثل للملك الآشوري في المقاطعة التي يديرها كان على حاكم المقاطعة المشاركة في الاحتفالات الدينية الرسمية نيابةً عن الملك، (فأوزرانا) حاكم مدينة (موصاصير) يشير في الرسالة رقم (٤٠٩) إلى حضور حكام المقاطعات (بيل باخيتي)، إلى مدينة (أوبسي) للمشاركة في الاحتفالات الدينية. بالإضافة إلى مسؤولية حاكم المقاطعة في إرسال القرابين الخاصة بالمعابد الآشورية. وعلى الرغم من الصلاحيات الواسعة التي كان يتمتع بها (بيل - باخيتي) إلا أنه لم يكن مخولاً للتدخل في شؤون وممتلكات المعابد التي تقع ضمن مسؤولياته، إلا أن بعضهم

(١) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٥٧، ٢٥٨.

تجاوز هذه الصلاحيات فمثلاً نجد (ماو عشتار) (الكاهن) يكتبُ إلى الملك الآشوري (أسرحدون) بخصوص القضية التي أخرجها حاكم مقاطعة دورشروكين من دون تصريح ملكي^(١).

بالإضافة إلى هذه المهام، كان على حُكَّام المقاطعات الحدودية أيضاً الدفاع عسكرياً عنها، إلى جانب جمع وإرسال المقاتلين في حملات الملوك الآشوريين، وقد يُرسل مجموعةً من الحُكَّام بحملاتٍ عسكرية ضمن مناطق معينة، فمثلاً الملك الآشوري (سرجون الثاني) بعث أحدهم إلى مدينة موصاصير (Muṣaṣir) وهي إحدى المدن الأورارتية تقع شمال بحيرة وان وتُعرف حالياً "طوب زاوه"، خلال حملته الثانية. وفي سنة (٧١٠ ق.م) أمر حاكماً آخر بالتوجه إلى بابل. وأمَّا حُكَّام المقاطعات الشرقية لبلاد آشور، فالبعض منهم ذهبوا إلى بلاد عيلام، ويذكر الملك الآشوري (سنحريب) بأنه ذهب لنجدة حُكَّام المقاطعات الذين اتَّجهوا ضدَّ (مردوخ ابلا إدنا) في مدينة كيش، حيث تُشير الرسائل الملكية الآشورية إلى مقتل العديد من قوات العدو أي القبائل الجبلية العيلامية أثناء هجومها عليه. كذلك كان على حاكم المقاطعة تجهيز الجيش الآشوري بالمؤن في حالة مرور الحملة عبر مقاطعته. وأمَّا عن دور حاكم المقاطعة في العلاقات السياسية وعقد المعاهدات، نجده واضحاً من خلال الدور الذي لعبه بخصوص استقبال الوفود والسُفراء التابعين للدول والمدن المجاورة لمقاطعته، ففي الرسالة رقم (٢٠٥)، نجد المدعو (عشتار - شم - إقيشا) يكتب إلى الملك الآشوري (سرجون الثاني) بأنَّ الحاكم (بيل - باخيتي)، بريء من الاتهام الذي وجهه له سكان قبائل (الزكريتو) بسبب إهماله وعدم إرسال المعلومات عنهم إلى الملك، كذلك تذكرُ الرسالة رقم (٥٤٨) إرسال حاكماً آخر (بيل - باخيتي) للتفاوض مع سكان بلاد الأناضول.

وإنَّ هذه الأعمال والمهام الإدارية التي يُكلَّف بها حاكم المقاطعة والتي أوردناها فيما سبق، لا بدَّ أنَّ تنفيذها كان يعتمدُ على عدد من الموظفين التابعين له. ومن أهم هؤلاء الموظفين المُلقب باللقب (رَب - ألاني) (rab- alāni) أي مسؤول أو (مُشرف) القرى، ويُقابل في وقتنا الحالي (مدير ناحية) وهو بدوره يكون مسؤولاً عن وحدات إدارية أصغر تُدعى (نَجو) (nagû)، و(قَنو) (qannu) وكانت واجبات (رَب - ألاني) (rab- alāni)، تتمثل في الإشراف على جمع الضرائب، والتي غالباً ما تُدقق من قبل حاكم المقاطعة قبل إرسالها إلى العاصمة. كما أنه مسؤول أيضاً عن تطبيق القانون ضمن وحدته الإدارية، وهناك العديد من الحالات المُسجلة بخصوص دوره في الدفاع عن حدود البلاد، فمثلاً نجد في إحدى الرسائل أنَّ الكاتب يلومُ عندها (رَب - ألاني) لأنَّه لم يُساعده في مهمته العسكرية. كما أنَّ (ناسخر - بيل) كاتب الرسالة رقم (٤٢٤)، يؤكد دور (رَب - ألاني) في تجهيز الجيش بالمؤن، إضافةً إلى تكليفه أي (رَب - ألاني) في مهمةٍ عسكرية، ونتيجةً لهذه المهمة فقد طُعِن (رَب - ألاني)

(١) الجبوري، علي ياسين: المرجع نفسه، ص ٢٥٨، ٢٥٩.

وثلاثة من رجاله بسهام الأعداء^(١). ولمّا كانت إحدى واجبات حاكم المقاطعة هي تزويد الجيش الآشوري بالرجال أثناء الحملة العسكرية من أبناء مقاطعته، فلا بدّ من وجود آنذاك موظف مُتخصص باستدعاء وجمع هؤلاء المقاتلين وتقديمهم إلى حاكم المقاطعة والذي بدوره يُرسلهم إلى العاصمة. حيث كانت هذه المهمة توكل إلى الموظف (رَب - كيصير) (rab-kišir)، وغالباً ما تكون لديه إحصائية عن أولئك المؤهلين للخدمة العسكرية، وعليه تقع مسؤولية تقدير الأشخاص الذين سيؤدون الخدمة العسكرية الفعلية ومن الذي سيكون احتياط، ومن الذي سيُكلّف بأعمال السخرة. ومثال على ذلك تذكر الرسالة رقم (١٤٣٢) أنّ أحد حُكّام المقاطعات الآشورية قد أمر شخصياً من قبل الملك، بالقيام بجمع الرجال بدلاً من (رَب - كيصير) (rab kišir)، والسبب هو إهمال الأخير في أداء واجبه، وبعد أن يتم جمع هؤلاء المقاتلين فإنهم يوضعون تحت إمرة أحد الموظفين المدعو (قوربوتو) (qurbūtu) والذي عليه تنفيذ الأوامر الملكية بخصوص التصرف بهم.

ومن أجل ضمان قيام هؤلاء الحُكّام الإداريين بأعمالهم بشكل كامل ودقيق، وخاصة فيما يتعلق بشؤون الدولة من (الناحية العسكرية)، فإنه كان على الملك الآشوري آنذاك أن يُمارس سيطرة مباشرة على إدارة تلك المقاطعات والتي أخذت أشكالاً متعددة منها:

أ- يجب على حُكّام المقاطعات أن يُرسلوا تقاريرهم مباشرة إلى الملك، وذلك كان مؤكداً من خلال الأرشيفات المكتشفة في مدينتي نينوى، وكلخو.

ب- وللتثبت من مدى إنجاز هؤلاء الحُكّام لأعمالهم الخاصة بجمع الضرائب، يعمد الملك إلى تكليف موظفين إداريين داخل القصر لتدقيقها، وفي الحالات المشكوك فيها فإن هؤلاء الحُكّام يحقّ لهم الاعتراض إلى الملك، كما يبدو هذا جلياً في العديد من الرسائل الملكية، ففي الرسالة رقم (٤٢١) نجد أنّ المدعو (مردوك - شُم - أوصر) يرفع شكوى ضد حاكم مقاطعة (بارخالزا) على أساس أنّه صادر خطأ حقلاً يعود إلى والده حيث كان يُعتبر جزءاً من دائرته، ولهذا فهو يلتمس لدى الملك حمايته وإعادة الحقل المذكور. وفي مثل هذه الحالات فإن قرار الحكم الأخير يكون بيد الملك نفسه، والذي يتدخل أيضاً في قضايا مُشابهة في المقاطعات.^(٢)

خامساً: إدارة المقاطعات والمدن التابعة للدولة الآشورية الحديثة:

١ - اهتمام الملوك الآشوريين بتنظيم المقاطعات والمدن الآشورية:

لقد انشغل الملوك الآشوريون بإدارة الدولة وتقسيمها إلى مقاطعات، وذلك لتسهيل مهمة إدارتها، ومن ثم ربطها بالسلطة المركزية للدولة الآشورية، ولاسيما في عهد الملك الآشوري (آشور - ناصريال

(١) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٥٩، ٢٦٠.

(٢) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٦٠.

الثاني)، الذي توسعت الدولة الآشورية آنذاك في عهده، وضمت مناطق واسعة لذلك قام هذا الملك بتقسيمها إلى مقاطعات عديدة، يديرها حكام تابعين للسلطة المركزية الآشورية، وهؤلاء الحكام كان يتم تعيينهم من الملك كما مر معنا سابقاً^(١)، لذلك نجد بأن بلاد آشور نفسها بالإضافة إلى المناطق والبلدان التابعة آنذاك كانت مقسمة إلى مقاطعات تدعى كل منها (باخوتو) (pāhutû)، وهذه بدورها كانت مقسمة أيضاً إلى وحدات إدارية أصغر منها تدعى (نجو) (nagû)، وكل منها تتكون من وحدات ودوائر إدارية أصغر تدعى (قنو) (qannû) أو (أورو. شي) (uru.še)، أو (كبرو) (Kapru) (كفر)، أي قرية زراعية صغيرة (مزرعة). وخلال فترة العصر الآشوري الحديث أصبح هناك موظفون متخصصون لكل وحدة من هذه الوحدات الإدارية، وعليه تقع مسؤوليات معينة (ومنها جمع الضرائب والمكوس المفروضة على سكان هذه الوحدات وتأمين مستلزماتها المعيشية)^(٢).

وكانت هذه المقاطعات والوحدات الإدارية التابعة إليها ترتبط بالمدن الرئيسية، والتي ترتبط بدورها بالحكومة المركزية التي كانت ترسم الخطوط العامة للسياسة الواجب إتباعها مع الحكام مع إعطائهم جزءاً من الحرية لتنفيذ تلك السياسة، ولتأمين الاتصال ما بين المقاطعات وبين الحكومة المركزية، فقد أنشأ نظاماً للمواصلات والبريد سهل وصول الرسائل والتقارير من حكام الولايات والمناطق التابعة للدولة إلى الملك الآشوري، كما أسهم الأدلاء والعيون المنتشرين في أنحاء الدولة على ربطها ببقية المناطق، حيث في كل مقاطعة نجد حينها أدلاءً وغيوناً منتشرين في أنحاء مختلفة من الدولة الآشورية، تنحصر مهمتهم في إيصال المعلومات إلى السلطة المركزية، والعمل كأدلاء للجيش الآشورية أثناء الحملات العسكرية. وكان لهذا التنظيم الإداري الآشوري ميزات عديدة ومنها:

أنه أسهم في ربط المقاطعات المختلفة بالسلطة المركزية لبلاد آشور وذلك لتسهيل مهمة إدارتها، مما ساعد على تأمين الطرق التجارية لبلاد آشور وانتظام وصول فروض الطاعة والولاء من الأقاليم المجاورة، ومن ثم تحقيق الازدهار الاقتصادي للدولة، وهذا ما أشارت إليه النصوص الملكية التي تعود إلى الملك الآشوري (آشور - ناصريال الثاني)^(٣)، فمنذ عهد هذا الملك نرى أن العمل الإداري في المقاطعات الآشورية يتم وفق مبادئ محددة. كذلك فقد اهتم الملك الآشوري (أدد نيراري الثالث) بتنظيم المقاطعات التابعة للدولة الآشورية، حيث أضاف إليها ما لا يقل عن إحدى عشرة مقاطعة جديدة. وأما الإصلاح الجذري للتنظيم الإداري فقد جرى آنذاك في عهد الملك الآشوري (تجلات بلاصر الثالث)، الذي قسم المقاطعات الكبيرة إلى عددٍ من المقاطعات الصغرى لتسهيل حكمها وإدارتها، فقسّمت مقاطعة آشور إلى مقاطعتي آشور وإيكالاته. وكانت حكومة المقاطعة صورة مصغرة للحكومة

(١) مزهر، المهنا، رشا ثامر: "التطورات السياسية للدولة الآشورية (٩١١-٧٤٥ ق.م)"، ص ٧٣.

(٢) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٥٦.

(٣) مزهر، المهنا، رشا ثامر: "التطورات السياسية للدولة الآشورية (٩١١-٧٤٥ ق.م)"، ص ٧٣.

المركزية، وإنَّ اهتمام الدولة الآشورية بتنظيم المقاطعات آنذاك، تؤكدُه الرسائل الملكية والوثائق وقوائم الإحصاء المكتشفة في مدينة حرَّان.^(١)

٢- الأساليب الإدارية المتبعة في إدارة المقاطعات والبلدان التابعة للدولة:

لقد اتبع الآشوريون أساليب عدة في إدارة المقاطعات والبلاد التابعة لهم، حيثُ نجد بأنَّ بعد أول اتصال عسكري بين الآشوريين والبلدان المجاورة لهم، تكون هناك محاولة من الملوك الآشوريين بإتباع أساليب إدارية غير مباشرة، وأخرى مباشرة.^(٢)

وفيما يتعلق بالأسلوب الأول نجد أنَّ المعاهدات والإتفاقيات الدبلوماسية والتي يُطلق عليها اللقب الأكدي: (أدي) (adê)، قد لعبت حينها دوراً مهماً وبارزاً في السياسة الآشورية الخارجية، وبشكل خاص في النصف الثاني من عصر الدولة الآشورية الحديثة. وكانت تلك المعاهدات والإتفاقيات قد شكَّلت عندها إحدى الأهداف الرئيسية للسياسة الآشورية الخارجية، والتي شكَّلت حجر الزاوية لاستراتيجية التوسع التدريجي الإقليمي الآشوري، ضمن نظام المملكة الإقليمية.^(٣) كفرض قسم الولاء المُقدَّس على المدن والبلدان المغلوبة. وباستعمال الوسائل الدبلوماسية تلك كان الآشوريون قادرين عندها على إقامة علاقات سلمية مع العديد من جيرانهم، كما كان بإمكانهم أن يملو ويفرضوا شروطهم في أغلب الأحيان، والتي كانت مفيدة جداً إليهم، فقد أسهمت في دعم عمليات استخباراتهم بالتأكيد، لما يجري من أحداث في تلك البلدان والمدن. ومن الممكن القول وبدون مبالغة بأنَّ تلك المعاهدات زوَّدتنا بالخيوط الأولى لفهم العلاقات ونُمُوها ما بين الآشوريين وبلدان أو قبائل مجاورة أخرى، فإذا ما أخذنا زعماء القبائل وحُكام وأمرأء المدن والممالك الصغيرة التابعة الأقل تأثيراً، نجد أنهم خضعوا آنذاك تحت الإلتزامات والتعهدات الصارمة المفروضة من قبل الآشوريين في المعاهدات المبرمة بينهما^(٤)، وأمَّا الدول القوية والمُكافئة من حيث المركز والقوة المجاورة للآشوريين، فقد حرص الملوك الآشوريون عندها على إقامة علاقات طيبة معها، بغية تثبيت مواقف تلك الممالك إلى جانب الدولة الآشورية وضمان عدم قيامها بتقديم المساعدات لأية دولة معادية لها.^(٥)

وفيما يلي شرح مفصل للأسلوب الأول:

(١) الأحمد، سامي سعيد: "الإدارة ونظام الحكم"، ص ٣١.

(٢) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٥٧.

(٣) Parpola, Simo. "Neo-Assyrian Treaties from the Royal Archives of Nineveh", Journal of cuneiform studies, vol. 39, No. 2 (Autumn, 1987) p.161.

(٤) Luukko, Mikko. "The Correspondence of TIGLATH-PILESER III And SARGONII from CALAH/NIMRUD", The Neo-Assyrian Text Corpus project Helsinki 2012, p. 39, 40.

(٥) سليمان، عامر: "العلاقات السياسية الخارجية"، "موسوعة حضارة العراق"، ج ٢، دار الحرية للطباعة والنشر،

بغداد ١٩٨٥م، ص ١٤٥.

أ- الأساليب الإدارية الغير مباشرة:

لقد فضل الآشوريون الوسائل الدبلوماسية لكسب السيطرة على المقاطعات والأقاليم والبلدان المجاورة لهم، وهذه الحقيقة هي غالباً ما تكون خافية بالرسوم البشعة لمشاهد المعارك والتي تبين قسوة الآشوريين ضد أعدائهم المقهورين، على الجدران وفي النقوش الملكية. لكننا إذا أمعنا النظر إلى خريطة الدولة الآشورية الحديثة، فإننا نلاحظ بأن تلك المنطقة الواسعة التي امتدت عليها الدولة الآشورية آنذاك، قد أُديرَت آنذاك من خلال العديد من التسويات وعقد المعاهدات الدبلوماسية، حيث كانت عندها أكبر بكثير من المناطق التي أُديرَت من خلال الإدارة الإقليمية المباشرة. والدليل على ذلك ما كُشف عنه من خلال عمليات التنقيب التي جرت في العقود الأخيرة من القرن العشرين الميلادي السابق، فقد تم اكتشاف عدة معاهدات ما بين الآشوريين ودول وممالك مختلفة، وخاصة الرسائل الملكية الموجهة إلى الملك الآشوري (أسرحدون). فالقراءة الحذرة للنقوش الملكية والمراسلات مع الملوك الآشوريين تُظهر على أن تلك الطرق الدبلوماسية كانت شائعة عندها. فمُصطلح "الدبلوماسية" يشير هنا لأي عمل أو تصرف، والذي سيقود في النهاية إلى تسوية مقبولة أو مُتفقٍ عليها من كلا الجانبين. وفي حالات عديدة كانت تؤدي أكلها حقاً.^(١)

وقد تنوعت الطرق الدبلوماسية التي استخدمها الآشوريون للسيطرة على البلدان والمقاطعات التابعة لهم نذكر منها:

- عمد الملوك الآشوريون على إبقاء الملوك والحكام المحليين أنفسهم في مقاطعاتهم وبلدانهم، فبالنسبة للأقاليم والمقاطعات الصغيرة الموالية للآشوريين طوعاً أو خوفاً، والسائرة في فلكها، فإنه كان يتوجب عليها أن تعترف بسلطان الدولة الآشورية عليها، وأن تدفع هدايا الطاعة والولاء المقررة عليها للملك الآشوري، كما كان عليها أن تلتزم بعلاقاتها السياسية الخارجية بما تُمليه مصلحة الدولة الآشورية، فتعادي من يُعادي الدولة الآشورية وتُصادق من يُصادقها، وتحصل مقابل هذه الالتزامات على امتياز الحماية العسكرية لها عند تعرضها لأي اعتداء خارجي أو تمردٍ داخلي ضد السلطة الحاكمة فيها.^(٢)

ومثال على ذلك ما عبّر عنه الملك آشور - ناصر - بال الثاني (٨٨٣-٨٥٩ ق.م) عندما استلم الجزية والهدايا المقررة على حاكم بلاد سوخو المدعو (إيلا - إيني) مقابل تعهد الملك الآشوري آنذاك سلامته وسلامة أفراد عائلته^(٣)، حيث يقول الملك آشور - ناصر - بال الثاني: ".... حُكَّام بلاد

(١) Grayson. A. Kirk, "Assyrian Rule of conquered Territory in Ancient Western Asia", Op. cit. p.964,965.

(٢) سليمان، عامر: "العلاقات السياسية الخارجية"، ص ١٤١.

(٣) الحديدي، أحمد زيدان: "السياسة الآشورية تجاه ملوك الشرق الأدنى القديم (٩١١-٦١٢ ق.م)"، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد (٦٢)، جامعة الموصل ٢٠١٧م، ص ٥٩٨-٦٠٠.

سوخو في عهد الملوك آبائي لم يأتوا إلى آشور فإن إيل-إبني حاكم أرض سوخو جاء بنفسه إلى نينوى حاملاً معه أتاتوه من الفضة (و) الذهب لينقذ حياته (و) حياة أخواته وأبنائه...^(١) وكانت عمليات دفع مستحقات الجزية والأتاتوات إلى الملك الآشوري تجري بمراسيم وعهود موثقة بأداء القسم المقدس في حضرة الإله آشور، ولكن عندما يشعر هؤلاء الحكام المحليين بأي ضعف داخل الدولة الآشورية أو عندما يحصلون على مساعدات عن طريق تحالفهم مع ملوكاً وحكاماً آخرين، والذين تنسجم مصالحهم معهم، أو بتحريض من أبناء هذه البلدان نفسها نجدهم عندها يثورون ضد الملك الآشوري. وهذا يعني تخليهم عن بنود المعاهدة أو الاتفاق المبرم مع الدولة الآشورية عندها، وفي هذه الحالة نجد أن الملك الآشوري أمام عدة خيارات، فإما يقوم بخلع الملك والحاكم المتمرد، أو في بعض الأحيان يعيده إلى منصبه مدعياً بأنه كان رحيماً معه ومع عائلته، وفي معظم هذه الحالات كان من شروط ذلك القسم بالإله آشور، أو أن تُضاعف الجزية والضرائب المفروضة سابقاً على الملك أو الحاكم التابع^(٢)، ويتم تعيين موظف آشوري مهمته الإشراف على سياسة الحاكم المحلي، وعادة ما يكون مدعوماً بقوة عسكرية صغيرة تحسباً لأي طارئ. وفي حالة نقض الحاكم المحلي لليمين الذي أقسمه وقيامه بطرد الموظف الآشوري وتمرده ضد الدولة الآشورية وإعلانه العصيان، فعند ذلك تُجهز حملة عسكرية كبيرة لدخول المقاطعة والقضاء على الحاكم المتمرد وأسرته، ليس لتمرده على الدولة الآشورية فحسب بل لحنثه باليمين وعدم احترامه للآلهة، وبعد السبب الأخير حجة لتبرير الحملة العسكرية وإضفاء صفة الشرعية عليها^(٣)، يؤكد ذلك ما جاء على لسان الملك الآشوري سرجون الثاني (٧٢١-٧٠٥ ق.م):

"في العام الرابع من حكمي حنث كياكي حاكم مدينة شينوخو بالقسم الذي قطعه على نفسه للآلهة العظيمة، تمرد ضدي وامتنع عن دفع الأتاتوة فاستوليت على ثلاثين من عرباته و ٧٣٠٠ من مقاتليه...."^(٤)

إضافة لذلك تذكر النصوص الملكية إشارات عديدة عن جلب الملوك الآشوريين لأبناء الحكام إلى العاصمة الآشورية، لكي يتربوا في كنف الملك، ولينشؤوا على خدمة سيدهم الملك، وعند موت الأب أو تمرده يعين الملك الآشوري عندها الابن مكانه، وبالتالي فإنه سيخدم سيده بأمانة وإخلاص كرد للجميل، ويرجع استخدام هذا الأسلوب بشكل خاص إلى الملك الآشوري (آشور - ناصر بال

(1) Grayson, A. K., "The Royal Inscriptions of Mesopotamia Assyrian periods", Vol 2, "Assyrian Rulers of the Early first Millennium B.c I (1114-859 B.c)", Toronto, 1991, (RIMA, Vol 2, No: i 99 b-101 a, p.200.

(٢) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٥٧.

(٣) مزهر، المهنا، رشا ثامر: "التطورات السياسية للدولة الآشورية (٩١١-٧٤٥ ق.م)"، ص ٧٥.

(4) Luckenbill, D, D, Ancint Records of Assyrian and Babylonia, (New York, 1927), (ARAB, Vol. II, No: 55, pp.2-27.)

الثاني). كذلك هناك مثال أيضاً على ذلك حيث ادّعى الملك الآشوري (سنحريب) بأنه ربي (بيل - إيني) ابن حاكم بابل في قصره، وعينه فيما بعد حاكماً على سلالة القطر البحري^(١).

- ومن الأساليب الإدارية الأخرى التي اتبعتها الملوك الآشوريين المتأخرين مع الحكام والملوك التابعين، هو تعيين مندوب آشوري في بلاط ذلك الحاكم يدعى قيبو (qēpû)، بقصد جمع المعلومات السياسية والاقتصادية والعسكرية عن تلك البلاد والبلدان المجاورة، وخير دليل على ذلك هو (قيبو) الملك الآشوري أسرحدون في مدينة صور، وأما (قيبو) الملك الآشوري آشور بانيبال في مصر الفرعونية فقد تمكن حينها من كشف مؤامرة ضد خليفة (تارقوا) ملك مصر القديمة، وتتلخص هذه المؤامرة في تعاون رؤساء القبائل المصرية فيما بينهم، ورفضهم أن يكونوا تابعين لأي شخص، وتقسيم بلاد مصر إلى قسمين، ولكن المندوب أي (قيبو) الملك الآشوري (آشور بانيبال) تمكن من الكشف آنذاك عن هذه المؤامرة والقاء القبض على المتآمرين، وإرسالهم إلى مدينة نينوى^(٢).

- كذلك تذكر النصوص الآشورية أسلوباً آخر لإدارة البلاد التابعة، ألا وهو (الزواج السياسي) ومثال على ذلك قيام الملك الآشوري (سرجون الثاني) بتزويج ابنته إلى حاكم مقاطعة (تابال)^(٣).

وهناك مصاهرة سياسية بين الملك الآشوري أدد - نراري الثاني والملك البابلي (نابو - شومو - أوكن)، حيث تزوج فيها كل من الملكين ابنة الآخر^(٤)، ويبدو أن الهدف من هذا الزواج هو تقريب وجهات النظر بين الملوك الآشوريين وملوك وحكام تلك البلدان والمقاطعات، لأن التوقعات حينها تشير إلى أن الأولاد والأحفاد القادمين من هذا الزواج، إن لم يكونوا إلى جانب أجدادهم الآشوريين فإنه من المستبعد أن يكونوا أعداء لهم^(٥).

(١) مزهر، المهنا، رشا ثامر: "التطورات السياسية للدولة الآشورية (٩١١-٧٤٥ ق.م)"، ص ٧٥، ٧٦.

(٢) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٥٧.

(٣) مقاطعة (تابال) (Tabal): ورد اسم هذه المدينة "بتابال" كبدوكيا في النصوص المسمارية الآشورية لأول مرة من عهد الملك شلمانصر الثالث سنة (٨٣٧ ق.م)، في سنة حكمه الثانية والعشرين. وأما عن موقعها فهي تقع في الزاوية الجنوبية الغربية للسهل الأناضولي (كبدوكيا القديمة)، وكان لموقعها أهمية بالغة آنذاك وذلك لكونها تسيطر على طريقي المرور اللذين يربطان آسيا الصغرى بشمال سوريا وهما: طريق "كيزيل" "Gez bel" و"كرو بيل" "Kuru bel"، بالإضافة إلى سيطرتها على المدخل الشمالي للباب الكيلكي وكذلك على طريق المرور الذي يدعى "كيزل - إرمق" "Kizil Irmak"، وهذا يشير إلى أن مملكة تابال كانت قد احتلت موقعاً استراتيجياً مهماً من الناحية الجغرافية لطرق المواصلات في آسيا الصغرى. كذلك تتأتى تلك الأهمية لتابال باحتوائها على مناجم الحديد والنحاس والفضة المهمة بالنسبة للآشوريين، حيث أثبتت غناها من خلال حجم الضرائب والأتاوات الضخمة المترتبة عليها اتجاه الدولة الآشورية. أنظر:

خلف صالح الحديدي، أحمد زيدان: "علاقة بلاد آشور مع الممالك الحثية في شمال سوريا"، ص ١٩.

(٤) مزهر، المهنا، رشا ثامر: "التطورات السياسية للدولة الآشورية (٩١١-٧٤٥ ق.م)"، ص ٧٦.

(٥) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٥٧.

ب- الأساليب الإدارية المباشرة:

كان يلجأ الملوك الآشوريون إلى هذا الأسلوب عندما يُجربون أكثر من طريقة لإدارة تلك البلدان والمناطق، وعلى وجه الخصوص تلك المناطق الحدودية المتاخمة للدولة الآشورية آنذاك والمضطربة أيضاً، فإذا لم تتكلم المساعي الآشورية بالنجاح وباعت بالفشل، عندها يكون الملك الآشوري مضطراً لتغيير سياسة الإدارة غير المباشرة إلى الأسلوب المباشر، أي تعيين حاكم آشوري من رجال البلاط على تلك المنطقة واعتبارها جزءاً من بلاد آشور.^(١) كما يتم إلحاق المقاطعة المتمردة بالدولة الآشورية، وتعد واحدة من مقاطعاتها، والتي تُحكم من قبل حُكّام آشوريين، فالملك الآشوري يتعامل معها حينها كأنها واحدة من مدنه، من حيث تطبيق إدارته فيها، وربما يتولى الملك ذلك بنفسه أو يُعين حُكّاماً موالين له، كدلالة على أنها أصبحت من ضمن أملاكه وذلك بفرض سلطة سيده الإله آشور عليها، كما تقع مسؤولية حمايتها على عاتق الملك الآشوري وكذلك المحافظة على تبعيتها^(٢). وغالباً ما يُهجر سكان هذه المقاطعات والمدن المتمردة إلى مناطق أخرى، ويؤتى بسُكّان آخرين من منطقة ثانية ليحلوا محلهم، وقد اتبع الملوك الآشوريون أسلوب التهجير في معاقبة المدن والمناطق المتمردة، وكان الآشوريون يهدفون من عملية تهجير أولئك السكان لتحقيق هدفين اثنين هما:

الأول: رغبة الملوك الآشوريين في تزويد دولتهم بالأيدي العاملة على شكل عبيد لزراعة أكبر منطقة ممكنة من الأراضي، وخاصة في وسط الدولة الآشورية، بالإضافة إلى ذلك تخصيص مجموعة من المبعدين وهي أصغر نسبياً من الأولى على أية حال للخدمة في المعابد الرئيسية وعوائل المملكة الآشورية. كذلك الاستفادة من خبرات أصحاب المهن والصنّاع، فإبعاد أو نفي أعداداً كبيرة من السكان إلى المركز، كان يهدف آنذاك لإعادة إسكان قلب أو وسط الدولة الآشورية (المركز الآشوري)، والتي كانت قد أفقرت من السكان من خلال الاستمرار بالحملات العسكرية. وأمّا المناطق والمدن التي أفرغت حينها من السُكّان فكان يُعاد إسكانها بالناس والأيدي العاملة المفيدة من مناطق أخرى.^(٣)

وأما الهدف الثاني: منع تلك المدن والدويلات والتي نكثت بعهودها التي أبرمتها مع الملوك الآشوريين، من التمرد والعصيان مرةً أخرى حيثُ شكّلت أعمال التهجير الجماعي آنذاك عقوبةً رادعةً لهم. إضافةً إلى تشتيت وقطع اتصال بعض الحُكّام عن مُدنه المتمردة بقصد حرمانهم من الإحساس بهويتهم أو انتمائهم القومي، ولغتهم، وحتى عاداتهم، وفي بعض الحالات كان من المحتمل دينهم أيضاً ((من

(١) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٥٧، ٢٥٨.

(٢) الحديدي، أحمد زيدان: "السياسة الآشورية تجاه ملوك الشرق الأدنى القديم (٩١١-٦١٢ ق.م)"، ص ٥٩٨.

(٣) Luukko, Mikko. Op. cit. p.36-37.

خلال أسر وتهجير الآلهة وذلك للنيل من معتقدات الأقوام الأخرى، والرغبة في بيان أن آلهة هذه المدن عاجزة عن صد الآشوريين^(١). وهذا ما تؤكدُه النقوش الملكية الآشورية حيث جاء في إحداها:

كما "جعلتهم كآشوريين" أو "أنا اعتبرتهم أو حسبتهم أناس أو أفراد أو شعب من الدولة الآشورية".^(٢)

وهناك أمثلة عديدة على أعمال التهجير الجماعي تأتي على ذكرها النصوص الآشورية منها على سبيل المثال لا الحصر:

يذكر الملك الآشوري أدد - نيراري الثاني في أحد نصوصه، أنه في السنة الرابعة من حكمه جهز حملة عسكرية ضد الآراميين الذين تمردوا عليه بقيادة (موكورو) (Mukuru) وتمكن من هزيمتهم، كما يرد في النص:

"وبكل شجاعة طردت المدعو (موكورو) من قصره بعد أن جمع ممتلكاته وأحجاره الكريمة الغالية وعرباته وخيوله وزوجاته وأبنائه وبناته ووضعها أمامي وقمت بتكبيله وأخوته بقيود من نحاس وجلبتهم إلى مدينة آشور".^(٣)

نستنتج من هذا النص قيام الملك الآشوري بتهجير جماعي عن طريق أسر الأشخاص ثم جلبهم مُقيدين إلى آشور. كذلك لدينا نصاً آخر للملك الآشوري أسرحدون يتعلق بأعمال التهجير الجماعي التي قام بها أيضاً حيث يقول:

"أكثر من عدد الجراد جلبت غنائم من شوبريا إلى آشور.... ميزتهم واخترت منهم وجعلتهم في عسكري بالإضافة إلى.... سواق العربات، الحرس، الخيالة، أفراد الجيش، المراقبون، الصناع الحرفيون، حملة المظلات، القتل، المزارعين، الرعاة، قد أضفتهم بأعداد كبيرة إلى جيش الإله آشور لقد ملأت بلاد آشور حتى حدودها وأما بقيتهم فقد وزعتهم كالماشية بين قصوري، وحاشيتي، وحول قصري، وسكان نينوى، وكالح ككزو، وأربيل".^(٤)

يمكن لنا أن نستنتج من هذا النص بأن الملك الآشوري أسرحدون قام بتهجير عدد كبير من أصحاب المهن والحرف وأنه قام بعد تهجيرهم بتوزيعهم كآلاتي:

قسم أضافه إلى جيشه، وقسم وزعهم في بلاد آشور، وقسم وزعهم في قصوره، وقسم وزعهم بين أفراد حاشيته، وقسم وزعهم حول قصره، وآخر وزعهم بين سكان مدينة نينوى، والقسم الأخير وزعهم بين سكان مدن كلخو وأربيل. كما أننا نلاحظ من النص السابق بأن أعداد الذين تم تهجيرهم وإسكانهم

(١) القيسي، محمد فهد: "التهجير القسري في العراق القديم (٣٠٠-٥٣٩ ق.م)"، مجلة كلية التربية، مج (١)

العدد (٢٤)، جامعة واسط للعلوم الإنسانية ٢٠١٧م، ص ٢٣٥، ٢٣٦.

(٢) Luukko, Mikko. Op. cit. p. 37.

(٣) Grayson, A. K., "Assyrian Royal Inscriptions" "ARI", Vol. 2, Wiesbaden, 1976, p.88.

(٤) Prichard, J. B., "Ancient Near Eastern Texts" "ANET", 3rd ed. (New Jersey), 1969, pp. 291, 292.

في بلاد آشور كان كبيراً جداً إلى حدٍ يصفه النص أنه "ملء بلاد آشور حتى حدودها"^(١). كما عمل الملك الآشوري (أدد - نيراري الثالث) حينها على تهجير قسم من سكان المدن والمقاطعات المتمردة إلى بلاد آشور، وقسم آخر نحو مناطق نائية، وهكذا كان الحال مع الملوك الذين جاءوا بعده.^(٢)

سادساً: إدارة المدن الآشورية:

لقد كانت إدارة المدن الآشورية تقع على عاتق مجموعة من الموظفين الإداريين وهم:

١ - محافظ/ مدير المدينة (خَزَنُو) (hazannu):

أ- تعريف لقب محافظ/ مدير المدينة (hazannu):

يرد في النصوص الآشورية لقب (خَزَنُو) (hazannu) وهو يُشير إلى: "محافظ أو مدير المدينة أو الحي"^(٣). وكان لهذا الموظف الإداري أي (خَزَنُو) (hazannu) تاريخٌ طويلٌ في بلاد وادي الرافدين، حيث يرد ذكره في النصوص السومرية لمدينة الوركاء، وأيضاً في العصر الأكدي والبابلي القديم في نصوص ماري، ومن ثم انتقل إلى بلاد آشور، ففي المدن الآشورية الرئيسة مثل آشور، نينوى، كلخو، وفي عواصم بعض المقاطعات، نجد هناك أكثر من (خَزَنُو) واحد (hazannu) فيها. وأما في المدن الصغيرة فهناك خَزَنُو واحد فقط.^(٤) كما يمكن أن يُفسر لقب (خَزَنُو) (hazannu) "كـرئيس لبلدية المدينة" في وقتنا الحاضر. وعلى الرغم من أنه كان يتم اختياره من بين سكان المدينة المحليين، إلا أنه كان يُعين مع ذلك من قبل الملك الآشوري مباشرة.^(٥) كما يُشير إلى ذلك (سين - نائد) خَزَنُو مدينة آشور: حيث يقول:

"سين - نائد، خَزَنُو مدينة آشور الذي عيّني، الملك سيدي".^(٦)

ب- المهام والواجبات الملقاة على عاتق خَزَنُو (hazannu):

خلال العصر الآشوري الوسيط وخاصةً في نصوص مدينة نوزي، نجد أن واجباته اشتملت على تطبيق القانون والتعليمات الملكية الصادرة إليه بالتعاون مع الوحدات الإدارية الأخرى والموجودة ضمن مجال مسؤوليته. وأما في العصر الآشوري الحديث فإنه استمر بنفس تلك المسؤولية ولكنها أصبحت لا تتعدى أسوار مدينته. فمثلاً نرى (خَزَنُو) مدينة كلخو قد سجن أحد الكهنة بتهمة سرقة ذهب وفضة من معبد الإله (ننورتا) كما جاء في الرسالة رقم (٤٩٣). وحسب المعلومات التي زودتنا بها هذه الرسالة

(١) القيسي، محمد فهد: "التهجير القسري في العراق القديم (٣٠٠٠-٥٣٩ ق.م)"، ص ٢٢٩-٢٣١.

(٢) مزهر، المهنا، رشا ثامر: "التطورات السياسية للدولة الآشورية (٩١١-٧٤٥ ق.م)"، ص ٧٥.

(٣) مرعي، عيد: "اللسان الأكادي موجز في تاريخ اللغة الأكادية وقواعدها"، ص ٢٧٠.

(٤) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٥٤.

(٥) Radner. Karen, "The Reciprocal Relationship between Judege and society in the Neo Assyrian period". Op. cit. p. 58.

(٦) ABL. 150, cf. ABL. 91, 419, 716, 812.

بخصوص السّجين فإنّ المسؤول (خَزَنُو) اعتمد على معلومات أدلى بها كاهنٌ آخر. ومن الأمثلة التي تشير إلى التعاون بين الخزنو والموظفين الإداريين الآخرين ضمن المدينة، ما تضمنته الرسالة رقم (٩١)، والمرسلة من حاكم مقاطعة آشور (طاب - صلي - إيشارا)، والتي تخصّ إصلاح التصدّع الذي حدث في بيت الفرن الحديدي التابع للقصر في آشور، والتي حدّد الكاتب مسؤوليّتها على كل من الخزنو ومجلس المُسنّين في آشور. كذلك يبرز دور الخزنو الإداري في العقود التجارية بالإضافة إلى ظهوره شاهداً على كثير منها، وأمّا في عواصم المقاطعات الآشورية فإنّ وظيفة الخزنو كانت أقلّ وضوحاً عنها في المدن الآشورية الرئيسية أي (العواصم)، وخاصةً فيما يتعلق بتحديد المسؤوليات لكلٍ منهم، ولدينا إشارة في إحدى الرسائل الآشورية الحديثة من نينوى بخصوص مشاركة الخزنو في الاحتفالات الدينية التي تُقام في معبد الإله نابو في كلخو. ولكن في رسالة أخرى من أهالي آشور والتي تتعلق بموت الملك الآشوري، فإنّها تُشير إلى أنّ حاكم المقاطعة نفسه قد أمر رجاله أن يقفوا أمام مبنى الخزنو وقد ألبسهم (ثياباً حمراء)، وقلّدهم بحلقات ذهبية ليصّطفوا أمام الخزنو، وعلى ما يبدو فإنّ هذه إشارة إلى إقامة مراسيم تشييع الملك، ومشاركة الخزنو رسمياً بها وبالملابس الرسميّة لها^(١).

كذلك نجد أنّ الموظف الإداري (خَزَنُو) (hazannu)، والذي كان يُمثل حينها:

"النخبة المحليّة" يؤدي وظيفة القاضي في مدينته غالباً، حيث تأتي على ذكره العديد من النصوص، فهو يأتي مباشرةً بعد الوزير والقاضي الرئيسي، وذلك لكون الأخير أي (القاضي الرئيسي) كانا عندهما قاضياً مُتَنَقِّلاً. ومن المحتمل أنّهما كانا يختصّان بالجرائم الخاصة مثل (سرقة، قتل)، ويتركان الحالات الأقلّ خطورةً (للخزنو).^(٢)

ويبدو من المحتمل جداً بأنّ (مُحافظي المدن) (خَزَنُو) كانوا على الأقلّ في مدينة آشور، يتم اختيارهم من بين طبقة الشيوخ (Lu.AB.BA). وكان الشيوخ آنذاك يُشكّلون هيئةً بعددٍ غير محددٍ من الأعضاء الذي لم يتم الاستشهاد به مطلقاً في الوثائق القانونية، ولكنه كان مميزاً أو معروفاً من خلال المراسلات الملكية. ويبدو أنّ المحافظ (خَزَنُو) كان المسؤول البلدي (المحلي) الأكثر تأثيراً، وذلك في الربع الثاني من القرن السابع قبل الميلاد، أي مع نهاية عهد الملك الآشوري (أسرحدون) وبداية عهد الملك الآشوري (آشور بانيبال). كما سبق وأشرنا إلى أنّه عادةً ما كانت المدينة الآشورية تُدار من قبل محافظ واحد، ومراقب مدينة واحد. وعلى أية حال، ففي مدينة آشور كان هناك على الأقلّ من عهد الملك الآشوري سنحريب، ثلاثة محافظين لهذه المدينة. وكان هؤلاء الثلاثة قد أداروا المدينة سويةً مع مراقب المدينة آنذاك، ومن المحتمل أنّه كان لدى محافظ مدينة نينوى نائب، وذلك لكون هناك عدد كبير من المحافظين المُستشهد بهم في الوثائق، للنصف الثاني من القرن السابع قبل الميلاد في مدينة

(١) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٥٤.

(٢) Betina. Faist, Op. cit. p.21.

آشور. وكان من الواضح بأن منصب محافظ المدينة في الدولة الآشورية الحديثة، لم يتم تعيينه في منصبه هذا لمدى الحياة، وإنما كان يخدم لفترة زمنية معينة فقط.^(١)

٢- المشرف على المدينة (شا - موخي - آلي) (šā-muḫḫi-'āli):

أ- تعريف لقب المشرف على المدينة (شا - موخي - آلي) (šā-muḫḫi-'āli):

يرد في النصوص الآشورية لقب (شا - موخي - آلي) (šā muḫḫi 'āli) وهو يُشير إلى: "مشرف أو مراقب المدينة الآشورية"، ويبدو من النصوص بأن الموظف (šā muḫḫi 'āli) كان في حينها الموظف الكبير أو الأعلى على مستوى المدينة الآشورية، والذي أعاد تنظيم المراتب الوظيفية للإدارة المحلية للمدينة والذي كان يعتبر ضرورياً آنذاك.^(٢)

ب- الأعمال والمهام التي كُلف بها مشرف المدينة (شا - موخي - آلي) (šā-muḫḫi-'āli):

يبدو أنه من الصعب التمييز بشكل واضح بين مهام كلا من (šā muḫḫi āli) و (ḥazannu) وذلك في القرن السابع قبل الميلاد. لأن كلاهما يمثلان المدينة الآشورية حينها، اتجاه الدولة والإدارة الإقليمية في العاصمة، وفي إطار هذه الصلاحية، كانا مسؤولين عن تنظيم (الكو) (ilku) أي: واجبات سكان المدينة من الضرائب المترتبة عليهم). إضافة لذلك، فإن وجودهما كان مطلوباً حينما تنتقل الملكية أو العقار داخل المدينة في آشور، ولكن من المحتمل في مدن أخرى أيضاً مثل (كلخو). وقد اشترك (شا - موخي - آلي) أيضاً في الأمور القضائية، طبقاً لرسالة من مدينة آشور والتي يكتب فيها أحد المسؤولين حول قضية قانونية تتعلق بتقسيم ميراث والتي كانت قد استغرقت عندها مدة طويلة (لعدة سنوات). الرسالة رقم (٢٧). كذلك يُلاحظ من خلال الرسائل والنصوص الآشورية المتوفرة بأن كلا من (الخزنو) و (شا - موخي - آلي) كانا قد توليا واجبات قضائية كثيرة. إلا أن (خزنو) كان يتم الاستشهاد به أكثر من (شا - موخي - آلي) غالباً في دور القاضي، حيث تظهر هذه الحالة بشكل محدد في أواخر القرن السابع قبل الميلاد. كما تذكر الرسالة رقم (٣٥) والتي يعود تاريخها إلى عام ٦٧٦ ق.م. فالإصلاحات والتجديدات في تدرج السلطة المحلية للمدينة نتج عنها تسمية المسؤول (شا - موخي - آلي) ليُمثل دور القاضي. وكان من المحتمل جداً أن ذلك المسؤول أي (شا - موخي - آلي) والذي سبقته وظيفته صعود منصب (خزنو)، فقد اعتُبر (šā muḫḫi 'āli) كمسؤول المدينة الأعلى بشكل طبيعي آنذاك، حيث تصرف كقاضي في القضايا القانونية التي حُسمت على المستوى المحلي.^(٣)

نستنتج مما تقدم بأن الوظيفة الإدارية للموظف (شا - موخي - آلي) كانت لها علاقة مباشرة بوظيفة الخزنو، حيث يظهران سوية في الرسائل الآشورية. إضافة إلى تعيينه من قبل الملك شخصياً.

(1) Radner. Karen, "Mesopotamia –Neo-Assyrian period", Op.cit.pp.889-890

(2) Radner. Karen, "The Reciprocal Relationship between Judge and society in the Neo Assyrian period", Op. cit. pp.57,58.

(3) Ibid, pp. 58,59.

ومن المحتمل أن وجوده إلى جانب الخزنو في إدارة المدينة هو من أجل تقليص صلاحيات (خزنو) الواسعة، وخلق نوع من الموازنة بينه وبين الخازانو.

٣- مجلس المدينة (الشياب) (Šibutu):

أ- تعريف مجلس (الشياب) (Šibutu):

كانت إدارة المدينة الآشورية مسؤولة عن المواطنين الذين هم جزء منها، وهؤلاء هم أصحاب الحقول والبساتين المجاورة للمدينة نفسها، ويمثلهم إدارياً في الدولة آنذاك (الشياب) (Šibutu)، وهؤلاء غالباً ما كانوا يُنتخبون من بين أغنياء المدينة ذاتها ويدعون (ققداتي) (qaqqadāti). إضافةً إلى ذلك فهم كانوا يتعاملون مع الملك مباشرة.^(١)

ب- واجبات مجلس المدينة (Šibutu):

تتضمن الواجبات والمهام المُلقاة على عاتق هذا المجلس في حلّ المشكلات القانونية والمالية، والدفاع عن المصالح والامتيازات الممنوحة لأبناء تلك المدينة، كالإعفاء من الضرائب وأعمال السخرة، وهناك العديد من الرسائل وخاصةً من مدينتي نينوى وكلخو، توضح أهمية هذا المجلس إدارياً، كما تبرز أهميته وقوته السياسية بشكلٍ خاص في أوقات الأزمات. وإلى جانب ما ذكر من موظفي المدينة السابقين، هناك أيضاً مجموعة أخرى من الموظفين المُكلفين بحراسة بوابات المدينة، يُطلق عليهم لقب (أبولاتي) (abullāte) ويرأسهم مدير يُدعى: (رَب أبولاتي) (rab abullāti) والذي يظهر آنذاك بدورٍ مُفتش^(٢).

وفي ختام حديثنا نلاحظ سعي الملوك الآشوريين في عصرهم الحديث إلى انتهاج سياسةٍ موحدةٍ وواقعيةٍ اكتسبوها من الموروث الحضاري لبلاد وادي الرافدين، والتي تتجسد في الحفاظ على الاستقلال وتوحيد البلاد معتمدين في ذلك على القوة التي مارسوها عبر قنوات الجهاز الإداري، وبما أن هذه السياسة تستوجب منهم السعي لتقوية وحدة الأقاليم والشعوب التي حكموها، كذلك توجب عليهم إيجاد إداريين مُحكميين يقومون بالمراقبة الحازمة مع تقوية المؤسسات الإدارية وتنظيمها لتكون قادرةً على أداء مهامها على أكمل وجه، بالإضافة إلى اعتمادهم على الحلفاء والمؤيدين لهم من الذين ارتبطوا مع الدولة الآشورية بروابط المعاهدات من أجل حمايتهم من أيّ تهديدٍ خارجي. وعلى هذا الأساس لا يمكن للقيادة الآشورية أن تحافظ على تماسك ووحدة المملكة إلا بواسطة سلطة تعتمد على القوة التي بدورها تحمي هذه الوحدة، حيث إنه عندما تفقد القيادة السياسية القوة تفقد مبرر وجودها، فكل انحسار يترجم بطبيعة الحال انحساراً للسلطة ويفتح الباب واسعاً أمام التجاوزات والصراعات العنيفة التي تؤدي إلى الفوضى فتقضي بذلك على وحدة الدولة.

(١) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٥٥.

(٢) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٥٥.

الفصل الرابع

موظفو القصر الملكي ونظام المواصلات

أولاً: رئيس تشريفات القصر (شا بان - إكلّي) (šā pān - ēkalli).
١ - تعريف لقب: (شا بان - إكلّي) (šā pān- ēkalli).
٢ - أهمية منصبه والمهام والواجبات المُكلّف بها.
ثانياً: مشرف القصر (رَب - إكلّي) (rab- ēkalli).
١ - تعريف لقب: (رَب - إكلّي) (rab- ēkalli).
٢ - أهمية منصبه والمهام والواجبات المُكلّف بها.
ثالثاً: كاتب القصر (طُبْشَر - إكلّي) (tupšar ēkalli).
١ - تعريف لقب: (tupšar ēkalli).
٢ - مكانة الكاتب الاجتماعية والمادية في العصر الآشوري الحديث.
٣ - المهام والواجبات الإدارية التي كان يشغلها كاتب القصر ومنها:
أ - إشراف كاتب القصر على استخدام المعادن الثمينة سويةً مع أمين الصندوق.
ب - ظهور كاتب القصر في النشاطات الاقتصادية.
رابعاً: المُقَرَّبُون (شا قوربوتي/ قِبُو) (šā qurbûti/qēpu).
١ - تعريف لقب: (شا قوربوتي/ قِبُو) (šā qurbûti/qēpu).
٢ - دور المُقَرَّبِينَ (شا قوربوتي/ قِبُو) (šāqurbûti/qēpu) في إدارة القصر.
أ - جمع وتحصيل الضرائب.
ب - مندوبين أو مبعوثين عن الملك إلى المقاطعات والمدن الآشورية.
ت - صلة الوصل المباشرة بين الملك والرعايا.
ث - مراقبة حُكَّام المقاطعات والمدن الآشورية وأعمال التفتيش والاهتمام بالأسرى الخ....
خامساً: العُمال العاديون (موشاركيصو/ صابو) (mušarkišu/šābù).
١ - تعريف لقب: (موشاركيصو/ صابو) (mušarkišu/šābù).
٢ - الأعمال والواجبات التي يقوم بها العُمال العاديون.
سادساً: دور عاملات القصر في الإدارة:
١ - مديرات القصر (شَكِينتو) (šakintu).
أ - تعريف لقب: (شَكِينتو) (šakintu).
ب - الأعمال والنشاطات التي كُنَّ يَقْمُنَ بها على الصعيد الإداري.
ت - سيّدات (شَكِينتو) (šakintu) اللواتي عُرفنَ بأسمائهنَّ.
٢ - مجموعة نساء (سيكريتو) (Sekretu).

أ- تعريف لقب: (سيكريتو) (Sekretu).
ب- الأدوار والنشاطات المُلقاة على عاتق نساء القصر (سيكريتو) (Sekretu).
- نساء (سيكريتو) (Sekretu) (كجزء من السبي الملكي).
- نساء (سيكريتو) (Sekretus) ومسألة اختلاء نساء القصر.
٣- (المسؤولة) (لُخِينوتو) (Lahhinutu).
أ- تعريف لقب: (لُخِينوتو) (Lahhinutu).
ب- الأعمال والنشاطات المُسندة للمسؤولة (لُخِينوتو) (Lahhinutu).
٤- المُغْنِيَّات (نوارتو/ نرجالوتو) (nuārtu) و (nargāllutu).
أ- تعريف لقب: (نوارتو/ نرجالوتو) (nuārtu) و (nargāllutu).
ب- الواجبات والنشاطات التي أُسندت إليهنَّ.
- المغنية الرئيسية (نرجالوتو) (Nargāllutu).
- المغنية (نوارتو) (Nuārtu).
- المُغْنِيَّات في قوائم الحصص والنبذ.
- المُغْنِيَّات كجزء من السلب أو السبي الملكي.
٥- جارية أو خادمة القصر (أَمَات إِكَلِّي) (Amāt ekalli).
أ- تعريف لقب: (أَمَات إِكَلِّي) (Amāt ekalli).
ب- الأعمال والنشاطات المُلقاة على عاتقهنَّ.
٦- مجموعة نساء القصر الأخريات (الحرفيات):
أ- صانعة الحلويات.
ب- الحائكات.
سابعاً: موظفو القصر الملكي الآخرون مثل: (المُنْجَمون، المُنْشَدون، الطَبَّاخون.... الخ).
١- المُنْجَمون
أ- نصوص التنجيم.
ب- المكانة الاجتماعية التي تمتع بها هؤلاء المُنْجَمون ونشاطاتهم في القصر.
٢- المُنْشَدون (نرو/ نورتو) (Nurtu/ Naru).
٣- الطَبَّاخون.
أ- (مُدْرَاء المطبخ).
ب- (مُدْرَاء الطعام).

ت - (مُدرء الحبوب).
- الطباخ الرئيسي (رَب - نوخاتيمي) (rab nuḫatimmi) والواجبات المُكَلَّف بها.
ثامناً: نظام المواصلات والبريد المعمول به في الدولة الآشورية.
١ - أهمية وجود نظام اتصالات دقيق ضمن الدولة الآشورية
٢ - الرُّسل.
٣ - أنواع الرسائل.
أ - الرسائل المختومة.
ب - الرسائل السَّرية.
٤ - آلية عمل نظام الاتصالات في الحملات العسكرية الآشورية.

أولاً: رئيس تشريفات القصر (شا بان - إكلي) (šā pān- ēkalli):

١ - تعريف لقب: (شا بان - إكلي) (šā pān- ēkalli):

يرد في نصوص الأرشيف الرسمي الآشوري المصطلح (شا بان - إكلي) (šā pān-ēkalli) ويعني حرفياً: ((الذي يقف أمام القصر))، ومن خلال النصوص المتوفرة (خصوصاً من خلال طبيعة الأعمال المسندة إليه).^(١) حيث يتضح لنا بأنه أحد الموظفين الملكيين المحيطين بالملك، وهو يقابل منصب رئيس التشريفات الملكية في القصر وكذلك أمين سر القصر والملك أيضاً^(٢)، فهو بمثابة "سكرتيره الشخصي أو حاجبه" إضافة إلى وجود مجموعة من الموظفين يُعاونونه في ذلك الوقت.^(٣)

٢ - أهمية منصبه والمهام والواجبات المكلف بها:

لقد كان العمل الدبلوماسي والذي له مساس بالملك مباشرةً، يستند حينها إلى مجموعة من القواعد والأصول والترتيبات، التي كان يجب تهيئتها والالتزام بها ومراعاة العمل بسياساتها بدقة فهي تمثل إحدى آداب اللياقة والذوق و"البروتوكول الدبلوماسي المتبع" وهذا يعود لسببين اثنين هما: فالأول يُعتبر انعكاساً لهيبة الملك وعظمته والتي لم يكن يُسمح التعامل معها إلا بكل وقار وتقدير، وأما الثاني فإن الإخلال بأصول الاتكيت قد يؤثر سلباً على طبيعة العلاقات الدولية بين دولة السفير أو الموفد ودولة الملك الموفد إليه، أو قد يؤثر إيجاباً في توطيد العلاقات الدولية، كذلك وقد يؤدي إلى نتائج ايجابية على مستوى العلاقات الدولية أيضاً.^(٤) ومما تجدر الإشارة إليه أن مقابلة الملك غالباً ما تكون في قاعة العرش، ولكن ليس لكل الناس لأن الملك شبه مقدس ومحرم على العديد من الشرائع الاجتماعية التقرب منه، لذا نجد أن موظفاً واحداً وهو رئيس التشريفات الملكية في القصر له حق المثول بين يديه، وحتى الأمير أي "ولي العهد" لا يحضر بحضرة الملك إلا إذا قرر المنجمون ذلك باعتباره طالع حسن.^(٥) ومن خلال النصوص والرسائل المكتشفة يتبين لنا أن هنالك عدد من المهام والواجبات التي كُلِّفَ بها رئيس تشريفات القصر (شا بان إكلي) (šā pān- ēkalli) فهو كان يحضر مع الوفود والشخصيات أو حكام المدن والمقاطعات عندما يأتون إلى العاصمة لأداء القسم الملكي (adû

(١) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٥٠.

(٢) Pfeiffer. R, "State letters of Assyria", New York (1935), p.52.

(٣) إسماعيل، شعلان كامل: "أصول لياقة العمل الدبلوماسي" "الإتكيت الدبلوماسي" خلال العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م)، مجلة دراسات موصلية، العدد: (٣٥)، جامعة الموصل ٢٠١٢م، ص ٩٨.

(٤) إسماعيل، شعلان كامل، أصول لياقة العمل الدبلوماسي "الإتكيت الدبلوماسي" خلال العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م)، ص ٩٩.

(٥) Saggs, op. cit, pp.149-151.

(^١)ša-šarri حيث تقع على هذا الموظف مسؤولية تدوين هذا المرسوم، كما يُعدُّ مسؤولاً غير مباشر عن الكتابة أيضاً بحكم علاقتهم في كتابة المراسيم. ومثال على ذلك نجد (طاب - صلي - إيشارا) حاكم مقاطعة آشور يبعث برسالة ورقمها (٩٠) إلى الملك الآشوري سرجون الثاني يُخبره فيها بخصوص وثيقة أداء القسم وأنَّ الموظفين التابعين إلى (شا بان - إكلي) وحمائمه قد جاءوا إلى آشور لأخذ الوثيقة وبصحبته النبلاء وفي ساحة معبد الإله آشور طلب رسول الشبان إيكالي الذي حضر معهم من الكاتب أن يُسلمه الوثيقة الخاصة بالقسم وفعلاً سلمها له. وأمَّا الرسالة رقم (٢٠٢) فهي أيضاً توضّح دوره في أداء القسم الخاص بأهالي بابل ولكن بيل - إبنّي (Bel-ibni) حاكم أرض البحر فإنّه حضر مع الشبان إكلي إلى مدينة (كيسيك) (Kisik) حيث مكان تجمع أبناء هذه المنطقة وأقسموا ولاء الطاعة للملك الآشوري. ومن خلال هذه الأمثلة يتضح أنَّ الشبان إيكالي وبالرغم من إقامته في القصر الملكي إلا أنَّ الملك قد يكلفه بمهام خارج القصر. وكان من واجباته الأخرى داخل القصر تنظيم الأشخاص والوفود التي تقابل الملك وكان المسؤول عن الوثائق والأوامر الخاصة بهذا الجانب.^(٢)

كذلك نجد أنَّ الوفود والهيئات الدبلوماسية القادمة إلى مدينة نينوى، تمر آنذاك بعدة مراحل من الاستقبال والأحاديث المتبادلة مع كبار موظفي القصر، ابتداءً من مشرف القصر وحتى أمين سر القصر وذلك بخصوص سبب الزيارة. وبالتالي تنظيمها وتحديد وقتها يبدو ذلك واضحاً من خلال إحدى الرسائل المتبادلة بين مشرف القصر وأمين سر القصر حيث نقرأ ما نصه:

"... لقد قابلت وفد (بوقودو) وكان عددهم كبيراً ولم اعلم سبب قدومهم".... ويرد عليه أمين سر القصر ما نصه...: "العدد المسموح به لمقابلة الملك العظيم (...). خمسة فقط وانه سيتحدث معهم في طبيعة الموضوعات التي سيتم تداولها وهي إلقاء التحية وتقديم الولاء للملك العظيم فقط...."^(٣) كما لدينا دليل على عمله هذا داخل القصر يظهر من حوار له لشخص مُحركاً يده، وكأنّه يُقدّم الناس إلى الملك وفي بعض الرسوم الأخرى يظهر وهو يحمل الشارة الخاصة بوظيفته، وهي عبارة عصاتين مربوطتين سوية. وفي الرسالة رقم (٥٦٨) الخاصة بتوزيع الغنائم نرى أنَّ نصيب (شا بان - إكلي) هو (٥) مينة من الفضة و(٥) قطع من الملابس، كما كان لديه مساعد يدعى شنو (Šanû).^(٤)

(^١) (adû): وهي مفردة أكديّة وتعني حرفياً: (يمين، أو قسم، أو معاهدة) وعندما تأتي مع اللقب الأكدي: (ša- šarri) أي (الملك) فهي تشير إلى القسم الملكي أنظر: A H W, A. p.14:b, CDA, p.5 :b

(^٢) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٥٠.

(^٣) Parpola. Simo, "Royal Coresspondence of the Assyrian Empire", part II, New York (1972), p. 41.

(^٤) (شنو) (Šanû(m)): وهي كلمة أكديّة ترد في النصوص الآشورية بعد الألقاب الإدارية، حيث تأتي بمعنى:

ثانياً: مشرف القصر (رَب - إَكَلِّي) (rab- ēkalli):

١- تعريف لقب: (رَب - إَكَلِّي) (rab- ēkalli):

يرد في النصوص والرسائل الآشورية مصطلح (رَب - إَكَلِّي) (rab-ēkalli)، ويعني حرفياً: "مدير أو مشرف القصر"^(١). لذلك فإنه يمكن القول بناءً على هذا المعنى، أن (رَب - إَكَلِّي) كان يعد واحداً من الموظفين المهمين داخل القصر الملكي الآشوري آنذاك، والمعني بأصول آداب اللياقة وقواعد البروتوكول الرسمي بشكل مباشر، إلى جانب عدد من المعنيين من الموظفين الدبلوماسيين والسفراء والموفدين والمبعوثين والرسل الملكيين وبالتأكيد الملوك أنفسهم وأمراء الأسرة الملكية^(٢).

٢- أهمية منصبه والمهام والواجبات المُكلف بها:

يُعد مشرف القصر (رَب - إَكَلِّي) (rab-ēkalli) المسؤول عن معظم أقسام ومرافق القصر الملكي وأجنحته، ومن ضمن واجبات مسؤوليته كان مقابلة ومراقبة كل من يدخل ويخرج من القصر والتحقق من هويته، وعليه فهو يكون أول من يقابل الوفود والهيئات الدبلوماسية والمبعوثين والرسل القادمين إلى القصر لمقابلة الملك. وبالتأكيد هناك سلسلة لمجموعات من "حرس البوابات" الذين يكونون على اتصال بدائرة مشرف القصر ومعاونيه، لإخباره بكل من يأتي إلى بوابات القصر لاستحصال الموافقة منه بدخولهم بعد مراسلات ومشاورات مع أمين سر القصر ودائرته وقد تحصل الموافقة أو لا تحصل، حيث يبدو ذلك واضحاً من خلال إحدى الرسائل الموجهة إلى الملك الآشوري سنحريب (٧٠٤-٦٨١ ق.م) فهي عبارة عن شكوى ضد مشرف القصر الذي لم يسمح لأحد الوفود من دخول القصر، لمقابلة الملك حيث نقرأ في نص الرسالة:

"من دادي إلى الملك العظيم سنحريب فلتكن الأحوال جيدة مع الملك سيدي فلتكن الآلهة نبو ومردوك رؤوفين بالملك سيدي بشأن مشرف القصر... فليسأله الملك مولاي... أمام بوابة القصر لم يسمح لهم بالدخول... يستطيعون أن يقفوا أمام الملك مع شعبه... ذهبوا من دون..."^(٣).

وهنا بإمكاننا أن نستنتج من هذا النص الملاحظات التالية:

لم يتم السماح لهذا الوفد من الدخول إلى القصر من خلال رسالة أمين سر القصر إلى مشرف القصر التي يذكر فيها "... إنه نفذ أوامر الملك العظيم... بعدم السماح بدخولهم إلى قصره العظيم..".

(نائب، مساعد، ثاني، آخر) للمزيد أنظر: مرعي، عيد: "اللسان الأكادي موجز في تاريخ اللغة الأكادية وقواعدها"، ص ٢٧٥.

(١) Kinnier Wilson, J. V, "The Nimrud wine lists", London (1972), p.79.

(٢) إسماعيل، شعلان كامل: "أصول لياقة العمل الدبلوماسي" الإتيكيت الدبلوماسي خلال العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م)، ص ٩٨-١٠١.

(٣) Waterman. L, "Royal Correspondence of Assyrian Empire", vol IV, Michigan (1935), P.197.

وهكذا تتضح الصورة أكثر إلينا، فمن غير المنطقي أن يكون لمشرف القصر السلطة في منع دخول وفد قادم لمقابلة الملك، كذلك يبدو بأنه قد حصلت مراسلات فيما سبق بين مشرف القصر وأمين سر القصر، الذي بدوره نقل الموقف إلى الملك الذي أصدر أوامره بعدم رغبته في مقابلة ذلك الوفد. وفي نص آخر لأمين سر القصر نقرأ بأن أحد الموفدين للملك الآشوري أسرحدون، الذي تميز عن غيره من الملوك الآشوريين بتوجسه كثيراً من سوء الطالع، واستماعه لقارئ الطالع واستشارتهم غالباً، أنه رفض استقبال أحد الموفدين وأنه لا يريد أن يرى وجهه آنذاك، وقد أمر أمين سر قصره باستلام الرسالة منه وعدم السماح لحامل الرسالة بالدخول عليه حيث نقرأ في نص الرسالة:

"هكذا كانت أوامر سيدي الملك العظيم وكما نصحه بها المنجمون فنفتها على أتم وجه ولم أسمح لحامل الرسالة بالدخول لمقابلة الملك سيدي العظيم. واستلمت الرسالة انا منه^(١)". وهناك رسالة أخرى من مشرف القصر إلى أمين سر القصر، يذكر فيها أن كل سفراء الدول الذين حضروا ودخلوا القصر كانوا فرحين وسعداء له، لمقابلة الملك وتقديم التهاني له بمناسبة نتيجته على عرش المملكة وأن دخولهم القصر كان حسب أوامر الملك وأنه قام بواجبه بكل دقة وأما مقابلتهم للملك فهي من ضمن واجبات أمين سر القصر حيث نقرأ في الرسالة ما نصه: "إلى أمين سر القصر الخاص بالملك العظيم سيدي ملك البلاد الذي أسعدتنا الآلهة باختياره ملكاً عظيماً... إن كل السفراء الذين جاءوا إلى قصر سيدي الملك العظيم حضروا أمامي واستقبلتهم بشكل لائق [...] حسب أوامر سيدي الملك العظيم وأصبحوا في قاعة الضيوف بمرافقة الموظفين الذين أمر بهم سيدي الملك العظيم وأنت الآن المسؤول عن استقبالهم وجعلهم يقابلون الملك العظيم من أجل تهنأته بنتيجته على العرش"^(٢).

ثالثاً: كاتب القصر (طُبْشَرُ إَكْلِي) (tupšar ēkalli):

١ - تعريف لقب: (طُبْشَرُ إَكْلِي) (tupšar ēkalli):

يرد في نصوص الأرشيف الرسمي الآشوري مصطلح (طُبْشَرُ إَكْلِي) (tupšar ēkalli) ويعني حرفياً: (كاتب القصر) فكلمة (طُبْشَرُ) تعني كاتب وأصلها أكدي و(إَكْلِي) معناها القصر. كما يرد في النصوص القانونية والاقتصادية التي تعود إلى بداية العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م)، مصطلح آخر هو (LU.A.BA) (ل - آ - با)، وهو تعبير يعكس اللهجة الآشورية الحديثة عن معنى (كاتب) ويُترجم حرفياً ب (رجل الألف باء)، وهي إشارة صريحة إلى تأثير الكتابة الهجائية واللغة الآرامية في تدوين بعض النصوص باللهجة الآشورية الحديثة وظهور الكتابة الآرامية في البلاط والحياة الآشورية، حيث استخدم الكتابة الآرامية الحروف الأبجدية البسيطة التي لا تتعدى الاثنين

(1) Frankfort. H, "Kingship and Gods", New York (1948), P. 241.

(2) Ibid, P.243.

والعشرين حرفاً قياساً إلى كثرة العلامات المسمارية المقطعية المعقدة، في مدوناتهم على الرقوق وأوراق البردي كما شمل ذلك كتابة الرقم الطينية والألواح.^(١)

٢ - مكانة الكاتب الاجتماعية والمادية في العصر الآشوري الحديث:

كان لامتلاك الكُتَّاب ناصية الكتابة أهميتها في مجتمع بلاد الرافدين عموماً وبلاد آشور خصوصاً، إذ أبدت سائر الفئات الاجتماعية الأخرى من (فلاحين وتجار وصناع وغيرهم)، احتراماً كبيراً نحوهم. كون مهنتهم تجري في مجتمع غالبية من الأميين حيث وقع على عاتقهم مسؤولية أساسية وهي كتابة النصوص لأنفسهم وللآخرين. ودون شك فإن هذه المكانة المرموقة قد جاءت من أهمية الدور الذي كانت تؤديه هذه الفئة آنذاك في حياة الأفراد كافة^(٢). حيث يحتل "كاتب القصر" المركز الثالث في التنظيم الإداري للدولة الآشورية في عصرها الحديث. وقد بلغت مكانته درجة جعلته من المسؤولين المقربين في قصور الملوك، كما بلغ من المكانة والمنزلة ما جعلته أحد الأعضاء البارزين الذين شكلوا عضوية رفاق مائدة الملك سرجون الثاني الآشوري خلال حكمه^(٣).

فضلاً عن ذلك نجد أن أولئك الكُتَّاب وخاصة "كاتب القصر" قد تمتعوا بحصانة وضمان لشخصيتهم من قبل القصر، بحيث لم يكن مسموحاً لأحد آنذاك بالتجاوز على حقوقهم أو أملاكهم، حيث جاء في رسالة بهذا الخصوص موجهة إلى كاتب القصر:

"أن حاكم بيت (نالاني) قد قام ببيع الخدم الذين أخذهم من بيت كاتب القصر إلى (مردوك - إريبيا)"^(٤). كذلك كان كاتب القصر يُعد آنذاك من المسؤولين الأمنيين في البلاد، فضلاً عن مهامه الكتابية، فقد بلغت مكانة كاتب القصر في ذلك العصر درجة تسمح له أن يمنع من يشاء من دخول بعض أجنحة القصر الملكي، حتى إذا كانوا من الموظفين فيه. كما جاء أيضاً في إحدى قوائم مساكن موظفي القصر عن تخصيص ثلاثة مساكن للكُتَّاب حينها داخل القصر، وذلك نظراً لأهمية دورهم فيه، كما انعكست مكانة الكاتب الاجتماعية على وضعه الاقتصادي، فأجر كاتب القصر كان مُميّزاً آنذاك فهو يتناسب ومكانته المهمة التي يؤديها قياساً إلى غيره من أصحاب المهن الأخرى. ففي العصر الآشوري الحديث ترد في عدة نصوص خاصة معلومات عن قوائم الجِرايات (المُخصصات) عن أجور الكُتَّاب، ومنها تلك القائمة المعروفة:

(١) الجميلي، عامر عبد الله: "الكاتب في بلاد الرافدين القديمة"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ٢٠٠٥م، ص ١٢، ١٣.

(٢) Gadd, C. J. "Tablets from Chager Bazar and Tell Brak", Iraq, Vol. 7, 1970, p.23.

(٣) الجميلي، عامر عبد الله: "الكاتب في بلاد الرافدين القديمة"، ص ٩٦.

(٤) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٤٩.

(بقوائم الخمر من نمرود)^(١)، إذ يذكر أحد النصوص استلام الكتاب لمخصصاتهم المنتظمة، وكان بعضهم ممن اختصوا بالشؤون المصرية في البلاط الآشوري إلى جانب الكتاب الآشوريين والآراميين العاملين رسمياً في أروقة القصور الآشورية، وقد وردت في هذه القوائم معلومات عن استلام كاتب القصر مقدار (١) (سوتو)^(٢) من الخمر، فيما استلم كتاب آخرون من القصر والذين أطلق عليهم في تلك القوائم اسم الكتاب الآشوريين (٢) (قا)^(٣) من الخمر، بينما استلم الكتاب الذين اختصوا بالشؤون المصرية (٣) (قا) من الخمر، وأمّا الكتاب الآراميون فقد استلموا (٣) (قا) من الخمر. كما يظهر في إحدى قوائم توزيع الإتاوات والهدايا على أفراد القصر أنّه كان لكاتب القصر نصيباً وافراً منها، فقد بلغت حصته (مينة واحدة)^(٤) من الفضة وثوباً واحداً ولفافتين من ورق البردي^(٥). كذلك يرد في إحدى الأوامر والقرارات التي وصلتنا من العصر الآشوري الحديث، ما يفيد بأن المدعو (آخابو) (Ahabbu) "كاتب القصر" حينها قد امتلك حوالي (٣٠٠٠) نعجة، حيث أمر الملك الآشوري (سرجون الثاني) أن يتبرع هذا الكاتب بنعجة واحدة منها أسوة بما تبرّع به موظفو القصر لصيانة معبد الإلهة عشتار. مما يدل على مدى ثراء هذا الكاتب. ومن الأمور التي أظهرت أهمية الكاتب ومكانته عموماً ما عكسته المنحوتات البارزة والتماثيل والرسوم الجدارية والأختام الأسطوانية من مشاهد عديدة للكتاب من مختلف العصور^(٦).

٣- المهام والواجبات الإدارية التي كان يشغلها كاتب القصر:

يُعدّ "كاتب القصر" من موظفي القصر الكبار المؤثرين في العصر الآشوري الحديث، وعلى أية حال فإنّ واجباته حينها لم تتضمن فقط تسجيل وتدوين لأنواع مختلفة من الوثائق، وإنّما كان يترتب عليه القيام بواجبات إدارية مختلفة سنأتي على ذكرها لاحقاً. فكاتب القصر كان يعتبر مسؤولاً عن

(١) (قوائم النمرود): وهي إحدى قوائم الجرايات والتي تصدرُ بأمرٍ ملكيٍّ، كما يعود تأريخها إلى الربع الأول من القرن الثامن قبل الميلاد، وتشمل أسماء الوظائف والمناصب داخل القصر الملكي، ومستحقاتهم من الخمر يومياً كجزء من أتعاب هؤلاء العاملين في القصر، فقد وردت فيها معلومات قيمة عما كان يتقاضاه "الكتاب" عموماً آنذاك.

أنظر: الجميلي، عامر عبد الله: "الكاتب في بلاد الرافدين القديمة"، ص ١٠٦، ٢٠٠.

(٢) (سوتو) (sutu): وهي كلمة أكديّة تدل على وحدة كيل تعادل حالياً مقدار (١٠ لتر)، وتقابلها في اللغة السومرية الصيغة (BAN). أنظر: رشيد، فوزي: "الشرائع العراقية القديمة"، ص ٣٨.

(٣) (قا) (qa): وهي عبارة عن وحدة كيل عرفت باللغة السومرية بالصيغة (سילה) (sila)، وأمّا في اللغة الأكديّة فقد عرفت باسم (قا)، وهي تعادل في مقاييس أوزاننا اليوم (١ لتر). أنظر: رشيد، فوزي: "الشرائع العراقية القديمة"، ص ٣٨.

(٤) (المينة): وهي وحد وزن بابليّة تعادل حوالي (نصف كيلو غرام)، كما أنّ كل (٦٠ مينة) تعادل تالنت واحد. أنظر:

الهاشمي، رضا جواد: "التجارة"، موسوعة حضارة العراق، ج ٢، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨٥م، ص ٢٣١.

(٥) الجميلي، عامر عبد الله: "الكاتب في بلاد الرافدين القديمة"، ص ١٠٦-١٠٨.

(٦) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٤٩.

المجلس، كما امتد تأثيره إلى خارج القصر أيضاً. حيث لم يكن "كاتب القصر" مجرد أي كاتب يعمل في القصر، ولكن من المفترض أنه كان يُدير أرشيفات القصر التي كانت تُنظم في أقسام هذا القصر، إضافةً إلى ذلك تنظيم أرشيفات المراسلات الملكية، واستنساخ النصوص التي قد يطلبها الملك، والمحافظة على كل الوثائق التي تتعلق بالحوادث اليومية ذات العلاقة بالإدارة الملكية والأوامر الصادرة عنها، وكذلك استنساخ الحوليات الملكية فضلاً عن فهرسة جميع الرسائل الواردة للقصر وترتيبها بعد الانتهاء منها، كما كان ينبغي عليه تدوين نصوص الحوليات الملكية، كذلك كان من واجبات كاتب القصر المحافظة على التقاليد العلمية والأدبية في تدوين الوثائق والمراسلات التي كان يكتبها. علاوةً على ذلك هو ربما كان يمثل "الكاتب الشخصي للملك"، وربما تبدو لنا أعماله تلك تشابه لما يُعرف اليوم (بأعمال السكرتارية)، لذا فإن واجبات كاتب القصر ربما تضمنت قراءة الرسائل شفويًا (جمهوريًا) للملك، وربما إلى بعض المسؤولين الكبار أو على الأقل تسليم الرسائل إليهم إما شخصياً (أو بواسطة) مساعديه.^(١)

وهذا ربما يُفسر أيضاً لماذا كان منصب كاتب القصر لربما أقرب إلى الملك من أي كاتب آخر؟ في الحقيقة ليست هناك رسائل مكتوبة من قبل كاتب القصر إلى الملك، أو العكس بقيت محفوظة لتؤكد مثل هذه الفرضية. فلدينا هنا الدليل من العصر الآشوري الحديث والذي يتعلق بكاتب القصر آنذاك، وهو يعود إلى فترة القرنين التاسع والثامن ق.م، حيث تم العثور فوق القبر الملكي الثالث في الجناح الشمالي الغربي لقصر آشور - ناصر - بال الثاني في كلخو (kalahu)، على ألواح إدارية تعود إلى كاتب القصر المدعو (Nabû-tuklatu'a). هذه الألواح كُتبت من عهدي الملكين الآشوريين (أدد - نيراري الثالث ٨٠٩-٧٨٢ ق.م، وشلمانصر الرابع ٧٨١ ق.م)، ويبدو بأن (Nabû-tuklatu'a) لربما اشترك بوظيفته أو منصبه مع أمين الصندوق (masennu)، على الرغم من أن الألواح المكتشفة التي تعود إلى أمين الصندوق تأتي من عهد الملك تجلات بلانصر الثالث، وفي أي حال من الأحوال فإن كاتب القصر:

(Nabû-tuklatu'a) الذي عمل عند كلاً من الملكين (أدد - نيراري الثالث) و(شلمانصر الرابع) كان على الأرجح رجلاً غنياً وقوياً من خلال قيامه على سبيل المثال بشراء العديد من الخدم إما لاستخدامه (الشخصي) أو لاستخدامهم في القصر. (حيث وجد في الجناح المحلي للقصر الشمالي الغربي في كلخو غرفة خاصة وحولها حديقتان تعود إلى كاتب القصر المذكور). وهذا يشير إلى المركز المرموق الذي تمتع به كاتب القصر من بين موظفي البلاط الآشوري حينها^(٢). كما يتبين لنا

(1) Luukko, Mikko, "The Administrative Roles of the "Chief Scribe" and the "Palace Scribe" in the Neo-Assyrian period, in State Archives of Assyria Bulletin Volum xvi 2007, pp. 229-233.

(2) Ibid, p.237,238.

من خلال عددٍ من الرسائل الآشورية، قيام كاتب القصر بأدوارٍ ونشاطاتٍ عديدةٍ تتعلق بالإدارة المركزية الآشورية في العصر الآشوري الحديث منها:

أ- إشراف كاتب القصر على استخدام المعادن الثمينة سويةً مع أمين الصندوق:

يرد ذكر كاتب القصر في عدد من النصوص والرسائل والتي تتعلق بالإشراف على جمع وإيداع المعادن الثمينة ولاسيما الذهب في المخازن الملكية. ومثال على ذلك ما يلي:

الكاهن أوردو نابو [urdu-Nabû] من مدينة كلخو (calahu) يكتب إلى الملك ذلك:

"إنَّ الذهب الذي بحوزة أمين الصندوق، حيثُ إنَّ كاتب القصر وأنا حملنا في شهر (Tishri) السابع، ثلاثة تالنت (١) من الذهب الخام، وأربعة تالنت من الذهب الغير صافي التي كانت أُودعت في مخزن مدير المخزن الملكي، هو صادقٌ على هذه الكمية من الذهب، ولم يُعطي أي منها للتماثيل الملكية أو تماثال الملكة الأم. الملك، سيدي، يجب أن يُصدر أمراً إلى أمين الصندوق وكاتب القصر لتقديم الذهب المتوفر منذ بداية الشهر المناسب، هم يجب أن يعطوا الذهب إلى الحرفيين لكي يتمكنوا من تنفيذ عملهم". (٢)

ب- ظهور كاتب القصر في النشاطات الاقتصادية:

تُشير مجموعة من المراسيم والتي تعود إلى عهودٍ مختلفةٍ لعددٍ من الملوك الآشوريين إلى وجود (كبشٍ واحدٍ) من ثلاثة آلاف من الخراف يعود إلى (أخبو) (Aḫbû) كاتب القصر حينها، حيث قام الملك الآشوري بتنظيمها وإعدادها للإلهة (عشتار) (Ištar)، وربما يعود تأريخ هذا النص إلى عهد الملك الآشوري سنحريب. كذلك لدينا وثيقة تعود إلى عهد الملك الآشوري أسرحدون، تتحدث عن:

التعويضات المالية "tašlimāti" المدفوعة من قبل الملك، حيث نجد أن كاتب الوثيقة يريد مبلغاً من المال، ويجدر بالإشارة إلى أن هذا الكاتب كان في الحقيقة المدعو (Iššar-šumu-ereš) والذي ربما كان يشغل منصب كاتب القصر في حينها (٣).

وقد تضمن الأرشيف الرسمي للدولة الآشورية الحديثة على عددٍ من الرسائل الموجّهة إلى كاتب

القصر، نذكر منها: ND2470 (CTNV, P.84, P1.13: NL37)

"الأسطر (٢-١): تفيد عن رسالة موجه من المدعو (Inurta-ila-i) إلى كاتب القصر.

الأسطر (٧-٣): تتعلق بمجموعةٍ من الأشخاص ينتمون إلى منطقة (بوقودو) (Puqudu)،

حيثُ يشير كاتب الرسالة عن سبب حضورهم إليه وماذا يريدون من القصر.

كذلك يطلب من كاتب القصر أن يدعهم يذهبون إليه قائلًا: "دَعهم يعودون إليّ ويقدمون هنا!".

(١) (التالنت) (Talent): وهي وحدة قياس وزن تعادل حالياً (٣٠،٣٠٠ كغم). أنظر:

النجفي، حسن: "معجم المصطلحات والأعلام في العراق القديم"، بغداد ١٩٨٢م، ص ٢٤٠.

(٢) Luukko, Mikko, op.cit, p. 239.

(٣) Ibid, p.245.

الأسطر (١٢-٨): هم عادوا وأحضروا معهم تسعاً وعشرين شخصاً.

"اليوم هم في الداخل... أنا أعطيتهم خبز و[...] لإطعامهم [...]."

SAA10130 (= ABL 62 = LAS79)

("1-r.3: إلى كاتب القصر، سيدي: خادمك (Nabû-šumu-iddina) (الذي يرأس مجموعة

من عشرة كُتّاب في نينوى، (أتمنى الصحة الجيدة لسيدي)!.)

ربما الآلهة [Nabû]، و[Marduk]، و[Ištar] نينوى، و[Ištar] آربيلا [Arbela] يباركون

سيدي! يبقونك في صحة جيدة. ويثبتوك لتكون سعيداً ومسروراً!

(r.4-10): القصر وسكان نينوى هم بخير وجيدين.

الآلهة [Bel] و[Nabû] يمنحاك الصحة أيضاً!"

ولدينا النص رقم (SAA16 48 (=ABL 221:1-10) يذكر مايلي:

"إلى كاتب القصر، سيدي: خادمك [Tanī]. أفضل الصحة لسيدي!

الآلهة [Nabû] و[Marduk] يباركان سيدي! ادخل نينوى في حالة نفسية جيدة وشاهد وجه

[Nabû]، ووجه الملك بسلام واطمئنان!.

(11-r.8): الآن: [أبني] [Abnī]، ضريبة الخراف على سيد مقاطعة [Arpad] تأتي بوجود

سيدي، هو صديق عظيم لي، وهو أحد الذين يوقرون ويبجلون سيدي.

على سيدي الوثوق به فيما يتعلق بالخراف. ولكن عليه أن يعطيه أوامر واضحة!.

(r.8-s-1): لماذا سيدي يُسيء معاملته؟ الرجل لم يُعامل بشكل صحيح وجيد!.

أتمنى على سيدي أن يتكلم مع الملك، وأتمنى أن يأتي رئيس الحسابات ويساعده أيضاً^(١).

(يتبين لنا من تلك النصوص أنفة الذكر على الدور الكبير والهام لكاتب القصر في مجريات الأحداث

اليومية للدولة، وخصوصاً فيما يتعلق بالنواحي الاقتصادية للدولة الآشورية الحديثة من خلال الثقة

الكبيرة الممنوحة له من قبل الملك وكذلك رجوع الموظفين وحتى حُكّام المقاطعات والمدن إليه فيما

يتعلق بالضرائب المُكَلَّفِين بجمعها لصالح الخزينة المركزية، بالإضافة إلى سماع وجهة نظرهم عندما

تحصل هناك أية مُشكلات طارئة، وذلك سواء داخل المملكة نفسها أو مع المقاطعات والمدن التابعة

لها). كذلك تذكر إحدى الرسائل وهي موجهة إلى كاتب القصر آنذاك، وهي عبارة عن شكوى امرأة

اسمها (سارا) بخصوص أشخاص اعتدّى عليهم حاكم المقاطعة، ولهذا فهي ترجو كاتب القصر

بإشعار الملك بذلك. ومن هذا يُستدل على العلاقة المباشرة بين الملك وكاتب القصر وإلا لما لجأت

هذه المرأة إليه مباشرة.^(٢) نستنتج مما سبق أن كاتب القصر كان مسؤولاً عن المجلس الآشوري في

العصر الحديث، كما قام بإدارة أرشيفات القصر، ولربما كان حينها بمثابة كاتب وسكرتير الملك

(١) Ibid, p.237, 238

(٢) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٤٩.

الشخصي في القصر. وكان يُعتبر أيضاً رجلاً مؤثراً جداً كما تظهره العرائض والالتماسات الموجهة إليه، والتي تُبين أنه كان لديه سلطة وصلاحيات لتحسين منزلة ومنصب أي شخص ما. عموماً كانت طبيعة واجباته عملية ودينيوية بالأحرى (الإدارة، والإشراف على استخدام المعادن الثمينة).^(١)

رابعاً: المُقَرَّبُونَ (شا قوربوتي/ قَبو) (Šā qurbûti/qēpu):

١- تعريف لقب: (شا قوربوتي/ قَبو) (Šā qurbûti/qēpu):

يرد في نصوص الأرشيف الرسمي الآشوري مصطلح (شا قوربوتي/ قَبو) ويعني حرفياً: (المُقَرَّبُونَ، المؤتمنون، الموثوقون بهم). وكان هؤلاء يعملون كمندوبين ملكيين عن الملك الآشوري فهم ينصحون ويبلغون حُكام الدول المتحالفة ويقدمون تقاريرهم مباشرة إلى سيدهم (أي الملك).^(٢) وكان هؤلاء الموظفون يعملون ضمن القصر الملكي وينقسمون إلى مجموعتين:

الأولى: (الحرس الملكي)، وهؤلاء يختارهم الملك من بين مجموعة رجال البلاط (شا ريشي) (šā rēši) والذين يراهم أكثر ولاءً وطاعةً ويمكن اعتبارهم (الحرس الخاص بالملك)، وأما الثانية: (فهم الذين يُعتبرون حلقة الاتصال ما بين الملك والمدن والمقاطعات)، فهم وظيفياً يكونون تحت إمرة الملك مباشرةً ويُنفذون الأعمال التي يُوكلها إليهم، فمثلاً كانوا يمثلون الحكومة المركزية عند جمع الضرائب وكان عليهم جمع وإرسال الجنود المنقولين من سلطة حاكم مقاطعة إلى مقاطعة أخرى.^(٣)

٢- دور المُقَرَّبِينَ (شا قوربوتي/ قَبو) (Šā qurbûti/qēpu) في إدارة القصر:

أ- جمع وتحصيل الضرائب:

لقد وردت إشارات كثيرة عن المُقَرَّبِينَ في نصوص الأرشيف الرسمي وخاصةً من خلال الرسائل الملكية في كل من مدينتي نينوى وكلخو والتي تُعطينا صورة جزئية عن الأعمال والنشاطات الإدارية التي كانوا يُكلفون بها ومنها جمع وتحصيل الضرائب في جميع أنحاء الدولة الآشورية ولذلك كانوا يشكلون أعداداً كبيرة^(٤). وكانت ضرائب الأراضي في الدولة الآشورية الحديثة قد انقسمت آنذاك إلى قسمين رئيسيين هما:

- ضرائب الأراضي المجموعة مباشرةً للملك.

- ضرائب الأراضي المجموعة للحاكم الإقليمي.

(1) Oppenheim A. L. "A note on the scribes in Mesopotamia" in H.G.Güterbock-the Jacobsen (eds). Studies in Honor of Benno Landsberger on his seventy-fifth Birth day, April 21, 1965. (Assyriological studies 16), Chicago, pp.253-256

(2) Radner. Karen, "Royal Decision- Making: Kings, Magnates, and Scholars", chapter 17, in Leiden: Brill, p.359.

(٣) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٥١.

(٤) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٥١، ٢٥٢.

وكان جُباة أو مُحصلِي الضرائب يوصفونَ بشكل دائم على أنهم أشخاص مكروهين من قبل السكان ولكن في الدولة الآشورية كانوا أيضاً أقوياء لأنهم كانوا في الأساس من كبار ضباط الجيش الذين يتمتعون بالقوة والسلطة الكبيرة التي كانت تحت تصرفهم^(١).

ب- مندوبين أو مبعوثين عن الملك إلى المقاطعات والمدن الآشورية:

كان الملوك الآشوريون يُرسلون هؤلاء المندوبين إلى مكان فيه مُشكلات تستوجب تدخل الملك شخصياً، حيث نجد أن كاتب الرسالة رقم (٢٢٨) يطلب من الملك أن يُرسل أحد المُقرّبين (qurbûtu) من أجل أن يضع حداً لمشاكله مع أخيه الذي استولى على أراضيه، كذلك هناك شخص يُدعى (مار-عشتار) كاتب الرسالة رقم (٣٣٩) يستجد لكي يُرسل الملك (قُربوتو) (qurbûtu) من أجل الاستفسار من حاكم مقاطعة (لو - بيل - باخيتي) (Lu bēl-pāḫete) الذي فتح خزانة المعبد عُنوةً وأخذ منها ذهباً. وفي حالة مُشابهة نجد أن موظفين من مقاطعة (أرابخا) (كركوك حالياً) يستجدان بالملك لإرسال (قُربوتو) (qurbûtu) بخصوص بيت سيدهم أي (هدية الملك) والتي أخذها حاكم المقاطعة.^(٢)

ت- صلة الوصل المباشرة بين الملك والراعي:

كذلك نجد بأن هؤلاء المسؤولين الملكيين كانوا يُشكّلون عندها القناة المؤسسية التي كانت مُستعملة للاتصال بالمركز. فهم صلة الوصل المباشرة بين الملك والراعي، لأنه في كثير من الأحيان نجد أن مهام هؤلاء الموظفين تخص وتتعلق بالمواطنين، والذين يمكن أن يكونوا عندها مجموعات وفئات من المُبعدين. (سكان أو قاطني الدول التابعة، أو الآشوريين). ففي المجلد رقم (SAA 5,104)، يذكر أن مبعوثي الدولة الخاضعة للآشوريين وهي (كومي) (kumme) يرفضون تسليم أو توزيع الرسالة إلى المسؤول (ša qurbûte)، وإنما يُطالبون بمقابلة الملك بشكل مباشر^(٣). وبالرغم من أن التفاصيل لم تكن واضحة، فالرسالة توحى بأن هؤلاء المسؤولين الملكيين كانوا القناة المؤسسية التي كانت مُستعملة للاتصال بالمركز. وعليه فإنه من المحتمل أن مسؤولي (ša qurbûte) أو بعض المسؤولين

(1) Grayson. A. Kirk, "Assyrian Rule of conquered Territory in Ancient Western Asia", op. cit, p.963.

(٢) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٥٢.

(٣) نلاحظ من النصوص والرسائل الآشورية أن وجود موظفي (القُربوتي) في المدن والمقاطعات الآشورية، كان قد استهدف من المحتمل منع أو إعاقة الحُكّام آنذاك من حصولهم على الكثير من مكاسبهم الشخصية، إضافةً إلى ذلك ضمان التنسيق المركزي في إدارة هذا المورد المهم. ففي النص رقم (SAA 18, 56) نجد تقريراً للاستخبارات الآشورية حول أمورٍ بابليةٍ مختلفة، ومن ضمن ذلك سلوك المدعو (Nabû Ušallim) حاكم الملك الآشوري أَسْرَحِدُون المُعين في مدينة (بيت - دقوري)، بعد هزيمة حاكمها السابق (Šamaš Ibni)، حيث كان تمسك والتزام الحاكم الجديد (Nabû Ušallim) بالإجراءات الآشورية رسمياً تماماً، وذلك من خلال رفضه تسليم الهاربين ومن بينهم (العلماء، والخصيان، والجنود) التابعين لسلفه (Šamaš Ibni) إلى المرسل بدون الأمر المختوم الخاص بالملك وأيضاً حضور المسؤول (شا قُربوتي) (ša qurbûte).

الآخرين كانوا مُكَلَّفِينَ بمهمة الاستماع والاجابة على مطالب المواطنين. فالمجلد رقم (8, SAA 18) يُشير إلى مبعوث الملك (šā qurbûte) إلى مدينة أكد الذي كُلفَ بمهمة إعادة الحقول إلى المرسل (أي المالك الشرعي). كما أن حاكم مقاطعة (أرابخا كركوك حالياً) (Arrapha)، يُبلغ طلب الاستئناف والمناشدة المعروضة على الملك من قبل مجموعة من الأشخاص إلى المسؤول الملكي حينها (šāqurbûte) الذي من المحتمل قد تم إرساله أو بعثه. وفي المجلد رقم (15, SAA 5) نرى دفاع لحاكم مقاطعة (أميدي) (Amedi) المدعو (ليخور - بيل) (Liphur-bel)، الذي كان قد طُلبَ إليه من قبل المسؤول الملكي (šā qur bûte) ترك الحقول المُخصصة له أو التي امتلكها عنوةً وإرجاعها إلى مالكيها الشرعي. ويستند هذا الحاكم في حُجج دفاعه عن امتلاكه لهذه الحقول على قاعدة أو مبدأ تلك الإدارة الإقليمية التي كانت آنذاك محوراً لترابط وتكامل الإدارة المركزية والخارجية للموارد، وهو يؤكد بأنه استثمر في المنطقة، واشترى الأراضي من خدم أو موظفي رجل يدعى (أشيبا) (Ašipa) وقام بتشييد البلدة الملكية، ونتيجة لذلك فإنه قد ساهم أو تبرع في تعزيز وتقوية صورة الملك وإلى زيادة (الأموال الملكية).^(١)

ث - مراقبة حُكَّام المقاطعات والمدن الآشورية وأعمال التفتيش والاهتمام بالأسرى الخ....:

لقد كان حُكَّام المقاطعات والمدن الآشورية تتم مراقبتهم بانتظام ويخضعون لسيطرة مُمثلي أو مبعوثي السلطة المركزية في العاصمة الآشورية.^(٢) حيثُ عملَ القصر الملكي على تتبع وتعقب مسار جميع المسؤولين والمؤسسات كلها في جميع أنحاء الدولة الآشورية من خلال نظام المندوبين أو المفوضين الملكيين (qēpu)، واللذين كان عليهم تقديم تقاريرهم ويُخبرون بما يُشاهدونه ويسمعونه بشكل دوري ومنتظم مباشرةً إلى القصر.^(٣)

ومن الأعمال الأخرى التي يُكَلَّف بها (قربوتو) هو التفتيش فهناك طلب إلى الملك مُقدّم من شخص يدعى (مار - عشتار) إلى الملك لإرسال قربوتو بخصوص الأعمال العمرانية في معبد مدينة (دير) والتي تسير ببطء. ولكن دور (القربوتو) في رسالة أخرى فكان تفتيش المواشي التي أُرسِلت إلى معبد الإله نابو في مدينة (سببا) كقرايين ملكية. وهناك إشارات إلى قيام (القربوتو) بنقل معلومات سرّية بخصوص مدينة أوروك والعيلايين. أو قد يُمثّل الملك في الاحتفالات الدينية. وتُشير الرسائل الملكية إلى قيام (القربوتو) بنقل البضائع الثمينة حيثُ أن (القربوتو) (نابو - ليئو) جلب ذهب وأحجار كريمة إلى الخزانة الملكية. ومن واجباته الأخرى هو القضايا العسكرية فقد أرسل أحدهم للاستفسار عن

(1) Ponchia. Simonetta, "Administrators and Administrated in Neo-Assyrian Times", Winona Lake, Eisenbrauns, Indiana 2012, p.215.

(2) Betina. Faist, "Kingship and Institutional Development in the Middle Assyrian period", Padova, 2010, p.20.

(3) Bradley. J. Parker, "The Construction and Performance of Kingship in the Neo-Assyrian Empire", Journal of Anthropological Research, vol. 67, 2011, by the University of New Mexico, p.360.

أوضاع قبائل (البقودو) (puqudu) على الحدود العيلامية. ومن الأعمال الرئيسية التي يُنَاط بها هؤلاء المُقَرَّبِينَ (القربوتو) هم أسرى الحرب، فهناك رسالتان بعث بهما (بيل - إبنّي) حاكم أرض البحر بخصوص أسرى ولاجئين من بلاد عيلام حيث يطلب من الملك إرسال (قربوتو) للاهتمام بإطعام (١٠٠٠) أسير منهم أثناء نقلهم إلى نينوى. وكذلك هناك رسالة أخرى برقم (٦٠٠) تخص طلب مشابه للاهتمام بخمسين أسير^(١).

والى جانب المُقَرَّبِينَ هناك مجموعة أخرى يُمكن تسميتها ((بالذين يقفون أمام الملك)): ((man- zaz-pān šarri)) (مان - زاز - بان - شَرّي) ولقد وردت قائمة بأسماء هؤلاء في نص من نينوى (K4393) وعلى الأغلب فإن هؤلاء ليس لديهم عمل ثابت وإنما كانوا يُلبون طلبات الملك، وخلال فترة حكم الملكين الآشوريين (سرجون الثاني) و(آشور بانيبال) نرى بأن واجباتهم بدأت تتركز على القضايا المنزلية والصيد^(٢). ومن خلال ما تقدم نجد بأن هؤلاء الموظفين دور فعال في تكوين وصيانة السلطة الملكية الآشورية. وبالرغم من أن هؤلاء الموظفين كانوا يكتبون تقاريرهم إلى رؤسائهم بشكل منظم، فإن تدفق مثل هذه المعلومات كان لا بُد أن يكون له فاصل زمني كبير بين الاصدار واستلام أوامر وطلبات الملك. وهذا ينتج عنه بشكل واضح القرارات اليومية المتخذة في أيدي هؤلاء الموظفين^(٣).

كذلك يمكن القول بأن واجبات (القربوتو) الإدارية غير محدودة بوظيفة مُعَيَّنة وإنما كان تواجهه ضمن القصر الملكي وإلى جانب الملك الذي يحتاجهم باستمرار لتمثيله في مختلف القضايا^(٤). ويبدو أن هؤلاء (وكلاء الملك) كانت مهمتهم تنفيذ الأوامر الملكية وليس كمهمة إدارية روتينية أو اعتيادية. وهذا الدور يمكن أن يقوم به عدد من المسؤولين المختلفين المؤتمنين أو الموثوق بهم، ولكن المسؤول (ša qur būte) كان عنده بالتأكيد وظيفة خاصة في الأمور التي تدل على الإبقاء أو الإصرار أو تأكيد السيطرة أو القيادة المركزية، أو تقوية وتنشيط الإدارة المحلية^(٥).

خامساً: العمال العاديون (موشاركيسو/ صابو) (mušarkišu/šābù):

١ - تعريف لقب: (موشاركيسو/ صابو) (mušarkišu/šābù):

يرد هذا المصطلح في نصوص الأرشيف الرسمي الآشوري وهو يُشير إلى مجموعة من العمال (العاديين) أي (الغير مهنيين). كما أن هذا المصطلح أو اللقب (صابو) (šābù) يمكن أن تفسيره

(١) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٥٢.

(٢) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٥٢.

(٣) Bradley. J. Parker, Op.cit, p.370.

(٤) الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، ص ٢٥٢.

(٥) Ponchia. Simonetta, Op.cit, p.214.

ليشمل آنذاك كلاً من الجنود والعمال العاديين، وذلك لكون عدم وجود تمييز بينهم وبين الأعمال التي أنجزوها سواء في الجيش أو الأشغال العامة الأخرى والتي كان يُطلق عليها لقب (dullu).^(١)

٢- الأعمال والواجبات التي يقوم بها العمال العاديون:

وكان هؤلاء العمال يعملون ضمن أزواج (أي بشكل ثنائي) أو على شكل مجموعات صغيرة يتم تعيينهم على مقاطعات معينة وكانت أعمالهم تتركز حول جمع الخيول للحكومة المركزية في العاصمة والمتصلة بشكل مباشر بالملك.^(٢)

سادساً: دور عاملات القصر في الإدارة:

١- مديرات القصر (شَكِينتو) (šakintu):

أ- تعريف لقب: (شَكِينتو) (šakintu):

لقد كان هناك قسم أو جناح منفصل أو خاص للنساء في العديد من القصور الملكية الآشورية في العصر الحديث، وتتم إدارته من قبل المديرة المُلقبة بلقب: (شَكِينتو) (šakintu)، والتي كان عليها أن تُلبّي طلبات الملكة بشكل مباشر. ويرد لقب هذه المديرة أي: (شَكِينتو) في إحدى وستين وثيقة آشورية، كذلك نجد بأن سَيِّدات (شَكِينتو) قد تمّ التأكد من وجودهنّ في اثنتين وعشرين (٢٢) موقع معروف.^(٣) وكانت تلك المديرات (شَكِينتو) يمكن أن يُنظر إليهنّ ((كقوى عاملة في القصور)). إضافةً إلى عمَلهنّ كمُديرات للقصور الآشورية في العصر الحديث.^(٤)

وعلى الرغم من أن وظيفتها لم تكن واضحة تماماً حينها، ولكن ما كان واضحاً آنذاك هو مركزها السامي الممتاز بالثروة الكبيرة التي تمتعت بها.^(٥) فمصطلح (šakintu) غالباً ما كان يُشير إلى: "مديرة جناح الحريم". حيث إن وصف (شَكِينتو) (šakintu) "بالمديرة"، يبدو حينها أقرب إلى المعنى الفعلي للكلمة. وتعد تلك التسمية مقبولة خاصة من خلال نشاطاتها المختلفة، والتي امتدت وانتشرت أيضاً خارج القصور.^(٦)

ب- الأعمال والنشاطات التي كُنَّ يَقْمَنَ بها على الصعيد الإداري:

يتبيّن لنا من خلال نصوص الأرشيف الرسمي أن مديرات القصور (شَكِينتو) (šakintu) وأقربائهنّ والموظفات اللواتي كُنَّ تحت تصرفهنّ كُنَّ يُشكّلن مجموعة السيدات الأكثر استقلاليةً ضمن

(1) Grayson. A. K., "Assyrian Civilization," The Bureaucracy", Chapter 26, in The Cambridge Ancient History, vol. III, part 2, second Edition, 1991, pp.201-202.

(2) Ibid, p. 201.

(3) Svärd. Saana, "Women, Power, and Heterarchy in the Neo-Assyrian Palaces", Winona Lake, Indiana Eisenbrauns Helsinki, 2012, p.511.

(4) Teppo. Saana, "Wamen and their Agency in The Neo-Assyrian Empire", Assyriologia Stor 101, Helsinki, 2007, p.53.

(5) Grayson. A. K., Op.cit. pp. 201.

(6) Teppo. Saana, op.cit.p.53.

القصور الملكية الآشورية. والدليل على ذلك هو وجود لذكر نحو (٤٦) سيدة من (شَكِينتو) (šakintu) ومن بينهن نحو (٢٤) يمكن تصنيفهن كوكلاء يُمثلن نساء الملك في إدارة أقسام النساء داخل قسم الحريم الملكي بوضوح. وكانت تلك المديرات يعتنين بأمور مختلفة وغالباً في المجال المالي. بالإضافة إلى عمليات الشراء، والإقراض، والاستدانة، كما أنهن يظهرن أيضاً في قضايا قانونية أخرى. ويعود السبب وراء هذا العدد الكبير لسيدات (شَكِينتو) إلى ظهورهن بشكل متكرر في أنواع مختلفة من القوائم، أكثرها بشكل خاص في المجلد رقم:

(SAA 7 23). وعلى أية حال، فإن أكثر هؤلاء النسوة أي (شَكِينتو) يظهرن في النصوص بألقابهن فقط. حيث تظهر شاكينتو الأولى للمملكة الآشورية الحديثة في عهد الملك الآشوري (تجلات - بلاصر - الثالث) (٧٤٤-٧٢٧ ق.م)، على الرغم من أن ذلك المنصب كان قد وُجد من المحتمل أيضاً في وقت سابق^(١). لقد كانت الشَكِينتو في حصن شلمانصر مُدبرةً لمنزل الملكة، ((شَكِينتو الملكة))، غير أن الباحث (Heltzer) يرى بأن العديد من القصور الملكية كانت تضم العديد من (شَكِينتو)، اللواتي لم يحملن صفة (شَكِينتو الملكة) بشكل محدد. وفي أي حال من الأحوال كانت شَكِينتو تتمتع بمنصب إداري عالي وكان تحت تصرفها عدد من الموظفين الخاصين. كما كان بإمكانها أن تمتلك أو تحصل على ممتلكات وعقارات كبيرة. وتشارك في الإجراءات أو القضايا القضائية بحرية. (Heltzer 1987:88-90)، وهناك نحو (٤٦) من شَكِينتو اللواتي أتت على ذكرهن مجموعة من النصوص الآشورية الحديثة، حيث انشغلن هؤلاء النسوة أي شَكِينتو في نشاطات مختلفة، كانت مالية غالباً. كذلك فقد اشتركن في أنواع مختلفة من الصفقات القانونية، حيث يَبْعن، يَشْتَرِين، يُقْرِضن وَيَسْتَدِينن أو يَسْتَعْرِن. كما أنه من الممكن أن يكون لديهن أطفالاً، ولكن لا يعرف شيء عن أزواجهن. وكانت الواجبات الشاملة للشَكِينتو تتضمن أموراً عديدة، من خلال وجود عدد كبير من موظفات القصر تحت تصرفها. ومثال على ذلك:

هناك السيدة التي تُدعى (أمات - بال) (Amat-Ba'al) وهي شَكِينتو (šakintu) في القصر القديم في مدينة كلخو، لديها إحدى المضيفات وتُدعى (أخات - أبو) (Aḫat-abû) في (النص رقم ND2309)، كذلك وفي قصر الاستعراض لمدينة كلخو كانت هناك شَكِينتو وتعمل لديها (كاتبة لعائلة الملكة) واسمها (Atṭār-palṭi) والنائبة (Kabalāia) أيضاً.^(٢)

وكانت (Atṭār-palṭi) والتي ترد صيغتها بالنص كمايلي: (Lú.A.BA-tú Ša ÉMI.KUR) كاتبةً للملكة الآشورية لفترة زمنية محددة بعد عهد الملك الآشوري آشوربانيبال. ومن المحتمل أنها كانت قد عملت في الحقيقة لدى شَكِينتو، وفي وثيقتين منفصلتين هما:

(1) Kinnier. Wilson J. V, "The Nimrud Wine Lists", in British School of Archaeology in Iraq, London 1972, p.44.

(2) Teppo. Saana, op. cit. p.54.

(CTN 3 40 and CTN 3 39) واللّتين يعود تأريخهما إلى عام ٦١٥ ق.م وجاء فيهما:
أنَّ شخصين يُدْعيان (Nasî) و (salmu-šarri-iqbi) كانا قد استقرضا فضةً منها (أي الكاتبة).
وعلى أية حال، وهو من غير المؤكد، فيما إذا هي أقرضتهما بدافعها الشخصي الخاص أم بطبيعة
دورها الرسمي ككاتبة. والفضة التي كانت قد أقرضتها إلى هذين الرجلين كانت على الأقل (٣٩)
شيقيل^(١) من الفضة وفضةً لمعبد (Mullissu)^(٢).

وكانت السيدة (كابالايا) (Kabalāia) في بادئ الأمر نائبةً لعائلة الملكة:
(Lú 2-i-tú ša É MIKUR in SAAB 1 24) كما أنها كانت نائبةً (للشكينتو) في قصر
الاستعراض هناك.

(Lú 2-i-tú ša MI.ša-kin-te šú É.GAL ma-šar-ti in CTN 3 30).
إنَّ المديرية موضع السؤال هنا هي من المحتمل (šiti-ilat)، حيثُ في سنة (٦٢٦ ق.م)، النائبة
تُقرض (١٠) شيقيل من الفضة إلى شخصٍ يُدعى (SAAB 1 24) (la-qepu) وفي آخر الوثيقة
القضائية ذات الرقم (CTN 3 30) والمؤرخة من عام ٦١٧ ق.م، هي كانت أيضاً عندها قد كسبت
دعوى المحكمة ضدَّ (Andasu). حيثُ أعطاهَا أو قدَّم لها (Andasu) امرأةً و (١٠) شيقيل من الفضة
في تسوية القضية حينها. وكانت (kabalaia) هي من المحتمل أيضاً النائبة غير المُسماة للشكينتو في
النص رقم: (CTN 3 29)، والتي كانت قد حرَّكت دعوى المحكمة ضدَّ (خادمة) وعلى ما يبدو، هي
كانت قد اشترت الخادمة التي تُدعى (Mussa 'itu) بمبلغ مينة واحدة من الفضة، ولكنَّ هذه الخادمة
(Mussa 'itu) هربت من عندها، والشخص المدعو (Isseme-ili)، الذي كان يكفل هذه الخادمة كان
عليه عندها أن يدفع نصف مينة من الفضة إلى المُشترية. وأمَّا المُشترية فكان عليها أن تُعيد دفع ثمن
هذه الخادمة مرةً أخرى إذا تم القبض عليها، وبالتالي سوف يتم إعادتها أو إرجاعها لمالكها السابق.
وفي تلك القضية، كانت نائبة المديرية ستعوض ثمن هذه الخادمة والزمن الذي كانت مفتقدة لخدماتها.

(١) (شيقيل) (šiqu) وهي كلمة أكديّة وتعني "وحدة وزن" وتعادل وزنها "١٨٠" حبة شعير، كما تساوي ٦/١ جزء
من المينة (MI.NA) الخفيفة، وتساوي (شيقيل) في أيامنا هذه نحو "٨،٣٣٣ غم" وفق الأوزان الحالية. كذلك يعود
استخدام وحدة الوزن هذه إلى العصر السومري، إذ وردت بصيغة "GIN". أنظر:

Powell, M. A., und, Sack, R. H., "Masse und Gewichte", RIA, Vol. 7, 1987-1990, p.510.
(٢) لقد كان بإمكان الناس في ذلك الوقت أن يدخروا أو يحتفظوا برؤوس أموالهم في المعبد، وذلك عبر إيداعهم
لأموالهم إلى المعبد، وذلك "كمنحة أو كتقدمات أو كتعهدات". وفي الواقع كانت الفضة ما تزال حينها متوفرة لدى
المودع، والذي بدوره يمكن له أن يستعيد ماله إذا ما شاء ذلك. وبذلك يتوفر لدى المودع آنذاك طريقة آمنة عند
قيامه بادخار أو تخزين ماله، كما أنَّ المعبد يكون ضمناً قد احتفظ عندها بحصة كبيرة من الفضة على مرَّ
الأيام. أنظر:

Postgate. J. N, "Review on Brigitte Menzel , Assyrische Tempel I", Journal of Semitic
Studies, 28 /1, p.158.

وليس هناك تأريخ مطلق لهذا النص^(١). بالإضافة إلى هذه الكاتبة ونائبة الشاكنو المذكورتان، هناك أشخاص آخرون أيضاً ينتمون إلى عائلة الشكينو. حيث لدينا في بداية النص رقم:

(2 244) رجل من عائلة الشكينو، كان قد شهد على شراء البيت. وفي المجلد رقم:

(SAAB 9 67) فإن المدعو (Ilu-düru-usur) (الرجل المسؤول عن الأكياس في منزل

الشكينو)، استقرض (٦) شيقيل من الفضة في سنة ٦١٨ ق.م.^(٢)

وفي المجلد رقم (SAA 6 152)، كذلك نجد أحد الخصيان المدعو (Ruradidi (Lú.SAG) التابع

للشكينو، كشاهد في وثيقة تسجل شراء امرأة في سنة ٦٨٧ ق.م، وفي المجلد رقم (SAA 14 177) فإن

المدعو (Remut-Nergal)، أحد الخصيان للشاكنو يشتري قطعة أرض شاغرة بين عامي ٦٣٠-

٦١٢ ق.م.

ومثال آخر عن (الشكينو) لدينا مديرة القصر الجديد في مدينة كلخو (Kalhu)، والمدعوة باسم

(Amat-Astarti) والتي تصرفت كمديرة لعائلتها في زواج ابنتها في عام ٦٢٢ ق.م. حيث تمنح يد

ابنتها واسمها (subetu) لتتزوج من (milki-ramu) ابن (Abdi-Azuzi). حيث تبدو (شروط عقد هذا

الزواج) مناسبة على نحو مناسب لدى العروس، كما كان مهرها ثميناً أيضاً، حيث تتضمن الذهب

والفضة. إضافة إلى ذلك، فقد كانت شروط الطلاق مُدرجة في العقد والتي كانت في صالحها أيضاً.^(٣)

ويترجم الباحث (Postgate) المقطع أو النص ذات العلاقة كالتالي:

"إذا لم تحبل (subetu) وتلد أطفالاً، فعليها أن تشتري (عبدة أو خادمة) وتضعها بدلاً منها

في مكانها و (بذلك) تجلب أبناءً إلى الوجود. (الأبناء سيكونون أبناءها). إذا أحببت (subetu)

(العبدة)، هي سوف تَبْقِيها (تحتفظ بها)، وإذا كرهتها، فعليها أن تبيعها. وإذا كرهت (subetu)

زوجها (milki-ramu) فإنها ستهجره أو تتركه. وإذا زوجها (milki-ramu) كره أو أبغض زوجته

(؟) هو سيعيد المهر إليها ضعفين".^(٤)

وإذا أردنا التعليق على هذا النص يمكننا القول: بأن وثائق الزواج التي تعود إلى العصر

الآشوري الحديث كانت قليلة جداً، لذا فإن هذه الحالة من غير المعقول أن تُعمّم. وعلى أية حال

فالوثيقة التي لها مثل هذه الشروط المفيدة للزوجة هي نادرة الحدوث، حتى مع الاعتقاد بأن قوانين

وعادات (تقاليد) الزواج كانت عندها متفاوتة بشكل كبير بالاعتماد على الزمن والمكان الدقيقين في

بلاد الرافدين القديمة^(٥). فهذا النص الغير مألوف يُسلط الضوء على نشاط تلك النساء أي (الموظفات

(1) Dalley. S and Postgate. J. , "The Tablets from Fort Shalmaneser", in CTN 3, British School of Archaeology in Iraq, London. 1984, p. 10.

(2) Teppo. Saana, op. cit. p.55.

(3) Svärd. Saana, op. cit. p. 513.

(4) Ibid, p.513.

(5) Greengus.Samuel, "Legal and Social Institutions of Ancient Mesopotamia" in Civilization of the Ancient Near East, vol. 1, ed. J.Sasson. New York 1995, pp.469-484.

الكبار) ذوي الرتب العالية، واللواتي كان بمقدورهن استعمال سلطتهن التي لم تكن مقيّدة. فالمعلوم إلينا أن الأب كان من يقوم بتنظيم الزيجات لبناته عادة. ومن الممكن لنا أن نتصور من هذا النص بأن المديرية (الشكينتو) كانت لديها سلطة على عائلتها، كذلك يبدو أنه كانت لديها سلطتها على أملاكها الخاصة أيضاً.^(١)

وفي أي حال من الأحوال، هي كانت قد لعبت من الممكن دوراً ذكورياً بالتأكيد ونجحت فيه إلى حد كبير آنذاك. وهو سيكون من المفيد أن نعرف أكثر حول منزلة العريس وعائلتها، ولكن لسوء الحظ نحن لا نعرف شيئاً عن خلفيته^(٢). إضافة إلى ذلك يظهر بوضوح في هذا النص بأن (الشكينتو) المدعوة (Amat-Astarti) لم تتخذ ببساطة هنا (الميزة التي تتمتع بها) أي منزلتها العالية، وإنما هي تتفاوض نيابة عن ابنتها مع عائلة أخرى. ولدينا مثال آخر يرد في المجلد رقم (SAA 16 49) وهو من المحتمل يعود إلى عهد الملك الآشوري (أسرحدون)، وهو عبارة عن رسالة من السيدة (سارايا) (Saraia) كتبت إلى كاتب القصر والذي يدعى من المحتمل (Iššar-šumu-ereš)^(٣). حيث تطلب منه هذه السيدة موافقته على السماح لدخول سبعة من الخدم التابعين للمسؤول (Marduk-eriba)، وفيما يلي ترجمة حرفية لنص هذه الرسالة حيث تم حذف عبارات المدح والثناء إلى كاتب القصر في السطور من ١-٧:

"كان هناك سبعة أشخاص، هم خدم لسيدي، الذي كان حاكماً على مدينة (Bet-nayalani)، أخذهم ومنحهم إلى (Marduk-eriba). الآن (هؤلاء) الأشخاص هنا، هم جاؤوا لعندي، قائلة: "تكلّموا في حضور كاتب القصر طالما (Marduk-eriba) لا يسمح لكم بالدخول".^(٤) ومن خلال هذا النص نجد بأن قوة العلاقات بين الأشخاص المذكورين تبعث على التساؤلات التالية:

أولاً: إذا كان هؤلاء الأشخاص السبعة خدماً لكاتب القصر، فما هي السلطة أو الصلاحية التي كان يتمتع بها الحاكم ليعطيهم إلى الموظف (Marduk-eriba)؟، والجواب على هذا التساؤل واضح بافتراض أن الموظف (Marduk-eriba) كان نائباً لكاتب القصر في ذلك الوقت. وثانياً: إذا كان هؤلاء الأشخاص في خدمته أي (Marduk-eriba)، كيف ولماذا جاؤوا إلى القصر، فهم يتحدثون علناً وبشكل لا يبعث على الشك عن رغبة سيدهم (Marduk-eriba) بقولهم: "لم يسمح لنا بالدخول".

(1) Svärd. Saana, op. cit. p. 513.

(2) Parker. Barbara, "The Nimrud Tablets" Business Documents, in Iraq 16, 1954, p. 30.

(3) Luukko. Mikko, "The administrative Roles of the "Chief Scribe" and the "Palace Scribe", p.229.

(4) Svärd. Saana, op. cit. p. 514.

كذلك يبدو أنه كان من المهم لهؤلاء الأشخاص السبعة بما فيه الكفاية حصولهم على فرصة مقابلة مديرة القصر (سارايا) (Saraia)، إلا أنه ليس مهماً بما فيه الكفاية أيضاً مُناشدة أو التماس كاتب القصر مباشرةً.

وثالثاً: لماذا على السيدة (Saraia) أن تُقَحِّمَ نفسها بكل هذه المشكلة، وأما رابعاً: فلماذا هم يعتقدون بأن كاتب القصر (Issar-šumu-ereš) سيتدخل نيابةً عنهم، ضد نائبه. هل يا ترى ببساطة لأن السيدة (Saraia) طلبت منه ذلك؟^(١)

والإجابة على هذه التساؤلات هي أنه من الواضح أن هؤلاء الخدم السبعة اعتقدوا بأن المديرة (Saraia) يمكن لها أن تؤثر على كاتب القصر آنذاك. كذلك فإن علاقتها الدقيقة مع كاتب القصر هي غير محددة، باستثناء أنها تُخاطبُهُ بصفتها (سَيِّدَتُهُ)، وهذا لا يعني بالضرورة بأن رُتبتها الخاصة كانت بشكلٍ خاصٍ أقل مستوى من رتبة كاتب القصر حينها، حيث يوضح هذا النص علاقتها المتبادلة أو المشتركة فقط. وعلى أية حال، فمن وجهة نظر هرمية (تسلسلية)، يمكن أن يُنظر إلى المديرة (Saraia) كشخصية قوية، لأنه كان لديها حق الوصول إلى كاتب القصر. كوسيط وكان مركزها في قلب شبكة السلطة التي تتضمن الخدم السبعة و(Marduk-eriba)، وكاتب القصر.^(٢)

ومن خلال مجموعة النصوص الآشورية الحديثة (أي نصوص العصر الآشوري الحديث) فقد تم تحديد مكان نحو (٤٥) من الشكنتو و(٢٢) موقعاً لهم. حيث نجد أن مدن آشور، نينوى، وكلخو أصبحت يُشار إليها عدة مرات كمواقع للشكنتو، ومدن أخرى، يتم ذكرهن أو الإشارة إليهن فقط بارتباطهن بإحدى الشكنتو. وفي نينوى، هناك قصران أُشير إليهما (المدينة المركزية لنينوى وقصر المراجعة لنينوى)، وفي كلخو ثلاثة (القصر القديم لكلخو، قصر المراجعة لكلخو، القصر الجديد لكلخو). كما نوهنا سابقاً بأن نشاطات الشكينتو كانت غالباً مالية، فمن المحتمل بأنها كانت أي الشكينتو مسؤولة عن عوائل الملكات في مواقع مختلفة. وهو كان ملاحظاً عندها أن ملكات الدولة الآشورية في العصر الحديث كن غنيات جداً. ولذلك فهو ليس من المستبعد أن تكون الملكات الآشوريات آنذاك، قد امتلكن أو كانت لديهن شبكة من الشكنتو اللواتي أدرن ثروات الملكة. كوكيلات (نائبات) يُنبَن عن الملكة في إدارة تلك الأملاك، كما كانت الشكينتو لديهن بشكلٍ طبيعي أماكن في القصور الملكية (أجنحة) مثل قصر المراجعة أو الاستعراض في مدينة كلخو.^(٣)

ت - مديرات الشكينتو اللواتي عُرفن بأسمائهن:

لقد ورد ذكر لنحو سبع من المديرات (الشكينتو) (šakintu) اللواتي عُرفن بأسمائهن وكن شخصيات يُقَمَّن بنشاطاتٍ إدارية عديدة. وسوف نأتي على ذكر بعضهن هنا: فعلى سبيل المثال لدينا

(1) Ibid, p. 514.

(2) Ibid, p. 514.

(3) Teppo. Saana, op. cit, pp. 55-56.

(Addati) مديرة من مدينة نينوى من عهد الملك الآشوري سنحريب. وكانت نائبتها مديرة القرية والمدعوة (Bibia) استقرضت فضة منها ورهنت لديها مجموعة من الأملاك وسبعة أشخاص في الوثيقة رقم (SAA 6 81) وفي وثيقة أخرى رقم (SAA 6 82) هي تشتري امرأة (خادمة) من (Abi-Salamu). وكانت (Ahi-talli) مديرة المدينة المركزية لنينوى في عهد الملك الآشوري سنحريب. وهي كانت موظفة تُدعى (سيكريتو) (Sekretu) في الوثيقة رقم (SAA 6 88) عام ٦٨٧ ق.م، ولكنها أصبحت مديرة المدينة المركزية لنينوى بعد عام ٦٨٦ ق.م. وهي معروفة في عدة وثائق، حيث كانت قد اشترت عدد من الخادِمات، إحداهن كانت فتاة من أمها. واشترت أيضاً بستان مع العبيد "لحياة الملك". وذلك في الوثيقة رقم (SAA 6 89-9 0,92-93).

وكانت (Amat-Ba'al) مديرة القصر القديم لكلخو في القرن السابع قبل الميلاد حيث تظهر في الوثيقة رقم (ND 2309). ولكن لسوء الحظ، هي كانت معروفة فقط من خلال وكيلتها المدعوة (أخت - أبو) (Ahat-abû). وكانت هناك أيضاً المدعوة (إلي) (Ilia) المديرة في مدينة كلخو وذلك في القرن السابع قبل الميلاد، حيث اشترت (إلي) (Ilia) طفل من أبيه المدعو (كبريا) (Kaparia)، والذي يشغل وظيفة خادم أمين الصندوق في مدينة كلخو آنذاك وذلك في النص (ND 2313).

نستنتج مما ورد بأن المديرات (الشكيتو) جميعهن كن بشكل واضح شخصيات ذوي قوة ونفوذ في قصورهن. حيث فُمنَ بعمليات شراء لأراضي وعبيد، بالإضافة إلى عمليات إقراض واستقراض للأموال. وعموماً، يبدو أنهن كن سيدات غنيات جداً، وحتى إحداهن كانت قد زوجت ابنتها، وعادة ما كان يقوم بهذا الأمر رب الأسرة. (أي والد الفتاة).^(١)

٢ - مجموعة نساء (سيكريتو) (Sekretu):

أ - تعريف لقب: (سيكريتو) (Sekretu):

ترد في النصوص الآشورية الحديثة مصطلح (سيكريتو) (Sekretu) كما في الصيغة التالية: (MI.Sek-re-e-tu/MI.ERIM.É.GAL/MI.UN.MEš-É.GAL)، وهو يشير إلى مجموعة من نساء القصر، إلا أن المعلومات المتوفرة عنهن أي (Sekretus) كانت قليلة جداً باستثناء أنهن كن قد شكلن آنذاك جزءاً من موظفي القصر. كما أنهن يظهرن في أنواع مختلفة من المصادر، حيث أكثرهن يظهرن في قوائم النبيذ أو حصص الطعام، أو كجزء من سبي الملوك الآشوريين في حوالاتهم.^(٢)

ب - الأدوار والنشاطات المُلقاة على عاتق نساء القصر (سيكريتو) (Sekretu):

إن مسألة دور تلك النسوة في القصر الآشوري لاتزال تبدو مُعقدة، لذلك سنعمل على تقديم الأدلة المتوفرة عنهن لفهم طبيعة الأعمال والنشاطات التي فُمنَ بها داخل القصر. حيث لدينا ثلاث

(1) Ibid, pp.56,57.

(2) Ibid, p. 73.

من الحوادث فقط، كانت تُشير حينها إلى نشاط هؤلاء النسوة (sekretus) داخل القصر الملكي. أولاً لدينا هنا:

المدعوة (أخي - طَلِّي) (Ahi-talli) التي كانت عندها قد اشترت فتاة في سنة (٦٨٧ ق.م) طبقاً لما ورد في السلسلة (SAA 6 88). ولدينا أيضاً السلسلة رقم (SAA 6 91) التي تذكر إحدى نساء (sekretu) أنها اشترت (٢٧) شخصاً مع أملاكهم في عام ٦٨١ ق.م، وخلال عهد الملك الآشوري سنحريب، نجد أن إحدى نساء (Sekretu) في النص رقم (SAA 6 99) قد حصلت على ملكية أراضي حقيقية. وكانت المُشترية في كلا هذين النصين يمكن أن تكون (Ahi-talli)، ولكن لعدم وجود اسم يُشار إليه فالمُشترية يمكن أن تكون (سيكريتو) (sekretu) أخرى.^(١) كذلك فإن موضوع نساء (السيكريتو) (Sekretu) اللواتي حملن اللقب أو المصطلح التالي:

(MI.sek-re-e-tu/MI.ERIM.É.GAL/MI.UN.MEš-É.GAL)، ودورهن في القصر ومسألة الاختلاء (أي حبسهن) والحريم (harem)، طبقاً للسلسلة (CAD s) نجد التفسير التالي للمصطلح (السيكريتو) (Sekretu):

فإن الفعل (sekēru) هو وراء لقب (Sekretu) وهو يعني: (يُغلق، أو يُحبَّب أو يعزل)، وبالتالي يمكننا أن نقترح بأن نساء (sekretu) قد عشن عندها في الحجز أو العزل، إلا أن هذا الفعل لا يعني بحد ذاته ليكون دليل كافي لإثبات ذلك^(٢). وعلى الرغم من أن مراسيم القصر الآشوري في العصر الآشوري الوسيط (MAPD) تعود لفترة سابقة^(٣)، إلا أنه من المفيد مقارنة نساء (sekretu) موضوع دراستنا هذه إلى (نساء القصر) التي يُطلق عليهن المصطلح التالي: (MI ša É.GAL) في العصر الآشوري الوسيط، وهؤلاء أي نسوة القصر كانت لديهن آنذاك أجنحة في القصر، والوصول أو الدخول إليهن كان مُقيّداً ومحصوراً. ومن هذه المراسيم نحصل على إحدى الانطباعات بأن هؤلاء النسوة اللواتي ينتمين إلى العصر الآشوري الوسيط (لم يكن متوقعاً منهن أن يعملن آنذاك)، وكان القصر حينها يقوم بتزويدهن بالثياب والخدم. وكان يُشار إليهن أحياناً سويةً مع زوجة الملك. وهذا يُشير ربما إلى الاتجاه القائل: بأن (نساء القصر) في المراسيم كن زوجات ثانويات للملك.^(٤)

ومن ناحية أخرى، فهو ليس واضحاً تماماً فيما إذا ما كانت هؤلاء النسوة المُلقبات باللقب (sekretu) في الدولة الآشورية الحديثة كنّ مُتشابهات مع أولئك النسوة أي (نساء القصر) في الفترة

(1) Ibid, p. 73.

(2) Ibid, p. 77.

(3) لقد كانت تلك المراسيم قد جمعت في عهد الملك الآشوري (تجلات بلاصر الأول) (١١١٤-١٠٧٦ ق.م)، كما أن المراسيم الأولى من هذه المجموعة تعود إلى عهد الملك الآشوري (أشور - أبالط الأول) (١٣٦٣-١٣٢٨ ق.م)، أنظر:

Roth. Martha, "Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor", in Society of Biblical Literature Writings from the Ancient World Series 6, Atlanta, Georgia 1997, Scholars press, p. 195.

(4) Ibid, pp. 195-209.

الآشورية الوسيطة. وبناءً على الأدلة المتوفرة من الفترة الآشورية الحديثة، فلدينا الشيء القليل حول ما يُمكننا أن نذكره حول نساء (sekretu). حيث كانت تلك النسوة أي: (sekretu) قد أقمن في قصور الملوك الآشوريين، وكان يتم تزويدهن بالنبذ (ومن المفترض أيضاً بالطعام)، ومن المحتمل أنه كانت لديهن مشرفة أو مشرف يطلق عليها لقب:

(رَب-إِسَاتِي) (rab isāti)، وخلال الحروب كان يتم جلبهن بشكل دوري كجزء من السبي، سويةً أو إلى جانب الموظفين الآخرين للقصر. إضافةً إلى ذلك كان بإمكانهن أن يشتركن في الصفقات القانونية مثل:

((عمليات الشراء))، وكان يتم الإشارة إليهن من حين لآخر بارتباطهن بالملكات. كذلك فإن تلك النسوة (sekretu) كن موجوداتٍ من الواضح في العديد من القصور، ليس في قصر العاصمة فقط^(١). كما أن الأدلة النصية المتوفرة عندنا لا تسلط ضوءاً كثيراً على الطريقة التي كانت عن طريقها أن تصبح عندها المرأة في منزلة (sekretu)؟. وإذا ما عدنا إلى الحوادث الثلاث للنساء اللواتي تم إرسالهن إلى القصر من قبل المسؤولين الكبار، إلا أنه من غير المؤكد على الإطلاق فيما إذا كانت هؤلاء النسوة الثلاث قد رُهنَ أن يصبحن من صنف (sekretu).

إن تولي السيدة (Ahi-talli) لوظيفة (شكينتو) (Šakintu)، يُعطي نظرةً أخرى إلى منصب ما يُسمى (حريم المرأة). حيث لم يكن منصب (sekretu) لمدى الحياة، فبالإمكان أن تتغير مكانتها أو منزلتها. وعلى ضوء هذا الدليل هو يبدو محتملاً بأن تكون نساء (sekretu) في الحقيقة نوعاً ما من الزوجات الثانويات للملك. كذلك نجد أن منزلتهن الدقيقة وواجباتهن الأخرى المحتملة تبقى وتظل لغزاً على أية حال. وهذا ما يجعل تحديد أو توضيح مجموعتهن صعبة جداً أيضاً. كما أنهن يظهرن يقمن بأعمال "الوكلاء" بشكل واضح، ثلاث مرات فقط:

(في عمليات شراء أشخاص أو أملاك حقيقية)، ولكن إذا كن هؤلاء النسوة الثلاث نوعاً ما من "زوجات الملك الثانويات"، فربما كانت لديهن أيضاً الكثير من النفوذ أو التأثير في القصر.^(٢)

- (سيكريتو) (Sekretu) (كجزء من السبي الملكي):

غالباً ما كانت تتم الإشارة إلى (سيكريتو) (sekretu) كجزء من سبي الملوك الآشوريين الذي يأخذونه أثناء حملاتهم العسكرية. ويتم ذكرهن بشكل دائم تقريباً بعد قائمة طويلة من السلب الأخير الذي يحصلون عليه في المعارك. وتُعطى النصوص سبباً للافتراض بأن تلك النسوة أي (sekretu) كن أيضاً موجوداتٍ في العديد من القصور الملكية لأعداء الآشوريين (أو على الأقل بعض نساء القصر، اللواتي عُرفن من قبل الآشوريين).

(1) Teppo. Saana, Op. cit. p. 77.

(2) Ibid, p.78.

ومثال على ذلك ما تذكره النصوص على أنَّ الملك الآشوري آشور ناصر بال الثاني (٨٨٣-٨٥٩ ق.م)، كان قد جلبَ آنذاك عدداً من نساء (سيكريتو) (sekretu) كسبايا عندما هزم مدينة (سورو) (Süru). وكان قد هزم هذه المدينة مرتين، المرة الأولى في وقت ما بين اعتلائه للعرش وسنته الملكية الخامسة، والمرة الثانية في وقت ما بين سنواته الملكية من السادسة إلى الثامنة عشرة. حسب ما ورد في النص (RIMA 2 A sn 2, text 1, col 1.1.85 and col 3 1.22.).^(١)

كذلك جلبَ الملك الآشوري (شلمانصر الثالث) (٨٥٨-٨٢٤ ق.م) نساء قصر المدينة المغلوبة والمدعوة (تل - طورخي) (Ttl-turahi) في سنته الملكية السادسة. وفي سنته الملكية السادسة عشر قام بسبي نساء قصر مدينة (بادير) (Paddiru) وأرض (نامري) (Nāmri). حسب ما ورد في النصوص التالية:

(RIMA 3 A.1.2.6 col 4 ,19 ,RIMA 3 A.1.2 ,16 1.30).

إنَّ الإشارة التالية حول سبي نساء (sekretu) هي من عهد الملك الآشوري سنحريب (٧٠٤-٦٨١ ق.م)، حيث يذكر على نطاق واسع عن سلب قصر الملك البابلي (مردوخ - بلا - دن) (Merodach Baladan)، ومن الواضح أنَّ الملك الآشوري سنحريب آنذاك قد جلبَ (كل شيء يمكن حمله وجلبه)، وكان من ضمن ذلك نساء (sekretu)، ونساء (masennutu)، والمغنيات أيضاً. كذلك نجد أيضاً الملك الآشوري آشوربانيبال في السلسلة (A sb A iv line 64 and A sb C ix line 34) يجلبُ عدداً من نساء (sekretus) كسبي. وفي سلسلة أخرى رقم:

(A sb B vi 27 and Asb C vii 23) فإنَّ الملك الآشوري آشوربانيبال أيضاً يأخذُ مجموعة من (nuärtu) أي (المغنيات) كسبي بالإضافة إلى عدد من نساء (sekretu).^(٢)

- نساء (سيكريتو) (Sekretus) ومسألة اختلاء نساء القصر:

وهناك مسألة مهمة أخرى وهي كيف يتم عزل أو فصل السكن ما بين أولئك النسوة أي (sekretu) والنساء الأخريات في القصر؟، وإلى أي مدى كان بإمكان تلك النسوة (sekretu) أن يعملن أو يؤثرن خارج القصر أيضاً؟.

غالباً ما كانت جميع النساء اللواتي يسكنن في القصر (نساء الملك، موظفات القصر، والنساء الأخريات للقصر) يتم اعتبارهنَّ سويةً "كحريم الملك".

كذلك نجد أنَّ الطبيعة الثقافية التي يحملها هذا المصطلح قد تم تفسيره بشكل خاطئ من قبل عدد من الباحثين والمختصين، وهنا فإنَّ مسألة اختلاء أو عزل النساء، كانت قد ارتبطت غالباً "بالحريم" "harem" موضع بحثنا هذا.^(٣)

(1) Ibid, p.73.

(2) Ibid, p. 74.

(3) Ibid, p. 78.

ولمزيد من الشرح حول هذه النقطة يمكننا القول:

أولاً: من الواضح أنه ليس جميع تلك النسوة اللواتي ارتبطن بالقصر أقمّن هناك في الحقيقة. كما أنه بإمكاننا أن نكون متأكدين إلى حدٍ لا بأس به بأنه على الأقل، كان هناك جزء من موظفات القصر، بالإضافة إلى الملكة والأطفال الملكيين قد عاشوا هناك أي داخل القصر. كذلك فإنه يبدو من المحتمل أيضاً بأن نساء: (sekretu) أقمّن هناك أيضاً في القصر. وطبقاً لعدد من الباحثين فإنه ليس هناك دليل كافٍ لاختلاء أو لعزل النساء في زمن الدولة الآشورية في العصر الحديث. حيث كانت نساء (sekretu) تقوم بتدوين حتى مراسيم القصر للفترة الآشورية الوسيطة والمُشار إليها في معرض حديثنا سابقاً، والتي تُظهر بأن السيدات في القصر:

"كنّ يتمتعنّ بقدرٍ كبيرٍ ومعتبرٍ من الحرية". وبالتالي فإنّ وجهة نظر لأحد هؤلاء الباحثين نجدها تختلف كلياً عن رأي أكثر العلماء والباحثين المختصين الذين قاموا بدراسة تاريخ بلاد الرافدين القديم، حيث تظهر وجهة النظر هذه بعيدة عن الواقع والحقيقة.^(١)

وثانياً، يفترضُ عموماً بأولئك النسوة أي "نساء القصر" أنه كانت لديهنّ حُجراتٍ منفصلةٍ أو معزولة. وعلى الرغم من وجود بعض الأدلة الأثرية التي تدعم أو تؤيد نظرية الاختلاء^(٢)، إلا أنها (من المستحيل أن تكون حاسمةً وجازمةً). إضافةً إلى ذلك، حتى إنه مع وجود حُجراتٍ أو أجنحة منفصلة للنساء فإنّ ذلك لا يعني بالضرورة بأنّ تلك النسوة لا يستطيعنّ أو ليس بإمكانهنّ مُغادرة القصر مُطلقاً. فبالأكيد لا بدّ وأن كانت تحركات سيدات القصر الرفيعات مُسيطرًا عليها أو مضبوطةً إلى حدٍ ما، ولكن ليس هناك طريقةً لمعرفة أو لإدراك كيف كان يتمّ ضبطها أو تنظيمها. وبأي حالٍ من الأحوال، فإنه ونظراً لوجود عدة مجموعات مختلفة جداً من النساء بشكل واضح مع واجباتٍ مختلفة جداً نحو القصر، هو يبدو لنا من المعقول الافتراض بأنه كان هنالك اختلاف وتتنوع في درجة سيطرتهم أيضاً. وعلى سبيل المثال:

فهو من المحتمل بأن تكون حينها النساء الملكيات مصوناتٍ ومحمياتٍ أكثر من خادماتهنّ. كذلك نجد أنّ العديد من نساء القصر، من ضمن ذلك "الملكة"، قد امتلكنّ مساحاتٍ كبيرةٍ وضخمةٍ من الأراضي. بالإضافة إلى اشتراكهنّ في صفقاتٍ ماليةٍ مهمةٍ. وهذا كله لا بدّ وأنه يعني على الأقل وجود نوعاً ما من التفاعل فيما بينهنّ مع العالم الخارجي.

والمسألة الأخرى فيما يتعلق بنساء (شكينتو) (šakintu)، والموظفات الإداريات الأخريات، بدون الحاجة لذكر أولئك النسوة المتزوجات اللواتي أقمّن في القصر. حيث كانت تلك النسوة في حاجةٍ

(1) Westenhof. Joan. Goodnick, "Towards a New Conceptualization of the Female Role in Mesopotamian Society", in Journal of the American Oriental Society, no.110, 1990, pp.515-516.

(2) Dalley. S and Postgate. J., Op. cit. p.11.

للتعامل مباشرة مع التجار، ومدراء القرى، وآخرون غيرهم، فوجود هؤلاء الموظفين والعاملات، ومنهن على سبيل المثال (الكاتبات)، يشير ولو ضمناً على الأقل، إلى أن هناك بعض النسوة تم حجبهن أو عزلهن ضمن أجنحتهن الخاصة داخل القصر. وفي أي حال من الأحوال، هو يبدو من المؤكد بأنه ليس جميع النسوة اللواتي أقمن في القصر حينها قد تم عزلهن أو حجبهن بنفس المستوى^(١).

٣- (المسؤولة) (لاخينوتو) (Lahhinutu) :

أ- تعريف لقب: (لاخينوتو) (Lahhinutu):

ترد في نصوص الأرشيف الآشوري وبشكل خاص السلسلة (SAA) مصطلح: (لاخينوتو) (Lahhinutu) ويعني: "وكيلة للمعبد"، إلا أنه وطبقاً لسلسلة النصوص (CAD) فهي ترد كموظفة عادية في قصر الملكة. ولدينا دليل يعود إلى فترة الدولة الآشورية الحديثة يوحي بأن ذلك اللقب أي (لاخينوتو) (Lahhinutu) كان قد ارتبط بشكل أكبر بالقصر من ارتباطه بالمعبد حينها. وأما اللقب الذكوري المقابل لها يُدعى (لاخينو) (Lahhinu)، إلا أنه يلاحظ بأنهما كانا قد عملا بلا شك في المعابد والقصور^(٢). كما أن النصوص من الفترة الآشورية الحديثة والتي تتعلق بهؤلاء الموظفين (سيدات) (لاخينوتو) (Lahhinutu) لا تظهر أي دليل أو إشارة إلى أنها كانت تعمل في المعابد. ونتيجة لذلك، فإن لقب (المُضيفة أو الوكيل) يبدو أنه أفضل وصف لنشاطاتها^(٣).

ب- الأعمال والنشاطات المسندة للمسؤولة (لاخينوتو) (Lahhinutu):

يرد في نصوص الأرشيف الآشوري اسم لسيدة تُدعى (أخات - أبو) (Ahāt-abû) وكانت وكيلة أو مندوبة لدى (أمات - بآل) (Amāt-Ba'al) التي كانت بدورها مديرة القصر القديم في مدينة كلخو في القرن السابع قبل الميلاد. وكانت قد اشترت ابنة أحد الأشخاص والمدعو (نورتي) (Nurti) لتقديمها كهدية (شيلوتو) (šēlûtu) إلى الإلهة (موليسو) (Mullissu) وهي نفسها الإلهة (نينليل زوجة الإله إنليل). ولقبها يرد في الوثيقة رقم (ND2309) كما يلي:

(MI.lah-hi-nu-tu-MI.a-ma-ti-ba-a{I})، وفي نص من سلسلة (SAA 6 66)، نجد أن

المدعو (باخيانو) (Bāhianu)، مدير قرية الوكيل المعروفة باللقب:

(Lú.GAL.URU.MEš ša MI.lah-hi-ni-te)، حيث يقوم (باخيانو) (Bāhianu) بإطلاق سراح

المرأة المدعوة (أخيما) (Uḫimâ). كذلك يرد ذكر (Bāhianu) في نحو إحدى وعشرين وثيقة، وفي المجلد الخامس أيضاً من سلسلة (SAA 6)، خلال السنوات ما بين (٧٠٤-٦٨٢ ق.م)، نجد أن حوالي (١٥) من تلك النصوص تتعلق بقروض الشعير والحنطة، وفي ثلاث منها نجد المدعو (باخيانو)

(1) Teppo. Saana, Op. cit. p. 79.

(2) Menzel. Brigitte, "Assyrische Tempel Studia poh", Series Maior, Dissertationes Scientifical de rebus Orientis antiquae 10, Rome 1981, Biblical Institute press, pp.223-228.

(3) Teppo. Saana, op. cit. p. 63.

(Bāhianu) يقوم بعملية إقراض لكميات من النحاس والفضة. وفي النص رقم (٦١) نجده يُفتدي (عبد). كذلك في النص رقم (٦٥)، هو يشتري أراضي وأشخاص. ولسوء الحظ لم يكن معلوماً لدينا فيما يتعلق بالوكالة التي كان يشتغل عندها.^(١)

وكانت تلك الوظائف من صنف (Lahhinutu) يُشار إليهن أيضاً في سلسلة: (SAA 7 24)، حيث يصف الباحث (Menzel) الموظف (Lahhinu) كأمين للصندوق، والذي كان يقوم بدور مهم في الاقتصاد والإدارة. ويبدو بأن أهمية وظيفته كانت مشروطة بحجم المؤسسة التي يخدم فيها أي: المعبد أو القصر، (أنظر: Menzel 1981: 223-228)، ويظهر من نصوص الأرشيف وخاصة السلسلة (SAA 13 157) والتي تشير إلى أن دور الموظفة (Lahhinutu) كان مُشابهاً لذلك الموظف (Lahhinu) بالرغم من أنها تظهر كونها وحيدة في خدمة القصر. ويبدو أن الموظفة (Lahhinutu) لم تتمتع بدور كبير في إدارة ممتلكات العائلة الملكية، لأن الأدلة المباشرة كانت قليلة. وهذا يبدو صحيحاً من خلال الحقيقة التي تُفيد بأن نحو ست من أصل عشر من تلك الوظائف (Luhhinutus) تمت الإشارة إليهن عندها في قائمة الموظفين ضمن السلسلة رقم (SAA 7 24)، وأما ما بقي خارج تلك القائمة، فلدينا اثنتان معروفتان منهن فقط بشكل واضح.^(٢)

٤ - المَغْنِيَّات (نوارتو/ نرجالوتو) (nuārtu) و(nargāllutu):

أ- تعريف لقب: (نوارتو/ نرجالوتو) (nuārtu) و(nargāllutu):

يرد في نصوص الأرشيف الملكي الآشوري المصطلحان أو اللقبان (نوارتو/نارجالوتو) (nuārtu) و(nargāllutu)، فالأول يُترجم حرفياً: (بالمَغْنِيَّة)، والآخر (بالمَغْنِيَّة الرئيسية) من خلال ورودهما في السلسلة رقم (CAD N, 363-364). وأما الطبيعة الدقيقة لوظيفتهما فما تزال غير واضحة بدقة. فالدليل الوحيد المتوفر عنهم موجود في سلسلة (A 125)، حيث يُظهر تلك المغنية الرئيسية (نرجالوتو) (nārgallutu) تُغني أو تقرأ شيئاً.^(٣)

ب- الواجبات والنشاطات التي أُسندت إليهن:

كانت تلك المَغْنِيَّات لديهن واجبات والتزامات تتعلق بكلاً من القصر والمعبد. وفي فترة الدولة الآشورية الحديثة يبدو بأنهن كنَّ يُشكّلن على الأقل المجموعة الأكبر من موظفات القصر مقارنةً مع زميلاتهن الموجودات في المعبد. كما أنهنَّ يظهرن كثيراً جداً في قوائم النبيذ وكجزء من السبي أو الغنائم المُستولى عليها من القصور الملكية للممالك والمدن المجاورة للدولة الآشورية آنذاك. فهناك نصين اثنين يُشيران إلى ارتباط تلك المَغْنِيَّات بالمعابد بشكل واضح موجودان في السلسلة رقم (A 125) والسلسلة رقم (PKTA 12 f) ويظهر من خلالهما بأنهنَّ تمَّ استخدامهنَّ في القصور والمعابد.

(1) Ibid, p. 64.

(2) Ibid, p.64.

(3) Ibid, p.64.

وربما، من الجدير بالاهتمام في هذه المجموعة أنهم يظهرن بشكلٍ كثير. وهذا يمكن أن يُفسر ولو جزئياً الحقيقة التي تفيد بأنهن كانت تتم الإشارة إليهن في أغلب الأحيان كجزء من السبي أو الغنائم الذي اتخذهُ الملوك الآشوريين. وعلى أية حال، فإنه لا بدّ من وجود الكثير منهنّ آنذاك، لكوننا نجد في وثيقة واحدة، وهي رقم (SAA 7 24)، إشارة لنحو (ثمانٍ) من المغنيات الرئيسيات (nārgallutus) و(ثلاث وخمسون) من المغنيات الأخريات. والسؤال المهم والمفيد يتعلق بجنسيتهم. حيث نجد في قوائم (نبيذ نمرود) وفي قوائم الموظفين أنهم مقسمات إلى مجموعات مختلفة طبقاً لبلدانهم.^(١)

والسؤال الآخر الذي يطرح نفسه لماذا كانت العديد من (المغنيات) يتم (إحضارهنّ وجلبهنّ) إلى الدولة الآشورية الحديثة من الخارج؟.

لدينا نحو (٨٩) (تسع وثمانين) من تلك المغنيات وجواري القصر يظهرن بشكلٍ نادر جداً (يعملن كمندوبات نشيطات)، وهذا أمرٌ طبيعي حينها لكون منزلتهنّ لا بدّ وأنها كانت أقلّ مستوىً بشكلٍ ملحوظٍ من المديرية (الشكّينتو) على سبيل المثال. كذلك نجد بأن أعمالهنّ كانت قد سُجلت في حالات نادرة فقط. وفي الحقيقة، نجد إحدى هذه الحالات من أصل (٨٩) يمكن أن اعتبارها لتكون وكيلةً بشكلٍ واضح. على الرغم من أن النص موضع السؤال (A 125) هو مُهمّش تماماً. ومع هذا، كنّ يظهرن بدورهنّ كمغنياتٍ بشكلٍ واضح، ومن المحتمل أنهنّ شكّلن نوعاً ما من الموظفين الدينيات أيضاً.^(٢)

– المغنية الرئيسية (نرجالوتو) (Nargallutu):

هناك إشارتان فقط إلى المغنية الرئيسية (نرجالوتو) (nargallutu) في النصوص الآشورية الحديثة. فالأولى نجدها في قوائم الموظفين (SAA 7 24)، والثانية فهي أقلّ وضوحاً. ومع هذا ففي مجموعة النصوص الآشورية الحديثة نجد أن السطر موضع السؤال هو:

(CA Pl.3 f+R 322) حيث تمت ترجمته إلى الصيغة التالية: (MI.NAR.GAL). والنص موضع السؤال هنا أيضاً هو مُهمّش جداً، ولكن طبقاً للباحث (Van Driel) فهذا النص يُقدم وصفاً لأعمال طقوس العبادات المنجزة من قبل الملك الآشوري آشوربانيبال في آشور.^(٣)

ويعرف باحث آخر وهو (Menzel) السطر موضع السؤال أيضاً، كإشارة إلى المغنية الرئيسية (nargallutu). ويبدو أنها كانت تقرأ أو تُغني مقطع أو عبارة آنذاك أمام الملك في الطقوس.^(٤)

(1) Ibid, p.65.

(2) Ibid, p.65.

(3) Van Driel. G, "The Cult of Aššur", Leiden.1969, pp.121-131.

(4) Menzel. Brigitte, op. cit. p. 254.

- المَغْنِيَّة (نوارتو) (Nuārtu):

لقد كانت تلك النسوة المَغْنِيَّات يَظْهَرْنَ بشكلٍ رئيسٍ في قوائم توزيع النبيذ أو كجزء من السبي والغنائم، أي اللواتي قام بسبيهنَّ الملوك الآشوريين من قصور الأعداء. كما أنهنَّ يَظْهَرْنَ أحياناً بارتباطهنَّ المباشر بالقصور والمعابد. وفي سلسلة (SAA 17 1 22) هناك إشارة لاثنتين من المَغْنِيَّات (nuārtus) تم ذكرهنَّ كجزء من الهدية المقدمة أو الموهوبة إلى (أبو - إريبابا) (Abu-Eriba)، (قريب الملك) من قبل الملك الآشوري سنحريب. وفي السلسلة التالية (SAA 11 152) فإنَّ (nuārtu) وجدت في جزء من قائمة الموظفين سويةً مع (Lahḫinutu). وقد وجدت تلك المَغْنِيَّات أيضاً في قوائم الموظفين العاملات في السلسلة (SAA 7 24 and 26). كذلك نجد أنَّ النص الوحيد الذي يُشير إلى نشاطاتهم الدينية هو (PKTA 12f) ففي بداية النص، يظهر الملك يُقدم أصحابي وقربان إلى الآلهة (بالاستناد إلى الترجمة الصوتية في مجموعة النصوص الآشورية الحديثة).^(١)

- المَغْنِيَّات في قوائم الحصص والنبيذ:

نجد في سلسلة (SAA 7)، أنَّ هناك نحو (١٤٠) أو (١٤٢) من النسوة المَغْنِيَّات كُنَّ تَلَقَّينَ كميات من النبيذ، والخبز، فلدينا نص ليس مؤرخاً بدقة، ولكنه من المحتمل يمكن أن يعود تاريخه إلى الفترة ما بين (٧٢١-٦١٢ ق.م)، وربما من عهد الملك الآشوري أَسْرَحَدُون.^(٢) وفي قائمة النبيذ في مدينة نمرود المجزأة لعام (٧٨٤ ق.م) تذكر أولئك النسوة المَغْنِيَّات باللقب (CTN 3 145) (NAR.MEŠ) (MI?) (MI?). وكذلك تم ذكرهنَّ أيضاً في اثنتين من قوائم النبيذ في نمرود، يعني النصين (٨ و ٢١).^(٣)

- المَغْنِيَّات كجزء من السلب أو السبي الملكي:

يرد في نصوص الأرشيف الملكي الرسمي الآشوري أنَّ الملك الآشوري آشور ناصر بال الثاني (Ashur nasir pal II) (٨٨٣-٨٥٩ ق.م) كان قد تلقى كميةً كبيرةً من الجزية من حاكم مدينة (Patinu)، وكان من بين تلك الجزية عشرٌ من المَغْنِيَّات تمت الإشارة إليهن في كلاً من السلسلة رقم (RIMA 2 A sn 2.1c). وفي السلسلة (RIMA 2 A sn 2 73)، ومن المحتمل أنهنَّ من أراضي مدينة (باتينو) (Patinu). كذلك نجد أنَّ الملك الآشوري تجلات بلاصر الثالث (٧٤٤-٧٢٧ ق.م) كان قد تلقى مجموعة من المَغْنِيَّين ذكوراً وإناثاً كجزية.^(٤)

(1) Teppo. Saana, op. cit. p. 66.

(2) Fales. F. M, and Postgate. J. N, "Imperial Administrative Records", part I: Palace and Temple Administration, in SAA 7, Helsinki University Press (eds), 1992, p. 55.

(3) Fales. F. M, "A Fresh Look at the Nimrud Wine Lists", in Fales (ed), Drinking in Ancient Societies, in History of the Ancient Near East Studies 6. Padova. 1994, pp. 361-380.

(4) Teppo. Saana, op. cit. pp. 66-67.

وفي حوليات الملك الآشوري سنحريب (٧٠٤-٦٨١ ق.م) هناك مُغنيات تم ذكرهن ثلاث مرات. وفي بحث للباحث (Luckenbill 1924: 24, 1033)، حيث جلب سنحريب آنذاك مُغنيات كَسَبايا من بابل، من قصر الملك (Merodach baladan)، وفي بحث آخر للباحث نفسه، (Luckenbill 1924: 34, 1047) كان الملك الآشوري سنحريب قد أخضع و سلب قصر الملك حزقيا (Hezekiah) في القدس عام (٧٠١ ق.م)، حيث أخذ معه بناته، نساء القصر، والمغنين. كذلك أيضاً جلب الملك الآشوري آشور بانيبال (٦٦٨-٦٣١ ق.م) مُغنيات كجزء من السبي في حولياته. (Asb B 6 28, A sb C vii 23 and Asb G 907).^(١)

٥ - جارية أو خادمة القصر (أَمَات إَكَلِّي) (Amāt ekalli):

أ - تعريف لقب: (أَمَات إَكَلِّي) (Amāt ekalli):

ترد في نصوص الأرشيف الآشوري مصطلح (أَمَات إَكَلِّي) (Amāt ekalli) ويعني حرفياً: (خادمة القصر). وفي سلسلة (SAA) يُستخدم مصطلح (جارية القصر) الذي يبدو أنه دقيق بالضبط تماماً مع نوع العمل الذي كانت تقوم بها تلك الجوارى في القصور الآشورية، وأما كيف انتهى بهن المطاف في القصر فهو غير واضح؟. حيث تبدو أن مكانتهن كانت أعلى من العبيد العاديين من خلال ما تظهره النصوص، وذلك منذ أن جعل حاكم آشور قائمة منفصلة خاصة (بأبناء العبيد المُشترين) و (لأبناء جوارى القصر). وبناءً على ذلك يمكننا أن نفترض بأنه كان هناك الكثير من جوارى القصر حينها أيضاً، منذ أن تم إرسال القائمة إلى الملك من قبل حاكم مدينة آشور. حيث تُسجل هذه القائمة نحو (٣٧٠) شخصاً كانوا سوية "لأبناء عبيد مُشترين" و "أبناء لجوارى القصر".^(٢)

ب - الأعمال والنشاطات المُلقاة على عاتقهن:

لم تُذكر حوادث لجوارى أو لخدمات القصر شخصياً، ولكن هناك عدة إشارات لأبناء جوارى القصر، وإحدى تلك الشهادات هي لمدير منزل جوارى القصر، وفي النص (ND2307) نجد أن (نابو - بيلو - أصر) (Nabû-bēlu-ušur) كان (مديراً لمنزل جوارى القصر) في مدينة كلخو (أثناء عهد الملك الآشوري آشوربانيبال أو فيما بعد) ويشهد على عقد زواج لابنة الشكينتو المدعوة (أَمَات - أَسْتَرْتِي) (Amāt-Astarti) في سنة (٦٢٢ ق.م).^(٣)

إنَّ مركز أو مكانة أبناء جوارى القصر هو غامض نسبياً. بالرغم من أن أمهاتهم يظهرن على أنهن شكلن صنفاً ما من العبيد، وكان أولئك الأبناء ينشغلون في العديد من النشاطات والأعمال التي تشير إلى منزلة أو مكانة مالية جيدة. ففي السلسلة (SAA 11 221)، نجد أن الملك الآشوري (آشور

(1) Borger. Rykle, "Beiträge zum Inschriftenwerk Assurbanipals", Wiesbaden, Harrassowitz Verlag. 1996, p.35,39.

(2) Teppo.Saana, op. cit. p.67.

(3) Ibid, p.67.

بانيبال) يمنح أو يُعطي أربعة قطع من الأراضي تعود ملكيتها سابقاً إلى ثلاثة من القادة وحارس (لابن جارية القصر في القصر الجديد)^(١). وفي عام (٦٣٥ ق.م) فإن مكان قطعة الأرض تلك عُرِفَت بمساعدة (ديبايو) (Dibbayu)، ابن "جارية القصر" في النص رقم (SAAB 5 35). وفي النص رقم (ND 2078) فإن (أبرو - نابو) (ubru-Nabû)، ابن (نابو - دوري) (Nabû-dûri) و(امراة القصر) استناداً كمية من الفضة في عام (٦٣٨ ق.م). وفي النص (CTN 2 105) كان الشخص المدعو (Nai)، ابن (جارية القصر) يُقرض ذرة. كما أن ابن (جارية القصر) قد تم ذكره أيضاً في سلسلة (SAA 12 83). ولكن النص كان متجزأ، لكن في النهاية يبدو وكأن هناك قائمة للمهن والتي ربما تتمتع بملكيات تحت الالتزام أو التعهد المدعو (إلكو) (ilku). ومن بينهم كان ابن (جارية القصر) الذي كان مُشاراً إليه. ومن ناحية أخرى، يبدو بأن هؤلاء الأبناء كانوا قد استعملوا كقوة عمل للتاج الملكي. ففي السلسلة (SAA 1 99)، نجد أن حاكم آشور يكتب إلى الملك الآشوري سرجون الثاني التالي: الأسطر (١٦-١٢):

"أنا الآن جعلت قائمة من "أبناء العبيد المُشترين" و"أبناء جوارى القصر" على لوحة الكتابة وسأرسلها طياً إلى الملك، سيدي. هم نحو (٣٧٠) رجل:

(٩٠) هم رجال الملك، و (٩٠) من الاحتياط، (١٩٠) يجب أن يكونوا في خدمة الملك".^(٢)

وفي سلسلة (SAA 1 77)، يكتب حاكم آشور إلى الملك الآشوري سرجون الثاني بخصوص مخزن الخشب. وهو يبلغ الملك بأن أولئك أي (أبناء جوارى القصر) سيجهزون المواد اللازمة والطلاء لسقفه. وإجمالاً يبدو بأن هؤلاء الأبناء كانوا جزءاً من طبقة "شبه الأحرار"، كما أنهم بالتأكيد ليسوا عبيداً (بالمعنى الحقيقي للكلمة)، وإنما كان لديهم من المحتمل بعض الالتزامات والتعهدات والواجبات اتجاه الدولة أو نحو الملك. نستنتج مما ذكر آنفاً على أن جوارى القصر لم تتم الإشارة إليهن بشكل واضح في أي من النصوص المذكورة، إلا أننا نجد بأن هناك سبعة نصوص أشارت إلى أبنائهن ونص واحد يذكر مُشرفهم رغم ذلك، وكانت تلك النسوة أي جوارى القصر يتمتعن بمنزلة مهنية أو تخصصية في القصر، وهم يمكن أن يُعتبرن "كمندوبات أو كوكيلات يقمن ببعض الأعمال نيابة عن أسيادهن". كذلك نجد أنه من المعقول أن أعمالهن لم تكن عندها مدونة في النصوص، لأنهن تمتعن بمنزلة أو مكانة منخفضة إلى حد لا بأس به في القصر.^(٣)

(1) Mattila. Raija, "The Kings Magnates: A study of the Highest Officials of the Neo-Assyrian Empire" in State Archives of Assyria Studies 11, Helsinki 2000, The Neo-Assyrian Text Corpus project, p.63.

(2) Teppo. Saana, op. cit. p.68.

(3) Ibid, p. 68.

٦- مجموعة نساء القصر الأخريات (الحرفيات):

أ- صانعة الحلويات:

يرد في النصوص الآشورية إشاراتٍ لنحو سبع حالات فقط لعمل مجموعةٍ من نساء القصر لا يمكن تصنيفها أو وضعها في أيٍّ من الأصناف المهنية التي أشرنا إليها سابقاً. وهؤلاء النساء يظهرنَّ هنا في ترتيبٍ زمني. حيث يدل المصطلح أو اللقب (كَركادِينوتو) (karkādinnutu) على صانعة الحلويات أي (سيدة الحلويات)، وطبقاً إلى سلسلة (CA DK) التي يردُّ فيها هذا اللقب: (MI.sum.NINDA-Tú ša MI-É.GAL) فهو يعني حرفياً:

(الطاهية التي تصنع طعاماً خاصاً بالملكة).^(١) كذلك يرد هذا اللقب في النص رقم: (CTN 3) 87 الذي يُسجل (المساهمات) (الالتزامات المالية) والتي تُسمَّى (إِلْكَات) (ilkakāte) المدفوعة إلى قصر الاستعراض آنذاك في مدينة كلخو. وهذا النص من المحتمل يعود إلى أواخر القرن الثامن قبل الميلاد أو القرن السابع قبل الميلاد.^(٢)

ب- الحائكات:

يرد في النص رقم (SAA 133) ذكر المصطلح أو اللقب (إِشْبَارْتو) (išpārtu): وهو يُشير إلى (النساء الحائكات). وهذا النص عبارة عن رسالة مكتوبة من قبل ولي العهد آنذاك سنحريب، إلى الملك الآشوري وهي تتعلق بالجزية المجلوبة من قبل مبعوثي مدينة (كوماجين) (Commagene) إلى الملك الآشوري سرجون الثاني. إنَّ المقطع ذات الصلة رقمه هو: (19-24 and r.1) حيث جاء فيه ما يلي:

" هم أيضاً جلبوا صوفاً أحمر. إنَّ التُّجَّار أخبروني بأنهم انتَقَوْا نحو (٧ تالنت) (وحدة وزن) منها، ولكن مبعوثي مدينة (كوماجين) (Commagene) لم يقبلوا بذلك، ولكنهم قالوا: " من تعتقدون أو من تظنون أنفسكم؟ أنتم لستم من تقومون بالاختيار. دعهم يأخذونه كله ودع حائكات الملك (MI.Uš.BAR.MEš-te) يَقْمَنَّ بعملية الاختيار هناك".

كما أنَّ ولي العهد يسأل الملك: "من هم أولئك الأشخاص المُفترضين أو المزعومين لكي يتم إعطائهم ذلك الصوف".^(٣)

نستنتج من هذه الرسالة أنها تُشير ضمناً إلى هؤلاء الحائكات اللواتي كُنَّ يُشكَلْنَ على الأقل حينها هيئةً حرفيةً في مجالهم الخاص، أكثر من أولئك التُّجَّار المذكورين في هذا النص كما جاء على لسان ولي العهد (سنحريب). وفي إحدى النصوص المنشورة يذكر قيام الملك الآشوري (سنحريب) بنهب قصر الملك (Merodach-Baladan) في بابل. وأخذ المرأة (مَسِينوتو) (Masennutu) والتي كانت

(1) Ibid, p. 71.

(2) Dalley. S and Postgate. J., Op. cit. p.148.

(3) Teppo. Saana, op. cit. p.71.

تشغل وظيفة (أمانة الصندوق) كسببية سوية مع المغنيات^(١). وفي تقرير تنجيمي رقم (SAA 8 305) من عهد الملك أسرحدون أو الملك آشور بانيبال، حيث هناك إشارات إلى نساء كن قد تم إعطاؤهن إلى شخص يدعى (دمق) (Damqâ) لكي يقمن بالنسج والحياكة. كذلك كانت هناك امرأة تدعى (مخاسو) (mahāsu) والتي ربما كانت كمشفرة على النساء في القصر الملكي لمدينة نينوى.^(٢)

سابعاً: موظفو القصر الملكي الآخرون مثل:

(المنجمون، المنشدون، الطبّاخون.... الخ).

تأتي النصوص والرسائل الآشورية على ذكر عددٍ من الموظفين داخل القصر الملكي، والذين كانوا لا يحتلون مناصب إدارية مهمة ضمن التنظيم الهرمي للإدارة الآشورية الحديثة آنذاك. إلا أنهم كانوا يؤثرون على سياسة الملك شخصياً، وسنلقي هنا بعض الضوء على أبرز هؤلاء الموظفين وخاصة فيما يتعلق بألقابهم، والمكانة الاجتماعية والامتيازات التي تمتعوا بها، كذلك النشاطات والأعمال التي أنيطت بهم حينها.

١ - المنجمون:

أ- نصوص التنجيم.

كان التنجيم، وهو نوع من العرافة، يعتمد بالدرجة الأولى على مراقبة الشمس والقمر والنجوم سواء من حيث مواقعها أو أشكالها أو ألوانها لاستنباط الفأل من كل ظاهرة، وكان الغرض من ذلك هو التنبؤ بالمستقبل على الصعيد الرسمي للملك والدولة، وقلماً يُستخدم على الصعيد الشعبي أي للأفراد، وكان التنجيم معروفاً في بلاد بابل أيضاً في فترة سابقة، إلا أنه لم يأخذ شكله النهائي الذي نجده في بلاد آشور. كما كان هناك عدد من الكهنة المتخصصين الذين يقومون بمراقبة النجوم والكواكب وتفسير ظواهرها، وقد دونوا لنا تلك الظاهر وتفسيراتها في نصوص خاصة.^(٣) وإضافة إلى هؤلاء المنجمين فقد ظهر إلى جانبهم مجموعة من الأفراد أطلق عليهم لقب "المنتنبئون" "رجينتو raggintu"، حيث ورد هذا المصطلح خلال العصر الآشوري الحديث للدلالة على المنتنبئ، والذي يعني حرفياً: (الصارخ أو المعلن). وقد ساد استخدام هذا المصطلح خلال القرن التاسع قبل الميلاد^(٤). ويلاحظ أن نصوص التنبؤ كانت قريبة من حيث الغرض الذي وجدت من أجله نصوص التنجيم، إلا أنها لا تعتمد على مراقبة الأجرام السماوية، بل إنها عبارة عن تنبؤات لبعض "الأشخاص" وغالباً ما كن من "النساء"

(1) Luckenbill, "The Annals of Sennacherib", in Oriental Institute Publications 2, The University of Chicago press, Chicago 1924, pp. 52, 1032.

(2) Teppo. Saana, Op. cit. pp. 71-72.

(٣) سليمان، عامر: "اللغة والكتابة"، ص ٣٦٧.

(٤) خضر حبش، معاذ: "أهمية التنبؤات في اتخاذ القرارات الحاسمة عند الآشوريين"، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد (٥٧)، جامعة الموصل ٢٠١٧م، ص ٢.

حول مستقبل الملك والدولة، فهم ظنوا بأن تلك التنبؤات موحى بها إليهم من قبل الآلهة كرسائل موجهة إلى الملك من خلالهم لاتخاذ الاحتياطات اللازمة بشأن ما قد يتنبأ به ذلك المتنبئ بحدوثه في المستقبل^(١). وكانت تلك التنبؤات يتم ايصالها بشكل عام بصوت عالٍ آنذاك. وعادةً ما كانت تُرسل أو توجه إلى جمهورٍ غفير من الناس أو الأفراد، إضافةً إلى ذلك فقد حظي هؤلاء المتنبئون بمكانةٍ مهمةٍ لدى الآشوريين حينها، وذلك نتيجة الدور المهم الذي اضطلع به المتنبئ في حياة الملك الآشوري خاصةً، وفي حياة الآشوريين عامةً، ويلاحظ أيضاً بأن العزلة والزهد كانتا دليلاً واضحاً وصورةً مثاليةً في حياة أولئك المتنبئين^(٢).

ب- المكانة الاجتماعية التي تمتع بها هؤلاء المنجمون ونشاطاتهم في القصر:

كان هؤلاء المنجمون، قد عُرفوا في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة منذ أقدم الأزمنة، وكانوا عندها ينقسمون إلى عدة فرقٍ تبعاً لمختلف أنواع الظواهر التي يمكن آنذاك ملاحظتها، وقد كانوا من الأهمية أن جعلت الناس يلجؤون إليهم لاستشارتهم في كل ما يتعلق بأمرهم من خاصةٍ وعامةٍ، كبناء بيت أو سفر أو زواج إلى غير ذلك. ولم يكن المنجم حينها يُمارس مهنته على صعيد المجتمع فقط، بل كثيراً ما كان يُقدم خبرته في العرافة إلى القصر، حيث كان الملك الآشوري يستشير معرفته الفأل في حالاتٍ مهمةٍ مثل القيام بحملةٍ عسكريةٍ أو عند إسناد ولاية العهد لأحد أبنائه، وأما طريقة حصول المنجم على هذه الوظيفة فكانت وراثيةً يتناقلها أفراد الأسرة الواحدة أباً عن جد، كذلك فقد كان لمن أراد أن يُمارس هذه المهنة أن يكون صحيح الجسم لأنه لا يجوز لمن كان به عاهة جسدية أن يقوم بها، وأما العلم الذي لديه فقد وصل إليه عن طريق (أنميدو - رنكي) سابع الملوك السابقين للطوفان الذي أقام صرح الكهانة، وكانت طرق هؤلاء المنجمين في التنجيم والعرافة مختلفة ومنها على سبيل المثال: كان المنجم يُفسر المستقبل عن طريق الرؤيا التي تأتيه إذا ما أمضى ليلةً في المعبد، بالإضافة إلى ذلك فقد كان رصدُ الأَهْلَة والكواكب وتعيين أيام السعد والنحس، وتحديد الأيام المناسبة للشروع في عملٍ ما، تُشكل جانباً مهماً من مهامه. كذلك كان أولئك المنجمون يتقاضون مبالغ ضخمة كأجرٍ لهم على قراءة المستقبل، ولكن كانت هذه الأموال تُقسم عادةً إلى سبعة أجزاء، يأخذ المنجم واحداً منها، ويذهب جزء آخر إلى مدير الشؤون المدنية، وأما الأجزاء الخمس الباقية فكانت تُعطى لحاكم المدينة^(٣).

(١) سليمان، عامر: "اللغة والكتابة"، ص ٣٦٧.

(٢) خضر حبش، معاذ: "أهمية التنبؤات في اتخاذ القرارات الحاسمة عند الآشوريين"، ص ٣.

(٣) معوشي، سامية: "مؤسسة المعبد ودورها في حضارة وادي الرافدين سومر وبابل نموذجاً"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر ٢٠١٠م، ص ١٦٣، ١٦٤.

٢- المنشدون (نرو/نورتو) (Nurtu/Naru):

يرد في نصوص الأرشيف الآشوري مصطلح (نرو) (Naru): وهو يُشير إلى مجموعة من موظفي القصر المُكلفين بأداء الأغاني المُفرحة على أنغام الموسيقى، وكان يُطلق على الذكور من هذه المجموعة لقب (نرو) (Naru)، والنساء (نورتو) (Nurtu) ومعناها: "عازفي الألحان السارة"، وكانوا يُذكرون إلى جانب طبقة (الكلو) أثناء مراسم الطقوس في المعابد، ولكن مراتبهم الاجتماعية كانت أدنى من هؤلاء.^(١)

٣- الطباخون:

ترد في نصوص الأرشيف الرسمي الآشوري إشاراتٍ لعددٍ كبيرٍ من المناصب الإدارية والتي كانت تتعلق بقضايا الطعام والشراب داخل القصر الملكي. وقد أمكننا تلك الإشارات من التعرف على:

أ- ((مُدرء المطبخ)): في القصر الملكي وكانت واجباتهم آنذاك تقتضي الإشراف على جميع المهن المتعلقة بأمور الطعام والشراب مثال على ذلك: (الطباخ الرئيسي).

ب- ((مُدرء الطعام)): اللذين كانت قد أوكلت إليهم مهمة الإشراف على أصنافٍ محددةٍ من الطعام، ومثال على ذلك: (مسؤولي الشراب) (النبذ).

ت- ((مُدرء الحبوب)): وأما هؤلاء فقد وقعت على كاهلهم مسؤولية تأمين وسائل خزن الحبوب ومنتجات الحبوب أيضاً.^(٢) وبهمنا هنا في هذه الدراسة التحدث عن أهم أولئك الموظفين أي:

- الطباخ الرئيسي (رب - نوخاتيمني) (rab nuhatimmi) والواجبات المُكلف بها:

تذكر نصوص الأرشيف الآشوري الطباخ الرئيسي للعائلة الملكية (rab nuhatimmi)، بأنه لم يكن نشيطاً عندها كطباخ حقيقي أو فعلي في مطبخ القصر، ولكنه كان بالأحرى قد عمل على تزويد أو تجهيز المراكز الحضرية الرئيسية بقطعان الماشية. بالإضافة إلى عمله كمندوب عن القسم المسؤول عن تسليم الطعام لأنواع مختلفة من اللحوم، حيث سيبقي الطباخ هذا الطعام محفوظاً لديه لحين تقديمه لعشاء الملك.^(٣)

كذلك كانت من واجبات الطباخ الرئيسي قبل كل شيء حصوله على الحيوانات الحية، حيث كان يحصل على قطعان الماشية والخراف من خلال طرقٍ عديدةٍ منها:

- توزيع عائدات الجزية بالقصر كما يرد في النص رقم (SAA 11 36 I 9-11) أو

(١) معوشي، سامية: "مؤسسة المعبد ودورها في حضارة وادي الرافدين سومر وبابل نموذجاً"، ص ١٦٧، ١٦٨.

(٢) Groß. Melanie, "Food and Drink for the Palace. The Management of Foodstuffs", in Neo- Assyrian times and beyond, University of Vienna, July 2013, p.3

(٣) Parpola. S , "The leftovers of God and King on the Distribution of Meat at the Assyrian and Achaemenid Imperial Courts", in C.Grottanelli -L.Milano (eds), Food and Identity in the Ancient World (History of the Ancient Near East, Studies 9), Padua 2004, p.294

- كدفعات ضريبية من الولايات والمقاطعات الآشورية.^(١)

وفيما يخص مصدر التزويد الأخير، فإنَّ الطَّبَّاحَ الرئيسي سيُكون مُرتبطاً مع (sibtu) حيثُ يُشير هذا المصطلح إلى (الضريبة على الحيوانات المحلية المحصول عليها من نسل الحيوانات التي كانت آنذاك تحت تصرفه). ونجد هذه الحالة في إحدى الوثائق الإدارية التي تحمل العنوان: (rēšāti and dariu, SAA 11 90)، وهي تتعامل مع مجموعة من الثيران والخراف والمقدمة لقسم (É) (غير مُسمَّى)، حيثُ الطَّبَّاحَ الرئيسي كان عندها مسؤولاً عن (١٤٠) من الثيران المقدمة للقرابين. وفي وثيقة إدارية أخرى (ND 2451:19) لدينا الطَّبَّاحَ الرئيسي ويدعى (Aššur-ašared)، قد تمَّ تزويدهُ بعدد (٧١) من الماشية الهرمة المدعوة بالصيغة التالية:

(BE, read Labīruormētu)، والتي وُصفت كضريبة (šibtu)، كما تذكر إحدى الوثائق أنَّ الطَّبَّاحَ الرئيسي كان مُرتبطاً مع الرعاة، حيثُ كان مسؤولاً عن ثلاثة رعاة في القصر.^(٢) وفيما يلي قائمة بالألقاب المهنية لهؤلاء الموظفين المُختصين بتنظيم الطعام والشراب داخل القصر الملكي الآشوري:

- (مُدرء المطبخ): ويتضمن هذا العنوان الموظفون:

- الطباخ الرئيسي (رَب - نوخاتيمني) (rab nuḪatimmi).

- الحلواني الرئيسي (رَب - كاركاديني) (rab karkadinni).

- الخباز الرئيسي (رَب - آبي) (rab āpie).

- صانع الخمر الرئيسي (رَب - سيراشي) (rab sirāšē).

- صانع الزيت الرئيسي (رَب - ساخيتي) (rab sāḪiti).

- (مُدرء الطعام): وأما هؤلاء فهم كانوا يشتملون على:

- سيد الزيت (رَب - شامني) (rab šamni).

- سيد الخمرة (رَب - كاراني) (rab karāni).

- سيد الفاكهة (رَب - زامري) (rab zamri).

- سيد التوابل (راب - راقوتي) (rab raqqūti).

- (مُدرء الحبوب): ومنهم:

- سيد المخزن أو رئيس المخازن (رَب - كارمي/رَب - كارماني) (rab karmi /rab

(karmāni).^(٣)

(1) Radner. K, "Provinz. C. Assyrien", in Reallexikon der Assyriologie 11/1-2, Helsinki 2006, pp.58-62.

(2) Groß. Melanie, op. cit, p.10.

(3) Ibid, pp. 3, 4.

ثامناً: نظام الاتصالات والبريد المعمول به في الدولة الآشورية:

١ - أهمية وجود نظام اتصالات دقيق ضمن الدولة الآشورية:

لقد شكّلت الاتصالات الجيدة آنذاك شريان الحياة الحقيقي في الدولة الآشورية الحديثة، إلا أنها ظلت أي الاتصالات من الأعمال الصعبة، وذلك بسبب تضاريس الدولة الآشورية الوعرة، واتساع رقعتها الجغرافية، الأمر الذي شكّل تحدي حقيقي للإدارة المركزية في مسألة إرسال الأوامر والتعليمات وتلقي واستلام التقارير من مختلف المدن والمقاطعات التابعة لها^(١).

وكان من أجل ضمان الاتصال الدائم والسريع بين الملك الآشوري وحكامه وموظفيه في الدول والممالك والمقاطعات والأقاليم والمدن التابعة، وللوقوف على ما يجري في أرجاء الإمبراطورية الآشورية، فقد أنشأ نظام للاتصالات والبريد متطور جداً^(٢)، حيث سبق نظام البريد المنسوب إلى الأخمينيين الفرس بعدة قرون، واستدلّ الباحثون على أن الفرس اقتبسوا نظام البريد من الآشوريين إبان غزوهم بلاد الرافدين بعد احتلالهم بابل عام ٥٣٩ ق.م. ولكنهم أدخلوا على هذا النظام بعض التعديلات والإضافات^(٣).

وأما بالنسبة لطرق الاتصال فكانت عبر الطرق التالية:

حيث نجد أن كلاً من نهريّ الفرات ودجلة لم يكونا صالحين للملاحة بسهولة، باستثناء العبور في المستويات المنخفضة عبر مدينة بابل، لذلك فالجيوش، والقوافل، والرُسل إما أن يسيروا بواسطة الأقدام على طول طرقهم البرية أو يقطعون طرقهم عبر الصحراء حيث يوجد هناك سلسلة من الوديان والواحات للتزود بالمياه.

وكان هناك أيضاً، طرقاً ملكية، والتي تبقى عندها في حالة صيانة جيدة باستمرار لكي يستخدمها مراسلو الملك. إضافةً لذلك كان لدى الآشوريين نظام أو شبكة من محطات التبديل حيث كانت الخيول الجديدة تظلّ في استعدادٍ دائمٍ لحمل هؤلاء المرسلين على طريقهم. ويبدو أن مهمة هؤلاء الرُسل تكون صعبةً وخطرةً أحياناً، كونها تُشكّل مجموعة من الفوائد والمنافع للعديد من الأشخاص على طول طريق ذلك المرسل والسبب وراء ذلك هو معرفة ما محتويات إرساليات المرسل وإمكانية إيقافه. وبالنسبة للمسافة التي كانت يقطعها هؤلاء الرُسل، فكان معروفاً آنذاك بأن الجيش أو تلك القوافل يمكن لها أن تنتقل وتقطع مسافةً ما بين (٢٥) كيلو متر أو (١٥) ميل في اليوم. حسب حجم وشكل التضاريس. إلا أن مجموعة صغيرة من الرُسل كان بإمكانها أن تنتقل بسرعةٍ شديدة.

(١) Grayson. A. Kirk, Op. cit, p. 965.

(٢) برستد، جيمس هنري: "انتصار الحضارة"، ترجمة: احمد فخري، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٥م، ص ٢١٩.

(٣) سلطان الياس، عبد العزيز: "عوامل أساسية أسهمت في نهضة الإمبراطورية الآشورية"، مجلة دراسات موصليّة، العدد (٢٩)، أيار، الموصل ٢٠١٠م، ص ٩٩.

وهكذا كانت الرسالة تُرسل بواسطة نظام محطات للبريد، المزودة بالخيول الجديدة بشكل كبير، حيث بالإمكان السفر من مدينة نينوى إلى الشرق في مسألة بضعة أيام، بموجب ظروف وشروط مثالية.^(١)

٢- الرُّسل:

لقد كان الاتصال بين الدول والممالك والمقاطعات والأقاليم والمدن المختلفة وبين العاصمة الآشورية يتم من خلال رُسل مُمتننين ومُحترفين وهم على عدّة أصناف، فالرسول في اللهجة الآشورية كان يُدعى (مارشبري) (mār šibri) الذي كان يُسافر على الطرق الملكية، حيث كانت تتوزع على الطرق محطات بريدية تكون تحت حراسة وحماية قوات حكومية دائمة، والطريق مُقسّم إلى محطات بريدية، والمسافة بين كل محطة بريدية وأخرى تُقدّر برحلة يوم واحد والتي تُسمّى (مرحلة)، حيث أعدت هذه المحطات البريدية لتحقيق جملة أمور، منها:

أ- استراحة الرُّسل ومبيتهم.

ب- التزوّد بالماء والغذاء

ت- راحة حيواناتهم وتغذيتها أو تبديلها.

ومن أصناف الرُّسل:

- الراكض:

وربما كان يُستخدم لاجتياز المناطق الجبلية الوعرة وعود الأنهار.

- الراكب:

وهو الرسول الذي كان يمتطي وسيلة ركوب كالخيل أو العربات التي تجرّها الخيول.^(٢)

٣- الرسائل:

كانت تلك الرسائل المكتشفة إمّا مكتوبةً بالخط المسماري على الألواح الطينية، والتي كانت صغيرة نسبياً لملائمة سفرٍ سريع. أو مكتوبةً باللغة الآرامية على اللفائف، وعلى الرغم من أنه لم يبق منها شيئاً إلى اليوم، إلا أنه هناك أحياناً إشارات لها في الألواح المسمارية. كذلك نجد بأنّ الكتاب حينها قاموا بدورٍ مؤثّرٍ كبير، لكون كلاً من كاتب الرسالة ومُستلمها اعتمدا على هذه المجموعة المُتقنة الخاصة لإرسال رسائلهم بشكل صحيح.^(٣)

وكانت تتضمن تلك الرسائل الأوامر والتبليغات والأخبار عن الأحداث والأمور التي جرت أو التي كانت ستجري في العاصمة من جهة والدول والممالك والمقاطعات والأقاليم من جهة أخرى، وكان هناك نوعين من الرسائل وهما:

(1) Grayson. A. Kirk, Op. cit. p. 966.

(2) الياس سلطان، عبد العزيز: "عوامل أساسية أسهمت في نهضة الإمبراطورية الآشورية"، ص ٩٩.

(3) Grayson. A. Kirk, Op. cit, p. 966.

أ- الرسائل المختومة:

وهي الرسائل المكتوبة على لوح من الطين ومختومة بختم المرسل سواء أكانت تلك الرسالة من الملك إلى حكام الدول والممالك والمقاطعات والأقاليم التابعة والمالية أو كانت من أحد هؤلاء الحكام إلى الملك.

ب- الرسائل السرية:

وهي الرسائل الشفوية التي كانت تُحفظ عن ظهر قلب من قبل الرسل ضماناً لسريتها وذلك لأهميتها، خوفاً من وقوع الوثيقة المكتوبة بأيدي الأعداء أو فقدانها.^(١)

٤- آلية عمل نظام الاتصالات في الحملات العسكرية الآشورية:

كانت سرعة الحركة طبعاً عنصراً فعالاً في الحروب الناجحة التي خاضتها الدولة الآشورية، كذلك كانت المناطق والمدن التي تقع خارج منطقة بلاد الرافدين كثيرة العقبات والتي تعيق حركة التقدم أيضاً، مثلاً الجبال الوعرة، الأراضي الصخرية أو الصحراء الواسعة، بينما هناك في السهول يجري نهرا الفرات ودجلة وروافدهما المتعددة، وهي عقبات تؤخر تحركات الجيش الآشوري.^(٢) ومن خلال النصوص والرسائل الآشورية يتبين لنا بأن الملك الآشوري لم يُصاحب جيشه دوماً في حملاته، إلا أنه كان دوماً على علم بما يجري من العمليات العسكرية، ونحن نعلم ذلك من المراسلات المتعددة التي كانت تجري والتقارير، حيث كان الضباط في ميدان المعركة يرسلونها إلى الملك ويُعلمونه بالنشاطات التي كان الجيش يقوم بها ككل، أو إخبار الوحدات العسكرية المختلفة. وكان الملك بدوره يرسل التعليمات إلى القادة العسكريين والتي تشمل في بعض الحالات تعليماته حول المفاوضات مع الدول الأجنبية في المنطقة، وقد أصبح هذا الاتصال الجيد بين العاصمة والجنود الذين فيما وراء الحدود الآشورية ممكناً. وذلك بسبب وجود نظام المواصلات الفعال. وقد اشتمل نظام المواصلات الآشوري على نظام مخابرات عسكري، وقد وردتنا معلومات مستفيضة حول هذا النظام من الحدود الشمالية الشرقية حيث كانت آشور تواجه مملكة أورارتو^(٣) في أرمينيا. ولقد زدتنا الرسائل المُرسلة من الضباط الآشوريين في تلك الجبهة بكثير من المعلومات حول استخدام الجواسيس للحصول على المعلومات حول المراكز الأورارتية ونواياهم.^(٤) وكان تلك المجموعة من الكشافين (الجواسيس) مكلفة عندها بعمليات استطلاع حالة العدو وتحركاته وقوة جيشه وخطته، ويُختار لهذه المهمة العسكرية آنذاك

(١) الياس سلطان، عبد العزيز: "عوامل أساسية أسهمت في نهضة الإمبراطورية الآشورية"، ص ٩٩، ١٠٠.

(٢) ساكز، هاري: "عظمة آشور"، ص ٣٨٣.

(٣) (مملكة أورارتو): وهي دولة ظهرت كمنافسة قوية للدولة الآشورية الحديثة، وقد تركزت في المنطقة الواقعة حول بحيرة وان أي شمال شرق بلاد آشور فيما يعرف حالياً بدولة "أرمينيا"، واستغرقت مدة ازدهارها من عام ٩٠٠-٦٠٠ ق.م. أنظر: أوبنهايم، ليو: "بلاد ما بين النهرين"، ص ٥١١.

(٤) ساكز، هاري: "عظمة آشور"، ص ٣٨٥.

مجموعة من الجند الشجعان وذوي الخبرة والممارسة. وكان الشخص الذي يقوم بهذا الواجب يُطلق عليه اللقب الأكدي (دَيَالُو) (dyalu)، ولهذه المجموعة رئيس يُعرف باسم (رَب - دَيَالُو) (rab-dayali) والذي ربما يُقابل في وقتنا الحاضر منصب (رئيس الاستخبارات العسكرية)^(١). كما كانت هذه المجموعة من الجند على اتصال دائم بقوات الجيش لتلقي الأوامر والتعليمات منهم مباشرةً والإيعاز بتنفيذها دون تأخير، ومهمتهم هي جمع المعلومات من حُكَّام المقاطعات الحدودية والحلفاء والتجار والمراسلين والدبلوماسيين ومن المارة وغيرهم، وكانوا ينتقلون من منطقة لأخرى ويتوزعون على الطرق والمرتفعات والمسالك والممرات الجبلية وغيرها، ومن واجباتهم أيضاً مُرافقة الجيش كأدلاء ليدلّوهم على الطرق، فضلاً عن قيامهم بحراسة الطرق والمنافذ الأخرى. وقد ورد ذكر الجنود الأدلاء والعيون في الكثير من كتابات الملوك الآشوريين في العصر الحديث، نكتطف بعض العبارات التي وردت في كتابات الملك الآشوري (آشور ناصر بال الثاني) (٨٨٤-٨٥٨ ق.م) حيث يقول:

"كنتُ أنتقلُ من مدينةٍ لأخرى وأقضي في كل مدينة ما بين يوم أو ليلة ثم أستأنفُ السير بعد التأكد من سلامة الطريق"^(٢). وهذا يعني أنه كان يأمر بإرسال العيون والعسس للاستطلاع قبل أن يغادر المنطقة، والسبب في ذلك يعود إلى طبيعة الأراضي التي كان يمرُّ بها الجيش، فالأراضي الجبلية أحياناً كانت تحجب الرؤية، فضلاً عن كثرة الوديان العميقة والمسالك الضيقة التي تتخللها، كل ذلك كان يستوجب إرسال رجال الاستخبارات والعيون للاستطلاع حينها.

ومن الواجبات المهمة المُلقاة على عاتق هذا الصنف أيضاً، هو كشف الكمائن والدوريات وتعقبها، ومواقع العدو وتقدير قوته واقتفاء آثاره وتحركاته. وكان صنف الاستخبارات العسكرية يعمل بصورة متواصلة وبسرية ويقظة وحذر، ومن المرجح أنهم كانوا ينقلون الأخبار إلى الوحدات العسكرية أو إلى قائد الوحدة أو إلى رئيس الاستخبارات، ليقوم بدوره بإخبار الملك بذلك. فالملك الآشوري سرجون الثاني (٧٢١-٧٠٥ ق.م)، كان له شخص خاص يرتبط به مباشرةً يدعى (آشور - ريشو) (Aššur-rešu) كان يزود الملك عندها بجميع الأخبار والمعلومات عن حُكَّام المقاطعات والولايات التابعة له، وعن الخطط العسكرية للجيش المعادية وقطعات الجيش من حيث النوع والكم، وذلك لدرء الأخطار قبل وقوعها وضرب العصاة داخل الدولة الآشورية وخارجها.^(٣) وقد تم استخدام هذا الصنف بكثرة في حالة السلم والحرب، ويُعتقد أنه كانت هناك إشارات معينة أو (كلمة سر) تُستخدم بينهم وبين مسؤوليهم لفهم مضمون الأخبار، فبعضهم كان يحمل الرسائل السرية الخاصة، أو ما نسميه اليوم

(١) عبد الله، يوسف الخلف: "الجيش والسلاح في العصر الآشوري الحديث"، رسالة ماجستير منشورة، بغداد ١٩٧٧م، ص ٢٨٢-٢٨٥.

(١) Grayson, A. K, "Assyrian Royal Inscriptions", Vol. II, W. Germany, 1976, pp129.

(٣) خليل إسماعيل، بهيجة: "الجيش في العصر الآشوري"، موسوعة الموصل الحضارية، ج ١، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ط ١، ١٩٩١م، ص ٢٨٧، ٢٨٨.

(سري وشخصي)، سواء التي يبعثها الملك أو التي يتسلمها من الملوك والحكام والمسؤولين، وقد ورد ذكر لمثل هذه الرسائل بالمصطلح الأكدي (طوبوم - شا - طوبي - نيسيرتيم) (tuppušša ša tuppi niširtim)، ومن خلال دراسة بعض النصوص المسمارية الخاصة بالملوك، فقد اتضح لنا أن الملوك الآشوريين كانوا حريصين أشد الحرص على توفير الأمن لقطعاتهم العسكرية، وذلك من خلال إحاطة حركتها بالكتمان والعمل على حجب حقيقة توجهاتها عن الأعداء، كما كانوا يقومون بجمع أكبر المعلومات الممكنة عن الأعداء، لكي تساعد المعلومات على تجنب المخاطر ورسم أدق الخطط العسكرية، ولا عجب في ذلك إذ إن السلطة الآشورية كان هدفها إشاعة الأمن والقضاء على الفتن والمؤامرات في أرجاء الدولة المترامية الأطراف التي كانت قد أهدقت بها الأخطار والتحديات من كل جانب.^(١) ولدينا هنا الرسالة المنشورة في الأرشيف الرسمي الآشوري رقم: (SAA V 87) والتي تذكر قيام بعض الضباط بإرسال تقاريرهم إلى الملك، حول تحركات الجنود الأورارتيين مع إيراد التفاصيل عن الأعداء والطرق والوجهات المقصودة. حيث تذكر هذه الرسالة خمسة من الحكام الأورارتيين ذكرت أسماؤهم قد جمعوا عساكرهم في مدينة معينة، وكان من الواضح أنهم يستعدون للقيام بحملة. فالمرسل هنا (Aššur-rešuwa) المندوب الملكي في مدينة (كوماجين) (Kummagene)، إلى الملك والتي تتعلق بتركيز وتحشيد قوات أورارتو في مدينة (Waisi):

"إلى الملك، سيدي: خادمك (آشور - ريسوا) (Aššur-rešuwa). الصحة الجيدة للملك، [سيدي]! [خمس] حكام من [أورارتو] اقتحموا (Waisi): (سيتينو) (Setinu)، الحاكم المعارض لنا، (كاقادانو) (Kaqqadanu) أحد المعارضين في (Ukkeans)، (ساكواتا) (Sakuatâ) حاكم (قانيون) (Qaniun)، (سيب ليا) (Sipliâ) حاكم (Alzi)، (توكي) (Tuki) حاكم (أيميراليو) (Aemiraliu): هذه هي أسماؤهم. هم اقتحموا (Waisi) مع ثلاثة من قادة وحدات الجيش، الآن، وبعد وصولهم، هم جمعوا رسوم وضرائب من البلاد، وأبقوا الجيش في الاستعداد. انتقل الملك الأورارتي من (Turušpâ) وغادر إلى (وازون) (Wazaun). وبالنسبة إلى الملك سيدي، كتب لي: "أرسل الكشافين أنا أرسلتهم مرتين: المجموعة الأولى عادت وأخبرتني بهذه الأشياء، والآخر لم يعودوا من أرض العدو لغاية الآن".^(٢)

إن هذا السياق لا يدع مجالاً للشك بأن رجال (ديالو) كانوا كشافين أرسلوا للحصول على المعلومات، وللحصول على مثل هذه المعلومات كأسماء الحكام المجتمعين في أراضي العدو، كان ينبغي على هؤلاء الكشافين أي (ديالو) أن يكونوا قد أجروا اتصالاتهم مع جماعات من أهالي البلد

(١) عبد الله، يوسف الخلف: "الجيش والسلاح في العصر الآشوري الحديث"، ص ٦٠-٦٧.

(٢) K.Kesser, "Royal Roads and other questions of the Neo-Assyrian Communication system", in S.Parpola and R.M.Whiting (Hrsg), Assyria 1995.proceedings of the 10th Anniversary Symposium of the Neo-Assyria Texts corpus project, Helsinki: Helsinki University press, 1997, 129-136.

وداخل أراضي العدو، وذلك إما بالحصول على الأسرى واستجوابهم، أو عن طريق الدفع للجواسيس.^(١) حيث نرى بأن نظام "الاتصال الكفاء" كان ذو دورٍ فعّالٍ في ذلك الوقت إذ إنّ المعلومات كان يتم نقلها بأسلوبٍ وطريقةٍ سريعةٍ ومناسبةٍ. وفي الختام يلفتُ انتباهنا مسألةٌ مهمةٌ ومُسلِّماً بها فيما أنّ التنظيم السياسي ملازم لوجود المجتمع البشري فمن الطبيعي أن يُفكّرَ الملك بتطوير هذا النظام ليكون قادراً على تحقيق الغايات التي نشأ من أجلها، أي بالمعنى الواسع تلبية طموحات المجتمع في مختلف مراحل تطوره. إضافةً إلى ذلك فقد كانت التقارير المرفوعة من قبل الموظفين تصلُ إلى الملك مباشرةً، مما يشير إلى مركزية الدولة الآشورية، فمن خلال هذه التقارير استطعنا أن نلّمَ إماماً واسعاً بأسلوب سياسة الدولة تجاه المقاطعات الآشورية، فهي تبين بصورة عامة أهم المواضيع عن المُستجدات التي تحصل في مقاطعاتهم، كما يفهم من خلال بعض الرسائل تحديد وظيفة الموظف ودرجته وعليه فالتركيبية الإدارية الآشورية المُنفّذة للسياسة العامة تكون بالحقيقة ذات مكانةٍ و ذلك لدورها في تسيير أمور الدولة، وتعتبر المُساعد الرئيسي لشخصية الملك. ولو نظرنا إلى هؤلاء الموظفين الكبار لرأيناهم يمثلون الهيئة الاستشارية المُنفّذة لسياسة الملك في إدارة الدولة الآشورية، وبنفس الوقت يلاحظ بأنه عدا هؤلاء الموظفين وباستثناء التورتانو لم يكن أي واحد منهم يؤدي وظيفة مُتخصصة واضحة.

(١) ساكز، هاري: "عظمة آشور"، ص ٣٨٦.

الخاتمة:

تبين لنا من خلال استعراض محاور هذه الدراسة والتي تناولت مختلف جوانب نظام الحكم والإدارة في الدولة الآشورية الحديثة التي عاشها المجتمع الآشوري، خلال الألف الأول قبل الميلاد النتائج الآتية:

- ١- كان للموقع الجغرافي لبلاد آشور أثرٌ كبيرٌ ومهم في تاريخها من خلال جعلها منطقةً مفتوحةً ومُهددةً باستمرارٍ من مختلف الجبهات، الأمر الذي دفع بالآشوريين إلى الاهتمام والتركيز على الجانب العسكري خاصةً بعد أن خضعت بلاد آشور ولحقةٍ ليست بالقصيرة للاحتلال الميتاني، لذا كان لا بُدَّ من تأمين حدود الدولة الآشورية الحديثة ضدَّ الأخطار الخارجية.
- ٢- كان للعوامل التي ظهرت إبان مطلع الألف قبل الميلاد دوراً هاماً في صعود الدولة الشورية الحديثة كإمبراطورية قوية يُحسب لها حساب في المنطقة آنذاك، حيث أدى سقوط المملكة الحثية عام ١٢٠٠ ق.م، وأما عن الخطر الآرامي الذي هدد مراراً وتكراراً حدود الدولة الآشورية بهجماته المتكررة، نجده قد اتخذ طابعاً آخرًا نتيجة لتبلور الدويلات الآرامية في سوريا وتأسيسها كيانات ثابتة مما سهل على الملوك الآشوريين مهاجمتها وضربها منفردةً، كذلك ضُعفت بعض الدول ومنها الدولة البابلية في الجنوب وكذلك الدولة المصرية القديمة في الغرب. فضلاً عن ذلك فإنَّ خطر دولة أورارتو في الشمال والميديين والفرس في الجنوب الشرقي لم يكن كبيراً ومؤثراً لأنهم لم يظهروا ككيانات سياسية في المنطقة لها حساباتها السياسية والعسكرية حينها، وهنا نجد بأنَّ ضعف الدول والممالك المحيطة بالدولة الآشورية الحديثة كان أحد العوامل المهمة التي أسهمت في ظهور الدولة الآشورية كقوة سياسية وعسكرية ذات شأن.
- ٣- يعد النظام الملكي في الدولة الآشورية الحديثة نظاماً ملكياً وراثياً، حيث إنَّ الملك يمثل الدولة نفسها، وببديه تركزت كافة السلطات الدنيوية، فهو نائب الآلهة في الأرض والقائد الأعلى للجيش الآشوري وببديه جميع السلطات، وكان الآشوريون تابعين له ويأتمرون بأمره وينفذون السياسية التي يضع أسسها ملكهم، ومع ذلك فإنَّ سلطة الملك كانت مُقيَّدة بإرادة الآلهة ومستمدة منها وتُنقل إلى الملك عن طريق الكهنة.
- ٤- ومِمَّا تجدرُ إليه الملاحظة هو ابتعاد الملوك الآشوريين عن تأليه أنفسهم رغم المكانة الكبيرة التي وصلت إليها الدولة في عهد أقوى ملوكهم، واكتفائهم بألقاب بعض صفات الآلهة مثل: (ملك آشور، ملك الجهات الأربع، ملك العالم، الراعي، المحب للعدل والحق). كما أضافوا القدسية لحكمهم باعتباره مُستمدةً من الآلهة.
- ٥- تركزت واجبات الملوك الآشوريين في عدة أمور منها، العمل على تثبيت سلطان الدولة الآشورية، والقيام بحملات عسكرية على مختلف الجبهات لمجابهة الأخطار المحيطة بدولتهم،

وكذلك لمد نفوذ دولتهم وسيطرتها على الأقاليم المجاورة، معتمدين بذلك على قوة وعزم الفرد الآشوري وصلابته فضلاً عن طاعته لأوامر ملكه والتزامه بها باعتبارها واجبة التنفيذ، ومن ثم فإن تثبيت سلطان الدولة يعد واحداً من الأمور التي تدل على طاعة الآلهة وبذلك سيحظى الملك برضاها ومباركتها لأعماله. كذلك لا يمكن إغفال دور الملوك الآشوريين في إدارة الدولة وذلك عن طريق تنظيم وتطوير الجهاز الإداري المركزي للدولة فضلاً عن تنظيم الحملات العسكرية والاهتمام بالجيش أيضاً.

٦- يجب التأكيد على دور الملوك الآشوريين في عملية إدارة الدولة وذلك عن طريق تنظيم الحملات العسكرية والاهتمام بالجيش وتنوع صفوفه وتحديث أسلحته، ولاسيما بعد انتشار استخدام معدن الحديد في الشرق الأدنى القديم.

٧- كان ولي العهد يساهم مساهمة فعالة في رسم وتنفيذ سياسة الدولة على المستويين الداخلي والخارجي هذا بالإضافة إلى أنه في كثير من الأحيان ينوب عن الملك في حكم الدولة.

٨- شكل القصر الملكي البوابة المركزية للبلاد من حيث إصدار الأوامر والتعليمات إلى أنحاء الدولة الآشورية الحديثة كافة، فقد كانت تجري في أروقة القصر الاجتماعات الملكية للقادة العسكريين والإداريين لغرض تسيير شؤون المملكة، من أجل أمر عسكري لقيادة الحملات العسكرية، أو لغرض تنصيب حاكم مقاطعة أو غيرها من الأمور الأخرى.

٩- يعد الملك باعتباره رأس السلطة المركزية والتي يُدير شؤونها من قصره في العاصمة يعاونه جهاز إداري كفاء يوزع عليهم الواجبات التي يُراد تنفيذها كما أنه بنفس الوقت يمنحهم الألقاب الوظيفية ولا يشترط أن تكون هذه الألقاب التي يحملها هؤلاء الموظفون متطابقة مع طبيعة عملهم على الدوام لأن الواجبات لم تكن محددة بشكل ثابت.

١٠- لقد تمكن الآشوريون عن طريق إنشاءهم نظاماً إدارياً كفواً من إدارة أقاليم الدولة المتعددة وربطها بالسلطة المركزية، كما استخدموا عدة أساليب في إدارة تلك المدن والمقاطعات التابعة لهم، فقد تراوحت ما بين الدبلوماسية كعقد المعاهدات التي كثيراً ما كانت توثق بالزواج السياسي ما بين الملوك أو استخدام القوة العسكرية كقتل الحاكم المتمرد ومعاقبة من ساعده في ذلك وتهجير السكان وغيرها.

١١- كانت الدولة الآشورية الحديثة تدين في كثير من نجاحاتها إلى نظامها الإداري الجيد الذي فاق أسلافها من البابليين وحتى المصريين أيضاً في تنظيم البلاد إدارياً. فسُنوا الأنظمة المتقنة للبلدان التي فتحوها وحفظوا النظام وضبطوها بإحكام بحكومة مركزية تشرف على أوسع دولة عرفها الشرق الأدنى القديم، فالأقاليم أديرت وفق مبادئ مقبولة من لدن عامة الناس سواء أكانت

دانية أم قاصية، وهذا الشيء قد رُسم وفق نظم استراتيجية ثابتة اعتمدتها الحكومة الآشورية من خلال ضم المقاطعات والاحتفاظ بها.

١٢- كان الجهاز الإداري هو المُنَفَّذ الحقيقي للسياسة الداخلية التي اتجهت نحو الإصلاح الإداري الذي تَبَيَّنَت السياسة، ويضاف إلى هؤلاء الموظفين الإداريين وجود حُكَّام ينتمون إلى عائلات من الطبقة العليا في المجتمع وبعضهم كانوا أمراء ملكيون.

١٣- أولى الملوك الآشوريون اهتماماً كبيراً في عملية اختيارهم للموظفين الكفوئين الذين ساهموا بإدارة البلاد، وتنفيذ سياستها الداخلية على أكمل وجه. كما أنهم منحوا الثقة المطلقة من قبل الملك نتيجة اخلاصهم للدولة والعرش على حدٍ سواء، كذلك فقد شكلوا بنفس الوقت ركائز الدولة الآشورية والتي تمثل التطور السياسي لنظام الحكم في بلاد وادي الرافدين، والذي انصهرت فيه صفات ذات أصل سومري وأكدي طَبَّقَت بلاد آشور حيث أصبحت من خلاله الدولة الآشورية تمثل الصرح السياسي الكبير لبلاد وادي الرافدين، والذي تميز بالكفاءة والنضوج وهذا بدون شك عامل مساعد على نمو قوة الدولة الآشورية وضبط أمنها الداخلي.

١٤- لم تكن وظائف الجهاز الإداري العليا و الذي يُمارس تنفيذ السياسة الداخلية للدولة تتطابق وممارسات واجباتهم، ولم تكن ثابتة أيضاً في نفس الوقت، بل كانت هناك مرونة بتحديد المسؤوليات الوظيفية. كذلك لم تكن الوظائف الإدارية العليا بالحقيقة وراثية، بل تخضع بشكل مباشر إلى المراسيم الصادرة من الملك بإشغال مثل تلك الوظائف العليا، وهذه الوظائف تجمع ما بين الواجبات المدنية والعسكرية بنفس الوقت وتخضع بصورة مباشرة إلى الملك فهو المسؤول الأول عنهم، وخير مثال نسوقه هو أن حاكم منطقة القطر البحري كان يرتجف خوفاً من الملك الآشوري آشور بانيبال عندما وصلته أخبار لم تكن بصالحه.

١٥- كانت السياسة المركزية الآشورية التي انتهجها ملوك آشور في إدارة شؤون دولتهم أعطت بدون شك حرية كاملة لحكام المقاطعات ورؤساء المدن (المحافظون) في التصرف وتنفيذ السياسة العامة وإدارة مرافق وحداتهم الإدارية، هذا إلى جانب ما امتازت به الدولة الآشورية بكونها ملكية وراثية، يختار فيه الملك الآشوري ولي عهده في أثناء حياته من بين أبنائه ويعلن البيعة والولاء له، على كل أفراد العائلة الملكية وعلى جميع حُكَّام المقاطعات وكبار رجال الدولة.

١٦- كانت السلطة السياسية في الواقع مطلقة بيد الملك فهو غير مسؤول لأحدٍ إلا للآلهة ولكن فعلياً لم يكن يستطيع أن يُمارس سلطته هذه إلا بدعم وإسناد من قبل مجموعة من الموظفين الذين يختارهم الملك بنفسه معتمداً على ولائهم للدولة وله شخصياً، هذا بالإضافة إلى ما يتمتعون به من حنكة ومقدرة على تصريف الأمور، لأنه ما من شكٍ فإن أي نظام مفكك يؤدي إلى تراخٍ في السياسة الداخلية وهذا ينعكس بطبيعة الحال على وحدة الدولة والإخلال بإدارة مرافقها بشكل طبيعي، لذلك فإن

- سيادة القانون واستتباب الأمن قد سهل إدارة الكثير من الأقاليم والدول الخاضعة للدولة الآشورية. وأعطت مردوداً إيجابياً سواء أكان على المستوى السياسي أم الاقتصادي.
- ١٧- استطاعت الدولة الآشورية أن تحكم أكثر بلدان الشرق الأدنى القديم بصورة منظمة، وهذا أيضاً مُتأتى من امتلاكها جهازاً إدارياً كفاء، وإن كان يغلب على هذا الجهاز الطبيعة العسكرية التي اتخذتها الدولة والتي كانت بنفس الوقت قد أبرزت بشكل واضح الأهمية الاجتماعية للفئة العسكرية التي تتمثل بالقيادات العسكريين وحُكَّام المقاطعات، الذين يشكلون بنفس الوقت الجهاز الحكومي المنفذ لسياسة الملك ورغباته التي هي بالأساس رغبات الإله آشور، ويتجلى دور السلطة السياسية التي انبثقت عن المجتمع وانفصلت عنه، نراها تضع نفسها فوقه لتمارس من هناك أعمالها في إصدار الأوامر وضمان الطاعة، وذلك عن طريق مؤسسات متخصصة ترتبط ارتباطاً وثيقاً ومقروناً بشخصية الملك ليصبح بالإمكان توارثها، فكان الملك على رأس السلطة الإدارية وكانت تدفعه أسباب اضطرارية مختلفة نحو المركزية من أجل تقوية وحدة الدولة التي يسيطر عليها، ولا تتحقق هذه الرغبات إلا إذا استطاع أن يكسب ود الجميع ويفرض طاعته عليهم.
- ١٨- وأخيراً ما من شك أيضاً في أن النظام الآشوري كان أوسع نظاماً إدارياً شهده العالم القديم، حيث كانت الدولة الآشورية تتمتع بقسطٍ وافر من الحرية فقد احتفظت مدنها الكبرى بحظٍ موفور من الحكم الذاتي كما احتفظ كل إقليم من أقاليم الدولة بدينه الخاص ولغته المحلية.

قائمة المراجع العربية والمُعَرَّبة:

١. إبراهيم، نجيب ميخائيل: "مصر والشرق الأدنى القديم - وادي الرافدين - بلاد الحثيين - فارس"، دار المعارف، ط٤، القاهرة ١٩٦٣م.
٢. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: "لسان العرب"، مج٢، دار صادر، بيروت ١٩٥٦م.
٣. إسماعيل، شعلان كامل: "الحياة اليومية في البلاط الملكي الآشوري خلال العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م)"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل ١٩٩٩م.
٤. إسماعيل، شعلان كامل: أصول لياقة العمل الدبلوماسية "الإتيكيت الدبلوماسي" خلال العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م)، مجلة دراسات موصلية، العدد: (٣٥)، جامعة الموصل ٢٠١٢م.
٥. إسماعيل، عارف احمد: "العلاقات بين العراق وشبه الجزيرة العربية منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد وحتى منتصف الألف الأول قبل الميلاد"، مركز عبادي للدراسات والنشر، ط١، صنعاء ١٩٩٨م.
٦. ايمار، أندريه، أبوايه، جانين: "موسوعة تاريخ الحضارات العام"، الشرق واليونان القديمة" مج١، ترجمة: فريد. م. داغر، وفؤاد. ج. أبوريحان، إشراف: مورييس كروزيه، منشورات عويدات، ط٢، بيروت ١٩٨٦م.
٧. أبو الصوف، بهنام: "دور التنقيبات الأثرية في الكشف عن حضارة العراق القديم"، "موسوعة حضارة العراق"، ج١، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨٥م.
٨. أحمد، علي ياسين: "القبائل العربية في بلاد بابل خلال الألف الأول قبل الميلاد"، وقائع ندوة الوطن العربي النواة والامتدادات عبر التاريخ، بغداد ٢٠٠٠م.
٩. أوينهايم، ليو: "بلاد ما بين النهرين"، ترجمة: سعدي فيضي عبد الرزاق، دار الرشيد للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨١م.
١٠. أوتس، جون: "بابل تاريخ مصور"، ترجمة: سمير عبد الرحيم، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد ١٩٩٠.
١١. الأحمد، سامي سعيد: "العصر البابلي القديم"، موسوعة العراق في التاريخ، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد ١٩٨٣م.
١٢. الأحمد، سامي سعيد: "الإدارة ونظام الحكم"، موسوعة حضارة العراق ج٢، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨٥م.

١٣. الأحمّد، سامي سعيد: "المدن الملكية والعسكرية"، المدينة والحياة المدنية، ج ١، بغداد ١٩٨٨م.
١٤. الأحمّد، سامي سعيد، وأحمّد، جمال رشيد: "تاريخ الشرق القديم"، بغداد ١٩٨٨.
١٥. الأحمّد، سامي سعيد: "المعتقدات الدينية في العراق القديم"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٨م.
١٦. الأحمّد، سامي سعيد: "التجارة"، "موسوعة الموصل الحضارية"، ج ١، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ط ١، ١٩٩١م.
١٧. باقر، طه وآخرون: "تاريخ العراق القديم"، ج ١، جامعة صلاح الدين، الموصل ١٩٨١م.
١٨. باقر، طه: "مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة"، ج ١، دار الورق للطباعة والنشر، ط ١، بيروت ٢٠٠٩م.
١٩. بارو، أندريه: "بلاد آشور"، ترجمة: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، دار الرشيد، بغداد ١٩٨٠م.
٢٠. بابك، أي رويستن: "قصة الآثار الآشورية"، ترجمة: يوسف داود عبد القادر، مراجعة: لطفي الخوري، مطبعة أسعد، بغداد ١٩٧٢م.
٢١. برستد، جيمس هنري: "انتصار الحضارة"، ترجمة: احمد فخري، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٥م.
٢٢. بشور، أمل مخائيل: "تاريخ الإمبراطوريات السامية في بابل وآشور"، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس لبنان ٢٠٠٨م.
٢٣. بصمه جي، فرج: "كنوز المتحف العراقي"، دار الكتب والوثائق الوطنية، بغداد ١٩٧٢م.
٢٤. برنكمان، جي، أي: "علم تأريخ وتقويم العصر التاريخي لبلاد ما بين النهرين، بلاد ما بين النهرين"، ترجمة: سعدي فيضي عبد الرزاق، بغداد ١٩٨١م.
٢٥. بوستغيت، نيكولاس: "حضارة العراق وآثاره"، ترجمة: سعيد عبد الرحيم الجلي، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد ١٩٩١م.
٢٦. بوتيرو، جان، إدوارد، أوتو، فالكنشتاين، آدام، فيركوتر، جان: "الشرق الأدنى الحضارات المبكرة"، ترجمة: عامر سليمان، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل ١٩٨٦م.
٢٧. بوتيرو، جان: "بلاد الرافدين الكتابة - العقل - الآلهة"، ترجمة: الأب البير ابونا، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ١، بغداد ١٩٩٠م.

٢٨. الجادر، وليد، والعزاوي، ضياء: "الملابس والحلي عند الآشوريين"، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد ١٩٧٠م.
٢٩. الجبوري، علي ياسين: "الإدارة"، موسوعة الموصل الحضارية، ج ١، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ط ١، ١٩٩١م.
٣٠. الجبوري، علي ياسين: "المؤامرات والثورات ضد الدولة الآشورية"، مجلة آثار الرافدين، مج ٢، كلية الآثار، جامعة الموصل ٢٠١٣م.
٣١. الجميلي، عامر عبد الله: "الكاتب في بلاد الرافدين القديمة"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ٢٠٠٥م.
٣٢. الجنابي، صلاح حميد، وسعدي، علي غالب: "جغرافية العراق الإقليمية"، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل ١٩٩٢م.
٣٣. حبيب الشمري، طالب منعم: "القضاء والتنظيم القضائي في الحضارة العراقية القديمة"، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، المجلد ١، العدد ١، ٢٠٠٧م.
٣٤. حتي، فيليب: "تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين"، ج ١، ترجمة: جورج حداد وعبد المنعم رافق دار الثقافة، بيروت ١٩٥٨م.
٣٥. حسين، ياسر هاشم: "حملة الملك الآشوري تجلات بلاصر الأول ١١١٥-١٠٧٧ ق.م على إقليم المشكو، الأسباب والنتائج"، مجلة التربية والعلم، مجلد ١٢، العدد: ٣، الموصل ٢٠٠٥م.
٣٦. حمزة الطائي، محمد: "أهم شارات الملكية في العراق القديم"، مجلة آداب الرافدين، العدد: (٥٠)، جامعة الموصل ٢٠٠٨م.
٣٧. حنون، نائل: "المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة، دراسة عن الشعائر والعمارة في النصوص المسمارية والآثار" "المدافن وشعائرها ج ١"، دمشق ٢٠٠٦م.
٣٨. الحاج يونس، ريا محسن عبد الرزاق: "فجر الحضارة السومرية في ضوء أختام عصري الوركاء وجمدة نصر"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد ١٩٩٨م.
٣٩. الحديدي، أحمد زيدان: "السياسة الآشورية تجاه ملوك الشرق الأدنى القديم (٩١١-٦١٢ ق.م)"، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد (٦٢)، جامعة الموصل ٢٠١٧م.
٤٠. خصباك، شاكر: "العراق الشمالي، دراسة لنواحيه الطبيعية والبشرية"، مطبعة شفيق، ط ١، بغداد ١٩٧٣م.
٤١. خضر العبادي، معاذ حبش: "الحوليات الملكية في العصر الآشوري الحديث دراسة تحليلية"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل ٢٠٠٦م.

٤٢. خضر العبادي، معاذ حبش: "أهمية التنبؤات في اتخاذ القرارات الحاسمة عند الآشوريين"، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد (٥٧)، جامعة الموصل ٢٠١٧م.
٤٣. خلف سلطان الحديدي، خلف زيدان: "عمارة القصر الملكي في العصر الآشوري الحديث"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل ٢٠٠٥م.
٤٤. خلف صالح الحديدي، أحمد زيدان: "علاقة بلاد آشور مع الممالك الحثية في شمال سوريا ٩١١-٦١٢ ق.م"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، ٢٠٠٥م.
٤٥. خليل إسماعيل، بهيجة: "الجيش في العصر الآشوري"، موسوعة الموصل الحضارية، ج ١، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ط ١، ١٩٩١م.
٤٦. الخلف، جاسم محمد، "جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية"، دار الفكر العربي، ط ٣، القاهرة ١٩٦٥م.
٤٧. دانيال، كلين: "موسوعة علم الآثار"، ج ٢، ترجمة: ليون يوسف، دار المأمون، بغداد ١٩٩١م.
٤٨. ديلاورت، ل: "بلاد ما بين النهرين الحضارتان البابلية والآشورية"، ترجمة: محرم كمال، مراجعة: د. عبد المنعم أبو بكر، المطبعة النموذجية، القاهرة، ١٩٧٩م.
٤٩. الدباغ، تقي: "البيئة الطبيعية والإنسان"، موسوعة حضارة العراق، ج ١، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨٥م.
٥٠. الدباغ، تقي: "العراق في التاريخ"، مطبعة جامعة بغداد، بغداد ١٩٨٣م.
٥١. الدوري، رياض عبد الرحمن أمين: "آشور بانيبال سيرته ومنجزاته"، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ١، بغداد ٢٠٠١م.
٥٢. رشيد، فوزي: "وسائط النقل المائية والبرية في العراق القديم"، مجلة النفط والتنمية، السنة السادسة، العددان: (٧، ٨)، بغداد ١٩٨١م.
٥٣. رشيد، فوزي: "الجيش والسلاح"، موسوعة حضارة العراق، ج ٢، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨٥م.
٥٤. رشيد، فوزي: "الشرائع العراقية القديمة"، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ٣، بغداد ١٩٨٧م.
٥٥. رو، جورج: "العراق القديم"، ترجمة: حسين علوان، ط ٢، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨٦م.
٥٦. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: "مختار الصحاح"، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٩م.
٥٧. زودن فون، ف: "مدخل إلى حضارات الشرق القديم"، ترجمة: فاروق إسماعيل، مراجعة: أحمد ارحيم هبو، دار المدى للثقافة والنشر، ط ١، دمشق ٢٠٠٣م.

٥٨. الزبياري، محمد صالح طيب: "النظام الملكي في العراق القديم دراسة مقارنة مع النظام الملكي المصري"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل ١٩٨٩م.
٥٩. الزبياري، أكرم: "الآشوريون: خططهم وسياستهم الحربية"، مجلة بين النهرين، العددان (٥١-٥٢)، الموصل ١٩٨٥م.
٦٠. ساكز، هاري: "عظمة بابل"، ترجمة: عامر سليمان، دار الكتب للطباعة والنشر، ط ١، الموصل ١٩٧٩م.
٦١. ساكز، هاري: "جبروت آشور الذي كان"، ترجمة: آخو يوسف، دار الينابيع للطباعة والنشر، دمشق ١٩٩٥م.
٦٢. ساكز، هاري: "قوة آشور"، ترجمة: عامر سليمان، مطبعة المجمع العلمي، بغداد ١٩٩٩م.
٦٣. ساكز، ه.و.ف.: "البابليون"، ترجمة: سعيد الغانمي، مراجعة: عامر سليمان، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط ١، بيروت ٢٠٠٩م.
٦٤. ساكز، هاري: "عظمة آشور"، ترجمة: خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو، دار رسلان للطباعة والنشر، دمشق ٢٠١١م.
٦٥. سعيد سامي، صفوان: "حقوق رعايا المملكة الآشورية في عصرها الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م)"، مجلة آداب الرافدين، العدد: (٥١)، جامعة الموصل ٢٠٠٨م.
٦٦. سلطان الياس، عبد العزيز: "عوامل أساسية أسهمت في نهضة الإمبراطورية الآشورية"، مجلة دراسات موصلية، العدد (٢٩)، أيار، الموصل ٢٠١٠م.
٦٧. سلمان، حسين أحمد: "العمليات الأدبية الآشورية لليهود في ضوء النصوص المسمارية"، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد ١٠، بغداد ٢٠٠٢م.
٦٨. سليم، أحمد أمين: "دراسات في تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم، ج ٦، (حضارة العراق القديم)"، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر، الاسكندرية ٢٠١١م.
٦٩. سليمان، عامر: "نتائج حفريات جامعة الموصل في سور نينوى الشمالي"، مجلة آداب الرافدين، ج ١، العدد (٢)، الموصل ١٩٧١م.
٧٠. سليمان، عامر، ومالك الفتيان، أحمد: "محاضرات في التاريخ القديم"، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل ١٩٧٨م.
٧١. سليمان، عامر: "الكتابة المسمارية والحرف العربي"، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، الموصل ١٩٧٩م.
٧٢. سليمان، عامر: "العصر الآشوري الحديث، العهد الإمبراطوري"، موسوعة العراق في التاريخ، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد ١٩٨٣م.

٧٣. سليمان، عامر: "التراث اللغوي: موسوعة حضارة العراق" ج ١، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨٥م.
٧٤. سليمان، عامر: "العلاقات السياسية الخارجية"، موسوعة حضارة العراق، ج ٢، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨٥م.
٧٥. سليمان، عامر: موسوعة "الجيش وال سلاح"، ج ١، بغداد ١٩٨٧م.
٧٦. سليمان، عامر: "منطقة الموصل في الألف الثالث قبل الميلاد"، موسوعة الموصل الحضارية"، ج ١، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ط ١، ١٩٩١م.
٧٧. سليمان، عامر: "اللغة والكتابة"، موسوعة الموصل الحضارية"، ج ١، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ط ١، ١٩٩١م.
٧٨. سليمان، عامر: "اللغة الأكديّة (البابلية - الآشورية) تاريخها وتدوينها وقواعدها"، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل ١٩٩١م.
٧٩. سليمان، عامر: "منطقة الموصل في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد، العصر الآشوري الحديث"، موسوعة الموصل الحضارية، ج ١، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ط ١، ١٩٩١م.
٨٠. سليمان، عامر: "الآثار الباقية"، موسوعة الموصل الحضارية، ج ١، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ط ١، ١٩٩١م.
٨١. سليمان، عامر: "العراق في التاريخ القديم، موجز التاريخ السياسي"، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٩٢م.
٨٢. سليمان، عامر: "العراق في التاريخ القديم" موجز التاريخ الحضاري، ج ٢، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل ١٩٩٣م.
٨٣. سليمان، عامر، وآخرون: "المعجم الأكدي - معجم اللغة الأكديّة (البابلية - الآشورية)" منشورات مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٩٩م.
٨٤. شوال، حسن إسماعيل: "الصراع الحثي الميثاني المصري للسيطرة على سوريا في القرنين السادس والخامس عشر قبل الميلاد"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الزقازيق، القاهرة ٢٠٠٥م.
٨٥. شيت، أزهار هاشم: "الدعاية والإعلام في العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م)"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل ٢٠٠٠م.
٨٦. الشخيلي، عبد القادر: "المدخل إلى تاريخ العراق القديم"، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل ١٩٩٠م.

٨٧. صالح الحديدي، أحمد خلف زيدان: "علاقات بلاد آشور مع الممالك الحثية الحديثة في شمال سورية (٩١١-٦١٢ ق.م)"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل ٢٠٠٥ م.
٨٨. صالح، قحطان رشيد: "الكشّاف الأثري في العراق"، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨٧ م.
٨٩. صباح، عبود: "فخار نينوى ٧"، مجلة سومر، مجلد ٣٣، بغداد ١٩٧٧ م.
٩٠. الصحاف، مهدي: "الموارد المائية في العراق وصيانتها من التلوث"، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد ١٩٧٦ م.
٩١. طه، منير يوسف: "علاقات الآشوريين مع الأقاليم المجاورة"، موسوعة الموصل الحضارية، ج ١، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ط ١، ١٩٩١ م.
٩٢. الطائي، ابتهاج عادل: "علم التاريخ لدى سكان بلاد وادي الرافدين"، مجلة آفاق عربية، العدد: (١١-١٢)، بغداد ٢٠٠٠ م.
٩٣. الطعان، عبد الرضا: "الفكر السياسي في العراق القديم"، دار الشؤون الثقافية العامة "آفاق عربية" ط ٢، بغداد ١٩٨٦ م.
٩٤. الطائي، نبيل نور الدين حسين: "من حملات (آشور - ناصر - بال - الثاني) في ضوء نصوص مسمارية منشورة وغير منشورة"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل ٢٠٠١ م.
٩٥. عبو، نجم عادل: "فن العمارة"، موسوعة الموصل الحضارية، مج ١، ط ١، دار الكتب للطباعة والنشر الموصل ١٩٩١ م.
٩٦. عقراوي، تلماستيان: "المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين"، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد ١٩٧٨ م.
٩٧. عبد الكريم حسين القيسي، منى: "مكانة المرأة في المجتمع العراقي القديم"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج (٩)، العدد (٢٦)، جامعة تكريت ٢٠١٧ م.
٩٨. عبد المالك، منذر علي: "نساء القصر الآشوري"، مجلة كلية الآداب، العدد ١٠١، جامعة الموصل، ٢٠٠١ م.
٩٩. عويد كاظم، سناء: "العنف المعلن ضد المرأة في العراق القديم وموقف المشرع العراقي منه ٢١١٢-٩١١ ق.م"، مجلة جامعة واسط، مج ١٢، واسط ٢٠١٦ م.
١٠٠. عبد الله، يوسف خلف: "الجيش والسلاح في العهد الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م)" مطبعة جامعة بغداد، ط ١، بغداد ١٩٧٧ م.

١٠١. عبد القادر، خليل سعيد: "معالم من حضارة وادي الرافدين"، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٨٤م.
١٠٢. علي، فاضل عبد الواحد: "السومريون والأكديون"، العراق في التاريخ، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨٣م.
١٠٣. عثمان الوردي، محمود فارس: "الهجرات الهندو - أوربية (الآرية) إلى منطقة غرب آسيا وأثرها على بلاد الرافدين حتى سنة ٦٣٧م"، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد (٢٢)، العدد (١)، شباط ٢٠١٥م.
١٠٤. عبد الله، محمد صبحي: "العلاقات العراقية - المصرية في العصور القديمة"، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد ١٩٩٠م.
١٠٥. علي، فاضل عبد الواحد: "عادات وتقاليد الشعوب القديمة"، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد ١٩٧٩م.
١٠٦. عبد الله، أمين آغا، وميسر، سعيد العرافي: "تمرود"، وزارة الثقافة، بغداد ١٩٧٦م.
١٠٧. فالتر، أندريه: "استحكامات آشور"، ترجمة: عبد الرزاق كامل، وزارة الثقافة، بغداد ١٩٨٧م.
١٠٨. فالتر، أندريه: "معابد عشتار القديمة"، ترجمة: عبد الرزاق كامل، وزارة الثقافة، الموصل ١٩٨٧م.
١٠٩. فرانكفورت، هنري، وآخرون: "ما قبل الفلسفة"، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا، دار مكتبة الحياة، بغداد ١٩٦٠م.
١١٠. فاضل الشاكر، فانتن موفق: "رموز أهم الآلهة في العراق القديم"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل ٢٠٠٢م.
١١١. الفتلاوي، أحمد حبيب سنيد: "مشكلة ولاية العهد في عهدي الملكين سنحاريب وأسرحدون (٧٠٤-٦٦٩ ق.م)"، مجلة بابل للدراسات الإنسانية، مج (٥)، العدد: (١)، جامعة بابل ٢٠١٥م.
١١٢. القيسي، محمد فهد: "التهجير القسري في العراق القديم (٣٠٠-٥٣٩ ق.م)"، مجلة كلية التربية، مج (١) العدد (٢٤)، جامعة واسط للعلوم الإنسانية ٢٠١٧م.
١١٣. كاظم جغيل الشمري، يوسف، وعجاج حميد الجنابي، عامر: "ظاهرة الخصاص خلال العصور القديمة"، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج (٥)، العدد (١)، جامعة بابل ٢٠١٥م.
١١٤. كير شباوم، ايفا كانجيك: "تاريخ الآشوريين القديم"، ترجمة: فاروق إسماعيل، دار الزمان للطباعة والنشر، ط١، دمشق ٢٠٠٨م.

١١٥. كريم، صوموئيل نوح: "السومريون (تاريخهم، وحضارتهم، وخصائصهم)"، ترجمة: فيصل الوائلي، وكالة المطبوعات الكويتية، الكويت ١٩٦٣م.
١١٦. كونتينو، جورج: "الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور"، ترجمة: سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ١، بغداد ١٩٨٦م.
١١٧. لابات، رينيه: "قاموس العلامات المسمارية"، ترجمة: الأب البير أبونا، وليد الجادر، خالد سالم إسماعيل، مراجعة: عامر سليمان، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد ٢٠٠٤م.
١١٨. لويد، سيتون: "آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي"، ترجمة: محمد طلب، دار دمشق للطباعة والنشر، ط ١، دمشق ١٩٩٢م.
١١٩. محمد عبد الحاج أحمد، هيفاء: "ألقاب حكام وملوك العراق القديم"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل ٢٠٠٧م.
١٢٠. محمود خليل، أحمد: "تاريخ مملكة ميتاني الحورية"، دار موكرياني للبحوث والنشر، ط ١، أربيل ٢٠١٣م.
١٢١. مرعي، عيد: "اللسان الأكادي موجز في تاريخ اللغة الأكادية وقواعدها"، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٢م.
١٢٢. مظلوم، طارق عبد الوهاب، ومهدي، محمد علي: "تينوى"، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد ١٩٧١م.
١٢٣. مظلوم، طارق عبد الوهاب: "تينوى في ضوء التنقيبات الأثرية"، مجلة سومر، مجلد ٢٤ مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٦٨م.
١٢٤. معضد، علي هاشم: "الآثار المعمارية والفنية للملك شمشي - أدد - الأول (١٨١٣-١٧٨١ ق.م) دراسة في ضوء النصوص المسمارية"، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، العدد (٥٥)، بغداد ٢٠١٦م.
١٢٥. ملرش، أيج - أي - أيل: "قصة الحضارة في سومر وبابل"، ترجمة: عطا بكري، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٧١م.
١٢٦. مهران، محمد بيومي: "تاريخ العراق القديم"، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية ١٩٩٠م.
١٢٧. مهدي، علي محمد: "الآشوريون أصلهم، موطنهم وتاريخهم وعواصمهم"، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد ١٩٦٩م.
١٢٨. مورتكات، أنطوان: "تاريخ الشرق الأدنى القديم"، ترجمة: توفيق سليمان وآخرون، مطبعة الانشاء، دمشق ١٩٦٧م.

١٢٩. مورتكات، انطوان: "الفن في العراق القديم"، ترجمة: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي مطبعة الأديب، بغداد ١٩٧٥م
١٣٠. موسكاتي، سبتيانو: "الحضارات السامية القديمة"، ترجمة: د. يعقوب بكر، راجعه: د. محمد القصاص، دار الرقي للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٦م.
١٣١. منصور، ماجدة حسو: "الصلات الآشورية الآرامية"، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد ١٩٩٥م.
١٣٢. المهنا مزهر، رشا ثامر: "التطورات السياسية للدولة الآشورية (٩١١-٧٤٥ ق.م)"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بابل ٢٠٠٥م.
١٣٣. نور الأعرجي، حسين سيد: "الاختيار والتفويض الإلهي أحد أركان العقيدة السياسية في العراق القديم"، مجلة كلية التربية، مج ١، العدد: ١، جامعة واسط ٢٠٠٧.
١٣٤. النجفي، حسن: "معجم المصطلحات والأعلام في العراق القديم"، الدار العربية للطباعة والنشر، ط ١، بغداد ١٩٨٢م.
١٣٥. النعيمي، راجحة خضر عباس: "الأعياد في حضارة بلاد وادي الرافدين"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد ١٩٧٦م.
١٣٦. الهاشمي، رضا جواد: "التجارة"، موسوعة حضارة العراق، ج ٢، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨٥م.
١٣٧. وولي، ليونارد: "وادي الرافدين مهد الحضارة (دراسة اجتماعية لسكان العراق في فجر التاريخ)"، ترجمة: أحمد عبد الباقي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، مصر ١٩٤٨م.
١٣٨. يوسف طه، منير: "النشاطات الآشورية في الخليج العربي"، موسوعة الموصل الحضارية، ج ١، دار الكتب للطباعة والنشر، ط ١، جامعة الموصل ١٩٩١م.

قائمة المراجع الأجنبية

1. Amiet. P and. another, "**Art in the Ancient World**", London, 1970.
2. Betina. Faist, "**Kingship and Institutional Development in the Middle Assyrian period**", Padova, 2010.
3. Bienkowski, P. and Millard, A. "**Dictinary of the Ancient Near East**", British 2000.
4. Borger. Rykle, "**Beiträge zum Inschriftenwerk Assurbanipals**", Wiesbaden, Harrassowitz Verlag.1996.
5. Bradley. J. Parker, "**The Construction and Performance of Kingship in the Neo-Assyrian Empire**", Journal of Anthropological Research, vol.67, by the University of New Mexico 2011.
6. Clay, R., "**The Tenure of land in Babylonia and Assyria**", No. 1, London, 1938.
7. Dalley. S. "**Yaba, Aṭalya and the Foreign Policy of Late Assyrian Kings**", SAAB, Vol. 12 /2, 1998.
8. Dalley.S and Postgate. J., "**The Tablets from Fort Shalmaneser**", in CTN 3, British School of Archaeology in Iraq, London. 1984.
9. Deller. K, "**Die Rolle des Richters im neuassyrischen Prozeßrecht**", Studi in onore di E. Volterra 6, (1971).
10. Driver, G. R, and Miles, J. C, "**Babylonian Laws**", No. 1, Oxford, 1952.
11. Dreil, Van, "**Land and people in Assyria: some remarks**", in (Bi.or, XX VII 1970).
12. Ebeling. E, "**Tod und Lebennach der Verstellungen der Babylonien**", (Leipzig, 1931).
13. Fales. F. M, and Jakob-Rast. L, "**Neo-Assyrian Texts from Assur**", private Archives in the Vorderasiatisches Museum of Berlin 1, state Archives of Assyria Bulletin 5/1-2, Berlin 1991.
14. Fales. F. M, and Postgate. J. N, "**Imperial Administrative Records**", part I: Palace and Temple Administration, in SAA 7, Helsinki University Press (eds), 1992.
15. Fales .F.M, "**A Fresh Look at the Nimrud Wine Lists**", in Fales(ed), Drinking in Ancient Societies, in History of the Ancient Near East Studies 6. Padova.1994.
16. Farhan, W.M.S, "**Communication in the Neo-Assyrian Empire**" un published, p.h.D. Thesis ,university of London, 1991.

17. Frankfort, H. "**Kingship and the Gods**", Chicago, 1948.
18. Frankfort, H. "**The Art and Architecture of the Ancient Orient**", London 1969.
19. Frankfort, H. "**Kingship and Gods**", New York (1948).
20. Gadd, C.J. "**Tablets from Chagar Bazar and Tell Brak**", Iraq, Vol. 7, 1970.
21. Gadd, G.J., "**The Harran Inscriptions of Nabonidous**" Anst, vol.8, London, 1958.
22. Gelb, L.J., "**Hurrians and Subarians**", JNES, vol. 5, Chicago. 1964.
23. Grayson, A.K., "**Assyrian Rule of Conquered territory in Ancient western, Asia**" CANE, vol.1-2, Neo York, 2000.
24. Grayson.Kirk, "**Assyrian Officials and Power in the ninth and eighth centuries**", State Archives of Assyria Bulletin 7, University of Toronto Press 1993.
25. Grayson. A.K., "**Assyrian Civilization,**" **The Bureaucracy**", Chapter 26, in The Cambridge Ancient History, vol.III, part 2, second Edition, 1991.
26. Grayson, A. K., "**The Royal Inscriptions of Mesopotamia Assyrian periods**", Vol 2, "**Assyrian Rulers of the Early first Millennium B.c I (1114-859 B.c)**", Toronto, 1991.
27. Glover, T.R., "**The Ancient World**", London and New York, 1944.
28. Grayson, A, K. "**Assyrian Royal Inscriptions**" Part 2, Germany, 1976.
29. Grayson.A.Kirk, "**Assyrian Rule of conquered Territory in Ancient Western Asia**", Civilizations of the Ancient Near East, Toronto 1995.
30. Grayson.A.Kirk, "**Assyrian Officials and Power in the Ninth and Eighth Centuries**", in SAAB VII /1, Toronto 1993.
31. Grayson, A. K., "**Assyrian Royal Inscriptions**" "**ARI**", Vol. 2, Wiesbaden, 1976.
32. Grayson, A. K., "**Assyrian Royal Inscriptions**", Vol. II, W. Germany, 1976.
33. Groß.Melanie, "**Innovation and Tradition in the sphere of Neo-Assyrian Officialdom**", version 1, University of Vienna, April 2012.
34. Groß.Melanie, "**Food and Drink for the Palace. The Management of Foodstuffs**", in Neo- Assyrian times and beyond, University of Vienna, July 2013.

35. Greengus.Samuel, "**Legal and Social Institutions of Ancient Mesopotamia**" in Civilization of the Ancient Near East, vol.1, ed. J.Sasson. New York 1995.
36. Hawkins, J.D. "**Assyrian and Hittites**", *Iraq*, Vol.XXX VI, 1974.
37. Jas, R. "**Neo-Assyrian Judicial Procedures**", in SAAS, Vol, 5, Finland, 1996.
38. Kataja.L, and Whiting.R, "**Grants, Decrees and Gifts of the Neo-Assyrian period**". State Archives of Assyria 12. Helsinki University press, Helsinki, 1995.
39. Kertal.David, "**The Queens of the Neo-Assyrian Empire**", in Altorientalische Forschungen, 40, 1, 2013.
40. Kinnier wilson, J.V, "**The Nimrud wine lists**", London (1972).
41. Kinnier.Wilson J.V, "**The Nimrud Wine Lists**", in British School of Archaeology in Iraq, London 1972.
42. K.Kesser, "**Royal Roads and other questions of the Neo-Assyrian Communication system**", in S. Parpola and R. M. Whiting (Hrsg), Assyria 1995. proceedings of the 10th Anniversary Symposium of the Neo-Assyria Texts corpus project, Helsinki: Helsinki University press,1997.
43. Laessoe, J., "**People of Ancient Assyria**", London, 1963.
44. Luckenbill, D.D. "**ARAB**", Vol.I, New York, 1968.
45. Luckenbill, D,D, "**Ancint Records of Assyrian and Babylonia**", (New York, 1927).
46. Luckenbill, D.D, "**The Annals of Sennacherib**", Chicago,1924.
47. Luukko, Mikko and Van Buylaera. Greta, "**The Political Correspondence of Esarhaddon**", text 2, in SAA 16, Helsinki University press.2002.
48. Luukko,Mikko, "**The Administrative Roles of the "Chief Scribe" and the "Palace Scribe"** in the Neo-Assyrian period, in State Archives of Assyria Bulletin Volum xvi 2007
49. Luukko, Mikko. "**The Correspondence of TIGLATH-PILESER III And SARGONII fromCALAH/NIMRUD**", The Neo-Assyrian Text Corpus project Helsinki 2012.
50. Mallawan, M.E.L, "**Nimrud and its Remains**", Vol.II, London 1966.
51. Mallowan, M.E.L, "**The Assyrian Tree**", SUMER, vol. 42, No. 1-2 Baghdad, 1986.

52. Mallowan, M.E.L. "**Reflections on the History and Archaeology of Assyria**", in SUMER, part 7, No.2, Baghdad, 1951.
53. Mallowan, M.E.L. "**Nimrud and its Remains I-II**" London, 1966.
54. Mattila. Raija, "**The King's Magnates a study of the highest officials of the Neo-Assyrian Empire**", in SAA No.11, The Neo-Assyrian Text Corpus Project, Helsinki, 2000.
55. Melville, C. Sarah, "**Neo-Assyrian Royal Women and Male Identity: Status as a Social Tool**", Journal of the American, Oriental Society, vol.127, No.1 (Jan-Mar 2004).
56. Melville. Sarah, "**The Role of Naqia/ Zakutu in Sargonid Politics**", in SAAS 9, Neo-Assyrian Text Corpus Project, Helsinki 1999.
57. Menzel. B., "**Assyrische Tempel I**", Studia poh 1: Series Maior 10, Editrice Pontificio Istituto Biblico, Rome 1981.
58. Menzel. Brigitte, "**Assyrische Tempel Studia poh1**", Series Maior, Dissertationes Scientifical de rebus Orientis antique 10, Rome 1981, Biblical Institute press.
59. Müller, K.F. "**Das Assyrische Ritu**", in MVAG, xi, 1937.
60. Paterson, A. "**Assyrian sculptures:**" "**The palace of Sennachrib**", London 1915.
61. Millard, A.R. "**Assyrians and Arameans**", in Iraq, vol.45
62. Postgate., J, N, "**Land Tenure in the Middle Assyrian period Reconstruction**" BSOAS, Vol.34, 1971.
63. Oates, J. "**The Fall of Assyrian (635-609 B.C)**", Chapter 25, in CAH III, 2 ed, London, 1991.
64. Oppenheim A.L "**A note on the scribes in Mesopotamia**" in H.G.Güterbock-the Jacobsen (eds). Studies in Honor of Benno Landsberger on his seventy-fifth Birth day, April 21, 1965.
65. Oppenheim, Leo, "**Babylonian and Assyrian Historical Text**", in ANET, Chicago 1960.
66. Oppenheim, A.Leo. "**Letters from Mesopotamia**", The University of Chicago press Publication, 1967.
67. Olmstead, A.T., "**History of Assyria**", Chicago, 1980.
68. Parker. B. "**Administrative Tablets from the N.W. Palace at Nimrud**", Iraq 23, (1961).
69. Parpola. Simo, "**The Neo-Assyrian Word for (Queen)**" in SAAB II/2, Helsinki 1988.

70. Parpola. Simo, "**Royal Coresspondence of the Assyrian Empire**", part II, New York (1972).
71. Parker.Barbara, "**The Nimrud Tablets**" Business Documents, in Iraq 16, 1954.
72. Parpola, Simo. "**Neo-Assyrian Treaties from the Royal Archives of Nineveh**", Journal of cuneiform studies, vol.39, No.2 (Autumn, 1987).
73. Parpola.S, "**The leftovers of God and King on the Distribution of Meat at the Assyrian and Achaemenid Imperial Courts**", in C.Grottanelli –L.Milano (eds), Food and Identity in the Ancient World (History of the Ancient Near East, Studies 9), Padua 2004.
Parpola. Simo, "**Letters from Assyrian Scholars to the Kings Esarhaddon and Assurbanibal**", Part II, Winona Lake, in.Eisenbrauns 2007.
74. Pfeifer. R.H, "**State Letters of Assyria**", No.101, (New –Haven, 1935).
75. Ponchia.Simonetta, "**Administrators and Administrated in Neo-Assyrian Times**", Winona Lake, Eisenbrauns, Indiana 2012.
76. Postgate.J.N, "**Neo-Assyrian Royal Grants and Decrees**", (Studia Poh1 S.M. 1), Roma 1969.
77. Postgate.J.N, "**Taxation and Conscription in the Assyrian Empire**", Studia Poh 1: Series maior 3, : Biblical Institute press, Rome, 1974.
78. Postgate.J.N, "**The invisible hierarchy: Assyrian Military and Civilian administration in the 8th and 7 th centuries B.c**", in the land of Assur and the Yoke of Assur, Studies on Assyria 1971-2005, Oxford: Oxbow Books, 2007.
79. Powell, M.A., und, Sack, R.H., "**Masse und Gewichte**", RIA, Vol.7, 1987-1990.
80. Prichard, J.B, "**Ancient Near Eastern Texts**" "ANET", 3rd ed.(New Jersey), 1969.
81. Radner.Karen, " Mesopotamia –Neo-Assyrian period", A history of Ancient Near Eastern Law, Vol .II, Brill –Leiden.Boston, 2003.
82. Radner.K, " Provinz. C.Assyrien ", in Reallexikon der Assyriologie 11/ 1-2, Helsinki 2006.
83. Radner.K, "**The Seal of Tašmetum-šarrat, Sennacherib's Queen, and its Impressions** .In. G.B. Lan- franchieta: (eds), Leggo ! Studies presented to Frederick Mario Fales on the Occasion of his 65 th Birthday, Wiesbaden, 2012.

84. Radner.Karen, "**The Assur-Nineveh- Arbela Triangle central Assyrian in the Neo-Assyrian period**", London 2011.
85. Radner.Karen, "**The Reciprocal Relationship between Judege and society in the Neo Assyrian period**", University College London, in MAARAV 12.1-2, 2005.
86. Radner. Karen, "**Royal Decision- Making: Kings, Magnates, and Scholars**", chapter 17, The Oxford Handbook of Cuneiform Culture, Oxford 2011.
87. Read.Julian, "**Assyrian Sculpture**", Trustees of the British Museum, London1983.
88. Roth.Martha, "**Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor**", in Society of Biblical Literature Writings from the Ancient World Series 6, Atlanta, Georgia 1997, Scholars press.
89. Rowton, M.B., "**Ancient Western Asia**", CAH, Vol, 1, part 1, Cambridge, 1970.
90. Saggs, H.W.E., "**The Might that was Assyria**", London, 1984.
91. Smith, S., "**Journal at Royal Asiatic society**", 1932.
92. Streck.Maximilian, "**Assurbanibal und die Letzten Assyrischen Könige biz zum Unter-gange Nineveh**", II Teil: Texte, Leipzig 1916.
93. Steiner.R.C. and Nims.C.F. "**Ashur banipal and Shamash-shum-ukin: Atale of Two Brothers from the Aramaic Text in Demonic Script**", part I, in Revue Biblique 92, (1985).
94. Svärd.Saana, "**Women, Power, and Heterarchy in the Neo-Assyrian Palaces**", Winona Lake, Indiana Eisenbrauns Helsinki, 2012.
95. Tenen, M.,A., "**Histories The Ancient World**", London, 1937.
96. Teppa.Saana, "**Wamen and their Agency in The Neo- Assyrian Empire**", Assyriologia Stor 101, Helsinki, 2007.
97. Van Driel.G, "**The Cult of Aššur**", Leiden.1969.
98. Villard., "**Shamshi-Adad and Sons, The Rise and Fall of an upper Mesopotamia Empire**", in Sasson, J.M., "**Civilization of the Ancient Near East**", Vol.1-2, New York (1995).
99. Wallas Budge. E. A. and King. L. W, "**Annals of the Kings of Assyria**", Vol.1, London, 1962.
100. Waterman. L, "**Royal Corrsepondence of Assyrian Empire**", vol IV, Michigan (1935).

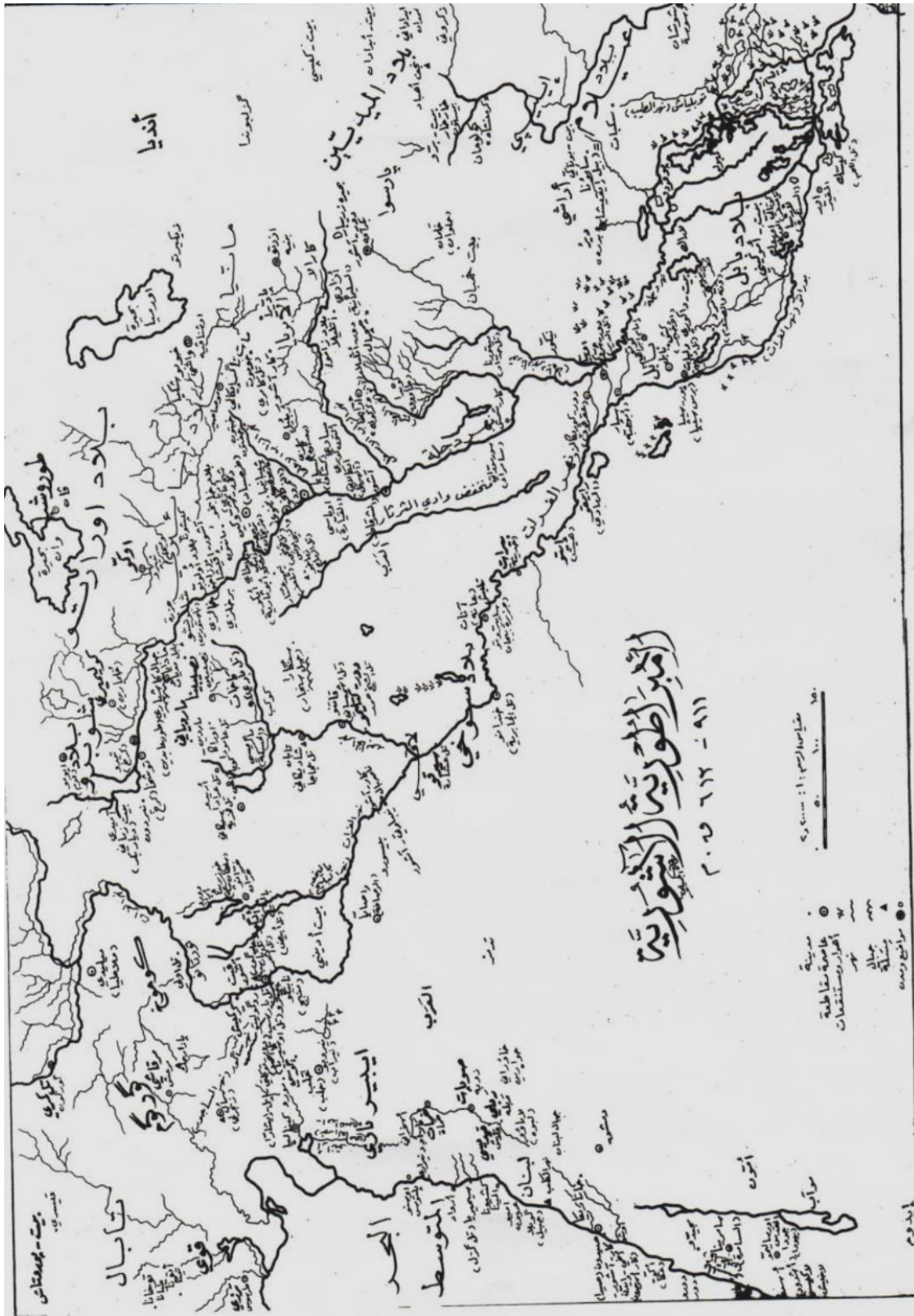
101. Westenholz.Joan. Goodnick, "**Towards a New Conceptualization of the Female Role in Mesopotamian Society**", in Journal of the American Oriental Society, no.110, 1990.
102. Wismen.D.J, "**The Nimrud Tablets**", in Iraq 15/2: london.1970.

"ملحقات الخرائط والأشكال والجداول"

أولاً: ملحق الخرائط.

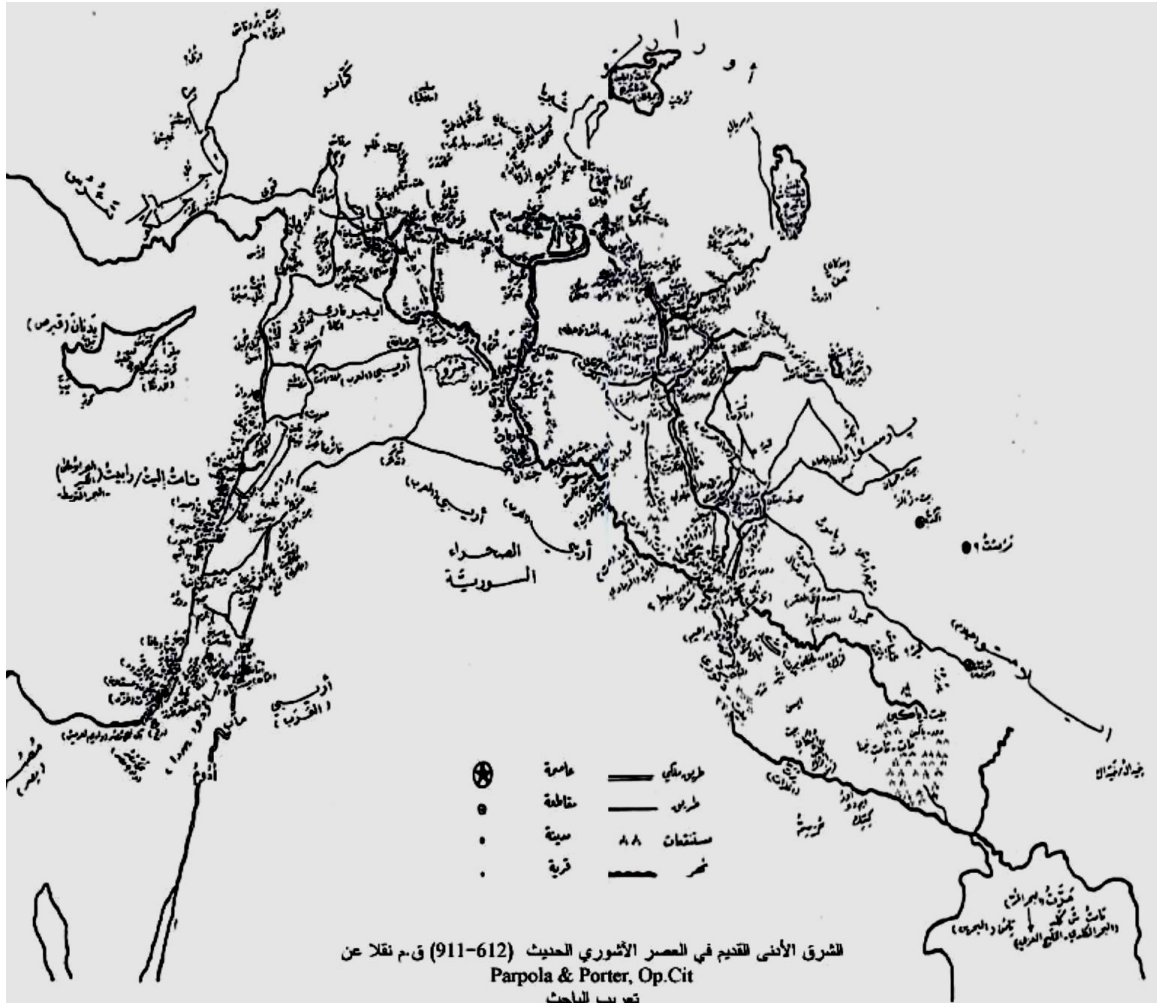
ثانياً: ملحق الأشكال.

ثالثاً: ملحق الجداول.



خريطة رقم (١): الدولة الآشورية الحديثة (٩١١-٦١٢ ق.م)، الشرق الأدنى القديم خلال العصر الآشوري الحديث، نقلًا عن:

Parpola, S, and Parter, M, "The Helsinki Atlas of the Near East in Neo-Assyrian period, (Helsinki, 2001).



خريطة رقم (٢): الشرق الأدنى القديم في العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م)، نقلًا عن:
Parpola and Porter, "The Helsinki Atlas", p.19.

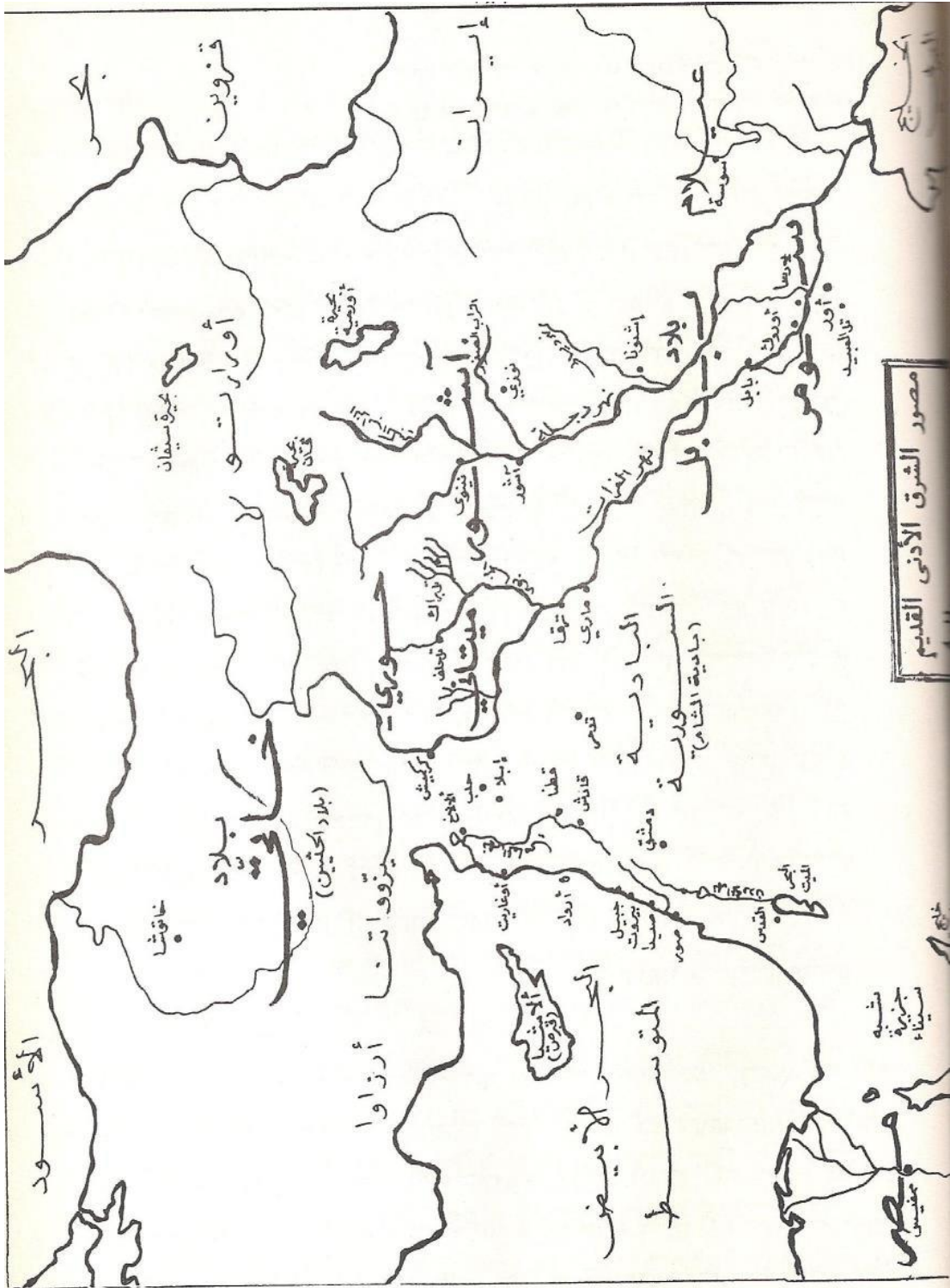


خريطة رقم (٣): وهي تمثل مواقع العواصم الآشورية في العصر الآشوري الحديث، نقلًا عن: Parpola, S. "The Correspondance of Sargoen II", part I, Letters from Assyria and the West, SAA, Vol, I, Helsinki, 1987.



خريطة رقم (٤): وهي توضح المدن والعواصم في بلاد وادي الرافدين وسوريا، نقلاً عن: السيد عبد الرحمن، محمد: "الاتصالات الحضارية بين بلاد النهرين ومصر القديمة"، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الزقازيق، مصر ٢٠٠٥م، ص ٣٧٤.

خضر العبادي، معاذ حبش: الحواليات الملكية في العصر الأشوري الحديث هام جدا ص ١٧٤.



خريطة رقم (٦): توضح ممالك ومدن الشرق الأدنى القديم، نقلاً عن:
الخليل، احمد محمود: "تاريخ مملكة ميتاني الحورية"، أربيل ٢٠١٣م، ص ٨٢.

ملحق الأشكال



شكل رقم (١): المسلة السوداء للملك الآشوري شلمانصر الثالث، نقلًا عن:

Read, J. , "Assyrian Sculpture", p.17.



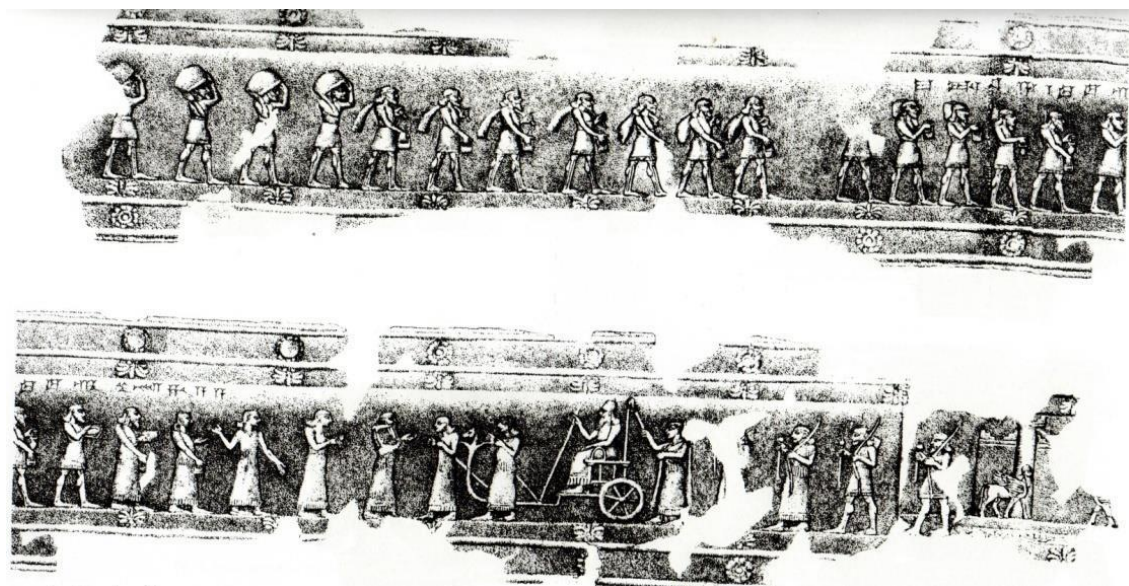
شكل رقم (٢): خضوع ياهو حاكم إسرائيل للملك الآشوري شلمانصر الثالث. نقلًا عن:

Reade, J., Assyrian Sculpture, p.45.



شكل رقم (٣): هدايا الطاعة والولاء المقدمة للملك الآشوري شلمانصر الثالث. نقلًا عن:

Reade, J., Assyrian Sculpture, p.45.



شكل رقم (٤): الملك الآشوري وهو جالس على عرشه ومن خلفه رجال بلاطه وهم يستقبلون الوفود.

نقلًا عن: Curtis, J. E., and Tallis, N. "The Balawat Gates of Ashur naṣir pal II."

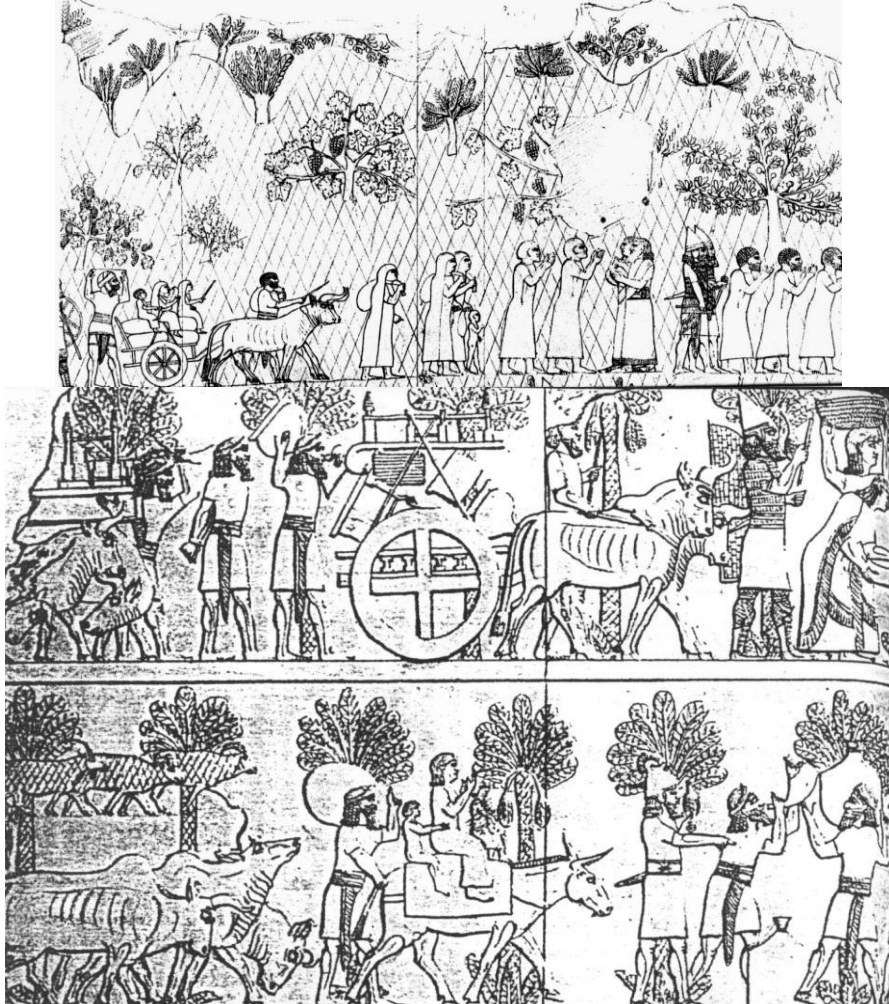


شكل رقم (٥): وقوف الملك الآشوري بكل شموخ بين رجال بلاطه وهو مرتدٍ لملابسه الرسمية ومتوشحاً سيفه ويعلو رأسه رمز سيده الإله آشور ومن خلفه يقف رجال البلاط في حين يركع ياهوا ملك إسرائيل عند قدميه. نقلًا عن:

Frankfort, H, "The Art and Architecture of Ancient Orient", London, 1977, p.167.



شكل رقم (٦): منحوتة تخلد الملك الآشوري شروكين الثاني وهو يقود عربته الملكية في بيئة جبلية محفوفة بأشجار البلوط والصنوبر إبان حملته الثامنة على أورارتو. نقلاً عن: الجميلي، عامر عبد الله: "المعارف الجغرافية عند العراقيين القدماء"، العراق في التاريخ، دهوك ٢٠١١م، ص ٢٨٧.



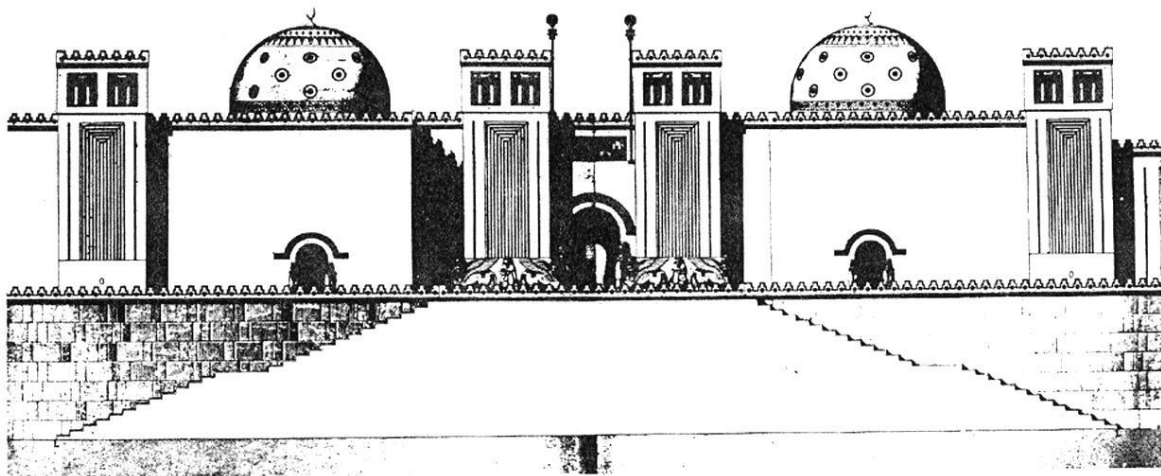
شكل رقم (٧، ٨): هذان الشكلان يظهران مشاهد حركة وتحولات السكان وترحيلهم من مكانهم الأصلي (سوريا أو بلاد بابل أو الأناضول ومناطق الفرات الأوسط إلى بلاد آشور). نقلاً عن: SAA, Vol. XV.



شكل رقم (١٠): صورة توضيحية لصولجان نُفذ على مسلة الملك الآشوري أسرحدون ٦٨٠-٦٦٩ ق.م. نقلاً عن: الطائي، محمد حمزة: أهم شارات الملكية في العراق القديم، ص ٢٥.

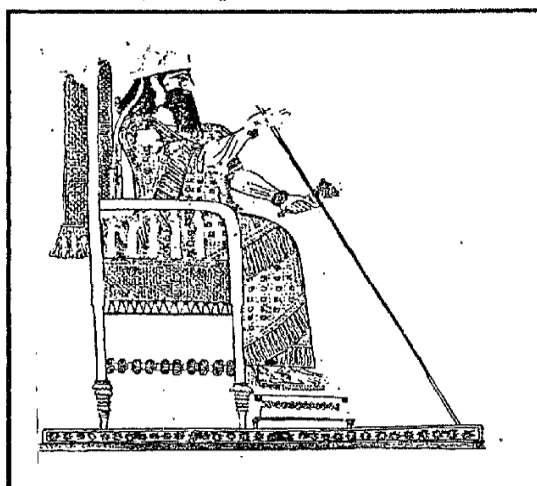


شكل رقم (٩): تمثال الملك الآشوري آشور - ناصر - بال الثاني ٨٨٣-٨٥٩ ق.م، حاملاً بيده اليسرى التي يضمها إلى صدره صولجان السلطة، وبيده اليمنى العصا. نقلاً عن: الطائي، محمد حمزة: أهم شارات الملكية في العراق القديم، ص ٢٢.



شكل رقم (١١): مدخل بوابة قصر شروكين - الثاني في مدينة خرسباد. نقلًا عن:

عكاشة، ثروت: الفن العراقي القديم، بيروت.

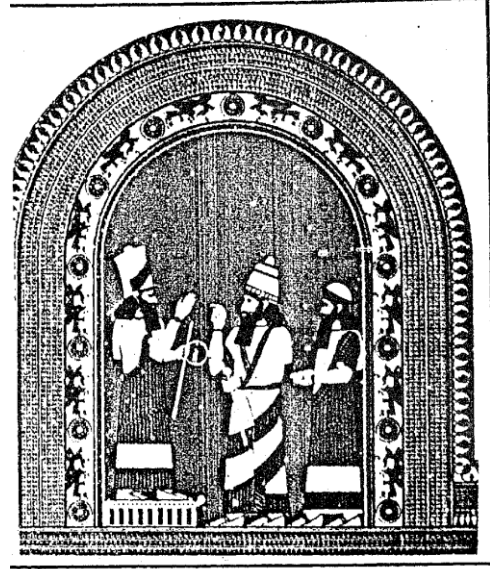


شكل رقم (١٢): كرسي عرش الملك الآشوري تجلات بلاصر الثالث.

نقلًا عن: سليم، أحمد أمين: "دراسات في تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم، ج ٦، (حضارة العراق القديم)"، ص ١٣٧.



شكل رقم (١٤): الإله آشور. نقلاً عن: سليم، أحمد أمين: "دراسات في تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم، ج٦، (حضارة العراق القديم)"، ص ٣٦٦.



شكل رقم (١٣): منظر يوضح ثياب الملك وكبار المسؤولين في العصر الآشوري الحديث. نقلاً عن: سليم، أحمد أمين: "دراسات في تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم، ج٦، (حضارة العراق القديم)"، ص ١٤٣.



شكل رقم (١٦): صورة توضيحية لصولجان نُفَذَ على مسلة الملك الآشوري آشور - اخي - ادينا (اسرحدون) (٦٨٠-٦٦٨ ق.م). نقلاً عن: طائي حمزة، محمد شارات الملكية في العراق القديم، ص ٢٤.



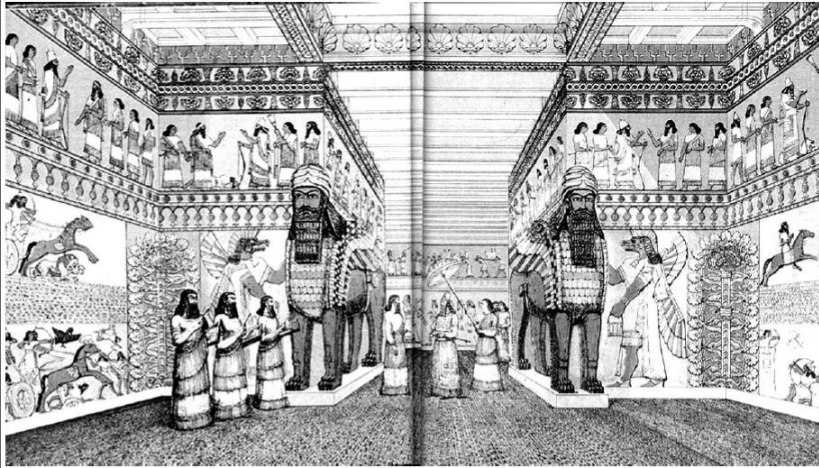
شكل رقم (١٥): صورة توضيحية تُظهر لنا الملك الآشوري توكلتي - نتورتا الأول حاملاً صولجاناً أثناء تعبده أمام مذبح معبد آشور. نقلاً عن: طائي حمزة، محمد شارات الملكية في العراق القديم، ص ٢٤.



شكل رقم (١٧): شكل يمثل أسس قصر الملك آشور - ناصر - ابلي الثاني وجدرانها في مدينة كلخو (النمرود). نقلاً عن: خلف سلطان الحديدي، خلف زيدان، عمارة القصر الملكي في العصر الآشوري الحديث فيه مصورات هامة في نهايته، ص ١٥٦.



شكل (١٨): منظر تخيلي لمدينة كلخو (النمرود) ويظهر قصر الملك آشور -ناصر - ابلي الثاني. نقلًا عن: خلف سلطان الحديدي، خلف زيدان، عمارة القصر الملكي في العصر الآشوري الحديث فيه مصورات هامة في نهايته، ص ١٦١.



شكل (١٩): منظر تخيلي لقاعة عرش الملك آشور -ناصر - ابلي الثاني في مدينة كلخو (النمرود)، مأخوذ من: Roof, M. Cultural Atlas of Mesopotamia and The Ancient Near East, Oxford, 1990

شكل (١٩): منظر تخيلي لقاعة عرش الملك آشور -ناصر - ابلي الثاني في مدينة كلخو (النمرود)، نقلًا عن: خلف سلطان الحديدي، خلف زيدان، عمارة القصر الملكي في العصر الآشوري الحديث فيه مصورات هامة في نهايته، ص ١٦٢.

ملحق الجداول

ملوك بلاد آشور	ملوك الشرق الأدنى القديم
أدد-نيراري (الثاني) (٩١١ - ٨٩١ ق.م)	شمش-سوداميق ملك بلاد بابل نابو-شوما-أوكين ملك بلاد بابل ايوا ملك بلاد قومانو نور-أدد التيماني
توكلي-ننورتا (الثاني) (٨٩٠ - ٨٨٤ ق.م)	أمي-بعل حاكم بيت-زيماني أيل-أبني ملك بلاد سوخو
آشور-ناصر-آبل (آشورناصرپال الثاني) (٨٨٣ - ٨٥٩ ق.م)	ملك مدينة خالزبلوخا خاماتاريا ملك بيت خالوبا أخي-أبايا ملك بيت خالوبا أزي-أيلي ملك بيت خالوبا أيلو-أبني ملك بلاد سوخو حيانوملك حداتو
شلمان-أشريد (شلمنصر الثالث) (٨٥٨ - ٨٢٤ ق.م)	ياهوآبن عمري ملك إسرائيل لوبيارنا ملك باتينو سوري ملك بتتينو ساسبي ملك باتينو مردوك-أيل-أوصر ملك بلاد سوخو
شمشي-أدد (الخامس) (٨٢٣ - ٨١١ ق.م)	مردوك-زأكرا - شومي ملك بلاد بابل
أدد-نيراري (الثالث) (٨١٠ - ٧٨٣ ق.م)	مرثي ملك دمشق
آشور-نيراري (الخامس) (٧٥٣ - ٧٤٦ ق.م)	ماتع-أيلو ملك أرباد ساردوري الأول ملك بلاد أورارتو
توكلي-آبل-أشرد (تجلاتبلزر الثالث) (٧٤٥ - ٧٢٧ ق.م)	بيكاح حاكم الإقليم الشمالي من فلسطين رصينو (رزين) ملك دمشق أحاز ملك يهوذا بنامو ملك سمال شمسي ملكة العرب
شروكين (سرجون الآشوري) (٧٢١ - ٧٠٥ ق.م)	أولوسونو ملك ماني

ملوك بلاد آشور	ملوك الشرق الأدنى القديم
	اورسا ملك أورارتو مردوك-ابلا-ادينا (مردوك-بلادان) ملك بلاد بابل خومباتيكاش ملك بلاد عيلام كياكي ملك مدينة شينوخو اناکو ملك مدينة زامي نابو-اوسلا ملك مدينة ابورا سالو ملك مدينة ايبولي هنانو ملك غزة
سين-أخي-ريب (سنحاريب) (٧٠٤ - ٦٨١ ق.م)	حزقيا ملك اورشليم (القدس) مردوك-ابلا-ادينا (مردوك-بلادان) ملك بلاد بابل اشور-نادين-شوم ملك بلاد بابل بيل-ابني ملك بلاد بابل شوزوبو ملك بلاد بابل ميثي ملك اشدود بادي ملك اكرون سبلي-بعل ملك غزة
آشور-أخ-إبن (اسرحدون) (٦٨٠-٦٦٩ ق.م)	حزائيل ملك العرب تبوعة ملكة العرب يطع ملك العرب نابو-زير-كيشتي شيخ قبيلة بيت ياكين نائيد-مردوك شيخ قبيلة بيت ياكين عبدي-ملوكتي ملك صيدا (صيدون) ابني-تيتسوب ملك شوبريا بارتاتوا ملك الاسكيثيين
آشور-بان-آبل (اشور باننيال) (٦٦٨ - ٦٢٦ ق.م)،	انداريا ملك لوبادو اومانيكاش ملك بلاد عيلام تيومان ملك بلاد عيلام شمش-شوم-اوكين ملك بلاد بابل

جدول يبين تعاصر ملوك الدولة الآشورية الحديثة مع ملوك الشرق الأدنى القديم.

نقلًا عن: الحديدي، أحمد زيدان: "السياسة الآشورية تجاه ملوك الشرق الأدنى القديم"، ص ٦٢٧

جداول أسماء موظفي الحوليات وعناوين وظائفهم

اسم موظف الحولية	عنوان الوظيفة	الملك	السنة ق.م	تسلسل الحولية
نركال - أبيل - كوموا	حاكم مدينة كلخو ^(٢)	آشور - ناصر - أبلي (الثاني)	٨٧٣	١١
عشتار - أيموقايا	حاكم مدينة توسخان ^(٣)	آشور - ناصر - أبلي (الثاني)	٨٦٧	١٧
شرو - بالتي - نيشي		شلمانو - اشاريد (الثالث)	٨٥٨	١
شلمانو - اشاريد (الثالث) الملك	ملك بلاد آشور	شلمانو - اشاريد (الثالث)	٨٥٧	٢
آشور - بيلو - كاين	قائد الجيش (تورتانو) ^(٤)	شلمانو - اشاريد (الثالث)	٨٥٦	٣
آشور - بونايا - أوصر	كبير السقاء (رب شاقلي) ^(٥)	شلمانو - اشاريد (الثالث)	٨٥٥	٤
ابي - انا - ايكالي - للبور	منادي القصر (ناكر - ايكالي) ^(٦)	شلمانو - اشاريد (الثالث)	٨٥٤	٥
دايان - آشور	قائد الجيش (تورتانو) ^(٧)	شلمانو - اشاريد (الثالث)	٨٥٣	٦
شمشي - ابوا	حاكم مدينة نصيبين ^(٨)	شلمانو - اشاريد (الثالث)	٨٥٢	٧
شمش - بيلو - أوصر	حاكم مدينة كلخو ^(١)	شلمانو - اشاريد (الثالث)	٨٥١	٨

(١) الجبوري ، علي ياسين ، "الإدارة" ، موسوعة الموصل ، المصدر السابق ، ص ٢٤٤ - ٢٤٨ ، كذلك ينظر :

اسماعيل ، شعلان كامل ، الحياة اليومية في البلاط الملكي الآشوري خلال العصر الآشوري الحديث ، أطروحة دكتوراة غير منشورة ، جامعة الموصل ، (١٩٩٩) ، ص ٦٣ - ٧١ .

(٢) SAAS , VOL . 2 , P . 56 .

(٣) Ibid .

(٤) SAAS , VOL . 11 , P . 107 .

(٥) SAAS , OP . Cit , P . 45 .

(٦) SAAS , OP . Cit , P . 29 .

(٧) SAAS , OP . Cit , P . 107 .

(٨) SAAS , VOL . 2 , PP . 56 - 57 .

اسم موظف الحولية	عنوان الوظيفة	الملك	السنة ق.م	تسلسل الحولية
بيل - بونايا	مفادي القصر (ناكر - ايكالي) ^(٢)	شلمانو - اثاريد (الثالث)	٨٥٠	٩
خادي - ليوشو	حاكم بلاد نايري ^(٣)	شلمانو - اثاريد (الثالث)	٨٤٩	١٠
نركال - اليك - باتي		شلمانو - اثاريد (الثالث)	٨٤٨	١١
بور - رمان		شلمانو - اثاريد (الثالث)	٨٤٧	١٢
ننورتا - موكين - ميشي		شلمانو - اثاريد (الثالث)	٨٤٦	١٣
ننورتا - نادين - شومي		شلمانو - اثاريد (الثالث)	٨٤٥	١٤
آشور - بونايا		شلمانو - اثاريد (الثالث)	٨٤٤	١٥
طاب - ننورتا		شلمانو - اثاريد (الثالث)	٨٤٣	١٦
ناكلاك - أنا - شري	حاكم مدينة (نميد عشتار - Nemed Ishtar)	شلمانو - اثاريد (الثالث)	٨٤٢	١٧
أدد - ريماني		شلمانو - اثاريد (الثالث)	٨٤١	١٨
شمش / بيل - أبوا		شلمانو - اثاريد (الثالث)	٨٤٠	١٩
شولمو - بيلي - لامور	حاكم مدينة أرزوخينا	شلمانو - اثاريد (الثالث)	٨٣٩	٢٠
ننورتا - كبسي - أوصر	حاكم مدينة رصافة	شلمانو - اثاريد (الثالث)	٨٣٨	٢١
ننورتا - ايلايا	حاكم مدينة أرزوخينا ^(٤)	شلمانو - اثاريد (الثالث)	٨٣٧	٢٢
قوردي - آشور	حاكم مدينة (رقمات Raqmat)	شلمانو - اثاريد (الثالث)	٨٣٦	٢٣
شيب - شري	حاكم مدينة (خبروري)	شلمانو - اثاريد (الثالث)	٨٣٥	٢٤

(١) Ibid .

(٢) SAAS , VOL . 11 , P . 29 .

(٣) SAAS , VOL . 2 , P . 57 .

(٤) SAAS , VOL . 2 , PP . 56 - 57 .

اسم موظف الحولية	عنوان الوظيفة	الملك	السنة ق.م	تسلسل الحولية
	(Habruri)			
نركال - موداميق	حاكم مدينة نينوى	شلمانو - اشاريد (الثالث)	٨٣٤	٢٥
يخالو	أمين خزانة الملك ^(١)	شلمانو - اشاريد (الثالث)	٨٣٣	٢٦
اولولايا	حاكم مدينة كلزي / قائد الجيش (تورتانو)	شلمانو - اشاريد (الثالث)	٨٣٢	٢٧
شرو - خاتو - أبيل	قائد الجيش (تورتانو)	شلمانو - اشاريد (الثالث)	٨٣١	٢٨
نركال - ايلايا		شلمانو - اشاريد (الثالث)	٨٣٠	٢٩
خوبايا	قائد الجيش (تورتانو)	شلمانو - اشاريد (الثالث)	٨٢٩	٣٠
ايلو - موكين - أخي	قائد الجيش (تورتانو)	شلمانو - اشاريد (الثالث)	٨٢٨	٣١
شلمانو - اشاريد (الثالث) الملك	ملك بلاد آشور	شلمانو - اشاريد (الثالث)	٨٢٧	٣٢
دايان - آشور	قائد الجيش (تورتانو) ^(٢)	شلمانو - اشاريد (الثالث)	٨٢٦	٣٣
آشور - بونايا - أوصر	كبير السقاة (رب شاقبي) ^(٣)	شلمانو - اشاريد (الثالث)	٨٢٥	٣٤
يخالو	قائد الجيش (تورتانو) ^(٤)	شلمانو - اشاريد (الثالث)	٨٢٤	٣٥
بيل - بونايا		شمشي - أد (الخامس)	٨٢٣	١
شمشي - أد (الخامس) الملك	ملك بلاد آشور	شمشي - أد (الخامس)	٨٢٢	٢
يخالو	مسؤول المالية (ماسينو ، ابراكو) ^(٥)	شمشي - أد (الخامس)	٨٢١	٣
بيل - دن	مناذي القصر (ناكر - ييكالي) ^(٦)	شمشي - أد (الخامس)	٨٢٠	٤

(1) Ibid .

(2) SAAS , VOL . 11 , P . 107 .

(3) SAAS , VOL .11 , P . 45 .

(4) SAAS , OP . Cit , P . 107 .

(5) SAAS , OP . Cit , P . 8 .

اسم موظف الحولية	عنوان الوظيفة	الملك	السنة ق.م	تسلسل الحولية
ننورتا - لوبلا		شمشي - أد (الخامس)	٨١٩	٥
شمش - ايلايا		شمشي - أد (الخامس)	٨١٨	٦
نركال - ايلايا	حاكم مدينة؟ ^(٢)	شمشي - أد (الخامس)	٨١٧	٧
أشور - بونايا - أوصر	كبير السقاة (رب شماقي) ^(٣)	شمشي - أد (الخامس)	٨١٦	٨
شرو - خاتو - ايل	حاكم مدينة نصيبين ^(٤)	شمشي - أد (الخامس)	٨١٥	٩
بيل - لو - بلاط	قائد الجيش (تورناتو) ^(٥)	شمشي - أد (الخامس)	٨١٤	١٠
موشيكيش	حاكم مدينة خابروري	شمشي - أد (الخامس)	٨١٣	١١
ننورتا - أنشريد	حاكم مدينة رقعات Raqmat	شمشي - أد (الخامس)	٨١٢	١٢
شمش - كوما	حاكم مدينة ارايخا ^(٦)	شمشي - أد (الخامس)	٨١١	١٣
بيل - قاتي - صابات	حاكم مقاطعة مزاموا ^(٧)	أد نيراري (الثالث)	٨١٠	١
أد - نيراري (الثالث) الملك	ملك بلاد آشور	أد نيراري (الثالث)	٨٠٩	٢
نركال - ايلايا	قائد الجيش (تورناتو) ^(٨)	أد نيراري (الثالث)	٨٠٨	٣
بيل - دن	منادي القصر (ناكر - ايكالي) ^(٩)	أد نيراري (الثالث)	٨٠٧	٤

^(١) SAAS , OP . Cit , P . 29 ; SAAS , VOL . 2 , P . 57 .

^(٢) SAAS , VOL . 2 , P . 57 .

^(٣) SAAS , VOL . 11 , P . 45 .

^(٤) SAAS , VOL . 2 , P . 57 .

^(٥) SAAS , VOL . 11 , p . 107 .

^(٦) SAAS , VOL . 2 , P . 57 .

^(٧) Ibid .

^(٨) SAAS , VOL . 11 , P . 107 .

^(٩) SAAS , OP . Cit , P . 29 .

اسم موظف الحولية	عنوان الوظيفة	الملك	السنة ق.م	تسلسل الحولية
صيل - بيلي	كبير السقاة (رب شاقى) ^(١)	أدد - نيراري (الثالث)	٨٠٦	٥
أشور - تاكلاك	مسؤول المالية (ماسينو) ^(٢)	أدد - نيراري (الثالث)	٨٠٥	٦
إيلو - اسايا	حاكم مقاطعة ؟	أدد - نيراري (الثالث)	٨٠٤	٧
تركال - إيريش	حاكم مدينة رصافة	أدد - نيراري (الثالث)	٨٠٣	٨
أشور - بالتي - اكوري	حاكم مدينة ارابخا	أدد - نيراري (الثالث)	٨٠٢	٩
ننورتا - ايلايا	حاكم مدينة أرزوخينا	أدد - نيراري (الثالث)	٨٠١	١٠
شيب - عشتار	حاكم مدينة نصيبين ^(٣)	أدد - نيراري (الثالث)	٨٠٠	١١
مردوك - أثنماني	حاكم مدينة أميد (Amedi) ^(٤)	أدد - نيراري (الثالث)	٧٩٩	١٢
موتاكيل - مردوك	رئيس التشریفات (rab sa - resi) ^(٥)	أدد - نيراري (الثالث)	٧٩٨	١٣
بيل - تارصي - إيلوما	حاكم مدينة كلخو	أدد - نيراري (الثالث)	٧٩٧	١٤
أشور - بيلو - أوصر	حاكم (مدينة) خبروري (Hubruri) ^(٦)	أدد - نيراري (الثالث)	٧٩٦	١٥
مردوك - شادوني	حاكم مدينة رقعات (Raqmat)	أدد - نيراري (الثالث)	٧٩٥	١٦
موكين - ابوا	حاكم مدينة توسخان	أدد - نيراري (الثالث)	٧٩٤	١٧
ماتو - كي - آشور	حاكم كوزانا ^(٧) / (rab sa)	أدد - نيراري (الثالث)	٧٩٣	١٨

(١) SAAS , OP . Cit , P . 45 .

(٢) SAAS , OP . Cit , P . 13 .

(٣) SAAS , VOL . 2 , P . 57 .

(٤) Ibid .

(٥) SAAS , VOL . 11 , P . 61 .

(٦) SAAS , VOL . 2 , P . 57 .

قائمة بأسماء بعض موظفي الحوليات الملكية وعناوين وظائفهم نقلًا عن:

حبش خضر العبادي، معاذ: "الحوليات الملكية في العصر الآشوري الحديث"، ص ١٣١-١٣٦.

قائمة معجمية بالمقاطعات الآشورية من مكتبة الملك الآشوري آشور-بان-ابل
(آشور بانيبال)

الاسم الحديث للموقع	اسم الموقع القديم بالحرف العربي ودلالته	اسم الموقع القديم بالحرف اللاتيني	ت
الوجه ١ - (١)			
بابل. شمال الحلة وسط العراق	كا. دنكر. را. كي (بابل)	KÁ.DINGIR [x x x (x)R] A. KI	1
= =	تن. تر. كي. كي. (بابل)	TIN.TIR.K [I]x x(x). KI	2
بارسب، بور سب = برس نمرود بالقرب من بابل.	بار - سب - ك: بور - سب	bar - sip. KI :bur-sip. KI	3
نبيّر = نفر. شمال شرق الديوانية جنوب العراق، كوثي = تل ابراهيم شمال بابل.	دِين. لِيل. كي (نبيّر) كو. دو. (كوثي)	^d EN.LÍL.KI GU. DU ₈ . A.KI	4
اوروك = تلوروركاء شرق السماوة بالعراق.	أُنك (أُنك)، أُنك (أُنك)	UNUG.KI TE. UNUG. KI	5
لاراك = تل الولاية في محافظة واسط بالعراق، لارسا = السنكرة شمال غرب الناصرية جنوب العراق.	لُرَك، لُرَس (لارسا)	UD.UD - ak. KI UD	6
اور = تل المقير جنوب شرق الناصرية جنوب العراق، كولاب = احدى ضواحي الوركاء	شيش. أُنك. كي - اخذت الوركاء-أز (اور)، كُلب	ŠEŠ. UNUG.KI kul - UNUG.KI kullabu	7
مبيّر = ابو حبة جنوب غرب بغداد، دلبات = تل ديلم	أد. كب. نون. كي (مبيّر)، دِل - بَت	UD.KIB. NUN.KI dil - bat. KI	8

(1) SAA, XI, P. 4 = K4384.

ت	اسم الموقع القديم بالحرف اللاتيني	اسم الموقع القديم بالحرف العربي ودلالته	الاسم الحديث للموقع
9	MARAD. DA. KI: URU. sa ^h - ri - na	مَرَد، سَخ - ر - ن	مَرَد = وُتّه والصدوم شمال شرق الديوانية (القادسية) بالعراق، سَخَرينا = موضع قرب الحلة جنوب غرب بابل في العراق
10	URU.ap - šu URU. ú - pi - i,	أب - ش، أ - ب - (كذا وردت) = أوبس	أوب - أوبس - = تَل المجلعات جنوب شرق بغداد في العراق
11	NUN.KI NI. TUK. KI	نون. كي = أَرْدُ ن. تَوَك. كي (دِلْمُن)	أَرِيْدو = أِبُو شهرين جنوب غرب الناصرية في العراق، دلمون = البحرين
12	Ki - sik - KI: kis - sik? - ru.KI	كي - سيك، كِس - سَك. رُ. كي	كسك = تَل اللحم جنوب سوق الشيوخ بالناصرية جنوب العراق
13	PA.ŠE.KI: PA.TE.SI. KI	با. شي. كي: با. تَسي. س. كي (إِسِن)، (إِسِن)	إيسن = إيشان بحريّات جنوب شرق الديوانية في العراق
14	BAD.DINGIR.KI KUR. i - tu - 'u	باد. دنكر. كي (دير) كور إِتْ - هُ	دور (دير) = تَل العقر (بدره) شرق العراق، إِبِتْ = هيت. على الفرات شمال غرب الرمادي في العراق
15	KUR. la - ba - du - du	ل - ب - د - د. د.	تَل زين العابدين و(لبدودو) قبيلة أرامية كانت تسكن منطقة داقوق في محافظة صلاح الدين بالعراق وغلب اسم القبيلة على المنطقة
16	KUR - ia. su - pu	كور - ي - س - ب. ب.	قبيلة أرامية كانت تقطن جبل حميرين ونهر دياي وطغى اسم القبيلة على المنطقة
17	KUR - LÚ. IGI.UM	كور. ل. إِك. أم (بلاد الكنوز).	
18	KUR - LÚ. 600 - É. GAL	كور. ل. ٦٠٠ - إِي. كال.	

ت	اسم الموقع القديم بالحرف اللاتيني	اسم الموقع القديم بالحرف العربي ودلالته	الاسم الحديث للموقع
19	KUR – LÚ. NIGIR – KUR	كور. لُ. نِكِر. كور.	
20	KUR – LÚ. GAL – KAŠ – LUL	كور. لُ. كال – كاش. لول (بلاد راب شاقى مسؤول الري).	أقليم راب شاقى = يمتد في المنطقة المحصورة بين مدينة سعرت (سيرت) وحصن كيفا (هاسان كيف) على نهر دجلة جنوب شرقي تركيا
21	URU. a – ri – ia – u – a – te	أُر. أ – ر – ي – أ – ا – تى.	أرياءات = بالقرب من تل حلف في سوريا
22	[UR]U.GU – AN(il)	إيل	
23	[KUR]. i – zal – lu	إ – زل – لو.	إيزال = قسم من سلسلة جبال طور عابدين شمال ماردين جنوب تركيا
24	[x x]x: KUR. sin – gar	كور. سِن – كَار.	كور سنكار = جبل سنجار في محافظة نينوى بالعراق
25	[x x x]x šī x[x x]	[...] ش. [...] ..	
٢ - الوجه هناك عدد من الاسطر مهشمة			
1	URU. kar – ^d ŠEŠ. GAL – (kar – nergal)	أُر. كار – شيش. كال = كار – التير [كال؟] مدينة او (ميناء) الاله نركال إله العالم السفلي	كار نركال = الصويرة في محافظة واسط بالعراق

ت	اسم الموقع القديم بالحرف اللاتيني	اسم الموقع القديم بالحرف العربي ودلالته	الاسم الحديث للموقع
2	URU. kar – dEN.L[IL]	أُر. كار – إل. ل [إل] (مدينة، ميناء الإله انليل)	كار انليل = تل عيسى – نهر عيسى – بالقرب من الصفلاوية في محافظة الأنبار بالعراق
3	KUR. mu – us – ku: URU. mar – [x x]	كور. مُ – أُس – كُ أُر. مَر – [x x]	مُشك = كبدوكيا في تركيا، تابال = عيسارية في تركيا
4	URU. ma – za – mu – u – a	أُر. مَ – زَ – مُ – و.	مزام (زاموا) = السليمانية وسهل شهرزور في كرديستان شمال شرق العراق.
5	URU. ar – zu – hi – na	أُر. أَر – زُ – خ ن	ارزو خين = كوك بيه شمال شرق كركوك (جنوب الزاب الاسفل)
6	URU. kul – la – ni – i	أُر. كُـل – ل – ن و.	كولاني = كلني او تل تعيينات القريبة من انطاكية في تركيا
7	URU. su – u – hu URU. hi – in – da – na	أُر. سُ – و – حُ أُر. خ – ان – د ن.	سوخ = شواع بالقرب من عنه، خندان، تل الجابرية في ناحية الكرابلة التابعة لقضاء القائم بمحافظة الأنبار غرب العراق
8	KUR. hi – lak – ku KUR. ia – e – na	كور. خ – لَك – كُ – كور ي – ا ن.	خيلاك = كيليكيا في تركيا ، بينج شمال شرق طرسوس جنوب تركيا
9	KUR. me – li – di URU. pi – l[i?] – [iš?] – tú	كور. مي – ل – د أُر. ب – ل [ي] – [أش] – ث.	ميليديا = اسكي ملاطيا واصلان بيه جنوب تركيا، بلشتو = فلسطين.
10	URU. ši – bar – tú URU. Is – q [a – lu – na]	أُر. ش – بَر – ث أُر. إِس – قَ – ا ل – ن	شيبارت = سَردس مدينة في كبدوكيا في تركيا، اسقلونا عسقلان في فلسطين

ت	اسم الموقع القديم بالحرف اللاتيني	اسم الموقع القديم بالحرف العربي ودلالته	الاسم الحديث للموقع
11	URU. U- du - u - mu: URU. [x x]	أُرُ. - دُ - أُ - مُ: أُرُ [x x].	أدوم في الأردن بالقرب من الكرك
12	URU. am - ma - a - [na]	أُرُ. أم - م - آ - [ن].	امان = عمان
13	KUR - ku - ú - su	كور. كُ - سُ - [.]	كوس = الحبشة (كوش) وبلاد النوبة.
14	mat - a - a: KUR. X [x x x]	مات - ا - ا: كور (ميديا): كور [x x]	ماتايا (ميديا) شمال غرب إيران،
15	KUR. par - su - [x(x x)]	كور. بار - سُ - [(x x) x]	بارس = بلاد فارس
16	KUR. [x x x x x]	كور. [x x x x x].	بلاد [..]
17	KUR. [x x x x x]	كور. [x x x x x].	بلاد [..]
وهناك ما لا يقل عن ثمانية أسطر مهشمة			
القفا ١ - (١)			
البدايات مهشمة			
1	KUR. s[a - mir - i - na]	كور. سآ - إا - مير - ي - ن.	سامرين = السامرة. شمال غرب نابلس.
2	URU. sa['a - ar - ri ²]	أُرُ. سآ - إا - أر - ر ² .	ساءار = شعارة جنوب شرقي دمشق ضمن منطقة اللجاة السورية

ت	اسم الموقع القديم بالحرف اللاتيني	اسم الموقع القديم بالحرف العربي ودلالته	الاسم الحديث للموقع
3	KUR. <i>ha - a - u - [ri - na]</i>	كور. خ - أ - [ر - ن].	خائورين = حوارين جنوب شرق حمص في سوريا
4	KUR. <i>tam - tim [x x]</i>	كور. تم - تم [x] (اقليم البحر).	كور تامتم = كناية عن منطقة الاهوار جنوب العراق
5	KUR. <i>mu - uš - r[i 0]</i>	كور. م - أص - ر [0].	مُصر = مصر.
6	URU. <i>di - mas - qa [0]</i>	أُر. د - مس - ق [0].	دمسق = دمشق.
7	URU. <i>qar - ni - ni [0]</i>	أُر. قَر - ن - ن [0].	قرنين = قرنين منطقة في جنوب غرب سوريا في منطقة حوران وتطابق شيخ سعد حالياً
8	URU. <i>h_va - ma - a[t - tu]</i>	أُر. خ - م - أ [ت - ت].	خماثَه = حماة
9	URU. <i>h_va - ta - rik - [ka]</i>	أُر. خ. ت - رِك - [ك].	ختاريك = خدراك / حزرِك مدينة قريبة من مدينة حماة.
10	URU. <i>man - su - a - te</i>	أُر. مَن - س - ا - ت.	منسوات = منسياس، سهل البقاع، مصياف، شمال غرب سوريا
11	URU. <i>du - u' - ru</i>	أُر. د - و - ر.	دور = دورا مدينة تقع على مسافة ٢١ كم شرق اورفه في تركيا
12	URU. <i>šu - bat URU. h_va - ma - a² - [tú?]</i>	أُر. ص. بت أُر. خ - م - ا - ؟ - [ت].	صبات = حمص او مدينة صافيتا، خماث حماة.

ت	اسم الموقع القديم بالحرف اللاتيني	اسم الموقع القديم بالحرف العربي ودلالته	الاسم الحديث للموقع
13	URU. BAD ^d KASKAL. KUR - a - a	أُر. باد (دور) كسكال. كور - (بالخ) - أيو.	دور كسكال = بالقرب من رافد البليخ.
14	URU. sa - am - al - la	أُر. س - أم - أل - ل.	سمأل = زنجلي في جنوب تركيا.
15	URU. la - qe - e	أُر. ل - ق - ا.	لاقي = بالقرب من دير الزور في سوريا
16	KUR. Ta - bal URU. Qu - [e ?]	كور. ت - بل أُر. ق - [؟].	تابال = قيسارية في كبدوكيا، قوي = سهل كليكيا او مدينة ارضه في تركيا
17	URU. gar - ga - mi[š]	أُر. گر - ك - م - [ش]	كركميش = جرابلس في شمالى سوريا
18	URU. ku - mu[hi]	أُر. ك - م - [خ].	كمخ = مدينة سمساط في تركيا
19	URU. kum - mu - [hi]	أُر. ك - م - [خ].	= =
20	URU - kar - ^d NIN [LIL]	أُر كر - مل [لس]	تل بربارة وتل الغنم في كرمليس شرقي نينوى بالعراق
- ٢ -			
البدايات مخرومة			
1	URU. x [x x x x]	أُر. x [x x x x]	
2	URU. a - di - an URU. x x	أُر - أ - د - أن (بيت الدين)، أُر x x.	اديان = اسكي كلك في محافظة أربيل بالعراق

ت	اسم الموقع القديم بالحرف اللاتيني	اسم الموقع القديم بالحرف العربي ودلالته	الاسم الحديث للموقع
3	URU. im - gūr ^d BE URU. EN - an	أز. إم - كر - إل (المدينة المقبولة من الآلهة أنليل)، أز. أين - أن.	امكرال = بلاوات شرقي نينوى، أينان = تل بارسب شمالي سوريا
4	URU. ne - med - ^d 15	أز. ن - مي - د - (إسار) (نميد عشتار) مفر، استراحة عشتار	نميد عشتار = تلغفر في محافظة نينوى بالعراق أو تل خميرة.
5	URU. ši - iš - lu	أز. ش - أش - لو	شيشل = القيارة؟ جنوب الموصل بالعراق
6	URU. ú - ba - se - e	أز. أ - ب - سي - ي.	مدينة أوبس على دجلة التي تُحدد في تل الحويش جنوب الشرقاط (أشور)
7	URU. É. GAL. MEŠ	أز. أ. كلات (مدينة القصور)	أكلات = تللول الهيجل (الهيكل) قبالة آشور في قضاء الشرقاط وربما تمثل أيضا تل الذهب شمال الفتحة جنوب قرية المسحق مقابل قلعة الجبار على الضفة اليسرى لنهر دجلة ضمن منطقة جبل مكحول، والمدينة التي تُرد في النصوص المسمارية في حالة الجمع أي تنتهي بصيغة ate في هي المرشحة الأولى بينما التي تكون في حالة المفرد هي المرشحة الثانية أي مدينة ekallatu وهي تل الذهب.
8	URU. su - ur - mar - ra - a - te	أز. س - ار - مر - ز - ا - ت.	سورمرات ^(١) = سُر من رأي (سامراء).
9	URU. arrap - ha URU. h a - lah - hu	أز. أراب - خ - أز - خ - لخ - خ.	أرابخا = (كركوك)، خلاخ موضع على نهر الخوصر شرقي نينوى ربما يمثل تل العباسية

ت	اسم الموقع القديم بالحرف اللاتيني	اسم الموقع القديم بالحرف العربي ودلالته	الاسم الحديث للموقع
10	URU. <i>ra - ša - ap - pa</i>	أُر. ر - ص - أب - ب.	رصاصا = الرصافة (سرجيوليس) جنوب الرقة في سوريا
11	URU. <i>tam - nu - nu:</i> URU. <i>tam - ku₆ ku₆</i>	أُر. تَم - ن - ن: أُر. تَم - ك - ك (مدينة السمك)	تَمَن = تل جيكان. يستقر حالياً تحت غمر ومياه سد الموصل.
12	URU. <i>til - le - e</i> URU. <i>ap - ku</i>	أُر. تِل - لِي - ي أُر. اب - ك (ابقم)	تَلِّي = مدينة في مثلث الخابور تعرف اليوم بـ تل ارميلان، ابكو (ابقم) قرية ابو ماريّا شمال غرب الموصل
13	URU. <i>i - sa - na</i>	أُر. إ - س - ن (ايسن).	ايسان = ايسان كوي، تل ايزان على نهر الساجور في سوريا، أو تل امنيرة أو الخفسان بالقرب من حمام العليل جنوب الموصل
14	URU. <i>ša - bi - ri - i - šú</i>	أُر. ش - ب - ر - ش.	شابيريش = موضع في كردستان العراق بين جبل بيخير وزاخو يعرف حالياً بأسورين
15	URU. <i>šu - u - du</i> URU. <i>tuš - ha - an</i>	أُر. ش - و - د - ت - ش - ح - ان.	شود = بربوتوميا، تُشخان = زيارت تبه، كرخ في تركيا
16	URU. <i>gu - za - na:</i> URU. <i>na - ši - bi - na</i>	أُر. ك - ز - ن: أُر. ن - ص - ب - ن.	كوزان = تل حلف في سوريا، نصيبينا = نصيبين في تركيا
17	URU. <i>ha - me - de - e</i>	أُر. ح - م - د - ا	خمدى = آمد (ديار بكر) في تركيا
18	URU. <i>su - ru - ^mnu - ra - a - ni</i>	أُر. س - ر - ن - ر - أ - ن.	سور نوران = ربما تمثل قرية الناوران بالقرب من نهر الخوصر شمال نينوى

ت	اسم الموقع القديم بالحرف اللاتيني	اسم الموقع القديم بالحرف العربي ودلالته	الاسم الحديث للموقع
19	URU.PU-LUGAL URU. <i>ka[?] - raš</i>	أُر. بو - شُر (مدينة الينبوع الملكية) أُر. كَ - رَش	آل أين شُرُوت آلو كَرَش = ربما تمثل (مدينة كراثا - تل موسى). بالقرب من زمار غربي الموصل في العراق وعينها لازالت تجري إلى الآن.
20	URU. <i>ka - ma - na - a - te</i>	أُر. كَ - مَ - نَ - ا - تَ - تَ.	كمائنات = كومّاكيني، سمسات في تركيا
21	[URU. <i>ka</i>] <i>r - m[d]</i> [DI] - nu - MAŠ	[أُر. كـ] ر - شِلْمَن - ن - أَشِرْدُ (مدينة أو ميناء شلمنصر) وهو الاسم الحديث لمدينة (تل بارسب) بعد أن استبدل اسمها الملك شلمنصر الثالث بعد معركة القرقار.	كار شلمان = تل بارسب (تل احمر) في شمال سوريا
22	[URU. BAD] - LUGAL - GIN	[أُر. باد] لوكال. كين (دور شُرُوكين) = (حصن سرجون)	دور شُرُوكين = خُرسباد شمالي نينوى في العراق
٢ - جزء آخر من قائمة المقاطعات الآشورية ^(١)			
البدايات مهشمة			
1	[URU. <i>tar!</i> - bu! - si - ba!]	أُر. ثَر! - ب! - س! - ب!. (تل بارسب).	تربارسب (تل بارسب) = تل احمر

ت	اسم الموقع القديم بالحرف اللاتيني	اسم الموقع القديم بالحرف العربي ودلالته	الاسم الحديث للموقع
2	URU. gu - za - na	أُر. كُ - زُ - نَ.	تل خلف في شمالي سوريا
3	URU. bar - ha - za	أُر. بَر - خَ - زُ (بَرخَلَز).	برخاز = موضع شمال تلغفر غربي الموصل في العراق لعلها تتطابق مع قرية البرغلية
4	URU - si - 'i - me - e	أُر. سِ - ئِ - مِ - ي.	سيئيني = تل جلاج تفع في اعالي الخابور في سوريا
5	URU. til - le - e	أُر. تِل - لِي - ي.	تيلي = تل ارميلان في سوريا أو جزيرة بن عمر في تركيا في شمال شرقي سوريا
6	URU - ra - şap - pa	أُر. رَ - صَب - بَ.	رصابا = الرصافة (سرجيوبوليس) بالقرب من الرقة في سوريا
7	[U]RU. i - sa - na	[أُر] رُ. إ - سَ - نَ.	ايسان = ايسانكوي، ايزان أو تل ايسان على نهر المساجور في سوريا أو تل امنيرة أو الخفسان بالقرب من حمام الحليل جنوب الموصل
8	[URU]. hi - in - da - na	[أُر] خَ - ان - دَ - نَ.	خندان = جدان، اذان، تل الجابرية بالقرب من القائم غربي العراق
البقية مهشمة تماماً			

نقلًا عن: الجميلي، عامر عبد الله: "المعارف الجغرافية عند العراقيين القدماء"، دهوك ٢٠١١م، ص ٢٧٠-٢٨٠.

Summary of research in English:
"The System of Governance and Administration in the Modern Assyrian State (911-612 BC)".

The subject of governance and administration in the modern Assyrian state (911-612 BC) is one of the most important and sensitive topics in the study and analysis of an important aspect of the history of the modern Assyrian state. It represents a mirror that reflects the extent of the Assyrian state's progress in administrative and service progress, With the aim of organizing the life of Assyrian society and determining the actions of its members in the public interest of the State. The study of the experiences of nations and peoples confirms to us that military strength and superiority have not been the only way for those nations to stay and achieve their objectives, as long as it depends on the proper organization of their administrative machinery, and seek to improve it and the fill gaps and correct them, if found. The administrative system of any State has been and continues to be the cornerstone of any human society in order to be a cohesive and distinct society with certain characteristics, which bind each other and distinguish them from other neighbors. We can compare the administrative systems of any country with the plant, which can only grow and grow in a good environment. Just as the tree can not hit its branches in the sky only as far as its roots are in the ground, administrative systems can not be established and settled And thrive only in so far as it relates to past experiences and experiences.

Syrian Arab Republic
Damascus University
Department of History



"The System of Governance and Administration in the Modern Assyrian State "911-912 B.C"

A Thesis is prepared to obtain the PhD in Ancient History

**Prepared by Student:
Ahmad Mohammad Dib Shbabibi**

**Supervisor:
Prof. Jihad Abboud**

2019/1440